

# شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بمقتضى

محمد أبو الفضل إبراهيم

دار الحياء الكتب العربية

ميسى الباني الجليلي وشركاه



# شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



الجزء السادس

دار الخفاء للكتاب العربي  
عيسى البابي الحلبي وشركاه





مرکز تحقیقات تاریخ و فرهنگ اسلامی

منشورات مکتبه آیه الله العظمیٰ المرعشی النجفی  
قم - ایران ۱۴۰۴ هجری



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين .

(٦٦)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام في معنى الأنصار :

قالوا : لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال عليه السلام : ما قالت الأنصار ؟ قالوا : قالت : منا أمير ومنكم أمير ؛ قال عليه السلام :

فَهَلَّا أحتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ ؟

قالوا : وما في هذا من الحجّة عليهم ؟ فقال عليه السلام : لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصية بهم . ثم قال عليه السلام :

فَمَاذَا<sup>(١)</sup> قَالَتْ قُرَيْشٌ ؟

قالوا : أحتجّت بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

(١) مخطوطة النهج : « وماذا » .



أَحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ !

\*\*\*

### البَنْج :

قد ذكرنا فيما تقدم طرقاً من أخبار السقيفة ؛ فأمّا هذا الخبر الوارد في الوصية بالأنصار ؛ فهو خبر صحيح ، أخرجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري في مسنديهما ، عن أنس بن مالك ، قال : مرّ أبو بكر والعباس رضي الله تعالى عنهما بمجلس من الأنصار ، في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون ، فقالا : ما يبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا محاسن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبراه بذلك ؛ فخرج صلى الله عليه وسلم وقد عَصَبَ على رأسه حاشية بُرْدَةٌ<sup>(١)</sup> ، فصعد المنبر وسلم يضعده بمعد ذلك اليوم - فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أوصيكم بالأنصار ، فإنهم كرشى وعيبتي ، وقد قضاوا الذي عليهم ؛ وبقى الذي لهم ، فاقبلوا من محبتهم ، وتجاوزوا عن مسيئتهم »<sup>(٢)</sup> .

فأمّا كيفية الاحتجاج على الأنصار ، فقد ذكرها على عليه السلام ؛ وهي أنه لو كان صلوات الله وسلامه عليه - بمن يجعل الإمامة فيهم ؛ لأوصى إليهم ، ولم يوص بهم . وإلى هذا نظر عمرو بن سعيد بن العاص ، وهو المسمى بالأشدق ؛ فإن أباه لما مات خلفه غلاماً ، فدخل إلى معاوية فقال : إلى من أوصى بك أبوك ؟ فقال : إن أبي أوصى إلي ولم يوص بي ؛ فاستحسن معاوية منه ذلك ؛ فقال : إن هذا الغلام لأشدق ، فسمي الأشدق<sup>(٣)</sup> .

فأما قول أمير المؤمنين : « احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة » ؛ فكلام قد تكرر منه

(١) البخاري : ٥ برد .

(٢) صحيح البخاري ٢ : ٣١٢ ، صحيح مسلم ١٩٤٩ (٣) الأشدق : البليغ .



عليه السلام أمثاله ؛ نحو قوله : « إذا احتج عليهم المهاجرون بالقرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الحجة لنا على المهاجرين بذلك قائمة ؛ فإن فُلجَتْ حُجَّتُهُمْ كانت لنا دونهم ؛ وإلا فالأنصار على دعوتهم » .

ونحو هذا المعنى قول العباس لأبي بكر : « وأما قولك : نحن شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكم جيرانها ؛ ونحن أغصانها » :

• • •

### [ يوم السقيفة ]

ونحن نذكر خبر السقيفة<sup>(١)</sup>؛ روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب " السقيفة " قال :

أخبرني أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أحمد بن سيار ، قال : حدثنا سعيد بن كثير ابن عفيرة الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وآله لما قبض ، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، فقالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض ، فقال سعد بن عبادة لابنه قيس - أو لبعض بنيه : إني لا أستطيع أن أسمع الناس كلامي لمريض ؛ ولكن تلق مني قولي فأتهمهم . فكان سعد يتكلم ، ويستمع ابنه ويرفع به صوته ليُسمع قومه ؛ فكان من قوله بعد حمد الله والثناء عليه أن قال :

إن لكم سابقة إلى الدين ، وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق في قومه بضع عشرة سنة ، يدعوهم إلى عبادة الرحمن ، وخلع الأوثان ؛ فما آمن به من قومه إلا قليل ، والله ما كانوا يقدر أن يمنعوا رسول الله ،

(١) انظر أخبار السقيفة أيضاً في الجزء الأول ٢١ - ٦١ .



ولا يُعزُّوا دينه ، ولا يدفعوا عنه عِداه ؛ حتى أراد الله بكم خيرَ الفضيلة ، وساق إليكم الكرامة ، وخصكم بدينه ، ورزقكم الإيمان به وبرسوله ، والإعزازَ لدينه ، والجهادَ لأعدائه ؛ فكنتم أشدَّ الناس على مَنْ تخلف عنه منكم ، وأثقله على عدوِّه من غيركم ؛ حتى استقاموا الأمر الله طوعاً وكرهاً ، وأعطى البعيدُ المقادَةَ صاغراً <sup>(١)</sup> ، حتى أنجز الله لبيبكم الوعد ، ودانت لأسيافكم العربُ . ثم توفاه الله تعالى وهو عنكم راضٍ ؛ وبكم قريُّ عَيْنٍ ؛ فشُدُّوا يديكم بهذا الأمر ، فإنكم أحقُّ الناس وأولاهم به .

فأجابوا جميعاً : أن وُقِّت في الرأي ، وأصبت في القول ، ولن ندو ما أمرت . نوليكَ هذا الأمر ، فأنت لنا مقنَّع ، ولصالح المؤمنين رضاء .  
ثم إنهم تراذوا الكلام بينهم ، فقالوا : إن أبت مهاجرة قريش فقالوا : نحن المهاجرون ، وأصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولون ؛ ونحن عشيرته وأوليائه ، فعلامَ تُنازعوننا هذا الأمر من بعده ؟ فقالت طائفة منهم : إذا نقول : مِنَّا أمير ومنكم أمير ، لن نَرْضَى بدون هذا منهم أبداً ، لنا في الإيواء والنصرة ما لهم في الهجرة ، ولنا في كتاب الله ما لهم ، فليسوا بعدُّون شيئاً إلا ونمذِّمُهم مثله ، وليس مِن رأينا الاستئثارَ عليهم ، فنأ أمير ومنهم أمير .

فقال سعد بن عبادَةَ : هذا أول الوَهْنِ !

وأتى الخبرُ عمرَ ، فأتى منزلَ رسول الله صلى الله عليه وآله ، فوجد أبا بكرٍ في الدار وعليَّانِ جِهازَ رسول الله صلى الله عليه وآله - وكان الذي أتاه بالخبر معن بن عدى - فأخذ بيد عمر ، وقال : قم ، فقال عمر : إني عنك مشغول ، فقال : إنه لا بدَّ من قيام ، فقام معه ، فقال له : إن هذا الحَيُّ من الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، معهم سعد بن عبادَةَ ، يدورون حولَه ، ويقولون : أنت الرجى ، ونجلك الرجى . وثمَّ أناسٌ من

(١) كذا في ج ، والآخر : « الدليل » ، وق ب : « داحضا » .



أشرفهم ، وقد خَشِيتُ الفتنة ، فأنظر يا عمر ماذا ترى ! واذا ذكر لإخوتك من المهاجرين ، واختاروا لأنفسكم ، فإني أنظر إلى باب فتنة قد فتحت الساعة إلا أن يفلقه الله . ففرع عمر أشدَّ الفرع ، حتى أتى أبا بكر ، فأخذ بيده ، فقال : قم ، فقال أبو بكر : إني عنك مشغول . فقال عمر : لا بد من قيام ؛ وسنرجع إن شاء الله .

قام أبو بكر مع عمر ، فعحدثته الحديث ، ففرع أبو بكر أشدَّ الفرع ، وخرج جاسراً عثين إلى سقيفة بني ساعدة ؛ وفيها رجال من أشراف الأنصار ؛ ومعهم سعد بن عبادة وهو مريض بين أظهرهم ، فأراد عمر أن يتكلم ويمهد لأبي بكر ؛ وقال : خَشِيتُ أن يقصر أبو بكر عن بعض الكلام ؛ فلما نبَسَّ<sup>(١)</sup> عمر ، كفه أبو بكر وقال : عَلَى رِسْلِكَ ؛ فتلَقَّ الكلامَ ثم تكلمَ بمد كلامي بما بدا لك . فتشهد أبو بكر ، ثم قال :

إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ، فَدَعَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَأَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَنَوَاصِبِنَا إِلَى مَا دَعَانَا إِلَيْهِ ، وَكُنَّا - مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ الْمُهَاجِرِينَ - أَوَّلَ النَّاسِ إِسْلَامًا ، وَالنَّاسَ لَنَا فِي ذَلِكَ تَبَعٌ ؛ وَنَحْنُ عَشِيرَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَوْسَطُ الْعَرَبِ أُنْسَابًا ، لَيْسَ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَّا وَلَقَرِيشُ فِيهَا وَلَادَةٌ ؛ وَأَنْتُمْ أَنْصَارُ اللَّهِ ، وَأَنْتُمْ نَصَرْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَنْتُمْ وَزَرَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِخْوَانُنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَشِرْكَائُنَا فِي الدِّينِ ؛ وَفِيَا كُنَّا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ ؛ فَأَنْتُمْ أَحِبُّ النَّاسِ إِلَيْنَا ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيْنَا ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ ، وَالتَّسْلِيمِ لِمَا سَأَى اللَّهُ إِلَى إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَحَقُّ النَّاسِ أَلَّا نَحْمَدُوهُمْ ، فَأَنْتُمْ الْمُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ حِينَ الْخِصَاصَةِ ، وَأَحَقُّ النَّاسِ أَلَّا يَكُونَ انْتِفَاضُ هَذَا الدِّينِ وَاجْتِلَاطُهُ عَلَى أَيْدِيكُمْ ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ وَعُمَرَ ؛ فَكَلَامَاهَا قَدْ رَضِيتُ لِهَذَا الْأَمْرِ ، وَكَلَامَاهَا أَرَاءَ لَهُ أَهْلًا .



فقال عمر وأبو عبيدة : ما ينبغي لأحد من الناس أن يكون فوقك ، أنت صاحب الفار ، ثانی اثنين ، وأمرک رسول الله بالصلاة ، فأنت أحق الناس بهذا الأمر .  
فقال الأنصار :

والله ما نحمدكم على خير ساقه الله إليكم ، ولا أحسد أحب إلينا ولا أرضى عندنا منكم ، ولكننا نشفق فيما بعد هذا اليوم ، ونحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منا ولا منكم ؛ فلو جعلتم اليوم رجلاً منكم بايعنا ورضينا - على أنه إذا هلك اخترنا واحداً من الأنصار ؛ فإذا هلك كان آخر من المهاجرين أبداً ما بقيت هذه الأمة - كان ذلك أجدر أن تعدل<sup>(١)</sup> في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيشفق الأنصاري أن يزيع فيقبض عليه القرشي ، ويشفق القرشي أن يزيع فيقبض عليه الأنصاري .

فقام أبو بكر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث عظم على العرب أن يترکوا دين آبائهم ، يخالفوه وشاقوهم ، وخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به والمواساة له ، والمصير معه على شدة أذى قومه ، ولم يستوحشوا كثرة عدوهم ؛ فهم أول من عبد الله في الأرض ، وهم أول من آمن برسول الله ، وهم أولياؤه وعثرته ، وأحق الناس بالأمر بعده ، لا يمتازهم فيه إلا ظالم ؛ وليس أحد بعد للمهاجرين فضلاً وقدما في الإسلام مثلكم ؛ فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا يمتاز دونكم بمشورة ، ولا نفضي دونكم الأمور .

فقام الحباب بن المنذر بن الجحوح ، فقال :

يا معشر الأنصار ؛ امسكوا عليكم أيديكم ؛ إنما الناس في فيثكم وظلمكم ؛ ولن يجترى مجترى على خلافكم ، ولا يصدر الناس إلا عن أمركم ، أنتم أهل الإيواء والنصرة ، وإليكم كانت الهجرة ، وأنتم أصحاب الدار والإيمان ؛ والله ما عبد الله علانية إلا عندكم وفي بلادكم ،

(١) كذا في ج ، وفي ب : « العدل » .



ولا جمعت الصلاة إلا في مساجدكم ، ولا عُرِفَ الإيمان إلا من أسيافكم ، فامْلِكُوا  
عليكم أمركم ، فإن أبي هؤلاء ، فمنا أميرٌ ومنهم أمير .

فقال عمر : هيهات ! لا يجتمع سيفان في غمد ؛ إن العرب لا ترضى أن تؤمَّركم  
ونبيها من غيركم ، وليس تمتنع العرب أن تولَّى أمرها من كانت النبوة فيهم ؛ وأولو  
الأمر منهم ، لنا بذلك الحجة الظاهرة على من خالفنا ، والسلطان المبين على من نازعنا ،  
من ذا يخاصمنا في سلطان محمد وميراثه ؛ ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلا مُدْلٍ بباطل ، أو  
متجانبٌ لإثم ، أو متورطٌ في هلكة !

فقام الحباب ، وقال :

يا معشر الأنصار ، لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من الأمر ،  
فإن أبوا عليكم ما أعطيتهم فاجلُوم عن بلادكم ، وتولَّوا هذا الأمر عليهم ، فأنتم  
أولَى الناس بهذا الأمر ، إنه دانَ لهذا الأمر بأسيافكم من لم يكن يدين له . أنا جُذَيْلُهَا  
الحَكَّكُ ، وعُذْبَقُهَا الرَّجَبُ <sup>(١)</sup> ، إن شئتم لتعيدنها جذعة <sup>(٢)</sup> ، والله لا يردُّ أحدٌ على  
ما أقول إلا حطمتُ أنفه بالسيف .

قال : فلما رأى بشير بن سعد الخزرجي ما اجتمعت عليه الأنصار من تأييد سعد بن عبادة  
- وكان حاسداً له ، وكان من سادة الخزرج - قام فقال :

أيها الأنصار ، إنا وإن كنَّا ذوي سابقة ، فإننا لم نُردِّ بجهادنا وإسلامنا إلا  
رضا ربنا وطاعة نبينا ، ولا ينبغي لنا أن نستطيل بذلك على الناس ، ولا نبتغي به عوضاً

(١) قال الزحخشري في الفائق ١ : ١٨١ : « الجذال : عود ينصب للابل الجربى تحمك به فتستشفى .  
والحكك : الذي كثر به الاحتكاك حتى صار مملاً . والعذق : بالفتح : النخلة . والرجب : الدعوم  
بالرجبة ؛ وهي خشبة ذات شعبتين ؛ وذلك إذا طال وكثر حمله . والمعنى : إنى ذو رأي يشقى بالاستئذان  
به كثيراً في مثل هذه الحادثة ، وأنا في كثرة التجارب والعلم بموارد الأحوال فيها ، وإن أمثالها ومصادرها ،  
كالنخلة الكثيرة الحل . ثم رى بالرأى الصائب عنده ، فقال : منا أمير ومنكم أمير . »

(٢) قال في اللسان : « إن شئتم أعدناها جذعة ، أى أول ما يبشأ فيها . »



من الدنيا ، إن عمدا صلى الله عليه وسلم رجلٌ من قريش ؛ وقومه أحقُّ بمراثِ أمره ،  
وأيُّمُ الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر ؛ فاتقوا الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم .

فقام أبو بكر ، وقال : هذا عمر وأبو عبيدة ، بايعوا أيُّهما شئتم ؛ فقالا : والله لا نتولَّى  
هذا الأمر عليك ؛ وأنت أفضلُ للمهاجرين ، وثاني اثنين ، وخليفة رسول الله صلى الله  
عليه وسلم على الصلاة ؛ والصلاة أفضلُ الدين . ابسط يدك نبياتك .

فلما بسط يده ، وذهبا يبايعانه ، سبقهما بشير بن سعد ، فبايعه ، فناداه الحُباب  
ابن المنذر : يا بشير ، عَقَّكَ عَقَاقِي<sup>(١)</sup> ؛ والله ما اضطررك إلى هذا الأمر إلا الحسدُ  
لأبي عمك .

ولما رأت الأوس أن رئيساً من رؤساء الخزرج قد بايع ، قام أسيد بن حضير  
- وهو رئيس الأوس - فبايع حسدا السد أيضاً ، ومنافسةً له أن يلى الأمر ، فبايعت الأوس  
كلُّها لما بايع أسيد ، وحيل سعد بن عبادَة وهو مريض ، فأدخل إلى منزله ، فامتنع من  
البيعة في ذلك اليوم وفيما بعده ، وأراد عمر أن يُكرِّهه عليها ، فأشير عليه ألا يفعل ،  
وأنه لا يبايع حتى يُقتل ، وأنه لا يُقتل حتى يقتل أهله ، ولا يقتل أهله حتى يقتل  
الخزرج ؛ وإن حوربت الخزرج كانت الأوس معها .

وفسد الأمر فتركوه ، فكان لا يصلُّ بصلاتهم ، ولا يجتمع بجماعتهم ، ولا يقضى  
بقضائهم ؛ ولو وجد أعوانا لضاربهم ، فلم يزل كذلك حتى مات أبو بكر ، ثم لقي عمر  
في خلافة ؛ وهو على فرس ، وعمر على بعير ، فقال له عمر : هيهات يا سعد ! فقال سعد :  
هيهات يا عمر ! فقال : أنت صاحب من أنت صاحبه ؟ قال : نعم أنا ذاك ؛ ثم قال لعمر :  
والله ما جاورني أحدٌ هو أبغضُ إليَّ جواراً منك ، قال عمر : فإنه من كرهه جوار رجل  
انتقل عنه ؛ فقال سعد : إني لأرجو أن أخليها لك عاجلاً إلى جوار من هو أحبُّ إليَّ

(١) ج : « يا عاقان » .



جواراً منك ومن أصحابك ؛ فلم يلبث سعدٌ بعد ذلك إلا قليلاً حتى خرج إلى الشام ، فات  
بحوران ولم يبايع لأحد ؛ لا لأبي بكر ولا لعمر ولا لغيرهما .

قال : وكثر الناس على أبي بكر ، فبايعه معظم المسلمين في ذلك اليوم ؛ واجتمعت  
بنو هاشم إلى بيت علي بن أبي طالب ، ومعهم الزبير ، وكان سعدٌ نفسه رجلاً من بني  
هاشم ؛ كان علي يقول : مازال الزبير من أهل البيت ؛ حتى نشأ بنوه ، فصرفوه عنا .  
 واجتمعت بنو أمية إلى عثمان بن عفان ، واجتمعت بنو زهرة إلى سعد وعبد الرحمن ؛  
 فأقبل عمر إليهم وأبو عبيدة ، فقال : مالي أراكم ملتائين ؟ قوموا فبايعوا أبا بكر ؛ فقد  
بايع له الناس ، وبايعه الأنصار . فقام عثمان ومن معه ، وقام سعد وعبد الرحمن ومن معهما ،  
 فبايعوا أبا بكر .

وذهب عمر ومعه عصابة إلى بيت فاطمة ، منهم أسيد بن حضير وسلة بن أسلم ، فقال  
لهم : انطلقوا فبايعوا ، فأبوا عليه ؛ وخرج إليهم الزبير بسيفه ، فقال عمر : عليكم الكلب ،  
 فوثب عليه سلة بن أسلم ، فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار ، ثم انطلقوا به وبعلبي  
ومعها بنو هاشم ، وعلي يقول : أنا عبد الله وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى  
انتهوا به إلى أبي بكر ، فقيل له : بايع ، فقال : أنا أحنُّ بهذا الأمر منكم ، لا أبايعكم  
وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار ، واحتججتم عليهم بالقرابة من  
رسول الله ، فأعطوكم المقادة ، وسلموا إليكم الإمارة ، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم  
به على الأنصار . فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم ، واعرفوا لنا من الأمر مثل  
ما عرفت الأنصار لكم ، وإلا فبوموا بالظلم وأنتم تعلمون .

فقال عمر : إنك لست متروكاً حتى تبايع . فقال له علي : احلب يا عمر حلباً لك شطراً !  
أشدُّ<sup>(١)</sup> له اليوم أمرٌ ليرد عليك غداً ! ألا والله لا أقبل قولك ولا أبايع . فقال له أبو بكر :

(١) ب : شد .



فإن لم تبايعني لم أكرهك ، فقال له أبو عبيدة : بأبا الحسن ، إنك حديث السن ، وهؤلاء مشيخة قريش قومك ، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك ، وأشدّ احتمالاً له ؛ واضطلاًعاً به ، فسلم له هذا الأمر وارضى به ، فإنك إن تمس وبطل عرك فأنت لهذا الأمر خليف وبه حقيق ؛ في فضلك وقرابتك ، وسابقتك وجهادك .

فقال عليّ : يا معشر المهاجرين ، الله الله ! لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فوالله يا معشر المهاجرين ، لننحنُ - أهل البيت - أحقُّ بهذا الأمر منكم . أما كان منا القارئ لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بالسنة ، المضطلع بأمر الرعية ، والله إنه لقينا ، فلانتمبوا الهوى ، فزادوا من الحق بعدا .

فقال بشير بن سعد : لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا عليّ قبل بيعتهم لأبي بكر ، ماختلف عليك اثنان ، ولكنهم قد بايعوا .  
وانصرف عليّ إلى منزله ، ولم يبايع ، ولزم بيته حتى ماتت فاطمة فبايع .

\*\*\*

قلت : هذا الحديث يدلُّ على بطلان ما يدعى من النص على أمير المؤمنين وغيره ، لأنه لو كان هناك نصٌ صريحٌ لاحتجَّ به ولم يحجَّ للنص ذكر ، وإلما كان الاحتجاج منه ومن أبي بكر ومن الأنصار بالسوابق والفضائل والقرب ، فلو كان هناك نصٌ على أمير المؤمنين أو على أبي بكر ، لاحتجَّ به أبو بكر أيضاً على الأنصار ، ولاحتجَّ به أمير المؤمنين على أبي بكر ، فإن هذا الخبر وغيره من الأخبار المستفيضة ، يدلُّ على أنه قد كان كاشفهم وهتك التناع بينه وبينهم ، ألا تراه كيف نسبهم إلى التمدُّى عليه وظلِّيه ، وتمنَّع من طاعتهم ،



وَأَسْمَحَهُمْ مِنَ الْكَلَامِ أَشَدَّهُ وَأَغْلَظَهُ ! فَلَوْ كَانَ هُنَاكَ نَصٌّ لَدَّ كَرِهِ ، أَوْ ذَكَرَهُ بَعْضُ مَنْ كَانَ مِنْ شِيعَتِهِ وَحِزْبِهِ ؛ لِأَنَّهُ لَا عِطْرَ بِمَدِّ عَرُوسٍ .

وَهَذَا أَيْضًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْخَبَرَ الْمُرَوَّى فِي أَبِي بَكْرٍ فِي صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ غَيْرُ صَحِيحٍ ؛ وَهُوَ مَارُوِيٌّ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَائِشَةَ فِي مَرَضِهِ : « ادْعِي لِي أَبَاكَ ، حَقٌّ أَكْتُبُ لِأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا ؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقُولَ قَاتِلٌ ، أَوْ يَضْمَنِي مَتَمِّنٌ ، وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ » .

وَهَذَا هُوَ نَصٌّ مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ .

\*\*\*

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَرْزُوقِ الْجَوْهَرِيِّ أَيْضًا : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ وَقَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُفَيْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَوْفٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ عَلِيًّا حَمَلَ فَاطِمَةَ عَلَى حِمَارٍ ، وَسَارَ بِهَا لَيْلًا إِلَى بَيْتِ الْأَنْصَارِ ؛ يَسْأَلُمُ النَّصْرَةَ ، وَتَسْأَلُمُ فَاطِمَةَ الْأَنْصَارِيَّةَ ، فَكَانُوا يَقُولُونَ : يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ، قَدِمْنِي بِمَعْتَنَاهُ هَذَا الرَّجُلُ ؛ لَوْ كَانَ ابْنُ عَمِّكَ سَبَقَ إِلَيْنَا أَبَا بَكْرٍ مَا عَدَلْنَا بِهِ ؛ فَقَالَ عَلِيٌّ : أَكُنْتُ أَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ مَيْتًا فِي بَيْتِهِ لَا أَجْهَرُهُ ، وَأَخْرَجُ إِلَى النَّاسِ أَنْزَاعَهُمْ فِي سُلْطَانِهِ !

وَقَالَتْ فَاطِمَةُ : مَا صَنَعَ أَبُو حَسَنِ إِلَّا مَا كَانَتْ يَنْبَغِي لَهُ ، وَصَنَعُوا هُمْ مَا اللَّهُ حَسْبُهُمْ عَلَيْهِ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَرْزُوقِ : وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَمِيدُ بْنُ كَثِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ لَهْيَعَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَامَاتٍ وَأَبُو ذَرٍّ غَائِبٌ ، وَقَدِمَ وَقَدْ وُلَّى أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : أَصَبْتُمْ قِنَاعَهُ ، وَتَرَكَتُمْ قَرَابَهُ ؛ لَوْ جَعَلْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ لَمَا اخْتَلَفَ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ .



قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو قبيصة محمد بن حرب ، قال :  
لما توفى النبي صلى الله عليه وآله ، وجرى في البقيعة ماجرى تمثل على :  
وأصبح أقوام يقولون ما اشبهوا ويطغون لما غال زيدا غوائله

[ قصيدة أبي القاسم المغربي ونعصبه للأنصار على قریش ]

وحدثني أبو جعفر يحيى بن محمد بن زيد العلوي تقيب البصرة ؛ قال : لما قدم أبو القاسم  
على بن الحسين المغربي من مصر إلى بغداد ، استكتبه شرف الدولة أبو علي بن بويه ،  
وهو يومئذ سلطان الحضرة ، وأمير الأمراء بها ، والقادر خليفة ، فقصدت الحال بينه وبين  
القادر ؛ واتفق لأبي القاسم المغربي أعداء سوء أوحشوا القادر منه ، وأوهوه أنه مع شرف الدولة  
في التقيص عليه وخلعه من الخلافة ، فأطلق لسانه في ذكره بالتقيص . وأوصل القول فيه ،  
والشكوى منه ، ونسبه إلى الرفض وسب السلف ، وإلى كفران النعمة ، وأنه هرب من  
يد الحاكم صاحب مصر بعد إحسانه إليه .

قال التقيص أبو جعفر رحمه الله تعالى : فأما الرفض فنعم ؛ وأما إحسان الحاكم إليه فلا كان  
الحاكم اقتل أباه وعمه وأخاه من إخوته ، وأفلت منه أبو القاسم بخديعة الدين ، ولو ظفر  
به لألقاه بهم .

قال أبو جعفر : وكان أبو القاسم المغربي ، ينسب في الأزد ، ويتمصب لقططان على  
عدنان ، وللأنصار على قریش ، وكان غالبا في ذلك مع نشيجه ، وكان أدبيا فاضلا شاعرا  
مترسلا ، وكثير الفنون طالما ، وانحدر مع شرف الدولة إلى واسط ، فاتفق أن حصل بيد  
القادر كتاب بخطه شبه مجموع ؛ قد جمعه من خطه وشعره وكلامه مسود ، أعفاه به بعض من  
كان يشأ أبا القاسم ، ويريد كيد ، فوجد القادر في ذلك المجموع قصيدة من شعره ، فيها  
تمصّب شديد للأنصار على المهاجرين ، حتى خرج إلى نوع من الإلحاد والزندقة ؛ لإفراط غلوّه



وفيها تصريح بالرفق مع ذلك ، فوجدناها القادر تمرة<sup>(١)</sup> الغراب ، وأبرزها إلى ديوان الخلافة ، فقرأ المجموع والقصيدة بمحض من أعيان الناس من الأشراف والقضاة والمدلين والفقهاء ، وبشهاد أكثرهم أنه خطه ، وأنهم يعرفونه كما يعرفون وجهه ، وأمر بمكاتبة شرف الدولة بذلك ، فإلى أن وصل الكتاب إلى شرف الدولة بما جرى ، اتصل الخبير بأبي القاسم قبل وصول الكتاب إلى شرف الدولة ، فهرب ليلاً ، ومعه بعض غلته ، وجارية كان يهواها ويحفظها ، ومضى إلى البطيعة ، ثم منها إلى الموصل ، ثم إلى الشام ، ومات في طريقه ، فأوصى أن تحمل جثته إلى مشهد على ، فعملت في تابوت ، ومعه خفراء العرب حتى دفن بالشهد بالقرب منه عليه السلام<sup>(٢)</sup> .

وكنيت برهة أسأل النقيب أبا جعفر عن القصيدة ، وهو يدافني بها ، حتى أملاها عليّ بعد حين ، وقد أوردت هاهنا بعضها ؛ لأنني لم أستجز ولم أستحل إيرادها على وجهها ، فمن جملتها - وهو يذكر في أولها رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويقول : إنه لولا الأنصار لم تستقم لدعوته دعامة ، ولا أرسى له قاعدة ، في آيات فاحشة كرهنا ذكرها :

نحن الذين بنا استجار فلم يضيع	فينا ، وأصبح في أعز جوار
بسيوفنا أمست سخيئة بركا	في بذرها ككنهاثر الجزار <sup>(٣)</sup>
ولعن في أحد سمحنا دونه	بنفوسنا للموت خوف العار
فنجبا بمهجته ، فلولا ذنبنا	عنه تنشب في مخالب ضار
وحية السعدين بل بحماية الـ	دين يوم الجحفل الجرار
في الخندق المشهور إذ ألقى بها	يدير ، ورام دفاعها ببار
قالا : معاذ الله إن هضبة	لم نعطها في سالف الأعصار

(١) يقال إذا أساب الرجل عند صاحبه أفضل ما يريد من الخير والمحب : وجد تمرة الغراب ، وذلك لأن الغراب إنما يحض من التمر أجوده . نمار القلوب ٣٦٦  
(٢-٢) ج « بالقرى » .  
(٣) سخيئة : لقب قريش ، وفي ١ ، ج : « تركا » .



ما عندنا إلا السيوف ، وأقبلنا نحو الخشوف بها بدارٍ بدارٍ  
 ولنا يوم حين آثارٌ متى تذكرُ فمن كرائمُ الآثارِ  
 لما تصدع جمه فنداً بنا مستمريخاً بعقيدته وجوارٍ  
 عطفت عليه كائناً ، فتحصنت وفدته من أبناء قبيلة عصبته  
 أفنحنُ أولى بالخلافة بعدهُ أم عبد نيم حاملو الأوزارِ  
 ما الأمر إلا أمرنا وبسعدنا زفت عروسُ الملك غير نوارِ  
 لكنا حسدُ النفوس وشحها وتذكر الأذحال والأوتارِ  
 أفضى إلى مرجٍ ومرجٍ فانبهرت عشواء خابطةً بنير نهارِ  
 وتداولتها أربعٌ لولا أبو حسنٍ لقلت لؤمت من إشتارِ<sup>(١)</sup>  
 من عاجز ضريعٍ ، ومن ذي غلظة جاف ، ومن ذي لؤنة خوارِ<sup>(٢)</sup>  
 ثم ارتدى المحرومُ فضلَ رِدائها فقلت مراجل إحترق ونفارِ  
 فتأكلت تلك الجذوى ، وتلمظت تلك الطبا ، ورقاً أجيح النارِ  
 تالله لو أقروا إياه زمامها لشى بهم سجعاً بنيرِ عشارِ<sup>(٣)</sup>  
 ولو أنها حلت بساحة مجده بادي بداً سكنت بدارٍ قرارِ  
 هو كالنبي فضيلةً ، لكن ذاك من حظه كاسٍ ، وهذا عارِ  
 والفضلُ ليس بنافعٍ أربابه إلا بمسعدة من الأقدارِ  
 ثم امتطأها عبدُ شمس فاغتدت هزواً ، وبُدِّلَ رِثْمُها بحسارِ  
 وتنقلت في عصبه أموية لبسوا بأطهارٍ ولا أبرارِ

(١) الإشتار ، بالكسر : أربعة في العدد .

(٢) الضريع : الضميف .

(٣) ج : و تبار .



مايين مأفونٍ إلى مُتَزَنَدِقٍ ومُداهِنٍ ومُضاعِفٍ وحِجَارٍ

فهذه الأبيات، هي نظيفُ القصيدة، التقطناها وحذفنا الفاحش، وفي الملتقط المذكور أيضا مالا يَجُوزُ، وهو قوله: «نحن الذين بنا استجار»، وقوله: «ألقى بها يدي»، وقوله: «فنجأ بمهجته...» البيت. وقوله عن أبي بكر: «عبد تيم»، وقوله: «لولا على لقلت في الأربعة إنهم إستار لؤم»، وذكره الثلاثة رضى الله عنهم بما ذكروهم ونسبهم إليه. وقوله: «إن عليا كائن في الفضيلة»، وقوله: «إن النبوة حظ أعطيته وحُرِّمه على عليه السلام».

فأما قوله في بني أمية: «مايين مأفون...» البيت، فأخوذ من قول عبد الملك بن مروان، وقد خطب فذكر الخلفاء من بني أمية قبله، فقال: إني والله لست بالخليفة للمستضعف، ولا بالخليفة للداهِن، ولا بالخليفة المأفون؛ عني بالمستضعف عثمان، وبالداهِن معاوية، وبالمأفون يزيد بن معاوية، فزاد هذا الشاعر فيهم اثنين: وهما المتزندق، وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، والحجار وهو مروان بن محمد بن مروان.

\*\*\*

[أمر المهاجرين والأَنْصار بعد بيعة أبي بكر]

وروى الزبير بن بكار في "الوقفيات" قال: لما بايع بشير بن سعد أبا بكر، وازدحم الناس على أبي بكر فبايعوه، مرَّ أبو سفيان بن حرب بالبيت الذي فيه على بن أبي طالب عليه السلام، فوقف وأنشد:

بني هاشمٍ لا تطعموا النَّاسَ فيكمُ      ولا سبَّاءَ تيم بن مرة أو عدي  
فما الأمرُ إلا فيكمُ وإليكمُ      وليس لها إلا أبو حسنٍ على



أَبَا حَسَنٍ فَاشْدُدْ بِهَا كَفَّ حَازِمٍ فَإِنَّكَ بِالْأَمْرِ الَّذِي يُرْتَجَى عَلَى  
وَأَيِّ أَمْرٍ يُرَى قَصِيًّا وَرَأْيَهَا مَنِعُ الْحَيِّ وَالنَّاسِ مِنْ غَالِبِ قَصِيٍّ أ  
قَالَ عَلِيٌّ لِأَبِي سَفِيَّانَ : إِنَّكَ تَرِيدُ أَمْرًا لَنَا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ عَهْدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدًا فَأَنَا عَلَيْهِ ؛ فَتَرَكَهُ أَبُو سَفِيَّانَ وَعَدَلَ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ  
فِي مَنْزِلِهِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْفَضْلِ <sup>(١)</sup> ، أَنْتَ أَحَقُّ عِمْرَاتِ ابْنِ أَخِيكَ ، أَمَدِدْ يَدَكَ لِأَبَائِكَ ،  
فَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ النَّاسُ بَعْدَ بَيْعِي إِيَّاكَ . فَضَحِكَ الْعَبَّاسُ ، وَقَالَ : يَا أَبَا سَفِيَّانَ ، بِدَفْعِهَا  
عَلَى وَيَطْلُبُهَا الْعَبَّاسُ أَفَرَجَعَ أَبُو سَفِيَّانَ خَائِبًا .

قَالَ الزَّيْبِرُ : وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ الْأَوْسَ تَزَعَمُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ أَبَا بَكْرٍ بَشِيرُ  
ابْنِ سَعْدٍ ، وَتَزَعَمُ الْخَزْرَجُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ .

قُلْتُ : بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ خَزْرَجِيٌّ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ أَوْثَمِيٌّ ، وَإِنَّمَا تَدْفَعُ الْفَرِيقَانِ الرَّوَابِثِينَ  
تَفَادِيًا عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ ، وَكَرَاهِيَةً كُلٌّ حَيٍّ مِنْهُمَا أَنْ يَكُونَ نَقْضُ أَمْرِهِ جَاءَ مِنْ  
جِهَةِ صَاحِبِهِ ؛ فَانْخَرَجَ هُمُ أَهْلُهُ وَقَرَابَتُهُ ، لَا يَقْرَءُونَ أَنَّ بَشِيرَ بْنَ سَعْدٍ هُوَ أَوَّلَ مَنْ  
بَايَعَ أَبَا بَكْرٍ وَأَبْطَلَ أَمْرَ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ ، وَيُحْمِلُونَ بِذَلِكَ عَلَى أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ  
الْأَوْسِ أَعْدَاءُ الْخَزْرَجِ . وَأَمَّا الْأَوْسُ فَتَسْكُرُ أَيْضًا أَنْ يُنْسَبَ أُسَيْدٌ إِلَى أَنَّهُ أَوَّلَ مَنْ نَقَضَ  
أَمْرَ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ ، كَيْ لَا يَرْمُوهُ بِالْحَسَدِ لِلْخَزْرَجِ ؛ لِأَنَّ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ خَزْرَجِيٌّ ، فَيَحْمِلُونَ  
بِاتِّقَاضِ أَمْرِهِ عَلَى قَبِيلَتِهِ - وَهُمْ الْخَزْرَجُ - وَيَقُولُونَ : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ أَبَا بَكْرٍ وَنَقَضَ  
دَعْوَةَ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ . وَكَانَ بَشِيرٌ أَعْوَرٌ .

وَالَّذِي ثَبَتَ عِنْدِي أَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ عُمَرُ ، ثُمَّ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ ، ثُمَّ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ،  
ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، ثُمَّ سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حَذَافَةَ .

(١) كَذَا فِي ب ، ج ، وَفِي أ : أَنْتَ لَهَا .



قال الزبير : وقد كان مالا أبا بكر وعمر على نقض أمر سعد وإفساد حاله رجلا من الأنصار ممن شهد بدرًا ، وهما عويم بن ساعدة ومعن بن عدي .

قلت : كان هذان الرجلان ذوي حُبٍّ لأبي بكر في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله واتفق مع ذلك بغض وشحناء ؛ كانت <sup>(١)</sup> بينهما وبين سعد بن عباد ، ولها سبب مذكور في كتاب " القبائل " ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، فليطلب من هناك .

وعويم بن ساعدة ، هو القائل لما نصب الأنصار سعدا : يا معشر الخزرج ؛ إن كان هذا الأمر فيكم دون قريش فمرّفونا ذلك وبرهنوا حتى نبايعكم عليه ؛ وإن كان لم دونكم ، فسلموا إليهم ؛ فوالله ما هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرفنا أن أبا بكر خليفة حين أمره أن يصلي بالناس ؛ فشتمه الأنصار وأخرجوه ؛ فانطلق مسرعا حتى التحق بأبي بكر ، فشجذ عزمه على طلب الخلافة .

ذكر هذا بعينه الزبير بن بكار في " الموقفيات " ، وذكر اللدائني والواقدي أن معن بن عدي اتفق هو وعويم بن ساعدة على تخريض أبي بكر وعمر على طلب الأمر وصرفه عن الأنصار . قالا : وكان معن بن عدي بشخصهما إشخاصا ، وبسوقهما سوقا عنيفا إلى السقيفة ، مبادرة إلى الأمر قبل فواته .

• • •

قال الزبير بن بكار : فلما بُويع أبو بكر ، أقبلت الجماعة التي بايعته تزفة زفا إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان آخر النهار ، افترقوا إلى منازلهم ، فاجتمع قوم من الأنصار وقوم من المهاجرين ، فتعاتبوا فيما بينهم ، فقال عبد الرحمن بن عوف : يا معشر الأنصار ، إنكم وإن كنتم أولى فضل ونصر وسابقة ؛ ولكن ليس فيكم مثل أبي بكر ولا عمر ولا علي ولا أبي عبيدة . فقال زيد بن أرقم : إنا لا نشكر فضل من ذكرته



يا عبد الرحمن ؛ وإن مِنّا لسيّد الأنصار سعد بن عبادة ، وَمَنْ أَمَرَ اللهَ رسولُه أن يقرئه السلام ، وأن يأخذَ عنه القرآنَ أبي بن كعب ، وَمَنْ يَجِيءُ يومَ القيامةَ إمامَ العلماء مُعَاذُ بنِ جَبَل ، وَمَنْ أَمَضَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين خُرَيْمَةُ ابنُ ثَابِت ؛ وإِنّا لنعلمُ أنَ ثَمَنَ سَمِيَّتٍ من قُرَيْشٍ مَنْ لو طَلَبَ هذا الأمرُ لم يَنازِعْهُ فيه أحدٌ ؛ عَلِيٌّ بنُ أَبِي طَالِبٍ .

قال الزبير : فلما كان من الندام أبو بكر فخطب الناس وقال :

أيّها الناس ؛ إني وليت أمرَكم ولستُ بخيرَكم ، فإذا أحسنت فاعينوني ؛ وإن أسأت فتؤمّوني ؛ إني لي شيطاناً يطربني ؛ فإيّاكم وإيّاي إذا غضبت ؛ لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم الصدقَ أمانة ، والكذبُ خيانة ، والضعيفُ منكم قوّى حتى أَرَدْتُ إليه حقّه ، والقوّى ضعيفٌ حتى أخذ الحقّ منه . إني لا بدّع قومَ الجهادِ إلا ضربهم الله بالقلل ، ولا تشيع في قومٍ الفاحشة إلا عظمهم البلاء ؛ أطيعوني ما أطعتُ الله ، فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

قال ابن أبي عمرة القرشي :

شكراً لمن هو بالثناء حقيق	ذهب اللجاجُ وبُويع الصديق
مِنْ بعد ما زَلَّتْ بسعدٍ نعلُهُ	ورجا رجاء دونه العيوق
حَفَّتْ به الأنصارُ عاصبَ رأسِهِ	فأقامُ الصديقُ والقاروق
وأبو عبيدة والذين إليهم	نفس المؤمل للقاء تنوق <sup>(١)</sup>
كفنا نقول : لها عليّ والرضا	عمرٌ وأولاهم بذاك عتيق
فدعت قريش باسمه فأجابها	إن المتنوّه باسمه المؤثوق

(١) ب : دسوق .



قل للالى طلبوا الخلافة زلة لم يخط مثل خطاهم مخلوق  
إن الخلافة في قريش مالكم فيها - ورب محمد - معرووق

• • •

وروى الزبير بن بكار ، قال : روى محمد بن إسحاق أن أبا بكر لما بوع افتتحت  
تيم بن مرة - قال : وكان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون أن عليا هو صاحب  
الأمر بعد رسول الله ، صلى الله عليه وآله - فقال الفضل بن العباس : يا معشر قريش ،  
وخصوصا يا بني تيم ، إنكم إنما أخذتم الخلافة بالنبوة ، ونحن أهلها دونكم ، ولو  
طلبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا ؛  
حدا منهم لنا ، وحقدا علينا ، وإنا نعلم أن عند صاحبنا عهدا هو ينتهي إليه .

وقال بعض ولد أبي لب بن عبد المطلب بن هاشم شعرا :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف  
عن هاشم ثم منها عن أبي حسن  
أليس أول من صلى لقبلكم  
وأعلم الناس بالقرآن والسنن  
وأقرب الناس عهدا بالنبى ومن  
جبريل عون له فى الفل والكفن  
ما فيه ما فيهم لا يمتدون به  
وليس فى القوم ما فيه من الحسن  
ماذا الذى ردهم عنه فتمله  
ها إن ذا غبننا من أعظم الغبن

قال الزبير . فبعث إليه على فتهاء وأمره ألا يعود ، وقال : سلامة الفين أحب إلينا

من غيره .



قال الزبير : وكان خالد بن الوليد شيعةً لأبي بكر ، ومن المنحرفين عن عليّ ، فقام خطيباً ، فقال : أيّها الناس ، إنا رُمينا في بدء هذا الدين بأمر ثَقُلَ علينا - والله - محمّله ، وصُبَّ علينا مُرتقاه ؛ وكنا كأننا فيه على أوتار ؛ ثم والله ما لبثنا أن خَفَّ علينا ثقله ، وذلّ لنا صغبه ، وعَجَبْنَا مَنْ شَكَّ فيه بعد عَجَبِنَا مَنْ آمَنَ به ؛ حتى أَمَرْنَا بما كنا نَهَى عنه ، وَهَيَّيْنَا عَمَّا كُنَّا نَأْمُرُ به ؛ ولا والله ما سُبِقْنَا إليه بالقول ؛ ولكن التوفيق . ألا وإن الوحي لم ينقطع حتى أحكم ؛ ولم يذهب النبيّ صلى الله عليه وسلم فتستبدل بمده نبياً ؛ ولا بعد الوحي وحياً ؛ ونحن اليوم أكثر من أمس ، ونحن أمس خيرٌ منّا اليوم ؛ مَنْ دَخَلَ في هذا الدين كان ثوابه على حَسَبِ عمله ، وَمَنْ تركه رددناه إليه ، وإياه والله صاحب الأمر - يعني أبا بكر - بالسُّئُول عنه ، ولا الختَلَف فيه ، ولا الخُفّ الشخص ، ولا المغموز القنّاة .

فمَجِب الناس من كلامه . ومدحه جرّ بن أبي وهب الخزومي ؛ وهو الذي سَمَّاه رسول الله صلى الله عليه وآله « سَمَلاً » ، وهو جدّ سعيد بن المسيّب الفقيه ، وقال :

وَقَامَتْ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ كَثِيرَةٌ	فَلَمْ يَلِكْ مِنْهُمْ فِي الرِّجَالِ كَخَالِدٍ
تَرَقَّى فَلَمْ يَزَأَقْ بِهِ صَدْرُ نَعْلِهِ	وَكَفَّ فَلَمْ يَمْرُضْ لَتَلِكِ الْأَوَابِدِ
فَجَاءَ بِهَا غُرَاءَ كَالْبَدْرِ ضَوْهَهَا	فَمَتَّيَّهَا فِي الْحَسَنِ أُمُّ الْقَلَائِدِ
أَخَالِدَ لَا تَعْدُمُ لَوْيُ بْنُ غَالِبٍ	فَيَأْمُكُ فِيهَا عِنْدَ قَذْفِ الْجَلَامِدِ
كَسَاكَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَذِيرَةِ مَجْدَهُ	وَعَلَمَكَ الْأَشْيَاحُ ضَرْبَ الْقَمَاحِدِ <sup>(١)</sup>
تَقَارَعَ فِي الْإِسْلَامِ عَنْ صُلْبِ دِينِهِ	وَفِي الشَّرِكِ عَنْ أَحْسَابِ جَدِّ وَوَالِدِ

(١) القماحد : جمع قعوده ؛ وهي الهنة المباشرة فوق القفا .



وكنْتَ لِحَزُومِ بْنِ بَقْلَةَ جُنَّةً      يَمْدُكَ فِيهَا مَاجِدًا وَابْنَ مَاجِدٍ  
إِذَا مَاسَمَا فِي حَرْبِهَا الْفُفَارِ      عَدَلْتُ بِالْفِ عِنْدَ تِلْكَ الشَّدَائِدِ  
وَمَنْ بَلَكَ فِي الْحَرْبِ الْمَثِيرَةِ وَاحِدًا      فَمَا أَنْتَ فِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ بِوَاحِدٍ  
إِذَا نَابَ أَمْرٌ فِي قَرِيشٍ مَخْلَجٌ      تَشِيبُ لَهُ رُؤُوسُ الْعَذَارَى الْفَوَاهِدِ<sup>(١)</sup>  
تَوَاتَيْتَ مِنْهُ مَا يُخَافُ وَإِنْ تَنَبَّ      يَقُولُوا جَمِيعًا : حَقْلُنَا غَيْرَ شَاهِدٍ

قال الزبير : وحدثنا محمد بن موسى الأنصاري المروفي بابن عخرمة ، قال : حدثني  
إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، قال : لما بُويع أبو بكر  
واسقر أمره ، نديم قوم كثير من الأنصار على بيعته ، ولام بعضهم بعضاً ، وذكروا علي  
ابن أبي طالب ، وهتفوا باسمه ؛ وإنه في داره لم يخرج إليهم ، وجرع لذلك المهاجرون ،  
وكثر في ذلك الكلام .

وكان أشد قريش على الأنصار نفر فيهم ؛ وهم سهيل بن عمرو ؛ أحد بني عامر  
ابن لؤي ، والحارث بن هشام ، وعكرمة بن أبي جهل الخزوميان ؛ وهؤلاء أشرف  
قريش الذين حاربوا النبي صلى الله عليه وآله ، ثم دخلوا في الإسلام ، وكلهم موتور  
قد وتره الأنصار . أما سهيل بن عمرو فأمره مالك بن النخشم يوم بدر ، وأما الحارث  
ابن هشام ، فضربه عروة بن عمرو ، فخرجه يوم بدر ؛ وهو فارٌّ عن أخيه . وأما عكرمة  
ابن أبي جهل ، قتل أباه ابناً عفراء ، وسلبه دِرْعَهُ يوم بدر زياد بن لبيد ، وفي  
أنفسهم ذلك .

فلما اعتزلت الأنصار تجمع هؤلاء ، فقام سهيل بن عمرو فقال : يا معشر  
قريش ؛ إن هؤلاء القوم قد سباهم الله الأنصار ، وأثنى عليهم في القرآن ؛ فلم  
بذلك حظٌ عظيم ؛ وشأن غالب ؛ وقد دعوا إلى أنفسهم وإلى علي بن أبي طالب ؛ وعلى

(١) رؤس : جم رأس ، مثل رؤس .



في بيته لو شاء لردّهم ؛ فادعوهم إلى صاحبكم وإلى تجديد بيعته ؛ فإن أجابوكم وإلا فقاتلوهم ؛  
فوالله إني لأرجو الله أن ينصركم عليهم كما نصرتهم بهم .

ثم قام الحارث بن هشام ، فقال : إن تكن الأنصار تبوات الدار والإيمان من قبل ،  
وتقلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دورهم من دورنا ، فأووا ونصروا ، ثم ما رضىوا حتى  
قاسمونا الأموال <sup>(١)</sup> ، وكفونا العمل ؛ فإيهم قد أخرجوا بأمر إن ثبتوا عليه ، فإيهم قد خرجوا بما  
وسموا به ؛ وإيس بيننا وبينهم معاتبة إلا التيف ؛ وإن نزعوا عنه فقد فعلوا الأولى بهم  
والظنون معهم .

ثم قام عكرمة بن أبي جهل ، فقال : والله لو لا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأئمة  
من قريش » ، ما أنكرنا إمرة الأنصار ، ولما كانوا لها أهلاً ، ولكنه قول لا شك فيه  
ولا خيار ، وقد عجلت الأنصار علينا ، والله ما قبضنا عليهم الأمر ولا أخرجناهم من الشورى ؛  
وإن الذي هم فيه من فلتات الأمور ونزغات الشيطان ، وما لا يبلغه النأي ، ولا يحمله الأمل ،  
أعذروا إلى القوم ، فإن أبو أقاتلوهم ؛ فوالله لو لم يبق من قريش كلها إلا رجل واحد لصير  
الله هذا الأمر فيه .

قال : وحضر أبو سفيان بن حرب ، فقال :  
يا معشر قريش ، إنه إيس للأنصار أن يتفضلوا على الناس حتى يقرؤوا بفضلنا عليهم ،  
فإن تفضلوا فحسبنا حيث انتهى بها ، وإلا فحسبهم حيث انتهى بهم . وإيهم الله أثن بطروا  
المعيشة ، وكفروا النعمة ، لنصرتهم على الإسلام كما خسر بوا عليه ، فأما علي بن أبي طالب  
فأهل والله أن بسود على قريش ، وتطيعه الأنصار .

فلما بلغ الأنصار قول هؤلاء الرهط قام خطيبهم ثابت بن قيس بن شماس فقال :  
يا معشر الأنصار ، إنما يكبر عليكم هذا القول لو قاله أهل الدين من قريش ؛ فأما  
إذا كان من أهل الدنيا ، لاسياً من أقوام كلهم موتور ؛ فلا يكبرن عليكم ؛ إنما الرأي

(١) كذا في ج ، و ، ا ، ب : « الأمور » .



والقول مع الأخيار المهاجرين ؛ فإن تكلمت رجال قريش ؛ والذين هم أهل الآخرة مثل كلام هؤلاء ؛ فعند ذلك قولوا ما أحبيتم وإلا فامسكوا .

وقال حسان بن ثابت بذلك :

تَنَادَى سُهَيْلٌ وَابْنُ حَرْبٍ وَحَارِثٌ	وَعِكرِمَةُ الشَّانِي لَنَا ابْنُ أَبِي جَهْلٍ
قَتَلْنَا أَبَاهُ وَانْتَزَعْنَا سِلَاحَهُ	فَأَصْبَحَ بِالْبَطْحَا أَذْلَ مِنَ النَّعْلِ
فَأَمَّا سُهَيْلٌ فَاحْتَوَاهُ ابْنُ دَخْشَمٍ	أَسِيرًا ذَلِيلًا لَا يُمِرُّ وَلَا يُحْلِي
وَصَخْرُ بْنُ حَرْبٍ قَدْ قَتَلْنَا رَجَالَهُ	غَدَاةَ لَوْأَ بَدْرٍ فَمَرَّ جَلَهُ بِفُلِي
وَرَاكُضًا تَحْتَ الْعِجَاجَةِ حَارِثٌ	عَلَى ظَهْرِ جَرَدَاهُ كَبَانِقَةُ النَّخْلِ
يَقْبَلُهُمُ طَوْرًا وَطَوْرًا يَحْتَشِيهَا	وَيُعْدِلُهَا بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْأَهْلِ
أُولَئِكَ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ تَبَايَعُوا	عَلَى خُطَّةٍ لَيْسَتْ مِنَ الْخُلُوطِ الْفُضْلِ
وَأَعْجَبُ مِنْهُمْ قَابِلُو ذَاكَ مِنْهُمْ	كَأَنَّا اشْتَمَلْنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى ذَحْلِ
وَكَلَّمَهُمْ ثَابِتٌ عَنِ الْحَقِّ عِطْفَةً	بِقَوْلٍ أَقْتَلُوا الْأَنْصَارَ ، يَا بَنِي مِثْلٍ !
نَصَرْنَا وَأَوْيَيْنَا النَّبِيَّ وَلَمْ نَخَفْ	صُرُوفَ اللَّيَالِ وَالْبَلَاءِ عَلَى رَجُلٍ
بَذَلْنَا لَهُمُ أَنْصَافَ مَا أَكْفَنَّا	كَقَسْمَةِ أَيْسَارِ الْجَزُورِ مِنَ الْفُضْلِ
وَمِنْ بَعْدِ ذَاكَ الْمَالِ أَنْصَافَ دُورِنَا	وَكُنَّا أَنْسَاءَ لَا نَعِيرُ بِالْبُخْسِ
وَنَحْيَى ذِمَارَ الْحَيِّ فَهَرَبَ بِنُ مَالِكٍ	وَنَوَقَدَ نَارَ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ
فَكَانَ جِزَاءُ الْفَضِيلِ مَنَّا عَلَيْهِمْ	جَهَالَتِهِمْ حَقًّا وَمَا ذَاكَ بِالْعَدْلِ

فبأن شعر حسان قريشاً ، فنضبوا وأمروا ابن أبي عزة شاعرهم أن يجيبه ، فقال :

مُعْشَرَ الْأَنْصَارِ خَافُوا رَبَّكُمْ	وَاسْتَجَبُوا اللَّهَ مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ
إِنِّي أَرْهَبُ حَرْبًا لَاقِعًا	يَشْرِقُ الْمَرْضَعُ فِيهَا بِاللَّيْنِ
جَرَّهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ فِتْنَةً	لَيْتَ سَعْدَ بْنَ عَبَادٍ لَمْ يَكُنْ
خَلْفَ بَرهوتٍ خَفِيَا شَخْصُهُ <sup>(١)</sup>	بَيْنَ بُصْرَى ذِي رُعَيْنٍ وَجَدَنَ

(١) برهوت : واد باليمن .



ليس ماقدّر سـعد كائناً ما جرى البحر وما دام حَضَنُ (١)  
 ليس بالقاطع مِنّا شـمرة كيف يُرجى خير أمرٍ لم يَحِنْ !  
 ليس بالمدرِك مِنّا أبداً غير أضغاثِ أمانى الوَسَنِ

\*\*\*

قال الزبير : لما اجتمع جمهور الناس لأبي بكر أكرمت قريش معن بن عدي وعويم  
 ابن ساعدة ؛ وكان لهما فضلٌ قديم في الإسلام ؛ فاجتمعت الأنصار لهما في مجلس ودعوهما ،  
 فلما أحضرا أقبلت الأنصار عليهما فغيروهما بانطلاقهما إلى المهاجرين ، وأكبروا فعلهما  
 في ذلك ؛ فتكلم معن ، فقال :

يا معشر الأنصار . إن الذي أراد الله بكم خيراً مما أردتم بأنفسكم ، وقد كان منكم  
 أمرٌ عظيم البلاء ، وصغرت العاقبة ؛ فلو كان لكم على قريش ما لقريش عليكم ، ثم أردتموهم  
 لما أرادوكم به لم آمن عليهم منكم مثل ما آمن عليكم منهم ؛ فإن تعرفوا الخطأ فقد  
 خرجتم منه وإلا فأنتم فيه .

قلت ، قوله : « وقد كان منكم أمر عظيم البلاء ، وصغرت العاقبة » بمن عاقبة الكف  
 والإمساك ؛ يقول : قد كان منكم أمر عظيم ؛ وهو دعوى الخلافة لأنفسكم ؛ وإنما جعل  
 البلاء معظماً له ، لأنه لو لم يتمقبه الإمساك ؛ لأحدث فتنة عظيمة ؛ وإنما صغره سكونهم  
 ورجوعهم إلى بيعة المهاجرين .

وقوله : « وكان لكم على قريش ... » إلى آخر الكلام ، معناه : لو كان لكم الفضل  
 على قريش كفضل قريش عليكم ، وادعت قريش الخلافة لهما ، ثم أردتم منهم الرجوع عن  
 دعواهم ، وسبرت بينكم وبينهم من المنازعة مثل هذه المنازعة التي جرت الآن بينكم لم آمن عليهم  
 منكم أن تقتلوهم ؛ وتقدموا على سفك دمائهم ؛ ولم يحصل لي من سكون النفس إلى

(١) حَضَن : جبل بأعلى نجد .



حلّكم عنهم وصبركم عليهم مثل ما أنا آمن عليكم منهم ، فإنهم صبروا وحلّوا ، ولم يقدموا على استباحة حربكم والدخول في دمائكم .

\*\*\*

قال الزبير : ثم تكلم عويم بن ساعدة ، فقال : يا معشر الأنصار ؛ إن من نعم الله عليكم أنه تعالى لم يردّ بكم ما أردتم بأنفسكم ، فاحمدوا الله على حسن البلاء ، وطول العافية ، وصرف هذه البلية عنكم ، وقد نظرت في أول فتنكم وآخرها فوجدتها جاءت من الأمانى والحد ؛ واحذروا النقم ؛ فوددت أن الله صبر إليكم هذا الأمر بحقه فكنا نعيش فيه .

فوثبت عليهما الأنصار ؛ فأغلظوا لها ، وغشوا عليهما ، وانبرى لها فروة بن عمرو ، فقال : أنسيما قولكما لقريش : « إنا قد خلقنا وراءنا قوما قد حلت دماؤهم بفتنتهم » ! هذا والله ما لا يغفر ولا ينسى ؛ قد نصرف الحجة عن وجهها وسمتها في<sup>(١)</sup> منابها . فقال ممن في ذلك :

وقالت لي الأنصار إنك لم نصيب	قلت : أمانى في الكلام نصيب !
فقالوا : بلى قل ما بدا لك راشدا	قلت ومثلى بالجواب طيب
تركتمكم والله لما رايتكم	ثيوسا لها بالخرتين نيب <sup>(٢)</sup>
تنادون بالأمر الذي النجم دونه	ألا كل شيء ما سواه قريب
قلت لكم قول الشقيق عليكم	والقلب من خوف البلاء وجيب
دعوا الركن وأثروا من أعة بغيكم	ودبوا فسر القاصدين ديب
وخلّوا قريشا والأمور وباعوا	لمن باعوه ترشّدوا ونصّبوا

(١) ج : « فيها » .

(٢) النيب : صباح التيس عند الهياج ؛ ومنه قول عمر لوفد أهل الكوفة حين شكوا سعدا إليه :

« ليكافئ بضعكم ولا تنبوا عندى نيب التيس » .



أراكم أخذتم حَقَّكم بأَكْفَكُمْ وما الناس إلا مخطيئون ومصيبون  
 فلما أيتهم زلت عنكم إليهم وكنت كائن يومَ ذاك غريب  
 فإن كان هذا الأمر ذنباً إليكم فلي فيكم بعد الذنوب ذنوب  
 فلا تبتعنوا مني الكلام فإنني إذا شئت يوماً شاعرٌ وخطيبٌ  
 وإني لحلوٌ تعتريني مرارةٌ وملحٌ أجاجُ نارةً وشروبٌ<sup>(١)</sup>  
 لكلٍ امرئٍ عندي الذي هو أهله أفانين شتى والرجال ضروب

وقال عويم بن ساعدة في ذلك :

وقالت لي الأنصار أضعاف قولهم لعن ، وذاك القول جهلٌ من الجهل  
 قلت : دعوني لا أبا لأبيكم فإني أخوكم صاحب الخطر الفصل<sup>(٢)</sup>  
 أنا صاحب القول الذي تعرفونه أقطع أنفاس الرجال على مهل  
 فإن نسكتوا سكوتاً وفي الصمت راحة وإن تنطقوا أصتت مقاتلكم تبلى  
 وما لمت نفسي في الخلاف عليكم وإن كنتم مستجيبين على عذلي  
 أريدُ بذاك الله لا شيء غيره وما عند رب الناس من درج الفضل  
 ومالي رحمٌ في قريش قريبة ولا دارها دارِي ولا أصلها أصلي  
 ولكنهم قومٌ علينا أئمةٌ أدين لهم ما أنفذت قدسي نصلي  
 وكان أحق الناس أن تقنعوا به ويحتملوا من جاء في قوله مثلي  
 لأنني أخف الناس فيما يسركم وفيما يسوء لا أمير ولا أحلي

قال فروة بن عمر - وكان ممن تخلف عن بيعة أبي بكر ، وكان ممن جاهد مع

(١) الأجاج : الماء المالح شديد الملوحة . والصروب : الماء دون العذب يصلح للشرب مع بعض كراهة .

(٢) ب : « الحطة الفصل » .



رسول الله، وقاد فرسين في سبيل الله؛ وكان يتصدق من نخله بألف وسق في كل عام؛ وكان سيداً؛ وهو من أصحاب علي؛ وممن شهد معه يوم الجمل. قال : فذكر معنا وعومنا، وعاتبهما على قولهما : « خلفنا وراءنا قوما قد حلت دماؤهم بفتنهم » :

أَلَا قُلْ لِمَنْ إِذَا جِئْتَهُ      وَذَلِكَ الَّذِي شَيْخُهُ سَاعِدَةٌ  
بِأَنَّ لِلْقَالِ الَّذِي قَلِمًا      خَفِيفٌ عَلَيْنَا سَوْىً وَاحِدَةٌ  
مَقَالِكُمْ : إِنْ مَنْ خَلَفْنَا      مِرَاضٌ قُلُوبُهُمْ فَاسِدَةٌ  
حِلَالُ الدِّمَاءِ عَلَى فَتْنَةٍ      فَيَابِسَتْ رَبَّتِ الْوَالِدَةُ أ  
قَلَمٌ تَأْخِذًا قَدَّرَ أَمَانَهَا      وَلَمْ تَسْتَفِيدَا بِهَا فَائِدَةٌ  
لَقَدْ كَذَّبَ اللَّهُ مَا قَلِمًا      وَقَدْ يَكْذِبُ الرَّائِدُ الْوَاعِدَةُ <sup>(١)</sup>



قال الزبير : ثم إن الأنصار أصلحوا بين هذين الرجلين وبين أصحابهما؛ ثم اجتمعت جماعة من قريش يوماً وفيهم ناس من الأنصار وأخلاق <sup>(٢)</sup> من المهاجرين ؛ وذلك بعد انصراف الأنصار عن رأيها وسكون الفتنة ؛ فاتفق ذلك عند قدوم عمرو بن العاص من سقر كان فيه ، فجاء إليهم ، فأفاضوا في ذكر يوم السقيفة وسعد ودعواه الأمر ، فقال عمرو بن العاص : والله لقد دفع الله عنا من الأنصار عزيمة ، وأما دفع الله عنهم أعظم ، كادوا والله أن يحلوا جبل الإسلام كما قاتلوا عليه ، ويخرجوا منه من أدخلوا فيه ، والله لئن كانوا سمعوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأئمة من قريش » ، ثم ادعوا لها لقد هلكوا وأهلكوا ، وإن كانوا لم يسمعوها فاهم كالمهاجرين ، ولا - كأي بكر ، ولا المدينة

(١) يقال : سحاب واعد ؛ أى الذى يعد بالمطر ؛ ومؤنته « واعدة » .

(٢) الأخلاق : القوم المختلطون .



كسكة، ولقد قاتلونا أمس فملبونا على البدء، ولو قاتلناهم اليوم لغلبناهم على العاقبة؛ فلم يجبه أحد، وانصرف إلى منزله وقد ظفر، فقال:

وَقُلْ كَلَّمَا جِئْتُ لِلخَزَرَجِ	أَلَا قُلْ لَأَوْسٍ إِذَا جِئَهَا
فَأَنْزَلْتُ الْقِمَرَ لَمْ تَنْضَجِ	تَمَيِّمٌ لِلْكَ فِي يَثْرِبِ
وَأَعْجِبْ بِذَا الْمَجَلِّ الْخَدَجِ <sup>(١)</sup>	وَأَخَذَجُمُ الْأَمْرَ قَبْلَ النَّمَامِ
رَ وَلَمْ تَلْقَهُوهُ فَلَمْ يُنْتَجِ	تُرِيدُونَ تَنْتِجَ الْحِيَالِ الْعِشَا
وَلَوْ لَمْ يَهَبْجُوهُ لَمْ يَهْتَجِ	تَجِبْتُ لِسَعْدٍ وَأَصْحَابِهِ
وَقَدْ يَخْلِفُ الرِّءَا مَا يَرْتَجِي	رَجَا الْخَزَرَجِيُّ رَجَاءَ السَّرَابِ
بَكَفٍ يَقْطَعُهَا أَهْوَجِ	فَسَكَانَ كَمُنْجٍ عَلَى كَفِّهِ

فلما بلغ الأنصارَ مقالته وشعره، بعثوا إليه لسانهم وشاعرهم النعمان بن العجلان - وكان رجلاً أحراراً قصيراً، زنديقاً، وكان سيداً غمماً - فأتى عمراً وهو في جماعة من قريش، فقال: والله يا عمرو ما كرهتم من حربنا إلا ما كرهنا من حربكم، وما كان الله ليخرجكم من الإسلام بمن أدخلكم فيه؛ إن كان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الأمّة من قريش»، فقد قال: «لو سلك الناس شعباً، وسلك الأنصار شعباً، أسلكت شعب الأنصار»، والله ما أخرجناكم من الأمر إذ قلنا: منا أمير ومنكم أمير، وأما من ذكرت، فأبو بكر أمّري خير من سعد، أسكن سعداً في الأنصار أطوع من أبي بكر في قريش، فأما المهاجرون والأنصار، فلا فرق بينهم أبداً، ولكنك يا ابن العاص، وترت بني عبد مناف بمسيرك إلى الحبشة لقتل جعفر وأصحابه، وترت بني مخزوم بإهلاك عمارة ابن الوليد. ثم انصرف فقال:

(١) يقال: أخذج الأمر؛ إذا لم يحكه، وأخذج: الناس.



فَقُلْ لِقَرِيشٍ نَحْنُ أَصْحَابُ مَكَّةَ  
وَأَصْحَابُ أَحَدٍ وَالنَّضِيرِ وَخَيْرِ  
وَيَوْمَ بَارِضِ الشَّامِ أَدْخِلْ جَمْفَرُ  
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَنْكُرُ الْكَلْبُ أَهْلَهُ  
وَنَضْرِبُ فِي نَقَمِ الْعِجَاجَةِ أَرْوَسًا  
نَصْرَنَا وَأَوْفِنَا النَّبِيَّ وَلَمْ نَخْفُ  
وَقُلْنَا لِقَوْمٍ هَاجَرُوا قَبْلُ: مَرْحَبًا  
نَقَاسِمَكُمُ أَمْوَالَنَا وَبِوَتْنَا  
وَنَكْنِيكُمُ الْأَمْرَ الَّذِي تَكْرَهُونَهُ  
وَقُلْنَا: حَرَامٌ نَصَبُ سَعْدٍ وَنَصَبُكُمْ  
وَأَهْلُ أَبُو بَكْرٍ لَهَا خَيْرٌ قَائِمٌ  
وَكَانَ هَوَانًا فِي عَلِيٍّ وَإِنِّهِ  
فَذَلِكَ بِمَوْنِ اللَّهِ يَدْعُو إِلَى الْهُدَى  
وَصِيَّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ  
وَهَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ يَهْدِي مِنَ الْعَمَى  
نَجْمِي رَسُولُ اللَّهِ فِي الْفَارِ وَحْدَهُ  
فَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ لَمْ تَذْهَبُوا بِهَا  
وَلَمْ تَرْضَ إِلَّا بِالرَّضَا وَلَرَبَّمَا  
وَيَوْمَ حَنْزِينِ وَالْفَوَارِسُ فِي بَذَرِ  
وَنَحْنُ رَجَعْنَا مِنْ قُرَيْظَةَ بِاللَّذْكَرِ  
وَزَيْدٌ وَعَبِيدُ اللَّهِ فِي عِلَاقٍ يَجْمَرِي (١)  
نَطَاعِنُ فِيهِ بِالْمُتَقَفَةِ السُّمْرِ  
بِيضٌ كَأَمْثَالِ الْبُرُوقِ إِذَا تَسْرَى  
صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْمَعْظِمِ مِنَ الْأَمْرِ  
وَأَهْلًا وَمَهْلًا ، قَدْ أَمْنْتُمْ مِنَ الْفَقْرِ  
كَفَسَمَةِ أَيْسَارِ الْجُزُورِ عَلَى الشُّطْرِ  
وَكُنَّا أَنْسَانًا نَذْهَبُ الْعَصْرُ بِالْيُسْرِ  
عَتِيقَ بْنِ عِمَّانَ - حَلَالٌ - أَبَا بَكْرٍ  
وَإِنْ عَلِيًّا كَانَ أَخْلَقَ بِالْأَمْرِ  
لَأَهْلٌ لَهَا يَأْمُرُونَ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي  
وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْبَغْيِ وَالشُّكْرِ  
وَقَارِئُ فَرَسَانِ الضَّلَالَةِ وَالسُّكْرِ  
وَيَفْتَحُ آذَانًا تَقْلُنَ مِنَ الْوَقْرِ  
وَمُصَاحِبُهُ الصَّدِّيقُ فِي سَارِفِ الدَّهْرِ  
وَلَكِنْ هَذَا الْخَيْرُ أَجْمَعُ لِلصَّبْرِ  
ضَرَبْنَا بِأَيْدِينَا إِلَى أَسْفَلِ الْقَدْرِ

فلما انتهى شعر النعمان وكلامه إلى قريش ، غضب كثير منها ، وألقى ذلك قدوم خالد  
ابن سعيد بن العاص من اليمن وكان رسول الله استعمله عليها ، وكان له ولأخيه أثر قديم

(١) العلق : الدم ، وفي ا ، ب : « في مطلق » وما أميته من ج والاستيعاب .



عظيم في الإسلام ؛ وهما من أول من أسلم من قريش ؛ ولهما عبادة وفضل . فنضب للأنصار ،  
 وشتم عمرو بن العاص ، وقال : يا معشر قريش ؛ إن عمراً دخل في الإسلام حين لم يجد  
 بداً من الدخول فيه ، فلما لم يستطع أن يكيد به بيده كاده بلسانه ، وإن من كيد  
 الإسلام تفرقه وقطعه بين المهاجرين والأنصار . والله ما حاربناهم للدين ولا الدنيا ؛ لقد  
 بذلوا دماءهم لله تعالى فينا ؛ وما بذلنا دماءنا لله فيهم ؛ وقاسمونا ديارهم وأموالهم ، وما فعلنا  
 مثل ذلك بهم ، وآثرونا على الفقر ، وحرمناهم على الغنى ، ولقد وصى رسول الله بهم ،  
 وعزاهم عن جفوة السلطان ؛ فأعوذ بالله أن أكون وإياكم الخلف المضيع ، والسلطان  
 الجاني !

قلت : هذا خالد بن سعيد بن العاص ؛ هو الذي امتنع من بيعة أبي بكر ، وقال :  
 لا أبايع إلا علياً ، وقد ذكرنا خبره فيما تقدم .

وأما قوله في الأنصار : « وعزاهم عن جفوة السلطان » فإشارة إلى قول النبي صلى الله  
 عليه وآله : « ستلقون بعدى أثره » ، فاصبروا حتى تقدّموا على الحوض ؛ وهذا الخبر  
 هو الذي بكفر كثير من أصحابنا معاوية بالاستهزاء به ، وذلك أن النعمان بن بشير الأنصاري  
 جاء في جماعة من الأنصار إلى معاوية ، فشكوا إليه فقرهم ، وقالوا : لقد صدق رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم في قوله لنا : « ستلقون بعدى أثره » ، فقد لقيناها . قال معاوية : فإذا  
 قال لكم ؟ قالوا : قال لنا « فاصبروا حتى تردوا على الحوض » ، قال : فافعلوا ما أمركم به  
 عماكم تلاقونه غدا عند الحوض كما أخبركم ؛ وحرّمهم ولم يعطهم شيئاً .

قال الزبير : وقال خالد بن سعيد بن العاص في ذلك :

نفوه عمرو بالذي لا نريدُ      وصرح للأنصار عن شأن البغضِ  
 فإن تسكن الأنصار زلت فإننا      نُقيلُ ولا نجزيهم بالقرضِ



فلا تقطعن يا عمرو ما كان بيننا ولا تحملن يا عمرو بعضاً على بعض  
أنسى لهم يا عمرو ما كان منهم ليالي جنتهم من النفل والقرض  
وقسمتنا الأموال كاللحم بالمدى وقسمتنا الأوطان كل به يقضى  
ليالي كل الناس بالكفر جبهة يقال علينا ، مجمون على البغض  
فساووا وآذوا وانتهينا إلى الله وقرّ قرّاراً من الأمن والخفض<sup>(١)</sup>

\*\*\*

قال الزبير : ثم إن رجالاً من سفهاء قريش ومثیری الفتن منهم ، اجتمعوا إلى عمرو بن العاص ، فقالوا له : إنك لسان قريش ورجلها في الجاهلية والإسلام ، فلا تدع الأنصار وما قالت ؛ وأكثروا عليه من ذلك ، فراح إلى المسجد ، وفيه ناس من قريش وغيرهم ، فتكلم وقال : إن الأنصار ترى أنفسهم مائس لها ، وإيم الله لوددت أن الله خلى عنا وعنهم ، وقضى فيهم وفيها بما أحب ، ولحقن الذين أفسدنا على أنفسنا أحرزناهم عن كل مكروه ، وقد مناهم إلى كل محبوب ؛ حتى آمنوا بالخوف ؛ فلما جاز لهم ذلك صغروا حقنا ، ولم يراعوا ما أعظمنا من حقوقهم .

ثم التفت فرأى الفضل بن العباس بن عبد المطلب ، وتندم على قوله ، لاخثولة التي بين والد عبد المطلب وبين الأنصار ، ولأن الأنصار كانت تعظم علياً ، وتهتف باسمه حينئذ ، فقال الفضل : يا عمرو ، إنه ليس لنا أن نكتم ما سمعنا منك ، وليس لنا أن نجيبك ؛ وأبو الحسن شاهد بالمدينة ؛ إلا أن يأمرنا فنفعل .

ثم رجع الفضل إلى عليّ لحديثه . فغضب وشتم عمرو . وقال : آذى الله ورسوله ؛ ثم قام فأتى المسجد ، فاجتمع إليه كثير من قريش وتسكلم مغضبا ، فقال : يا معشر قريش ، إن حبّ الأنصار إيمان ، وبغضهم نفاق ، وقد قضوا ما عليهم ،

(١) كذا في ج ، و ، ا ، ب : « وقرّ أماناً » .



وبقي ما عليكم ؛ واذكروا أن الله رغب لنبيكم عن مكة ، فنقله إلى المدينة . وكره له قريشا ؛ فنقله إلى الأنصار ، ثم قدمنا عليهم دارهم ، فقاسمونا الأموال ، وكفونا العمل ، فصرنا منهم بين بذل النقي وإيثار الفقير ، ثم حاربنا الناس فوقونا بأنفسهم ؛ وقد أنزل الله تعالى فيهم آية من القرآن ، جمع لهم فيها بين خمس نتم ، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ألا وإن عمرو بن العاص قد قام مقاماً آذى فيه لليت والحي ، ساء به الواتر وسر به الموتور ؛ فاستحق من المستمع الجواب ، ومن الغائب المقت ؛ وإنه من أحب الله ورسوله أحب الأنصار ، فليكفف عمرو عنا نفسه .

قال الزبير : فشت قريش عند ذلك إلى عمرو بن العاص ، فقالوا : أيها الرجل ؛ أما إذا غضب علي فاكفف .  
وقال خزيمه بن ثابت الأنصاري مخاطباً قريشا :

أَيُّالَ قَرِيْشٍ أَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِنَا      وَيَنْفَكُمُ قَدْ طَالَ حَبْلُ التَّمَاحِكِ <sup>(٢)</sup>  
فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ بَعْدَنَا فَارْقُقُوا بِنَا      وَلَا خَيْرَ فِينَا بَعْدَ قَهْرِ بْنِ مَالِكٍ  
كِلَانَا عَلَى الْأَعْدَاءِ كَفٌّ طَوِيلَةٌ      إِذَا كَانَ يَوْمٌ فِيهِ جَبُّ الْحَوَارِكِ <sup>(٣)</sup>  
فَلَا تَذْكُرُوا مَا كَانَ مِنَّا وَمِنْكُمْ      فَنِي ذِكْرِ مَا قَدْ كَانَ مَشْنَى التَّسَاوِكِ <sup>(٤)</sup>

قال الزبير : وقال علي للفضل : يا فضل ، انصر الأنصار بلسانك ويدك ، فإنهم منك وإنك منهم ، فقال الفضل :

قُلْتَ يَا عَمْرُو مَقَالًا فَاحْشَا      إِنْ تَعُدَّ يَا عَمْرُو وَاللَّهِ فَلَكِ

(١) سورة الحشر ٩

(٢) التماحك : العجاج .

(٣) كناية عن الشدة ؛ والحوارك : عظم عن الظهر .

(٤) التساووك : الذي الضعيف .



إنما الأنصار سيفٌ قاطعٌ      من نصبه ظُبةُ السيفِ هلك<sup>(١)</sup>  
وسيوفٌ قاطعٌ مضرِبها      وسهام الله في يومِ الحَلَكِ  
نصروا الدينَ وآووا أهله      منزل رَحْبٍ ورزقٌ مُشَرَكِ  
وإذا الحربُ تَلَطَّتْ نارُها      برکوا فيها إذا الموتُ بَرَكِ

ودخل الفضل على عليٍّ فأسمعه شعره ، ففرح به ، وقال وَرَيْتُ بِكَ زَنَادِي بِأَفْضَلِ ؛  
أنت شاعر قريش وفتاها ، فأظهر شعرك وأبث به إلى الأنصار ؛ فلما بلغ ذلك الأنصار ،  
قالت : لا أحد يجيبُ إِلَّا حَسَّانَ الحِصَامِ ؛ فبعثوا إلى حسان بن ثابت ، فعرضوا عليه شعر  
الفضل ، فقال : كيف أصنع بجوابه ! إن لم أنحرَ قوافيه فضحني ، فرويدا حتى أقصوا أثره  
في القوافي ؛ فقال له خَزَيْمَةُ بن ثابت : اذكر عليا وآله يكفك عن كل شيء ، فقال :

جزى الله عنا الجزاء بكلمة أبا حسن عتّا ومن كآبي حسن  
سبقت قريشا بالذي أنت أهله      قصدرُك مشروح ، وقلبك ممتحن  
نمّنت رجالاً من قريش أعزّة      مكاتك هيهات المزال من السمن  
وأنت من الإسلام في كل موطن      بمنزلة الدلو البطين من الرسن  
غضبت لنا إذ قام عمرو بخطبة      أمانت بها التقوى وأحيابها الإحن  
فكنت المرجى من لؤي بن غالب      لما كان منهم . والذي كان لم يكن  
حفظت رسول الله فينا وعهده      إليك ومن أولى به منك من ومن  
ألت أخاه في الهدى ووصيه      وأعلم منهم بالكتاب والسُنن  
فحقك مادامت بنجدٍ وشيعة      عظيم علينا ثم بعد على اليمين

قال الزبير : وبعثت الأنصار بهذا الشعر إلى عليّ بن أبي طالب ، فخرج إلى المسجد ،



وقال لمن به من قريش وغيرهم . يامعشر قريش ، إن الله جعل الأنصار أنصارا ، فأنسى عليهم في الكتاب ، فلا خير فيكم بعدهم ؛ إنه لا يزال سفيه من سفهاء قريش وتروء الإسلام ، ودفعه عن الحق ، وأطلقاً شرفه وفضل غيره عليه ؛ يقوم مقاماً فاحشاً فيذكرو الأنصار ؛ فأتقوا الله وارعوا حقهم ، فوالله لو زالوا زالت معهم ؛ لأن رسول الله قال لهم : « أزلوكم معكم حينما زلتم » ؛ فقال المسلمون جميعاً : رحمتك الله يا أبا الحسن ! قلت قولاً صادقاً .

قال الزبير : وترك عمرو بن العاص المدينة ، وخرج عنها حتى رضى عنه على والمهاجرون . قال الزبير : ثم إن الوليد بن عقبة بن أبي معيط - وكان يفيض الأنصار ، لأنهم أسروا أباه يوم بدر ، وضربوا عنقه بين يدي رسول الله - قام يشتم الأنصار ، وذكرهم بالمهجور ، فقال : إن الأنصار لترى لها من الحق علينا ما لا نراه ، والله لئن كانوا آووا لقد عزوا بنا ، ولئن كانوا آسوا لقد متوا علينا ، والله ما نستطيع مودتهم ؛ لأنه لا يزال قاتل منهم يذكر ذلنا بمكة ، وعزنا بالمدينة ، ولا ينفكون يعترون موتانا ، ويفيظون أحياءنا ، فإن أجبنهم قالوا : غضبت قريش على غاربها ، ولكن قد هون على ذلك منهم حرصهم على الدين أمس ، واعتذارهم من الذنب اليوم ، ثم قال :

تباذخت الأنصار في الناس بأنهم <sup>(١)</sup>	ونسبهم في الأزد عمرو بن عامر
وقالوا : لنا حق عظيم ومنة	على كل باد من ممد وحاضر
فإن بك للأنصار فضل فلم تفل	بحرمة الأنصار فضل المهاجر
وإن تسكن الأنصار آوت وقاسمت	معايشها من جاء قسمة جازر
فقد أفدت ما كان منها بمها	وما ذاك فعل الأكرمين الأكابر
إذا قال حسان وكعب قصيدة	بشتم قريش غنيت في المعاشر
وسار بها الرؤكبان في كل وجهة	وأعمل فيهم ساكل خف وحافر



فمذا لنا من كلِّ صاحب خطبة يقومُ بها منكم ومن كلِّ شاعرٍ  
وأهلٍ بأن يهجووا بكلِّ قصيدةٍ وأهلٍ بأن يرثوا بنبلٍ فواقرٍ

قال : فقشا شعره في الناس ، فغضبت الأنصار ، وغضب لها من قريش قومٌ ، منهم  
ضرار بن الخطاب الفهري ، وزيد بن الخطاب ، وزيد بن أبي سفيان ، فبعثوا إلى  
الوليد فجاء .

فتكلم زيد بن الخطاب ، فقال : يا بن عتبة بن أبي مسيط ، أما والله لو كنت من  
الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ،  
لأحببت الأنصار ، ولكنك من الجفاة في الإسلام البطلاء عنه ، الذين دخلوا فيه بعد أن  
ظهر أمرُ الله وهم كارهون ؛ إنا نعلم أنا أتيناكم ونحن فقراء ، فأغثونا ، ثم أصبنا الذنبي فكفوا  
عنا . ولم يرزونا شيئاً . فإما ذكرهم ذلة قريش بمكة وعزها بالمدينة ، فكذلك كنا ،  
وكذلك قال الله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ  
يَتَخَفَتَكُمْ النَّاسُ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فنصرنا الله تعالى بهم ، وآوانا إلى مدینتهم .

وأما غضبك لقريش فإننا لا ننصر كافرين ، ولا نوادى ملجداً ولا فاسقاً ؛ ولقد قلت وقالوا ،  
فقطعتك الخطيب ، وأجلك الشاعر .

وأما ذكرك الذي كان بالأمس ، فدع المهاجرين والأنصار ؛ فإنك لست من ألسنتهم  
في الرضا ، ولا نحن من أيديهم في الغضب .

وتكلم يزيد بن أبي سفيان ، فقال : يا بن عتبة ، لا أنصار أحق بالغضب لقنلي أحد ،  
فا كف لسانك ، فإن من قتله الحق لا يغضب له

وتكلم ضرار بن الخطاب ، فقال : أما والله لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :



« الأئمة من قريش » قلنا : الأئمة من الأنصار ، ولكن جاء أمر غلب الرأي ، فاقع  
شركاءك أيها الرجل ؛ ولا تكن امراً سوء ، فإن الله لم يفرق بين الأنصار والمهاجرين في الدنيا ،  
وكذلك الله لا يفرق بينهم في الآخرة .

وأقبل حسان بن ثابت منضجاً من كلام الوليد بن عتبة وشعره ، فدخل المسجد  
وفيه قوم من قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إن أعظم ذنبنا إليكم قتلنا كفاركم ، وحمايتنا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وإن كنتم تنقمون منا مئة كانت بالأمس ؛ فقد كفى الله  
شرها ، فما لنا وما لكم ؛ والله ما يمنعنا من قتالكم الجبن ، ولا من جوابكم العي . إنالحى  
فقال ومقال ؛ ولكننا قلنا : إنها حرب ؛ أولها عار وآخرها ذل ؛ فأغضينا عليها عيوننا ،  
وسحبنا ذبولنا ، حتى نرى وترؤا ، فإن قلم قلنا ، وإن سكتكم مكنتنا .

فلم يحبه أحد من قريش ، ثم سكت كل من الفريقين عن صاحبه ، ورضى القوم  
أجمعون ، وقطعوا الخلاف والمصيبة .

انتهى ما ذكره الزبير بن بكار في " الموفقيات " ونمود الآن إلى ذكر ما أورده  
أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب " السقيفة " .

\*\*\*

قال أبو بكر : حدثني أبو يوسف يعقوب بن شعبة ، عن بحر بن آدم عن رجاله ، عن  
سالم بن عبيد ، قال : لما توفي رسول الله وقالت الأنصار : منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ ؛ أخذ عمر بيد  
أبي بكر ، وقال سيفان في غمد واحد ؛ إذا لا يصلحان . ثم قال : من له هذه الثلاث :  
( ثاني اثنين إذ هما في الفار ) ( إذ يقول لصاحبه لا تحزن ) ، من صاحبه ؟  
( إن الله معنا ) <sup>(١)</sup> مع من ؟ ثم بسط يده إلى أبي بكر فبايعه ، فبايعه الناس أحسن بيعة ،  
وأجلها .



قال أبو بكر : حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي ، عن أبي بكر بن عياش ، عن زيد بن عبد الله ، قال : إن الله تعالى نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد عليه الصلاة والسلام خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه ، وابتمته برسالته ، ثم نظر في قلوب الأمم بعد قلبه ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون عن دينه ، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأى المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ .

قال أبو بكر بن عياش : وقد رأى المسلمون أن يولّوا أبا بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت ولايته حسنة .

قال أبو بكر : وحدثنا يعقوب بن شعبة ، قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الأنصار : « مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ » ، قال عمر : أيها الناس ، أبتكم بطيب نفساً أن يتقدم قديمين قدّمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة ارضيك الله لديننا أفلا نرضاك لديننا !

\*\*\*

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد عمر بن شعبة ، قال : حدثني زيد بن يحيى الأنماطي ، قال : حدثنا صخر بن جويرية ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، قال : أخذ أبو بكر بيد عمر ويد رجل من المهاجرين - يروونه أبا عبيدة - حتى انطلقوا إلى الأنصار ، وقد اجتمعوا عند سَمْدٍ في سقيفة بني ساعدة ، فقال عمر : قلت لأبي بكر : دعني أتكم ، وخشيت جدّ أبي بكر - وكان ذا جدّ - فقال أبو بكر لا ، بل أنا أتكم ، فاهو والله إلا أن اتهمنا إليهم ، فما كانت في نفسي شيء أريد أن أقوله إلا أتى أبو بكر عليه ، فقال لهم :

يا معشر الأنصار ، ما ينكرُ حقكم مسلم ؛ إنا والله ما أصبنا خيراً قط إلا شرّ كنتمونا



فيه ، لقد آوَيْتُمْ ونصرتُمْ ، وآزرتُمْ وواسَيْتُمْ ؛ ولكن قد علمتم أن العرب لا تُقَرِّ ولا تطيع إلا امرئاً من قريش ، هم رهط النبي صلى الله عليه وسلم ، أوسط العرب وشيعة رَحِمَ ، وأوسط الناس داراً ، وأعربُ الناس السنا ، وأصْبَحُ الناس أوجهاً ؛ وقد عرفتم بلاء ابن الخطاب في الإسلام وقدمه ، هلم فلنبايعة .

قال عمر : بل إياك نبايع ، قال عمر : فكنتُ أوّل الناس مَدَّ يده إلى أبي بكر فبايعه ، إلّا رجلاً من الأنصار أدخل يده بين يدي ويد أبي بكر فبايعه قبلي . ووطئ الناس فراش سعد ، فقيل : قتلتم سعداً . فقال عمر : قتل الله سعداً ! فوثب رجل من الأنصار ، فقال : أنا جُذْبَلُهَا المحكك وعدَّيقُهَا المرجب . فأخذ ووطئ في بطنه ودسوا في فيه <sup>(١)</sup> التراب .



قال أبو بكر : وحدثني يعقوب ، عن محمد بن جعفر ، عن محمد بن إسماعيل ، عن مختار البنان ؛ عن عيسى بن زبد ، قال : لما بُويع أبو بكر جاء أبو سفيان إلى علي ، فقال : أغلبكم على هذا الأمر أذلّ بيت من قريش وأقلّها ! أما والله لئن شئت لأملأها على أبي فصِيل خيلاً ورجلاً ؛ ولأسدتها عليه من أقطارها ، فقال علي : يا أبا سفيان ، طالما كدّت الإسلام وأهله ، فما ضرهم شيئاً ؛ أمسك عليك ؛ فإننا رأينا أبا بكر لها أهلاً .

قال أبو بكر : وحدثنا يعقوب ، عن رجاله ، قال : لما بُويع أبو بكر تخلف علي فلم يبايع ، فقيل لأبي بكر : إنه كره إِمَارَتَكَ <sup>(٢)</sup> ، فبعث إليه : أكرهت إِمَارَتِي ؟ قال : لا ، ولكن القرآن خشيت أن يزاد فيه ، فخلقتُ ألا ارتدى رِداء حتى أجمعه ؛ اللهم إلا إلى صلاة الجمعة .

(١) ج : دله . .

(٢) ج : إمرك . .



فقال أبو بكر : لقد أحسنت ، قال : فكتبه عليه الصلاة والسلام كما أنزل ،  
بنسخة ومنسوخه .

\*\*\*

قال أبو بكر : حدثنا يعقوب ، عن أبي النضر ، عن محمد بن راشد ، عن مكحول ، أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل خالد بن سعيد بن العاص على عمل ، فقدم بعد ما قبض  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بايع الناس أبا بكر ، فدعاه إلى البيعة ، فأبى ، فقال عمر :  
دعني وإياه ، فتمعه أبو بكر حتى مضت عليه سنة ، ثم مرّ به أبو بكر وهو جالس على بابه  
فدعاه خالد . يا أبا بكر ؛ هل لك في البيعة ؟ قال : نعم ، قال : فاذن ، فدنا منه ، فبايعه خالد  
وهو قاعد على بابه .

قال أبو بكر : وحدثنا أبو يوسف يعقوب بن شعبة ، عن خالد بن مخلد ، عن يحيى  
ابن عمر ، قال . حدثني أبو جعفر الباقر ، قال جاء أعرابي\* إلى أبي بكر على عهد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، وقال له : أوصني ، فقال : لا تأمر على اثنين . ثم إن الأعرابي شخص  
إلى الرّبذة ، فبلغه بعد ذلك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل عن أمر الناس : من  
وليّه ؟ فقيل : أبو بكر ؛ فقدم الأعرابي إلى المدينة ، فقال لأبي بكر : ألت أمرتي  
ألا تأمر على اثنين ؟ قال : بلى ، قال : فما بالك ؟ فقال أبو بكر : لم أجد لها أحداً غيري  
أحقّ مني .

قال : ثم رفع أبو جعفر الباقر يده وخفضهما ، فقال : صدق ، صدق .  
قال أبو بكر : وقد روى هذا الخبر برواية أنتم من هذه الرواية : حدثنا يعقوب بن  
شعبة ، قال : حدثنا يحيى بن حمّاد ، قال : حدثنا أبو عوانة ، عن سليمان الأحفش ، عن  
سليمان بن ميسرة ، عن طارق بن شهاب ، عن رافع بن أبي رافع الطائي ، قال : بعث رسول  
الله صلى الله عليه وسلم جيشاً ، فأمر عليهم عمرو بن العاص ، وفيهم أبو بكر وعمر ، وأمرهم



أن يستنفرُوا مَنْ مَرَّوَا بِهِ ، فَمَرُّوَا عَلَيْنَا فَاسْتَنْفَرُونَا ، فَفَرَرْنَا مَعَهُمْ فِي غَزَاةٍ ذَاتِ السَّلَاسِلِ .  
 - وهى التى تفخر بها أهل الشام ، فيقولون : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو  
 ابن العاص على جيش فيه أبو بكر وعمر - قال : فقلت : والله لأختارن في هذه الغزاة  
 لنفسي رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أستهديه ، فإنى لست أستطيع إتيان  
 المدينة ؛ فاخترتُ أبا بكر ولم آل ؛ وكان له كِسَاءٌ فَذَكَى يُخِذُهُ <sup>(١)</sup> عَلَيْهِ إِذَا رَكِبَ ،  
 ويلبسه إذا نزل ؛ وهو الذى عبرته به هوزان بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقولوا لا نباع  
 ذا الخِلَالِ ، قال : فلما قضينا غزائنا ، قلت له : يا أبا بكر . إني قد صحبتك وإن لي عليك حقاً ،  
 فعلمنى شيئاً أنفع به ؟ فقال : قد كنت أريد ذلك لو لم تقل لي : تعبدُ الله لا تشرك به شيئاً ،  
 وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتحج البيت ، وتصوم شهرَ رمضان ،  
 ولا تتأمر على رجلين ، فقلت : أما العبادات فقد عرفتُها ؛ أرايت شيئاً لي عن الإمارة  
 وهل يصيب الناس الخير والشر إلا بالإمارة ؟ فقال : إنيك استجهدتني فجهدت لك ، وإن  
 الناس دخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً فأجارهم الله من الظلم ، فهم جيران الله وعواد الله  
 وفي ذمة الله ، فَمَنْ يَظْلِمُ مِنْكُمْ إِثماً يَحْمِلُهُ ، والله إن أحدكم ليأخذ شويبة جاره أو  
 بعيره ، فيظل عمله بأساً بجاره ، والله من وراء جاره ، قال : فلم يلبث إلا قليلاً حتى أتتنا  
 وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألت : من استخلف بعده ؟ قيل : أبو بكر ، قلت  
 لأصحابي الذى كان ينهى عن الإمارة ! فشددت على راحتي ، فأتيت المدينة ، فجعلت  
 أطلب خلوتَه ، حتى قدرت عليها ، فقلت أنعرفني ؟ أنا فلان ابن فلان ، أنعرف وصية أوصيتني  
 بها ؟ قال : نعم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض والناس حديثو عهد بالجاهلية ،  
 تخشيت أن يفتننوا ، وإن أصحابي حملونيها ، فما زال يمتذر إلى حتى عذرت ، وصار من  
 أمرى بعد أن صرت عريفاً .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة ، عن رجاله ، عن الشعبي ، قال : قام الحسن  
 ابن علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو يخطب على المنبر فقال له : أنزل عن منبر أبي ، فقال :

(١) يخذه عليه ، أى يجمع بين طرف الكساء بخلال من عود أو حديد .



أبو بكر : صدقت ؛ والله إنه لمنبر أيبك لا منبر أبي ، فبعث عليّ إلى أبي بكر ؛ إنه غلام حدث ، وإننا لم نأمره ، فقال أبو بكر : صدقت ، إننا لم نتهمك .

قال أبو بكر : وروى أبو زيد ، عن حباب بن يزيد ، عن جرير ، عن المغيرة أن سلمان والزبير وبعض الأنصار كان هوام أن يبايعوا علياً بعد النبي صلى الله عليه وآله ، فلما بويح أبو بكر ، قال سلمان للصحابية : أصبتم الخير ؛ ولكن أخطأتم للمدين . قال : وفي رواية أخرى : أصبتم ذا السن منكم ، ولكنكم أخطأتم أهل بيت نبيكم . أما لو جعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان ولا كلتموها رَغداً .

قلت : هذا الخير هو الذي رواه المتكلمون في باب الإمامة عن سلمان أنه قال : « كرديد ونكرديد » ، تفسره الشيعة ، فتقول : أراد أسلمت وما أسلمت ، وبفسره أصحابنا فيقولون معناه : أخطأتم وأصبتم .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد ، قال : حدثنا محمد بن يحيى ، قال : حدثنا غسان ابن عبد الحميد ، قال : لما أكثر في تخلف عليّ عن البيعة ، واشتدّ أبو بكر وعمر في ذلك ، خرجت أم مستطع بن أثانة ، فوقفت عند قبر النبي صلى الله عليه وآله ونادته : يا رسول الله ! قد كان بسدك أنباء وهينة<sup>(١)</sup> لو كنت شاهداً لم تكثر الخطب<sup>(٢)</sup>

إنا قد ناك قد الأرض وأهلها فاختل قومك ، فاشهدهم ولا تنفب

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز : وسمعت أبا زيد عمر بن شبة يحدث رجلاً يحدث لم أحفظ إسناداً ، قال : مرّ المغيرة بن شعبة بأبي بكر وعمر ، وهما جالسان على باب النبي حين قبض ، فقال : ما يعمدكما ؟ قال : ننظر هذا الرجل يخرج فنبايعه - يعنيان علياً - فقال : أنريدون أن تنظروا حبّل الحبلة<sup>(٣)</sup> من أهل هذا البيت ! وسعوها في قريش تنسج .

(١) الهينة : الصوت الخفي . واللسان - ونسب البيت إلى قاطمة . « وهينة » والهينة : الاختلاط في القول .

(٢) الحبلة في الأصل : السكرم ؛ قيل : معناه حمل السكرمة قبل أن تبلغ ؛ وله كناية عن صدق من عليّ .



قال : فقاما إلى سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، أو كلاما هذا معناه .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الملك الواسطي ، عن يزيد بن هارون ، عن سفيان بن حسين ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك ، قال : لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه أتاه بلال يؤذنه بالصلاة ، فقال بعد مرتين : يا بلال ، قد أبغضت ؛ فمن شاء فليصل بالناس ، ومن شاء فليدع .

قال : ورُفِعَتِ الستور عن رسول الله ﷺ ، فنظرنا إليه كأنه ورقة بيضاء ، وعليه تحيصة<sup>(١)</sup> له ، فرجع إليه بلال فقال : مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس ، قال : فما رأيناه بعد ذلك عليه السلام .

وقال أبو بكر : وحدثني أبو الحسن علي بن سليمان النوفلي ، قال : سمعتُ أبا عبد الله يقول : ذكر سعد بن عبادَةَ يومًا عليا بعد يوم السقيفة ، فذكر أمرًا من أمره نسيه أبو الحسن ، يوجب ولايته ، فقال له ابنه قيس بن سعد : أنت سمعت رسول الله ﷺ عليه وسلم يقول هذا الكلام في علي بن أبي طالب ، ثم تطلب الخلافة ، ويقول أصحابك : منا أمير ومنكم أمير ! لا كلمتك والله من رَأْسِي بعد هذا كلمة أبدًا .

قال أبو بكر : وحدثني أبو الحسن علي بن سليمان النوفلي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني شريك بن عبد الله ، عن إسماعيل بن خالد ، عن زيد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال علي : كنت مع الأنصار لرسول الله ﷺ عليه وسلم على السمع والطاعة له في المحبوب والمكروه ، فلما عز الإسلام ، وكثر أهله ، قال : يا علي ؛ زد فيها : « علي أن تمنعوا رسول الله ﷺ وأهل بيته عما تمنعون منه أنفسكم وذرائعكم » ، قال : فحملها على ظهور القوم ، فوق بها من وثي ، وهلك من هلك .

قلت : هذا يطابق ما رواه أبو الفرج الأصفهاني في كتاب "مقاتل الطالبيين" أن

(١) التحيصة : كساء أسود مربع ؛ له علقان .



جعفر بن محمد عليه السلام وقف مستترا في خفية ، يشاهد الحامل التي حمل عليها عبد الله ابن الحسن وأهله في القيود والحديد من المدينة إلى العراق ، فلما مروا به بكى ، وقال : ماوفت الأنصار ولا أبناء الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وآله ، بأيهم على أن يمعنوا محمداً وأبناءه وأهله وذريته مما يمعنون منه أنفسهم وأبناءهم وأهلهم وذرائعهم ، فلم يفوا . اللهم اشدد وطأتك على الأنصار .

قال أبو بكر : وحدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد ، قال : حدثنا أحمد بن الحكم ، قال : حدثنا عبد الله بن وهب ، عن ليث بن سعد ، قال : تخلف عليّ عن بيعة أبي بكر ، فأخرج مُلَبَّياً<sup>(١)</sup> يُمَضِّي بَدْرَ كُضَا ؛ وهو يقول : معاشر المسلمين ، علام تضرب عنق رجل من المسلمين ، لم يتخلف لخلاف ، وإنما تخلف لحاجة ! فما مرّ بمجلس من المجالس إلا يقال له : انطلق فبايع .

قال أبو بكر : وحدثنا عليّ بن جرير الطائي ، قال : حدثنا ابن فضل ، عن الأجلح ، عن حبيب بن ثعلبة بن يزيد ، قال : سمعت عليّاً يقول : أما ورب السماء والأرض ، ثلاثاً ؛ إنه لعهد النبي الأُمي إلى : « لتفدرن بك الأمة من بعدى » .

قال أبو بكر : وحدثنا أبو زيد عمر بن شبة بإسناد رفعه إلى ابن عباس ، قال : إني لأماشي عمر في سكة من سكك المدينة ، يده في يدي ، فقال : يا ابن عباس ، ما أظنّ صاحبك إلا مظلوماً ، فقلت في نفسي : والله لا يسبقني بها ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، فاردّدْ إليه ظلامته . فانزع يده من يدي ، ثم مرّ بهم ساعة ثم وقف . فلحقته فقال لي : يا ابن عباس ؛ ما أظنّ القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه ؛ فقلت في نفسي : هذه شرّ من الأولى ؛ فقلت : والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر .

\*\*\*

(١) يقال : لب فلان فلاناً : أخذ بلبه ، أي جمع ثيابه عند صدره ونحره ثم جره .



## [ ذكر أمر فاطمة مع أبي بكر ]

فأما ما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين<sup>(١)</sup> من كيفية المباينة لأبي بكر بهذا اللفظ الذي أورده عليك؛ وإسناد إلى عائشة: أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر فتمسسان مبرأهما من النبي صلى الله عليه وآله، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فذلك، وسهما من خير، فقال لهما أبو بكر: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنا معشر الأنبياء لا نورث؛ ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال»؛ وإني والله لأدع أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه إلا صنعته. فهجرت فاطمة ولم تسكنه في ذلك حتى ماتت. فدفنها عليّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر. وكان لعل وجهه<sup>(٢)</sup> من الناس في حياة فاطمة. فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن عليّ<sup>(٣)</sup>، فكثرت فاطمة ستة أشهر ثم توفيت. فقال رجل لآخرى وهو الراوى لهذا الخبر عن عائشة: فلم يبايعه عليّ ستة أشهر اقل؛ ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه عليّ. فلما رأى ذلك ضرع إلى مباينة أبي بكر، فأرسل إلى أبي بكر أن اتقنا، ولا يأت<sup>(٤)</sup> معك أحد، وكره أن يأتيه عمر لما عرف من شدته، فقال عمر: لا تأتهم وحدك، فقال أبو بكر: والله لا يأتهم وحدي، وما عسى أن يصنعوا بي! فانطلق أبو بكر حتى دخل على عليّ، وقد جمع بني هاشم عنده؛ فقام عليّ. فحيد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإنه لم يمتنا أن نبايعك يا أبا بكر إنكاراً لفضلك، ولا منافسةً لخير ساقه الله إليك، واسكننا كما نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً، فاستبددتم به علينا. وذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وحقه، فلم يزل عليّ يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر، فلما صمت عليّ تشهد أبو بكر، فحيد الله وأثنى عليه بما هو أهله. ثم قال: أما بعد

(١) صحيح البخاري ٢ : ١٨٦ ، ومسلم ٣ : ١٣٨٠ مع اختلاف في لفظ الحديث .

(٢) مسلم : « وجهه » .

(٣) مسلم : « استنكر على وجوه الناس » .

(٤) مسلم : « ولا يأتنا » .



فوالله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله أحب إليّ أن أصلها من قرابتي، وإني والله ما آلوكم من هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم إلا الخير؛ ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا نورث ما تركناه صدقة»؛ وإنما يأكل آل محمد في هذا المال»، وإني والله لا أترك أمراً صنعته رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا صنعتُهُ إن شاء الله، قال علي: موعذك العشيّة للبيعة،، فلما صلى أبو بكر الظهر، أقبل على الناس ثم عذر علياً<sup>(١)</sup> ببعض ما اعتذره به، ثم قام عليّ فعمّظ من حق أبي بكر، وذكر فضله وسابقته، ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه، فأقبل الناس إلى عليّ، فقالوا: أصبت وأحسن، وكان عليّ قريباً إلى الناس حين قارب الأمر بالمعروف.



وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثني إبراهيم بن المنذر، قال: حدثنا ابن وهب، عن ابن أبي ليثة، عن أبي الأسود، قال: غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بنير مشورة، وغضب عليّ والزبير، فدخلوا بيت فاطمة، معها السلاح، فجاء عمر في مصابة، فيهم أسيد بن حضير، وسلة بن سلامة بن قريش؛ وهما من بني عبد الأشهل، فالتحقا الدآر، فصاحت فاطمة وناشدتهما الله، فأخذوا سيفيهما، فضربوا بهما الحجر حتى كسروهما، فأخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا. ثم قام أبو بكر، فخطب الناس، فاعتذر إليهم، وقال: إن بيعتي كانت قبلتة وقي الله شرّها، وخشيت الفتنة، وإيم الله ما حرصت عليها يوماً قط، ولا سألتها الله في سرّ ولا علانية قط، ولقد قلّدتُ أمراً عظيماً مالي به طاقه، ولا يدان، ولقد وددت أن أقرب الناس عليه مكاني.

(١) مسلم: «وذكر شأن عليّ وتخلّفه من البيعة، وعذره الذي اعتذر إليه».



فَقِيلَ لِلْمُهَاجِرِينَ ، وَقَالَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ : مَا غَضِبْنَا إِلَّا فِي الْمَشُورَةِ ، وَإِنَّا لَنَرَى أَبَا بَكْرٍ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا ، إِنَّهُ لَصَاحِبُ الْفَارِ ، وَثَانِي الثَّنِينَ ، وَإِنَّا لَنَعْرِفُ لَهُ سِنَهُ ، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ بِالصَّلَاةِ وَهُوَ حَيٌّ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَذَكَرَ ابْنُ شِهَابٍ بْنُ ثَابِتٍ أَنَّ قَيْسَ بْنَ شِمَاسٍ أَخَا بَنِي الْحَارِثِ مِنَ الْخَزْرَجِ ، كَانَ مَعَ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ دَخَلُوا بَيْتَ فَاطِمَةَ .

قَالَ : وَرَوَى سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ كَانَ مَعَ عَمْرِو ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَأَنَّ عُمَرَ بْنَ مَسْلَمَةَ كَانَ مَعَهُمْ ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَسَرَ سَيْفَ الزُّبَيْرِ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَحَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ عَمْرُ بْنُ شُبَّةٍ ، عَنْ رَجَالِهِ ، قَالَ : جَاءَ عَمْرٌ إِلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ فِي رَجَالٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَفَرَّقَ قَلِيلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُخْرِجَنَّ إِلَى الْبَيْعَةِ أَوْ لَأُحْرِقَنَّ الْبَيْتَ عَلَيْكُمْ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ الزُّبَيْرُ مُصَلِّيًا بِالسَّيْفِ ، فَاعْتَقَهُ زِيَادُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْأَنْصَارِيُّ وَرَجُلٌ آخَرٌ ، فَتَدَّرَ <sup>(١)</sup> السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ ، فَضْرَبَ بِهِ عَمْرُ الْحَجَرَ فَكَسَرَهُ ، ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ بِتَلَايِبِهِمْ بِسَاقُونَ سَوْقًا عَنيفًا ، حَتَّى بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ .

قَالَ أَبُو زَيْدٍ : وَرَوَى النَّضَرُ بْنُ كَثْمِيلٍ ، قَالَ : حُمِلَ سَيْفُ الزُّبَيْرِ لَمَّا تَدَّرَ مِنْ يَدِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ عَلَى الْمَذْبَعِ يُخْطَبُ ، فَقَالَ : اضْرِبُوا بِهِ الْحَجَرَ ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ حِمَاسٍ : وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَجَرَ وَفِيهِ تِلْكَ الضَّرْبَةُ ، وَالنَّاسُ يَقُولُونَ : هَذَا أَثَرُ ضَرْبَةِ سَيْفِ الزُّبَيْرِ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَأَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاهِلِيُّ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَجَالِدٍ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا عَمْرُ ، أَيْنَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ؟ قَالَ : هُوَ هَذَا ، فَقَالَ : انْطَلِقَا إِلَيْهِمَا - بَعْنِي عَلَيَا وَالزُّبَيْرِ - فَأَتَيْنِي بِهِمَا ، فَانْطَلَقَا ، فَدَخَلَ عَمْرٌ وَوَقَفَ خَالِدٌ عَلَى الْبَابِ مِنْ خَارِجٍ ، فَقَالَ عَمْرٌ لِلزُّبَيْرِ : مَا هَذَا السَّيْفُ ؟ قَالَ : أَعَدَدْتَهُ لِأَبَايَعٍ عَلِيًّا ، قَالَ : وَكَانَ فِي الْبَيْتِ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ الْمُقَدَّادُ بْنُ الْأَسَدِ وَجَمْعٌ مِنَ الْمَاشِئِينَ ، فَاخْتَرَطَ عَمْرُ السَّيْفَ فَضْرَبَ بِهِ صَخْرَةً فِي الْبَيْتِ

(١) تَدَّرَ : سَقَطَ .



فكسره ، ثم أخذ بيد الزبير ، فأقامه ثم دفعه فأخرجه ، وقال : يا خالده ، دونك هذا ، فأمسكه خالده . وكان خارج<sup>(١)</sup> البيت مع خالده جمع كثير من الناس ، أرسلهم أبو بكر ردها لهما . ثم دخل عمر فقال لعلي : قم فبايع ، فقلكنا واحتبس<sup>(٢)</sup> ، فأخذ بيده ، وقال : قم ، فأبى أن يقوم ، فعلمه ودفعه كما دفع الزبير ، ثم أمسكهما خالده ، وساقهما عمر ومن معه سوقاً عنيقاً ، واجتمع الناس ينظرون ، وامتلات شوارع المدينة بالرجال ، ورات فاطمة ماصع عمر ، فصرخت وولولت ، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهن ؛ فخرجت إلى باب حجرتها ، ونادت : يا أبا بكر ، ما أسرع ما أغرتكم على أهل بيت رسول الله ! والله لا اكلم عمر حتى ألقى الله .

قال : فلما بايع علي والزبير ؛ وهذأت تلك الفؤارة ، مشى إليها أبو بكر بمد ذلك فشنع لعمر ، وطلب إليها فرضيت عنه .

قال أبو بكر : وحدثني الثؤمل بن جعفر ، قال : حدثني محمد بن ميمون ، قال : حدثني داود بن المبارك ، قال : أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ونحن راجعون من الحج في جماعة ، فسألناه عن مسائل ، وكنت أحد من سأل ، فسألته عن أبي بكر وعمر ، فقال : أجيبك بما أجاب به جدّي عبد الله ابن الحسن ، فإنه سئل عنهما ، فقال : كانت أمنا حديقة ، ابنة نبي مرسل ، وماتت وهي غضبي على قوم ، فنحن غضاب لفضيها .

قلت : قد أخذ هذا المعنى بعض شعراء الطالبيين من أهل الحجاز ؛ أنشدني النقيب جلال الدين عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد الملوّى قال : أنشدني هذا الشاعر لنفسه - وذهب عني أنا اسمه - قال :

يا أبا حفص الهويّني وما كنت ملياً بذاك لولا الحمام

(١) به : « في خارج البيت » .

(٢) احتبس : توقف .



أَتَمُوتُ الْبَتُولُ غَضَبِي وَتَرْضَى مَا كَذَا يَصْنَعُ الْبَنُونَ الْكِرَامُ ١

يُخَاطَبُ عُمَرُ وَيَقُولُ لَهُ : مَهْلًا وَرَوْيَدًا <sup>(١)</sup> يَا عُمَرُ ، أَيُّ أَرْفَقَ وَأَثْبَدَ وَلَا تَصْنَفْ بَنًا . وَمَا كُنْتُ مَلِيًّا ، أَيُّ وَمَا كُنْتُ أَهْلًا لِأَنْ تُخَاطَبَ بِهَذَا وَتُسْتَعْلَفَ ، وَلَا كُنْتُ قَادِرًا عَلَى وَلُوجِ دَارٍ <sup>(٢)</sup> قَاطِمَةٍ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ الَّذِي وَجَّهْتُهَا عَلَيْهِ ، لَوْلَا أَنْ أَبَاهَا الَّذِي كَانَ يَتَّبِعُهَا بِحَرَمٍ وَيَصَانُ لِأَجْلِهَا مَاتَ فَطَمَعُ فِيهَا مَنْ لَمْ يَكُنْ بِطَمَعٍ . ثُمَّ قَالَ : أَتَمُوتُ أَمَّا وَهِيَ غَضَبِي وَتَرْضَى نَحْنُ ! إِذَا لَسْنَا بِكِرَامٍ ، فَإِنَّ الْوَلَدَ الْكَرِيمَ يَرْضَى لِرِضَا أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَيَنْضَبُ لِفَضْلِهِمَا .

وَالصَّحِيحُ عِنْدِي أَنَّهَا مَاتَتْ وَهِيَ وَاحِدَةٌ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَأَنَّهَا أَوْصَتْ <sup>(٣)</sup> إِلَّا بِصَالِيَا عَلَيْهِمَا ؛ وَذَلِكَ عِنْدَ أَصْحَابِنَا مِنَ الْأُمُورِ الْمَغْفُورَةِ لَهَا ، وَكَانَ الْأَوَّلَى بِهِمَا إِكْرَامَهَا وَاحْتِرَامَ مَنْزِلِهَا لِكُتُبِهَا خَافَا الْفِرْقَةَ ، وَأَشْفَقَا مِنَ الْفِتْنَةِ ، فَفَعَلَا مَا هُوَ الْأَصْلَحُ بِحَسَبِ ظَنِّهِمَا ؛ وَكَانَا مِنَ الدِّينِ وَقُوَّةِ الْيَقِينِ بِمَكَانٍ مَكِينٍ ، لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ ، وَالْأُمُورُ لِلْآخِرَةِ بِتَعَذُّرِ الْوُقُوفِ عَلَى عِلَلِهَا وَأَسْبَابِهَا ، وَلَا يَسْلَمُ حَقَائِقُهَا إِلَّا مَنْ قَدْ شَهِدَهَا وَلَا بَسَهَا ، بَلْ لَعَلَّ الْحَاضِرِينَ لِلشَّاهِدِينَ لَهَا يَعْلَمُونَ بَاطِنَ الْأَمْرِ ؛ فَلَا يَجُوزُ الْعُدُولُ عَنْ حَسَنِ الْإِعْتِقَادِ فِيهَا بِمَا جَرَى ؛ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمَغْفِرَةِ وَالْعَفْوِ ؛ فَإِنْ هَذَا لَوْ ثَبِتَ أَنَّهُ خَطَأٌ لَمْ يَكُنْ لَبِئْرَةٍ ، بَلْ كَانَ مِنْ بَابِ الصَّغَائِرِ الَّتِي لَا تَقْتَضِي التَّبَرُّؤَ ، وَلَا تَوْجِبُ زَوَالَ التَّوَلَّى .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَأَخْبَرَنَا أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : مَرَّ عُمَرُ بَعْلَى ، وَأَنَا مَعَهُ بِقِنَاءِ دَارِهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عَلَى : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ قَالَ : الْبَقِيعَ ، قَالَ : أَفَلَا تَصِلُ صَاحِبَكَ ، وَيَقُومُ مَعَكَ <sup>(٤)</sup> ؟ قَالَ : بَلَى ، فَقَالَ لِي عَلَى : قُمْ مَعَهُ ، فَقُمْتُ فَشِيتُ إِلَى جَانِبِهِ ، فَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ فِي أَصَابِعِي ، وَمَشِينَا قَلِيلًا ، حَتَّى إِذَا خَلَقْنَا الْبَقِيعَ قَالَ لِي : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ صَاحِبَكَ هَذَا الْأَوَّلَى النَّاسَ بِالْأَمْرِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَّا أَنَا خَفَنَاءُ عَلَى اثْنَيْنِ ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَجَاءَ بِكَلَامٍ لَمْ أَجِدْ بَدَأَ مِنْ

(٢) ج : د يبت .

(١) ب : د رويدا .

(٣-٤) ب : د تصل جناحك وتقوم معك .



مسأله عنه ، قلت : ما هما يا أمير المؤمنين ؟ قال : خِفْنَاهُ عَلَى حَدِيثِهِ سَنَةً ، وَحَبَهُ  
بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ .

قال أبو بكر : وحدثني أبو زيد ، قال : حدثني محمد بن عباد ، قال : حدثني أخى  
سميد بن عباد ، عن الليث بن سعد ، عن رجاله ، عن أبي بكر الصديق أنه قال : ليقضى  
لم أكشف بيت قاطمة ، ولو أعلن على الحرب !

قال أبو بكر : وحدثنا الحسن بن الربيع ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن  
الزهري ، عن علي بن عبد الله بن العباس عن أبيه ، قال : لما حضرت رسول الله صلى  
الله عليه وآله الوفاة ، وفي البيت رجالٌ فيهم عمر بن الخطاب ، قال رسول الله صلى الله  
عليه وآله : اتوني بدواةٍ وصحيفة ، أكتب لكم كتاباً لا تضلون بمدى ، فقال عمر  
كلمة معناها أن الجميع قد غلب على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم قال : عندنا القرآن  
حسبنا كتاب الله ؛ فاختلف من في البيت واختصموا ، فمن قائل يقول : القول ما قال  
رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن قائل يقول : القول ما قال عمر ، فلما أكتروا  
اللفظ واللفظ والاختلاف ، غضب رسول الله ، فقال : « قوموا ؛ إنه لا ينبغي لشيء أن  
يختلف عنده هكذا » ، فقاموا ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم ؛  
فكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله  
صلى الله عليه وآله - يعني الاختلاف واللفظ .

قلت : هذا الحديث قد خرجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخاري ، ومسلم بن  
الحجاج القشيري في صحيحيهما<sup>(١)</sup> ، واتفق المحدثون كافة<sup>(٢)</sup> على روايته .

• • •

قال أبو بكر : وحدثنا أبو زيد ، عن رجاله ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله

(١) صحيح مسلم : ١٢٥٩ (٢) ب : د جيا .



صلى الله عليه وآله : إن تولوها أبا بكر تجدوه ضعيفا في بدنه ، قويا في أمر الله ، وإن تولوها عمر تجدوه قويا في بدنه قويا في أمر الله ، وإن تولوها عليا - وما أراكم قاعلين - تجدوه هاديا مهديا ، يحملك على الحجة البيضاء ، والصراط المستقيم .

قال أبو بكر : وحدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح ، عن أحمد بن سيار ، عن سعيد بن كثير الأنصاري ، عن رجاله ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله في مرض موته أمر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلة المهاجرين والأنصار ؛ منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير ، وأمره أن يُنبر على مؤتة حيث قتل أبوه زيد ، وأن يغزو وادي فلسطين . فتناقل أسامة وتناقل الجيش بتناقله ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه يشغل ويخف ، ويؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث ؛ حتى قال له أسامة : يا بني أنت وأمي ! أتأذن لي أن أمكث أياما حتى يشفيك الله تعالى ؟ فقال : أخرج وسر على بركة الله ، فقال : يا رسول الله ، إن أنا خرجت وأنت على هذه الحال خرجت وفي قلبي قرحة منك ، فقال : سر على النصر والعافية ، فقال : يا رسول الله ، إني أكره أن أسأل عنك الركبان ، فقال : انفذ<sup>(١)</sup> لما أمرتك به ، ثم أغشى على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقام أسامة فتجهز للخروج ، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وآله سأل عن أسامة والبعث ، فأخبر أنهم يتجهزون ، فجعل يقول : « أنفذوا بعث أسامة ، أمن الله من تخلف عنه » ، وكرر<sup>(٢)</sup> ذلك ، فخرج أسامة واللواء على رأسه والصحابة بين يديه ، حتى إذا كان بالجرف نزل معه أبو بكر وعمر وأكثر المهاجرين ؛ ومن الأنصار أسيد بن حضير وبشير بن سعد وغيرهم من الوجوه ، فجاء رسول أم أيمن ، يقول له : ادخل فإن رسول الله يموت ، فقام من فوره ، فدخل المدينة واللواء معه ، فجاء به حتى ركزه بباب رسول الله ، ورسول الله قد مات في تلك الساعة .

قال : فما كان أبو بكر وعمر يخاطبان أسامة إلى أن ماتا إلا بالأمير .

(١) انفذ : أي امنن له جهك . (٢) ج : ه ونكرر .



(٦٧)

الأصل:

ومن كلام له عليه السلام لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فلنكت عليه وقتل :  
وَقَدْ أَرَدْتُ تَوَلِيَّةَ مِصْرَ هَاشِمِ بْنِ عُثْبَةَ ؛ وَلَوْ وَلَيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَى لَهُمُ الْمَرْصَةَ ،  
وَلَا أَنْهَزَهُمُ الْفُرُصَةَ ، بِلَا ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، فَلَقَدْ كَانَ إِلَى حَبِيبًا ، وَكَانَ  
لِي رَبِيبًا .

[ ذكر محمد بن أبي بكر وذكر ولده ]

مركز تحقيقات تكملة ترمذی

الشرح :

أم محمد بن أبي بكر أسماء بنت محميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن  
خثعم ؛ كانت تحت جعفر بن أبي طالب ، وهاجرت معه إلى الحبشة ، فولدت له هناك عبد الله  
ابن جعفر الجواد ، ثم قتل عنها يوم مؤتة ، تخلف عليها أبو بكر الصديق ، فأولدها محمداً ،  
ثم مات عنها ، تخلف عليها علي بن أبي طالب ؛ وكان محمد ربيبه وخير يمه ، وجارياً عنده  
تجربى أولاده ، رضع الولاء والنشيع منذ زمن الصبا ، فنشأ عليه ؛ فلم يكن يعرف له أباً غير  
علي ، ولا يعتقد لأحد فضيلة غيره ؛ حتى قال علي عليه السلام : محمد ابني من صلب  
أبي بكر ؛ وكان يكنى أبا القاسم في قول ابن قتيبة <sup>(١)</sup> . وقال غيره : بل كان يكنى  
أبا عبد الرحمن .

(١) في المعارف ص ١٧٥ .



وكان محمد من نُسك قريش ؛ وكان ممن أمان على عثمان في يوم الدار ؛ واختلف :  
هل باشر قتل عثمان أم لا ؛ ومن ولد محمد : القاسم بن محمد بن أبي بكر قتيبة الحجازي وفاضلها ؛  
ومن ولد القاسم : عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ؛ كان من فضلاء قريش ويكنى أبا محمد ؛  
ومن ولد القاسم أيضاً أم قرّة ، تزوجها الباقر أبو جعفر محمد بن علي ، فأولدها الصادق  
أبا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام ؛ وإلى أم قرّة أشار الرضا أبو الحسن بقوله :

بفاخرنا قومٌ بمن لم نلدهمُ      بيم إذا عُدّ السوابق أوعدي<sup>(١)</sup>  
ويَنسَوْنَ مَنْ لَوْ قَدَّمُوهُ لَقَدَّمُوا      عِذارَ جِوَادٍ فِي الْجِيَادِ مُقَلَّدِ  
فَتَى هَاشِمٍ بِعَدِّ النَّبِيِّ وَبَاعَهَا      لَمْ يَمْزِ عَلَاؤُ نَيْلِ مَجْدٍ وَسُودَدِ  
وَلَوْلَا عَلِيٌّ مَاعَلَوْا سَرَوَاتِهَا      وَلَا جَمَعَجَمُوا فِيهَا بِمَرَعَى وَمَوْرِدِ  
أَخَذْنَا عَلَيْكُمْ بِالنَّبِيِّ وَقَاطِمِ      مِلَاحَ الْمَسَاعِي مِنْ مَقَامٍ وَمَقْعَدِ  
وَطَلْنَا بِسِبْطِي أَحْمَدٍ وَوَصِيَّتِهِ      رِقَابَ الْوَرَى مِنْ مُتْهِمِينَ وَمُنْجِدِ  
وَحِزْنَا عَتِيقًا وَهُوَ غَايَةُ فَخْرِكُمْ      بِمَوْلِدِ بِنْتِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ  
فَجَدُّ نَبِيِّكُمْ جَدُّ خَلِيفَةٍ      فَأَكْرَمَ بِحَدَّثِنَا : عَتِيقٍ وَأَحْمَدِ  
وَمَا افْتَخَرْتُ بِعَدِّ النَّبِيِّ بِغَيْرِهِ      بِدُّ صَفَقَتِ يَوْمِ الْبَيْعِ عَلَى يَدِ

قوله :

• ولولا علي ماعلوا سرواتها . . . البيت

ينظر فيه إلى قول المأمون في أبيات يمدح فيها علياً ، أولها :

الأمُ على حبي الوصي أبا الحسن      وذلك عندي من أعاجيبِ ذا الزَّمنِ  
والبيت المنظور إليه منها قوله :



وَلَوْلَا مَا عُدَّتْ لَهَا مِنْ أَمْرَةٍ وَكَانَ مَدَى الْأَيَّامِ يَنْصَى وَيُنْجَنُ

\*\*\*

[ هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ونسبه ]

وأما هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة  
ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، فعمه سعد بن أبي وقاص ، أحدُ  
العشرة ، وأبوه عتبة بن أبي وقاص ، الذي كسر رباعية<sup>(١)</sup> رسول الله صلى الله عليه وآله  
يوم أحد ، وكلم شفتيه وشج وجهه ، فجعل يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : « كيف يُفْلِح  
قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم ، وهو يدعوهم إلى دينهم » ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ  
لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقال حسان بن ثابت في ذلك اليوم :

إذا الله حياً مشراً بنصرنا اليوم	ونصرهم الرحمن ربّ للشارق <sup>(٣)</sup>
فهدك ربّي باعتيب بن مالك	ولقائك قبل الموت إحدى الصواعق <sup>(٤)</sup>
بسطت يميناً للنبي محمد <sup>(٥)</sup>	فدميت فاه قطعت بالبوراق <sup>(٦)</sup>
فهلّا ذكرت الله والمنزل الذي <sup>(٧)</sup>	نصير إليه عند إحدى الصائق
فمن عاذري من عبد عذرة بعدما	هوى في دجوجي شديداً المضائق <sup>(٨)</sup>

(١) الرباعية : السن التي بين الثانية والثالثة .

(٢) سورة آل عمران ١٢٨ .

(٣) ديوانه ٢٩١ .

(٤) الديوان : « فأخراك ربّي » .

(٥) الديوان : « فلي يرمية » . (٦) البوارق : السيوف .

(٧) الديوان : « فهلّا خشيت الله » .

(٨) لم يذكر في الديوان .



وأورث عارا في الحياة لأهله وفي النار يوم البعث أمّ البواثق<sup>(١)</sup>  
وإنما قال ، « عبد عذرة » لأن عتبة بن أبي وقاص وإخوته وأقاربه في نسبهم كلام ،  
ذكر قوم من أهل النسب أنهم من عذرة ، وأنهم أدياء في قريش ؛ ولهم خبر معروف ،  
وقصة مذكورة في كتب النسب .

وتنازع عبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص في أيام عثمان في أمر فاختصما ،  
فقال سعد لعبد الله : اسكت يا عبد هذيل ، فقال له عبد الله : اسكت يا عبد عذرة .  
وهاشم بن عتبة هو المرقال ، سمي المرقال ، لأنه كان يُرْقِل في الحرب إرقالا ؛ وهو من  
شعبة على ، وسنفصل<sup>(٢)</sup> مقتله ، إذا اتينا إلى فصل من كلامه يتضمن ذكر صفين .

فأما قوله : « لما خلى لهم الفرصة » فيعني عُرْضة مصر ؛ وقد كان محمد رحمه الله  
تعالى : لما ضاق عليه الأمر ، ترك لهم مصر وظن أنه بالفرار ينجو بنفسه ، فلم ينج  
وأخذ وقتل .

وقوله : « ولا أنهزم الفرصة » ، أي ولا جعلهم للفرصة منهزين . والهمزة للتعديّة ،  
يقال : أنهزت الفرصة ، إذا أنهزتها غيري .

\*\*\*

ونحن نذكر في هذا الموضع ابتداء أمر الذين ولّاهم على عليه السلام مصر ، إلى أن  
انتهى إلى كيفية ملك معاوية لها وقتل محمد بن أبي بكر ؛ وننقل ذلك من كتاب إبراهيم  
ابن سعد بن هلال الثقفي ، وهو كتاب " الفارات " .

(١) رواية الديوان :

لَقَدْ كَانَ حَرْبًا فِي الْحَيَاةِ إِقْوَمِهِ      وَفِي الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِحْدَى التَّوَاتِقِ

(٢) ١ : « وسنذكر » .



## [ ولاية قيس بن سعد على مصر ثم عزله ]

قال إبراهيم : حدثنا محمد بن عبد الله بن عثمان الثقفى ، قال : حدثني علي بن محمد بن أبي سيف ، عن الكلبي ، أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، هو الذي حرّض المصريين على قتل عثمان وندبهم إليه ، وكان حينئذ بمصر ، فلما ساروا إلى عثمان وحصرّوه ، وثب هو بمصر على عامل عثمان عليها ، وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، أحد بني عامر بن لؤي ، فطرده عنها ، وصلى بالناس ؛ فخرج ابن أبي سرح من مصر ، ونزل على تخوم أرضها بما يلي فلسطين ، وانتظر ما يكون من أمر عثمان ، فطلع عليه راكب ، فقال له : يا عبد الله ، ما وراءك ؟ ما خبرُ الناس بالمدينة ؟ قال : قتل المسلمون عثمان ، فقال ابن أبي سرح : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ثم صنعوا ماذا يا عبد الله ؟ قال : بايعوا ابن عم رسول الله علي بن أبي طالب ، فقال ثانية : إنا لله وإنا إليه راجعون ! فقال الرجل : أرى أن ولاية علي عدلت عندك قتل عثمان ! قال : أجل ، فنظر إليه متأملاً له فمرّفه ، فقال أظنك عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، أمير مصر ! قال : أجل ، قال : إن كانت لك في الحياة حاجة فالنّجاء النّجاء ؛ فإن رأى عليّ فيك وفي أصحابك إن ظفر بكم قتلكم أو نفاكم عن بلاد المسلمين ؛ وهذا أمير تقدّم بعدى عايكم . قال : ومن الأمير ؟ قال : قيس بن سعد بن عبادة . فقال ابن أبي سرح : " أبعد الله " ابن أبي حذيفة فإنه يفتي عليّ ابن عمه ، وسعى عليه ، وقد كان كفّله وربّاه ، وأحسن إليه ، وأمن جواره ؛ فجهرّ الرجال إليه حتى قُتل ، ووثب على عامله .

وخرج ابن أبي سرح حتى قدم على معاوية بدمشق .

قال إبراهيم : وكان قيس بن سعد بن عبادة من شيعة عليّ ومناصبه <sup>(٢)</sup> ؛ فلما ولي الخلافة ، قال له : سرّ إلى مصر فقد وليت سكّتها ، واخرج إلى ظاهر المدينة ، واجمع ثقاتك ومن



أحييت أن يصحبك حتى تأتي مصر وممك جند ، فإن ذلك أرعب لعدوك؛ وأهزل لوثيك .  
فإذا أنت قدمتها إن شاء الله ، فأحسِن إلى المحسن ، واشتد<sup>(١)</sup> على الريب ، وارفُق بالعامَّة  
والخاصَّة فالرفق يُمن .

فقال قيس : رَحِمَكَ اللهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَدْ فَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَ ، فَأَمَّا الْجَنْدُ فَإِنِّي أَدْعُهُ  
لَكَ ، فَإِذَا احْتَجَجْتَ إِلَيْهِمْ كَانُوا قَرِيبًا مِنْكَ ، وَإِنِ ارْتَدَتْ بَعْضُهُمْ إِلَى وَجْهِ مَنْ وَجْهَكَ كَانَ  
لَكَ عُدَّةٌ ، وَلَكِنِّي أَسِيرُ إِلَى مِصْرَ بِنَفْسِي وَأَهْلُ بَيْتِي ؛ وَأَمَّا مَا أَوْصَيْتَنِي بِهِ مِنَ الرِّفْقِ وَالْإِحْسَانِ  
فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى ذَلِكَ .

قال : فخرج قيس في سبعة نفر من أهله حتى دخل مصر ، فصعد للنهر ، وأمر  
بكتاب معه يُقرأ على الناس ، فيه :

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المسلمين . سلام عليكم ؛ فَإِنِّي  
أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكُمْ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

أما بعد ؛ فَإِنَّ اللَّهَ بِحَسَنِ صُنْعِهِ وَقُدْرَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ ، اخْتَارَ الْإِسْلَامَ دِينًا لِنَفْسِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ ،  
وَبَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ إِلَى عِبَادِهِ ؛ فَكَانَ نَمًّا أَكْرَمَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَخَصَّصَهُمْ بِهِ مِنَ  
الْفَضْلِ أَنْ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ ، فَعَلَّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالسُّنَّةَ وَالْفَرَائِضَ  
وَأَدَبَهُمْ لِكَيْ يَهْتَدُوا ، وَجَمَعَهُمْ لِكَيْ لَا يَتَفَرَّقُوا ، وَزَكَّاهُمْ لِكَيْ يَتَطَهَّرُوا ؛ فَلَمَّا قَضَى مِنْ  
ذَلِكَ مَا عَلَيْهِ ، قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، فَعَلِيهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ وَرَحْمَتُهُ وَرِضْوَانُهُ . ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ  
مِنْ بَعْدِهِ اسْتَخْلَفُوا أُمَرَاءَ مِنْهُمْ صَالِحِينَ ، فَعَمِلُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَحْيَا السُّبُورَ ؛ وَلَمْ يَعْذُوا  
السُّنَّةَ . ثُمَّ تَوَفَّيَا رَحِمَهُمَا اللَّهُ ، فَوَلَّى بَعْدَهُمَا وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثًا ، فَوَجَدَتِ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ مَقَالًا  
فَقَالُوا ، ثُمَّ نَقَمُوا فَنُفِرُوا ثُمَّ جَاءُونِي فَبَايَعُونِي ، وَأَنَا أَسْتَهْدِي اللَّهَ الْمُهْدَى ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى  
التَّقْوَى . أَلَا وَإِنْ لَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ ، وَالنَّصْحُ لَكُمْ  
بِالْغَيْبِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .



وقد بعثت لكم قيس بن سعد الأنصاري أميراً ، فوازيروه وأعينوه على الحق ، وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم ، والشدة على مريبكم ، والرفق بموأمكم وخوافتكم ؛ وهو ممن أرضى هديته ، وأرجو صلاحه ونصحه . نسأل الله لنا ولكم عملاً زاكياً ، وثواباً جزيلاً ورحمة واسعة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتبه عبدالله بن أبي رافع في صفر سنة ست وثلاثين .

قال إبراهيم : فلما فرغ من قراءة الكتاب ، قام قيس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : الحمد لله الذي جاء بالحق ، وأمات الباطل ، وكبّت الظالمين . أيها الناس ؛ إنا يائسنا خيراً من نعلم من بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله ؛ فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة رسوله ، فإن نحن لم نعمل بكتاب الله وسنة رسوله فلا بيعة لنا عليكم .

فقام الناس فبايعوا ، واستقامت مصر وأعمالها لقيس ، وبعث عليها عماله ؛ إلا أن قرية منها قد أعظم أهلها قتل عمان ، وبها رجل من بني كنانة يقال له يزيد بن الحارث ، فبعث إلى قيس : إنا لا نأتيك فابعث عمالك ، فالأرض أرضك ؛ ولكن أقرتنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس .

ووثب محمد بن مسلمة بن مخلد بن صامت الأنصاري فتنى عمان ، ودعا إلى الطلب بدمه ؛ فأرسل إليه قيس : ويحك اأعلى تذب الله ما أحب أن لي ملك الشام ومصر وأني قتلتك ! فاحضن دمعك . فأرسل إليه مسلمة : إني كافيتك ما دمت أنت والى مصر . وكان قيس بن سعد ذا رأي وحزم ، فبعث إلى الذين اعتزلوا : إني لا أكرهكم على البيعة ، ولكني أدعكم وأكف عنكم . فهادتهم وهدان مسلمة بن مخلد ، وجبى الخراج ؛ وليس أحد ينازعه .



قال إبراهيم : وخرج عليّ عليه السلام إلى الجمل ؛ وقيس على مصر ، ورجع من البصرة إلى الكوفة ، وهو بمكانه ، فكان أثقل خالق الله على معاوية لقرب مصر وأعمالها من الشام ، وخافة أن يقبل على أهل العراق ، ويقبل إليه قيس بأهل مصر ؛ فيقع بينهما . فكتب معاوية إلى قيس ، وعلى يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين :

من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد . سلام عليك ، فإنني أجد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد ؛ فإنكم إن كنتم تقيم على عمان في أثر قرابتهموها ، أو ضربة سوط ضرب بها ، أو في شتمه رجلا ، أو تعييره واحداً ، أو في استعماله الفتيان من أهله - فإنكم قد علمتم إن كنتم تعلمون ، أن دمه لم يحل لكم بذلك ؛ فقد ركبتم عظيماً من الأمر ، وجئتم شيئاً إذا ، فتب يا قيس إلى ربك ، إن كنت من المجليين على عمان ؛ إن كانت التوبة قبل الموت تغني شيئاً . وأما صاحبك فقد استيقنا أنه أغرى الناس بقتله ، وحلهم على قتله حتى قتلوه ، وأنه لم يسلم من دمه عظم قومك ، فإن استطعت يا قيس أن تكون بمن يطلب بدم عمان فافعل ، وتابنا على أمرنا . هذا ولك سلطان العراقيين إن أنا ظفرت ما بقيت ؛ وإن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز مادام لي سلطان ، وسئني عن غير هذا مما تحب ، فإنك لا تسألني شيئاً إلا أتيتك ؛ واكتب إلى رأيك فيما كتبت إليك .

فلما جاء إليه كتاب معاوية أحب أن يدافعه ، ولا يهدى له أمره ، ولا بمجمل له حربه ، فكتب إليه :

أما بعد ؛ فقد وصل إلى كتابك ، وفهمت الذي ذكرت من أمر عمان ؛ وذلك أمر لم أقاربه . وذكرت أن صاحبى هو الذى أغرى الناس بعمان ودمهم إليه حتى قتلوه ؛ وهذا أمر لم أطلع عليه . وذكرت لي أن عظم عشيرتي لم تسلم من دم عمان ؛ فلمرى إن أول



الناس كان في أمره عشريني ، وأما ما سألتني من مبايعتك على الطلب بدمه ، وما عرضته عليّ فقد فهمته ، وهذا أمرٌ لي نظر فيه وفكر ، وليس هذا مما يُعجل إلى مثله ، وأنا كافٍ عنك ؛ وليس يأتيك من قبلي شيء تكرهه ؛ حتى ترى ونرى ، إن شاء الله تعالى . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قال إبراهيم : فلما قرأ معاوية كتابه لم يره إلا مقارباً مباعداً ، ولم يأمن أن يكون له في ذلك مخادعاً مكابداً ، فكتب إليه :

أما بعد ، فقد قرأت كتابك ؛ فلم أرك تدنو فأعدك سيئاً . ولم أرك تتباعد فأعدك حرباً ، أراك كحبل الجرور ؛ وليس مثلي يصانع بالخداع ، ولا يخدع بالمكايد ، ومعه عدد الرجال وأعنة الخيل ، فإن قبلت الذي عرضت عليك فلك ما أعطيتك ؛ وإن أنت لم تفعل ملأت مصر عليك خيلاً ورجلاً . والسلام .

فلما قرأ قيس كتابه ، وعلم أنه لا يقبل منه الدافعة والمطاولة ، أظهر له مافي نفسه ، فكتب إليه :

من قيس بن سعد ؛ إلى معاوية بن أبي سفيان :

أما بعد ، فالحجب من استسقاطك رأيي ، والطمع في أن نسوغي - لأبائنا - الخروج من طاعة أولى الناس بالأمر ؛ وأقولهم بالحق ، وأهدام سبيلا ، وأقربهم من رسول الله وسيلة . وتأمري بالدخول في طاعتك وطاعة أئمة الناس من هذا الأمر ؛ وأقولهم بالزور . وأضلهم سبيلا ، وأدناهم من رسول الله وسيلة ؛ ولديك قوم ضالون مضلون . طواغيت من طواغيت إبليس . وأما قولك إنك تملأ على مصر خيلاً ورجلاً ؛ فأن لم أشغلك عن ذلك حتى يكون منك ، إنك لدوجيد . والسلام .

فلما أتى معاوية كتاب قيس ؛ أبس وثقل مكانه عليه ؛ وكان <sup>(١)</sup> أن يكون مكانه غيره أحب إليه ، لما يعلم من قوته وتأنيبه <sup>(٢)</sup> وتجدته ، واشتداد أمره على معاوية ؛ فأظهر للناس أن

(١) ج : • ورأي • .

(٢) ج : • وبأسه • .



قيساً قد بايعكم ، فادعوا الله له . وقرأ عليهم كتابه الذي لان فيه وقاربه ، واخترق كتاباً  
نسبه إلى قيس فقرأه على أهل الشام :

للأمير معاوية بن أبي سفيان من قيس بن سعد :

أما بعد ؛ إن قتلَ عثمان كان حدثاً في الإسلام عظيماً ؛ وقد نظرتُ لنفسي وديني ،  
فلم أرسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرمّاً برّاً تقيّاً ، فاستغفر الله سبحانه لذنوبنا ،  
ونسأله المصصة لديننا . ألا وإنّي قد أتيت إليكم بالسلام ، وأجبتك إلى قتال قتلة إمام  
الهدى المظلوم ؛ فاطلب مِنّي ما أحببتَ من الأموال والرجال أعجّله إليك إن شاء الله .  
والسلام على الأمير ورحمة الله وبركاته .

قال : فشاع في الشام كلها أن قيساً صالح معاوية ، وأتت عيونُ عليّ بن أبي طالب  
إليه بذلك ، فأعظمه وأكبره وتعجب له ، ودعا ابنه حسناً وحسيناً وابنه محمداً وعبد الله  
ابن جعفر ، فأعلمهم بذلك ، وقال : ساراً بكم ؛ فقال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ،  
دع ما يريئك إلى ما لا يريبك . أعزل قيساً عن مصر . قال عليّ : والله إني غيرُ مصدّق  
بهذا على قيس . فقال عبد الله : أعزله يا أمير المؤمنين ، فإن كان ما قد قيل حقا فلا يستزل  
لك أن عزلته ؛ قال : وإسهم لكذلك إذ جاءهم كتاب من قيس بن سعد ، فيه :

أما بعد ، فإني أخبرُ يا أمير المؤمنين - أحكرمك الله وأعزك - إن قبلي رجالاً  
معتزلين سألونني أن أكفّ عنهم وأدعهم على حالم حتى يستقيم أمرُ الناس ففري  
ويروّون ، وقد رأيتُ أن أكفّ عنهم ولا أجهل بحربهم ، وأن أأنالهم فيما بين ذلك ؛  
لعلّ الله أن يقبل بقلوبهم ، ويفرقهم عن ضلالهم إن شاء الله . والسلام

فقال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنك إن أطلعت في تركهم واعتزالهم  
استشرى الأمرُ وتفاقت الفتنة ، وقعدت عن بيعتك كثير ممن تريد على الدخول فيها ،  
ولكن مرّه بقتالهم . فكعب إليه :



أما بعد ؛ فير إلى القوم الذين ذكرت ، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون  
ولا فتاجزهم ، والسلام .

قال : فلما أتى هذا الكتاب قيساً فقرأه لم يتألمك أن كتب إلى علي :  
أما بعد يا أمير المؤمنين ، تأمرني بقتال قوم كافين عنك ، ولم يمدوا يداً  
للفتنة ، ولا أرصدوا لها ، فأطعني يا أمير المؤمنين ، وكف عنهم ، فإني الرأي  
تركهم ، والسلام .

فلما أتاه هذا الكتاب ، قال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ، ابعث محمد بن أبي  
بكر إلى مصر بكفك أمرها ، واعزل قيساً ؛ فوالله ليلغى أن قيساً يقول : إن سلطاننا لا يتم إلا  
بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء ؛ والله ما أحب أن لي سلطان الشام مع سلطان مصر ، وأني  
قتلت ابن مخلد . وكان عبد الله بن جعفر أخاً محمد بن أبي بكر لأمه ؛ وكان يحب أن يكون  
له امرأة وسلطان ؛ فاستعمل علي عليه السلام محمد بن أبي بكر على مصر ، لحبة له ولهو عبد  
الله بن جعفر أخيه فيه ؛ وكتب معه كتاباً إلى أهل مصر ، فسار حتى قدمها ، فقال له قيس :  
ما بال أمير المؤمنين ! ما غيره ! أدخل أحد بني وبينه ! قال : لا وهذا السلطان سلطانك .  
— وكان بينهما نسب ، كان تحت قيس قرينة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر الصديق ، فكان  
قيس زوج عمته . فقال قيس : لا والله لا أقيم معك ساعة واحدة ، وغضب حين عزله علي  
عنها ، وخرج منها مقبلاً إلى المدينة ولم يمس إلى علي بالكوفة .

قال إبراهيم : وكان قيس مع شجاعته ومجدته جواداً مفضلاً ؛ فحدثني علي بن محمد  
ابن أبي سيف ، عن هاشم ، عن عروة ، عن أبيه ، قال : لما خرج قيس بن سعد من مصر ، فر  
بأهل بيت من بلقين ، فنزل بمائهم ، فنحرو له صاحب المنزل جزوراً وأتاه بها ، فلما كان  
الغد نحر له أخرى ، ثم حبستهم السماء اليوم الثالث ، فنحرو لهم ثلاثة ، ثم إن السماء أفلقت



فلما أراد قيس أن يرتحل ، وضع عشرين ثوباً من ثياب مصر ، وأربعة آلاف درهم عند امرأة الرجل ؛ وقال لها : إذا جاء صاحبك ، فادفعي هذه إليه ، ثم رحل ؛ فلما أتت عليه إلا ساعة حتى لحقه الرجل صاحب المنزل على فرس ، ومعه رمح ، والثياب والدرهم بين يديه ، فقال : يا هؤلاء خذوا ثيابكم ودراهمكم فقال قيس : انصرف أيها الرجل ، فإننا لم نكن لناخذها ؛ قال : والله لتأخذنها ، فقال قيس : لله أبوك ! ألم تكررئنا وتحسن ضيافتنا فكافأناك ! فليس بهذا بأس ؛ فقال الرجل : إنا لا نأخذ إقرى الأضياف نمنا ؛ والله لا آخذها أبدا . فقال قيس : أما إذ أبي ألا يأخذها فنخذوها<sup>(١)</sup> ؛ فوالله ما فضلي رجل من العرب غيره .

قال إبراهيم : وقال أبو المنذر : مرّ قيس في طريقه برجل من بلي ، يقال له : الأسود ابن فلان ، فأكرمه ، فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عند امرأته ثياباً ودراهم ، فلما جاء الرجل دفعته إليه ، فلحقه فقال : ما أنا بائع ضيافتي ؛ والله لتأخذن هذا أو لأفذن الرمح بين جنبيك ! فقال قيس : ويحكم خذوه !

من تحتية تكويرة من يد

قال إبراهيم : ثم أقبل قيس حتى قديم المدينة ، فجاءه حستان بن ثابت شامتاً به . وكان عمانياً . فقال له : نزعك علي بن أبي طالب ، وقد قتلت عثمان ، فبقى عليك الإثم ، ولم يحسن لك الشكر ! فزجره قيس وقال : يا أعمى القلب ، يا أعمى البصر ، والله لولا ألقى بين رجلي ورهطك حرباً لضربت عنقك . ثم أخرجه من عنده .

قال إبراهيم : ثم إن قيساً وسهل بن حنيف ، خرجا حتى قدما على الكوفة ، فخبّره قيس الخبر وما كان بمصر فصدقه . وشهد مع عليّ صيفين هو وسهل بن حنيف قال إبراهيم : وكان قيس طوّالاً أطول الناس وأمدّم قامه ، وكان<sup>(٢)</sup> سباطاً أصلم شيخاً شجاعاً مجرباً مناصحاً عليّ ولولده ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات .

(١) هاقلة من ب .

(٢) السباط : الذي لا لحية له .



قال إبراهيم : حدثني أبو غسان ، قال : أخبرني علي بن أبي سيف ، قال : كان عيس بن سعد مع أبي بكر وعمر في سفر في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكان ينفق عليهما وعلى غيرهما ويُفْضِل . فقال له أبو بكر : إن هذا لا يقوم به مالُ أبيك فأَمْسِكْ يَدَكَ . فلما قدموا من سفرهم قال سعد بن عبادَة لأبي بكر : أردت أن تبخل ابني ! إنا نقوم لا نستطيع البخل .

قال : وكان عيس بن سعد يقول في دعائه : اللهم ارزقني خُذاً ومجداً وشكراً ، فإنه لا خُذَ إلا بفُعال ، ولا مجد إلا بَمال . اللهم وسِّعْ عليَّ فَإِنَّ القليل لا يَسْمُنِي ولا أَسْمَهُ .

\*\*\*

### [ ولاية محمد بن أبي بكر على مصر وأخبار مقتله ]

قال إبراهيم : وكان عهد عليّ إلى محمد بن أبي بكر الذي قرئ بمصر : هذا ما عهد عبد الله على أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر حين ولاء مصر ؛ أمره بقتوى الله في السرّ والعلانية ، وخوف الله تعالى في الخُفْي والمُشْهَد ، وأمره بالآيِن على المسلم ، والنِظَظ على الفاجر ، وبالمُذِل على أهل الذمّة ، وبالإِنصاف للمظلوم ، وبالشِدّة على الظالم ، وبالعفو عن الناس وبالإحسان ما استطاع ؛ والله يجزي الحسين . وأمره أن يدعُو مَنْ قَبْلَهُ إلى الطاعة والجماعة ؛ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ من العاقبة وعظم التوبة ما لا يُقَدَّر قدره ولا يعرف كنهه . وأمره أن يجيَ خَراج الأرض على ما كانت تُجبي عليه من قَبْل ، ولا يَنْتَقِصْ ولا يَبْتَدِعْ ، ثم يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قَبْل ؛ وَإِنْ تَكُنْ لَمْ حَاجَةَ يَوايِسَ بينهم في مجلسه ووجهه ؛ ليكون القريب والبعيد عنده قَلَى سواء . وأمره أن يحكم بين الناس بالحق ، وأن يقوم بالقِسْط ، ولا يَتَّبِعِ الهوى ، ولا يَخَاف [ في الله <sup>(١)</sup> ] لومة لائم ؛ فَإِنَّ الله مع مَنْ اتَّقاه وآثر طاعته على مَنْ سِوَاهُ .

(١) من أ، ج .



وكتبه عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله لثقة شهر رمضان سنة ست وثلاثين .  
قال إبراهيم : ثم قام محمد بن أبي بكر خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أما بعد  
فالحمد لله الذي هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق ، وبهتانا وإياكم كثيراً بما همى  
عنه الجاهلون . ألا وإن أمير المؤمنين ولاني أموركم ، وعهد إلي بما سمعتم ، وأوصاني  
بكثير منه مشافهة ، ولن آلوكم خيراً ما استطعت ؛ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه  
أنيب . فإن يكن ما ترون من آثارى وأعمالى طاعة لله وتقوى ، فاحمدوا الله على ما كان  
من ذلك ؛ فإنه هو الهادي إليه ؛ فإن رأيتم من ذلك عملاً بغير الحق ، فارفضوه إلي ، وعاتبوني  
عليه ، فإنني بذلك أسعد وأنتم بذلك جديرون . وفقنا الله وإياكم لصالح العمل .

قال إبراهيم : وحدثني يحيى بن صالح ، عن مالك بن خالد الأسدي ، عن الحسن بن  
إبراهيم ، عن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، قال : كتب علي عليه السلام إلى أهل مصر  
لما بعث محمد بن أبي بكر إليهم كتاباً يخاطبهم به <sup>(١)</sup> ، ويخاطب محمداً أيضاً فيه :

أما بعد ، فإنني أوصيكم بتقوى الله في سرّ أمركم وعلائقته ؛ وعلى أية حال كنتم  
عليها ؛ وليعلم المرء منكم أن الدنيا دار بلاء وفناء ، والآخرة دار جزاء وبقاء ؛ فمن استطاع  
أن يؤثر ما يبقى على ما يفنى فليفعل ؛ فإن الآخرة تبقى ، والدنيا تفتى . رزقنا الله وإياكم  
بصراً لما بصرنا وفهماً لما فهمنا ؛ حتى لا نقصر عما أمرنا ، ولا نتعدى إلى ما نهانا . واعلم  
يا محمد أنك وإن كنت محتاجاً إلى نصيبك من الدنيا إلا أنك إلى نصيبك من الآخرة  
أحوج ، فإن عرض لك أمران : أحدهما للآخرة والآخر للدنيا ، فابدأ بأمر الآخرة ،  
ولتظم رغبتك في الخير ، ولتحسن فيه نيتك ، فإن الله عز وجل يعطي العبد على قدر نيته ؛  
وإذا أحب الخير وأهله ولم يعمل به كان إن شاء الله كمن عمله ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قل حين رجع من تبوك : إن بالمدينة لأقواماً ماسرئهم من مسير ، ولا هبطهم من واد إلا

(١) ب : فيه ، وما أنته من ا ، ج .



كانوا معكم؛ ما حبسهم إلا الرض - يقول : كانت لهم نية - ثم اعلم يا محمد أني قد وليتك أعظم أجنادي أهل مصر ، ووليتك ما وليتك من أمر الناس ، فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك ، وتحذر فيه على دينك ؛ ولو كان ساعة من نهار . فإن استطعت ألا تسخط ربك لرضا أحد من خلقه فافعل ، فإن في الله خلقاً من غيره ، وليس في شيء خلف منه ، فاشتد على الظالم ، وإن لأهل الخير ، وقربهم إليك ، واجعلهم بطانتك وإخوانك . والسلام .

قال إبراهيم : حدثني يحيى بن صالح ، عن مالك بن خالد ، عن الحسن بن إبراهيم ، عن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، قال : كتب علي إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر : أما بعد ، فإني أوصيكم بتقوى الله والعمل بما أنتم عنه مسؤولون ، فأنتم به رهن ، وإليه صائرون ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ 》 <sup>(١)</sup> . وقال : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ 》 <sup>(٢)</sup> . وقال : ﴿ فَوَرَبُّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ • عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ 》 <sup>(٣)</sup> .

مرکز تحقیقات کلامی و فقهی

فاعلموا عباد الله أن الله سائلكم عن الصغير من أحوالكم والكبير ؛ فإن بعدد فتن الظالمون ، وإن يفر ويرحم فهو أرحم الراحمين . واعلموا أن أقرب ما يكون المبد إلى الرحمة والمغفرة حينما يعمل بطاعة الله ومناصحته في التوبة ، فعليكم بتقوى الله عز وجل ؛ فإنها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها ، ويذكر به من الخير ما لا يدرك بنيرها خير الدنيا وخير الآخرة ؛ يقول الله سبحانه : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ 》 <sup>(٤)</sup> .

واعلموا عباد الله أن المؤمنين المتقين قد ذهبوا بما جمل الخير وآجله ، شربوا أهل الدنيا في دنياهم

(١) سورة المدثر ٢٨ .

(٢) سورة آل عمران ٢٨ .

(٣) سورة الحجر ٩٢ ، ٩٣ .

(٤) سورة النحل ٣٠ .



ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم ؛ يقول الله عز وجل : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) ؛ سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت ، وأكلوها بأفضل ما أكلت ، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم ، فأكلوا من أفضل ما يأكلون ، وشربوا من أفضل ما يشربون ، ويلبسون من أفضل ما يلبسون ، ويسكنون من أفضل ما يسكنون ، أصابوا لذة أهل الدنيا مع أهل الدنيا مع أنهم غداً من جيران الله عز وجل ، يتمنون عليه ، لا يرد لهم دعوة ، ولا ينقص لهم لذة . أمانى هذا ما يشفق إليه مَنْ كان له عقل !

واعلموا - عباد الله - أنكم إذا اتقيتم ربكم ، وحفظتم نبيكم في أهل بيته ، فقد عبدتموه بأفضل ما عبد ، وذكركم بموه بأفضل ما ذكر ، وشكركم بموه بأفضل ما شكر ، وأخذتم بأفضل الصبر ، وجاهدتم بأفضل الجهاد ؛ وإن كان غيركم أطول صلاة منكم ، وأكثر صياماً ، إذا كنتم أتق الله وأصح لأوليائه الله من آل محمد صلى الله عليه وآله وأخضع واحذروا عباد الله الموت ونزوله ، وخذولاه ، فإنه يدخل بأمر عظيم ؛ خير لا يكون معه شر أبداً ، أو شر لا يكون معه خير أبداً . وليس أحد من الناس يفارق روحه جسده ، حتى يعلم إلى أى المنزلتين يصير ؛ إلى الجنة أم إلى النار ! أعدوه هو الله أم ولي له ! فإن كان ولياً فتحت له أبواب الجنة ، وشرع له طريقها ، ونظر إلى ما أعد الله عز وجل لأوليائه فيها ؛ فرغ من كل شغل ، ووضع عنه كل ثقل ؛ وإن كان عدواً فتحت له أبواب النار ، وسهل له طريقها ، ونظر إلى ما أعد الله فيها لأهلها . واستقبل كل مكروه ، وفارق كل سرور ، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْفَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فليئس المشككين (٢) .

واعلموا عباد الله أن الموت ليس منه قوت ، فاحذروه وأعدوا له عدته ، فإنكم

(١) سورة الأعراف ٣٢ .

(٢) سورة النحل ٢٨ ، ٢٩ .



طرداء الموت ؛ إن قتم أخذكم ، وإن هربتم أدرككم ؛ وهو ألزم لكم من ظلمكم ، معقود بنواصيكم ، والدنيا تعلو من خلفكم ؛ فأكثرُوا ذكرَ الموتِ عند ما تنازِعكم إليه أنفسكم من الشهوات ، فإنه كفى بالموت واعظا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثرُوا ذكرَ الموت فإنه هادم اللذات <sup>(١)</sup> » .

واعلموا عبادَ الله أن ما بعد الموت أشد من الموت ؛ لمن لم يفر الله له ويرحمه . واحذروا القبرَ وضيمته وضيقه وظلمته ؛ فإنه الذي يتكلم كل يوم : أنا بيت التراب ، وأنا بيت الغربة ، وأنا بيت الدود . والقبر روضة من رياض الجنة . أو حفرة من حفر النار . إن المسلم إذا مات قالت له الأرض مرحبا وأهلا ؛ قد كنت بمن أحب أن تمشي على ظهري ، فإذا وليتك فستعلم كيف صنعى بك ! فيدفع له مد بصره . وإذا دُفِن الكافر قالت له الأرض : لا مرحبا ولا أهلا ؛ قد كنت بمن أبغض أن تمشي على ظهري ، فإذا وليتك فستعلم كيف صنعى بك ! فتتخضم عليه حتى تلتقي أضلاعه .

واعلموا أن المعيشة الضنك التي قال سبحانه : ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) <sup>(٢)</sup> هي عذابُ القبر ، فإنه يسلط على الكافر في قبره حياتٍ عظام تنهش لحمه حتى يبعث ، لو أن تفتينا منها تفخ الأرض ما أنبت الزرع أبدا .

اعلموا عبادَ الله أن أنفسكم وأجسادكم الرقيقة الناعمة التي يكفيها اليسير من المقاب ضعيفة عن هذا ، فإن استطعتم أن ترحموا أنفسكم وأجسادكم بما لا طاقة لكم به ، ولا صبرَ لكم عليه ؛ فتعملوا بما أحب الله سبحانه وتتركوا ما كره ؛ فافعلوا ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله !

واعلموا - عباد الله - أن ما بعد القبر أشد من القبر ؛ يوم يشيب فيه الصغير ، ويسكر فيه

(١) هادم : فاطم ، وبقية الحديث : « فإنه لا يكون في كثير إلا قلله ، ولا في قليل إلا أجزله » ، نقله في الجامع الصغير ١ : ٩٠ .  
(٢) سورة طه ١٢٤ .



الكبير ؛ وتذهل كل مرضعة عما أرضعت . واحذروا يوماً عبوساً قهرياً ، كان شره مستطيراً . أما إن شر ذلك اليوم وفزعه استطار حتى فزعت منه الملائكة الذين ليست لهم ذنوب ، والسبع الشداد ، والجبال الأوتاد ، والأرضون المهاد ، وانشت السماء فهي يومئذ واهية ، وتغيرت فكانت ورْدَةً كالدهان ، وكانت الجبال سرايا ، بعد ما كانت صُماً صلاباً ؛ يقول الله سبحانه : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَقَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ <sup>(١)</sup> . فكيف بمن يعصيه بالسمع والبصر ، واللسان واليد ، والفرج والبطن ؛ إن لم يغفر الله ويرحم !

واعلموا - عباد الله - أن ما بعد ذلك اليوم أشد وأذهى ؛ نارٌ قهرها بعيد ، وحرها شديد ، وعذابها جديد ، ومقاميها حديد ، وشرابها صديد ، لا يفتقر عذابها ، ولا يموت ساكنها ؛ دارٌ ليست لله سبحانه فيها رحمة ، ولا يُستع فيها دعوة ؛ ومع هذا رحمة الله التي وسعت كل شيء ، لا تعجز عن العباد ، وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ، خير لا يكون بعده شر أبداً ، وشهوة لا تنفد أبداً ، ولذة لا تنفد أبداً ، وجمع لا ينفرق أبداً . قوم قد جاوروا الرحمن ، وقام بين أيديهم الغلمان ، بصحافٍ من ذهب فيها الفاكية والريحان . وإن أهل الجنة يزورون الجبار سبحانه في كل جمعة ، فيكون أقربهم منه على منابر من نور ، والذين يلونهم على منابر من ياقوت ؛ والذين يلونهم على منابر من مسك ، فيبشرون بذلك ينظرون الله جل جلاله ، وينظر الله في وجوههم ؛ إذا قبلت سحابة تفشاهم فتعطر عليهم من النعمة واللذة والسرور والبهجة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه ومع هذا ما هو أفضل منه ، رضوان الله الأكبر .

أما إننا لو لم نخوف إلا ببعض ما خوفنا به لكنا محقوقين أن يشتد خوفنا بما لا طاقة



لنا به ، ولا صبرَ لقوتنا عليه ؛ وأن يشتدَّ شوقنا إلى ما لا غنى لنا عنه ولا بدَّ لنا منه ؛ فإن استطعتم عباد الله أن يشتدَّ خوفُكم من ربِّكم فافعلوا ؛ فإنَّ العبدَ إنما تكون طاعته على قدرِ خوفه ؛ وإنَّ أحسنَ الناس لله طاعة ، أشدُّهم له خوفاً .

وانظر يا محمد صلاتك كيف تصلِّيها ؛ فإنما أنت إمامٌ ينبغي لك أن تتبناها وأن تخففها وأن تصلِّيها لوقتها ، فإنه ليس من إمامٍ يصلي بقوم فيكون في صلاته وصلاتهم نقص إلا كان إنهم ذلك عليه ، ولا ينقص من صلاتهم شيئاً .

واعلم أن كلَّ شيء من عملك يتبع صلاتك ، فمن ضيغ الصلاة فهو لغيرها أشدُّ تضيقاً . ووضوءك من تمام الصلاة ، فأت به على وجهه ؛ فالوضوء نصف الإيمان . أسأل الله الذي يرى ولا يرى وهو بالنظر الأعلى ، أن يجعلنا وإياك من المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

فإن استطعتم يا أهل مصر ، أن تصدق أقوالكم أفعالكم ، وأن يتوافق سيرُكم وعلايتكم ، ولا تخالف ألسنتكم قلوبكم فافعلوا . عصمنا الله وإياكم بالهدى ، وسلك بنا وبكم الحجة الوسطى . وإياكم ودعوة الكذاب ابن هند . وتأملوا واعلموا أنه لا سوى إمام الهدى وإمام الردى ، ووصى النبي وعدو النبي ؛ جعلنا الله وإياكم بمن يحب ويرضى . ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إني لا أخاف على أمتي مؤمنين ولا مشركين ؛ أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه ، وأما المشرك فيخزيه الله بشره » ؛ ولكني أخاف عليهم كلَّ منافق اللسان ؛ يقول ما يرفون ، ويفعل ما تنكرون . »

واعلم يا محمد أن أفضلَ الفقه الورع في دين الله ، والعمل بطاعته ، فعليك بالتقوى في سيرِ أمرِك وعلايتك ، أوصيك بسمعٍ هن جوامع الإسلام : اخش الله ولا تخش الناس في الله ؛ وخيرُ القول ما صدقه العمل ؛ ولا تقض في أمر واحد بقضاءين مختلفين فيتناقض



أمرُك وتزيغَ عن الحق . وأحبَّ لعامة رعيَّتِكَ ما تحبُّه لنفسك ، وأكرهَ لهم ما تكرهَ لنفسك . وأصلحَ أحوال رعيَّتِكَ ، وخض الفتراتِ إلى الحق ، ولا تخفَ لَوَمَةَ لأنَّهم . وانصح لمن استشارَكَ ، واجعل نفسك أسوة لقريب المسلمين وبعيدهم . جعل الله خلقتنا وودنا خلةً للمتقين وود الخالصين ، وجمع بيننا وبينكم في دار الرضوان إخوانا على سرر متقابلين . إن شاء الله .

قال إبراهيم بن سعد الثقفي : لحدثني عبد الله بن محمد بن عثمان ، عن علي بن محمد بن أبي سيف ، عن أصحابه ، أن علياً لما كتب إلى محمد بن أبي بكر هذا الكتاب ، كان ينظر فيه ويتأدب بأدبه ، فلما ظهر عليه عمرو بن العاص وقتله ، أخذ كتبه أجمع ، فبعث بها إلى معاوية ، فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويتعجب منه ، فقال الوليد بن عتبة ، وهو عند معاوية ، وقد رأى إعجابه به : مرُّ بهذه الأحاديث أن تحرق ، فقال معاوية : مه ؛ لا رأي لك ! فقال الوليد : أفمن الرأي أن يعلم الناس أن أحاديث أبي تراب عندك تتعلم<sup>(١)</sup> منها قال معاوية : ويحك ! أنا أمرني أن أحرق علياً مثل هذا والله ما سمعت بعلم هو أجمع منه ولا أحكم . فقال الوليد : إن كنتَ تعجب من علمه وقضائه فعلام تقائله ! فقال : لولا أن أبا تراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه . ثم سكت هنيئاً ، ثم نظر إلى جلسائه فقال : إنا لا نقول : إن هذه من كتب علي بن أبي طالب ؛ ولكن نقول : هذه من كتب أبي بكر الصديق كانت عند ابنه محمد ، فمنعنا تنظر فيها ، وتأخذ منها .

قال : فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني أمية ؛ حتى وليَ عمر بن عبد العزيز ، فهو الذي أظهر أنها من أحاديث علي بن أبي طالب عليه السلام .

\*\*\*

قلت : الأليق أن يكون الكتاب الذي كان معاوية ينظر فيه ويعجب منه ،

(١) ج : « تعلم » .

(٢) ج : « نول » .



ويقتى به ويقضى بقضايه وأحكامه هو عهد علي عليه السلام إلى الأشر، فإنه نسيج وحده،  
ومنه تعلم الناس الآداب والقضايا والأحكام والسياسة ؛ وهذا العهد صار إلى معاوية لما سمَّ  
الأشتر ومات قبل وصوله إلى مصر ؛ فكان ينظر فيه ويمجّب منه ، وحقيق من مثله أن يقتنى  
في خزائن الملوك .

قال إبراهيم : فلما بلغ علياً عليه السلام أن ذلك الكتاب صار إلى معاوية ، اشتدَّ  
عليه حزناً .

وحدثني بكر بن بكار ، عن قيس بن الربيع ، عن ميسرة بن حبيب ، عن عمرو بن  
هريرة ، عن عبد الله بن سلمة ، قال : صلى بنا علي عليه السلام ، فلما انصرف قال :  
لَقَدْ عَثَرْتُ عَثْرَةً لَا أَعْتَدُ سَوْفَ أَكْبِسُ بَعْدَهَا وَأَسْتَعِيرُ<sup>(١)</sup>  
• وأجمعُ الأمرُ الشَّيْئَتِ الْمُنْتَشِرِ<sup>(٢)</sup> •

فقلنا : ما بالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إني استعملتُ محمد بن أبي بكر على مصر ؛  
فكعب إلى أنه لا علم لي بالسنة ، فكُتِبَ إليّ كتاباً فيه أدب وسنة ، فقتل وأخذ الكتاب .  
قال إبراهيم : فحدثني عبد الله محمد ؛ عن ابن أبي سيف المدائني ، قال : فلم يلبث محمد  
ابن أبي بكر شهراً كاملاً حتى بعث إلى أولئك المعتزلين الذين كان قيس بن سعد موادعاً  
لهم ، فقال : يا هؤلاء ، إما أن تدخلوا في طاعتنا ، وإما أن تخرجوا من بلادنا . فبعثوا إليه :  
إنا لا نفعل ، فدعنا حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمرُ الناس ، فلا تعجل علينا . فأبى عليهم ،  
فانتقموا منه وأخذوا حذرهم . ثم كانت وقعة صفين ؛ ومحمد هائبون ؛ فلما أتاهم خبرُ  
معاوية وأهل الشام ، ثم صار الأمر إلى الحكومة ، وأن علياً وأهل العراق قد قتلوا من  
معاوية والشام إلى عراقهم ، اجترأوا على محمد بن أبي بكر ، وأظهروا المناذبة له . فلما رأى  
محمد ذلك بعث إليهم ابن جهمان البلوي ومعه يزيد بن الحارث الكفائي فقاتلهم ،

(١) كاس يكبس وأكبس ، من الكيس ؛ وهو ضد الحق . واستمر ، أي اتوى واشتد .

(٢) المنتشر : الغرق .



قتلوهما . ثم بعث إليهم رجلا من كُتُب قتلوه أيضا . وخرج معاوية بن حُذَيج من الكُتُب  
يدعو إلى الطلب بدم عُمَان ، فأجابه القوم وناس كثير آخرون ، وفُتدَت مصر على محمد  
ابن أبي بكر ؛ فبلغ عليا توثبهم عليه ، فقال ما أرى لمصر إلا أحد الرجلين : صاحبنا الذي  
عزلنا بالأمس - يعني قيس بن سعد بن عبادَة - أو مالك بن الحارث الأشتر . وكان عليّ  
حين رجع عن صفين ، ردَّ الأشتر إلى عمِّه بالجزيرة ، وقال لقيس بن سعد : أقم أنت معي  
على شرطتي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة ، ثم اخرج إلى أذر بيجان ، فكان قيس  
مقيا على شرطته ، فلما انقضى أمر الحكومة كتب عليّ إلى الأشتر ، وهو يومئذ بنصيبين :  
أما بعد ، فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين ، وأقمُ به تحوُّة الأئمة ، وأشدُّ به الشُّعْر  
المخوف . وقد كنت وليتُ محمد بن أبي بكر مصرَ ، نفرجتُ عليه خوارجُ ، وهو وغلَام  
حدَث السن ، ليس بذِي تجربةٍ للحروب ، فأقدم <sup>(١)</sup> عليّ لنظر فيما ينبغي . واستخلف عليّ  
عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك . والسلام .

فأقبل الأشتر إلى عليّ ، واستخلف عليّ عمه شبيب بن عامر الأزدي - وهو جدُّ  
الكِرْمَانِي الذي كان بمُحْرَّاسان صاحب نصر بن سيار - فلما دخل الأشتر على عليّ حدَّته  
حديث مصر وخبره خبر أهلها ، وقال له : ليس لها غيرك ، فأخرج إليها رَحِمَك الله ، فإني  
لا أوصيك اكْتفاء برأيك ؛ واستعين بالله على ما أمرك ، واخْلِط الشدة باللين ، وارفُق  
ما كان الرِّفق أبلغَ ، واعتزم على الشدة حين لا بُدَّ منكَ إلا الشدة .

نفرج الأشترُ من عنده ، فإني برحله وأنت معاوية عيونه فأخبروه بولاية الأشتر مصر ،  
ففعلَ ذلك عليه ، وقد كان طمع في مصر ، فلم أنْ الأشتر إن قدم عليها كان أشدَّ عليه  
من محمد بن أبي بكر ، فبعث إلى رجل من أهل الخراج يثق به ، وقال له إن الأشترَ  
قد وليَ مصر ، فإن كفيئته لم آخذْ منك خراجا ما بقيتُ وحيث ؛ فاحتل في هلاكه  
ما قدرت عليه .

(١) يقال : قدم الرجل اليك يقدمه ، من باب تَب



فخرج الأشتر حتى انتهى إلى القلزم<sup>(١)</sup> حيث تركب السفن من مصر إلى الحجاز ، فأقام به ، فقال له ذلك الرجل ، وكان ذلك المكان مكانه : أيها الأمير ؛ هذا منزل فيه طعام وعلف ، وأنا رجل من أهل الخراج ، فأقم واستريح ، وأتاه بالطعام حتى إذ طعم سقاه شرابة عسل ؛ قد جعل فيها سماً ، فلما شربهم مات .

قال إبراهيم : وقد كان أمير المؤمنين كتب على يد الأشتر كتاباً إلى أهل مصر ؛ روى ذلك الشعبي عن صقصة بن صوحان :

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من بمصر من المسلمين :

سلام الله عليكم ، فاتى أحمد الله إليكم ، الذى لا إله إلا هو ؛ أما بعد فاتى قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله ، لا ينال أيام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء جذار الدوائر . لا ناكل من قدم ، ولا واء في عزم ، من أشد عباد الله بأساً ، وأكرمهم حسباً ، أضرت على الفجار من حريق النار ، وأبعد الناس من دنس أو عار ، وهو مالك بن الحارث الأشتر ، حسام صارم ، لا نائي الضريبة ، ولا كليل الحد ، حلیم في السلم ، رزين في الحرب ، ذورأى أصيل ، وصبر جميل . فاسمعوا له وأطيعوا أمره ، فإن أمركم بالنفر فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا فاقموا ، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمرى . وقد آثرتكم به على نفسى نصيحة لكم ، وشدة شكية<sup>(٢)</sup> على عدوكم . عصمكم الله بالهدى ، وثبتكم بالتقوى ، ووفقنا وإياكم لما يحب ويرضى . والسلام عليكم ورحمة الله .

قال إبراهيم : وروى جابر عن الشعبي قال : هلك الأشتر حين أتى عقبة أرفيق<sup>(٣)</sup> .

قال إبراهيم : وحدثنا وطبة بن العلاء بن الممهال الفنوي ، عن أبيه ، عن عاصم

(١) القلزم : مدينة بمصر على رأس الخليج المضاف إليها ، وأصلها الآن قرب مدينة السويس .

(٢) الشكية : الأفة والانتصار من الظلم .

(٣) أرفيق ، بالفتح ثم الكسر : قرية من حوران .



ابن كليب ، عن أبيه ، أن علياً لما بعث الأشتر إلى مصر والياً عليها ، وبلغ معاوية خبره ،  
بمشرسوا لا يتبع الأشتر إلى مصر ، وأمره باغتياله ؛ فحمل معه ميزتين فيهما شراب ، وصحب  
الأشتر ، فاستسقى الأشتر يوماً فسقاه من أحدهما ، ثم استسقى يوماً آخر منه فسقاه من  
الآخر وفيه سم فشربه ، فمالت عنقه . وطلب الرجل قفاهم .

قال إبراهيم : وحدثنا محرز بن هشام ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن مغيرة الضبي ؛ أن  
معاوية دس للأشتر مولى آل عمر ، فلم يزل المولى يذكر للأشتر فضل علي وبنى هاشم ؛  
حتى اطمأن إليه ، واستأنس به ، فقدم الأشتر يوماً ثقله<sup>(١)</sup> أو تقدم ثقله ، فاستسقى ماء ،  
فقال له مولى آل عمر<sup>(٢)</sup> : وهل لك في شربة سويق ؟ فسقاه شربة سويق فيها سم فمات .  
وقد كان معاوية قال لأهل الشام لما دس إليه مولى آل عمر : ادعوا علي الأشتر ، فدعوا  
عليه ؛ فلما بلغه موته قال : ألا ترون كيف استعجب لكم !

قال إبراهيم : قد روي من بعض الوجوه أن الأشتر قُتل بمصر بعد قتال شديد .  
والصحيح أنه سُمي سماً فمات قبل أن يبلغ مصر .

قال إبراهيم : وحدثنا محمد بن عبد الله بن عثمان ، عن علي بن محمد بن أبي سيف  
الدائقي ، أن معاوية أقبل يقول لأهل الشام : أيتها الناس ، إن علياً قد وجه الأشتر إلى  
مصر ، فادعوا الله أن يكفكموه ؛ فكانوا يدعون عليه في دُبُر كل صلاة ،  
وأقبل الذي سقاه السم إلى معاوية ، فأخبره بهلاك الأشتر ، فقام معاوية في الناس  
خطيباً ، فقال :

أما بعد ، فإنه كان لعلي بن أبي طالب يدان يمينان ، قُطِعت إحداهما يوم صفين وهو  
عمار بن ياسر ، وقد قُطِعت الأخرى اليوم ؛ وهو مالك الأشتر .

(١) الثقل : زاد اللسان .

(٢) ب : مولى عمر .



قال إبراهيم : فلما بلغ علياً موت الأشر ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! والحمد لله رب العالمين ! اللهم إني أحسبه عندك ؛ فإن موته من مصائب الدهر . ثم قال : رحم الله مالكا ؛ فلقد وقى بمهده ؛ وقضى نحبّه ، ولقي ربه ؛ مع أنا قد وطننا أنفسنا أن نصير على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها من أعظم المصيبات .

قال إبراهيم : وحدثنا محمد بن هشام المرادي ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن مغيرة الضبي ، قال : لم يزل أمر علي شديداً حتى مات الأشر ، وكان الأشر بالكوفة أسوداً من الأحنف بالبصرة .

قال إبراهيم : وحدثنا محمد بن عبدالله ، عن ابن أبي سيف المدائني ، عن جماعة من أشياخ النخع ، قالوا : دخلنا على أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشر ، فوجدناه يتلّهُم ويتأسف عليه ، ثم قال : لله درّ مالك ! وما مالك ! لو كان من جبل لكان قنّداً<sup>(١)</sup> ، ولو كان من حجر لكان صلدّاً ، أما والله ليهدرن موتك عالماً ، ويفرحن عالماً ، على مثل مالك فلتبك البواكي ! وهل مرجو كمالك ! وهل موجود كمالك !

قال علقمة بن قيس النخعي : فما زال علي يتلّهُم ويتأسف ؛ حتى ظننا أنه المصاب به دوننا ، وعرف ذلك في وجهه أياماً .

قال إبراهيم : وحدثنا محمد بن عبدالله ، عن المدائني ، قال : حدثنا مولى للأشر ، قال : لما هلك الأشر أصيب<sup>(٢)</sup> في ثقله رسالة علي إلى أهل مصر :

من عبدالله أمير المؤمنين إلى النفر من المسلمين الذين غضبوا الله إذ عصوا في الأرض ، وضرب الجوز برواقه على البر والفاجر ، فلا حق يستراح إليه ، ولا منكر يتناهى عنه . سلام عليكم ؛ فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو .

(١) القند : الجبل العظيم .

(٢) أصيب : أي وجد .



أما بعد، فقد وجهت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام في الخوف، ولا يفتك من الأعداء حذار الدوائر، أشد على الكافرين من حريق النار، وهو مالك بن الحارث الأشتر أخو مدحج، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه سيف من سيوف الله، لا نأبى الضريبة<sup>(١)</sup>، ولا كليل الحدة؛ فإن أمركم أن تقيموا فاقموا، وإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تحجموا فاحجموا؛ فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمرى، وقد آثرتكم به على نفسي، لنصيحتي وشدة شكمته على عدوه، عصمكم الله بالحق، وثبتكم بالتقوى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال إبراهيم: وحدثنا محمد بن عبد الله، عن المدائني، عن رجالة، أن محمد بن أبي بكر لما بلغه أن عاليا قد وجه الأشتر إلى مصر، شق عليه، فكتب عليه السلام إليه عند مهلك الأشتر:

أما بعد، فقد بلغتني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عمالك، ولم أفضل ذلك استبطاء لك عن الجهاد، ولا استزادة<sup>(٢)</sup> لك مني في الحدة، ولو نزع ما حوت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر مؤنة عليك، وأحب ولاية إليك؛ إلا أن الرجل الذي وليته مصر، كان رجلاً لنا مناصحاً؛ وهو على عدونا شديد، فرحمة الله عليه، فقد استكمل أيامه، ولا في حكامه؛ ونحن عنه راضون؛ فرضى الله عنه، وضاعف له الثواب، وأحسن له المآب. فأصحر<sup>(٣)</sup> لمدوك وشتر للحرب، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة؛ وأكثرك الله والاستعانة به، والخوف منه، يكفك ما همك، ويمنك على ما ولاك. أماننا الله وإياك على ما لا ينال إلا برحمته؛ والسلام.

قال: فكتب محمد بن أبي بكر إليه جوابه:

(١) الضريبة: السيف وحده.

(٢) ج: استزادة، بالراء، أى رغبة.

(٣) أصحر لمدوك؛ أى أبرزه في المراء.



إلى عبد الله أمير المؤمنين من محمد بن أبي بكر :

سلام عليك فإنني أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد فقد انتهى إلى كتاب أمير المؤمنين وفهمته ؛ وعرفت ما فيه ، وليس أحد من الناس أشدّ على عدو أمير المؤمنين ، ولا أرفق لوائيه مني . وقد خرجت فمسكرت ، وأمنت الناس ؛ إلا من نصب لنا حرباً ، وأظهر لنا خلافاً ، وأنا أتبع أمر أمير المؤمنين ، وحافظ ولاجبي إليه وقائم به ، والله المستعان على كل حال ، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

قال إبراهيم : حدث محمد بن عبد الله بن عثمان ، عن ابن سيف المدائني ، عن أبي جهضم الأزدي أن أهل الشام لما انصرفوا عن صفين ، كانوا ينتظرون ما يأتي به الحكماء ، فلما انصرفوا وتفرقوا ، وبايع أهل الشام معاوية بالخلافة لم يزد معاوية إلا قوة ؛ واختلف أهل العراق على علي بن أبي طالب فلم يكن هم معاوية إلا مصر ؛ وقد كان لأهلها هائباً لقبهم منه ، وشدتهم على من كان على رأي عثمان ، وقد كان علم أن بها قوماً قد ساء لهم قتل عثمان ، وخالفوا علياً ؛ مع أنه كان يرجو أن يكون له فيها معاونة إذا ظهر عليها على حرب علي ، لو فور خراجها ، فدعا علي من كان معه من قريش ؛ وهم عمرو بن العاص السهمي ، وخبيب ابن مسلمة الفهري وبشر بن أبي أرطاة العامري ، والضحاك بن قيس النهري ، وعبد الرحمن ابن خالد بن الوليد الخزومي . ودعا من غير قريش نحو شريح بن السهمي الحميري ، وأبي الأعور الشامي ؛ وحزرة بن مالك الهمداني ، فقال : أتندرون لماذا دعوتكم ؟ قالوا : لا ، قال : فإنني دعوتكم لأمر هو لي مهم ؛ وأرجو أن يكون الله عز وجل قد أعان عليه ، فقال له القوم : — أو من قال له منهم — : إن الله لم يطلع على غيبه أحداً ، ولنا ندرى ما تريد فقال عمرو بن العاص : أرى والله أن أمر هذه البلاد المصرية لكثرة خراجها وعدد أهلها قد أهلك<sup>(١)</sup> ،



مدعوتنا نسالنا عن رأينا في ذلك، فإن كنت قد دعوتنا، وله جمعنا، فاعزم واصرم، ونعم  
الرأي مارأيت؛ إن في افتتاحها عزك وعز أصحابك، وقلّ عدوك، وكبّت أهل الخلاف عليك.

— قال معاوية : أهلك ما أهلك ابن العاص ! وذلك أن عمرأ كان بايع معاوية على قتال  
حلي، وأن مصر له طمة مابق. فأقبل معاوية على أصحابه، وقال : إن هذا — يعني ابن العاص —  
قد ظنّ وحقق ظنه، قالوا : ولسكننا لا ندرى، ولعلّ أبا عبد الله قد أصاب ؛ فقال عمرو :  
وأنا أبو عبد الله، إن أفضل الظنون ما شابه اليقين.

ثم إن معاوية حمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

أما بعد ؛ فقد رأيتم كيف صنع الله لكم في حربكم هذه على عدوكم ! ولقد جاءكم  
وم لا يشكّون أنهم يستأصلون بيضتكم ويجوزون بلادكم، ما كانوا يرون إلا أنكم في  
أيديهم، فردّم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله للؤمنين القتال، وكفاكم مؤنتهم.  
وحاكنهم إلى الله فحكم لكم عليهم. ثم جمع كلمتنا، وأصلح ذات بيننا، وجعلهم  
أعداء متفرقين ؛ يشهد بعضهم على بعض بالسفر، ويسفك بعضهم دم بعض؛ والله إنني  
لأرجو أن يتم الله لنا هذا الأمر ؛ وقد رأيت أن أحاول حرب مصر، فإذا ترون ؟

فقال عمرو بن العاص : قد أخبرتكم عما سألت، وأشرت عليك بما سمعت.

فقال معاوية : ماترون ؟ فقالوا : نرى مارأي عمرو بن العاص. فقال معاوية : إن  
عمرأ قد عزم واصرم بما قال، ولم يفسر كيف ينبغي أن نصنع !

قال عمرو : فلاني مبشر عليك بما نصنع، أرى أن تبعث جيشاً كثيفاً، عليهم رجل  
صارم، تأمنه وتثق به ؛ فيأتي مصر فيدخلها فإنه سيأتينا من كان على مثل رأينا من  
أهلها، فنظاهرة على من كان من عدونا، فإن اجتمع بها جندك ومن كان بها من  
شيعتك على من بها من أهل حربك، رجوت الله أن يمز نصرك، ويظهر قوّتك.



قال معاوية : هل عندك شيء غير هذا نعمله فيما بيننا وبينهم قبل هذا ؟

قال : ما أعلمه .

قال معاوية : فإن رأيت غير هذا ؛ أرى أن نكتب من كان بها من شيعتنا ، ومن كان بها من عدونا : فأما شيعتنا فنأمرهم بالثبات على أمرهم ونمنّ عليهم قدومنا عليهم ؛ وأما من كان بها من عدونا فنُدعِهم إلى صلحنا ، ونمنّ عليهم شكرنا ، ونخوفهم حربنا ، فإن صلح لنا ما قبلهم من غير حرب ولا قتال ، فذلك ما أحببنا ، وإلا لحربهم من وراء ذلك . إنك يا ابن الناص لا مرؤ<sup>(١)</sup> بورك لك في العجلة ، وبورك لي في التؤدة .

قال عمرو : فاعمل بما أراك الله ، فوالله ما أرى أمرك وأمرهم بصير إلا إلى الحرب .

قال : فكتب معاوية عند ذلك إلى مسلمة بن خالد الأنصاري ، وإلى معاوية بن خديج

الكندي ، وكانا قد خالفا عليا :

أما بعد ؛ فإن الله عز وجل قد اجتمع لك الأمر عظيم ؛ أعظم به أجركا ورفع درجتك ومرتبتك في المسلمين . طلبنا بدم الخليفة المظلوم ، وغضبنا لله ، إذ ترك حكم الكتاب ، وجاهدنا أهل الظلم والعدوان ، فأشرا برضوان الله ، وعاجلا نصرة أولياء الله ؛ والمواساة لكما في دار الدنيا وسلطاننا ؛ حتى ينتهي ذلك إلى ما يرضيكما ، ويؤدّي<sup>(٢)</sup> به حقكما . فالزما أمركا ، وجاهدنا عدوكا ، وادعوا المدبرين منكما إلى هداك ؛ فكأن الجيش قد أخل عليك ، فاندفع كل متكرهان ، ودام كل متهويان ؛ والسلام عليكما ورحمة الله .

وبعث بالكتاب مع مولى له يقال له سبيع ، فخرج بكتابه حتى قدم به عليهما بمصر ،

(١) ساقطة من أ ، ب .

(٢) أ ، ج ؛ « ويؤد » .



ومحمد بن أبي بكر يومئذ أميرها قد ناصبه هؤلاء النفر الحرب ؛ وهم هائبون الإقدام عليه ؛ فدفعت الكتاب إلى مسلمة بن مخلد ، فقرأه فقال : الق به معاوية بن حديج ، ثم القني به حتى أجيب عني وعنه . فانطلق الرسول بكتاب معاوية فقرأه إياه ، ثم قال له إن مسلمة قد أمرني أن أرد الكتاب إليه لكي يجيب عنك وعنه . قال : قل له فليفعل ؛ فأني مسلمة بالكتاب . فكتب الجواب عنه وعن معاوية بن حديج : أما بعد ، فإن هذا الأمر الذي قد ندبنا له أنفسنا ، وابتغينا الله به على عدونا ، أمر نرجو به ثواب ربنا ، والنصر على من خالفنا ، وتعجيل النعمة على من سعى على إمامنا ، وطأطأ الركب في مهادنا ، ونحن بهذه الأرض قد نفينا من كان بها من أهل البنى ، وأنهضنا من كان بها من أهل القسط والعدل وقد ذكرت موازرتك في سلطانك وذات يدك ؛ والله إنه لا من أجل مال نهضنا ، ولا إياه أردنا ، فإن يجمع الله لنا ما نريد ونطلب أو يرينا ما نتمنى ، فإن الدنيا والآخرة لله رب العالمين ، وقد يشوبهما الله جميعاً عالماً من خلقه ، كما قال في كتابه : ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .<sup>(١)</sup> عجل لنا بحيلك ورجلك ؛ فإن عدونا قد كان علينا جريئاً<sup>(٢)</sup> ، وكنا فيهم قليلاً ، وقد أصبحوا لنا هائبين ، وأصبحنا لهم منابذين ، فإن بأننا مدد من قبلك يفتح الله عليك ؛ ولا قوة إلا بالله ؛ وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قال : فجاء هذا الكتاب معاوية وهو يومئذ بفلسطين ، فدعا النفر الذين سمعناهم من قريش وغيرهم ، وأقرأهم الكتاب ، وقال لهم : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى أن تبعث إليهم جيشاً من قبلك فأت مفتتحها إن شاء الله ، بإذن الله .

قال معاوية : فتجهز إليها يا أبا عبد الله - يعني عمرو بن العاص - فبعثه في ستة آلاف

(١) سورة آل عمران ١٤٨ .

(٢) كذا في ج ، و ، ا ، ب : « حريماً » .



فخرج يسير ، وخرج معه معاوية بوذعه ، فقال له معاوية عند ودّاعه إياه : أوصيك بتقوى الله يا عمرو ، وبالرفق فإنه يُخَنِّ ، وبالتؤدة فإنّ المعجزة من الشيطان ، وبأن تقبل من أقبل ، ونفوّ عن أدبر ، أنظره فإنّ تاب وأناب قبلت منه ، وإن أبي فإنّ السطوة بعد المعرفة أبلغ في الحجة ، وأحسن في العاقبة . وادع الناس إلى الصلح والجماعة ، فإنّ أنت ظفرت فليكن أنصارك أبرد الناس عندك ، وكلّ الناس فأول حُسنًا .

قال : فسار عمرو في الجيش حتى دنا من مصر ، فاجتمعت إليه العماتية ، فأقام وكتب إلى محمد بن أبي بكر :

أما بعد ، فتتخ عن يدمك يا بن أبي بكر ، فإنّي لا أحب أن يصيبك ممّي ظفر ، وإنّ الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك ، وتدموا على اتباعك ، وهم مملوك لو قد التفت حلقنا البطان ، فأخرج منها فإنّي لك من الناصحين . والسلام .

قال : وبعث عمرو إلى محمد مع هذا الكتاب كتاب معاوية إليه ؛ وهو :

أما بعد ؛ فإنّ غب<sup>(١)</sup> الظلم والبنى عظيم الوبال ، وإنّ سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النّعمة في الدنيا والتّبعة المربّقة في الآخرة ، وما نعلم أحداً كان أعظم على عثمان بغيًا ، ولا أشوأ له عيبًا ، ولا أشدّ عليه خلافا منك ؛ سمعت عليه في الساعين ، وساعدت عليه مع الساعدين ، وسفكت دمه مع السافكين ، ثم نظنّ أنى نائم عنك فقتلنا فقام فيها وجل أهلها أنصارى ؛ يروون رأيي ، ويرفضون قولك ، ويستصرخونني عليك . وقد بعثت إليك قومًا حنفاء عليك ، يسفكون دمك ، ويقتربون إلى الله عز وجلّ بجهادك ؛ وقد أعطوا الله عهداً ليقتلنك ؛ ولو لم يكن منهم إليك ما قالوا لقتلك الله بأيديهم أو بأيدي غيرهم من أوليائه ؛ وأنا أحذرك وأنذرك ؛ فإنّ الله مُقيّد منك ، ومقتصّ لوليّه وخليفته بظلمك له ، وبصيك عليه

(١) غب الظلم : غالبته .



ووقيمتك فيه ، رعداوتك يوم الله ارحليه ، نطقن بمشاقصك<sup>(١)</sup> فيما بين أحشائه وأوداجه ؛  
ومع هذا فإني أكره قتلك ، ولا أحب أن أتولى ذلك منك ؛ ولن يسلمك الله من النعمة  
أين كنت أبداً ، ففتح وانج بنفسك . والسلام .

قال : فطوى محمد بن أبي بكر كتابيهما ، ويصت بهما إلى علي عليه السلام ،  
وكتب إليه :

أما بعد يا أمير المؤمنين ؛ فإن العاصي ابن العاص ، قد نزل أداني مصر ، واجتمع إليه  
من أهل البلد من كان يرى رأيهم ؛ وهو في جيش جرار ، وقد رأيت من قبل بعض  
الفشل ، فإن كان لك في أرض مصر حاجة فامدني بالأموال والرجال ، والسلام عليك  
ورحمة الله وبركاته .



قال : فكتب إليه علي :

أما بعد ، فقد أتاني رسوئك بكاتبك ؛ تذكر أن ابن العاص قد نزل  
في جيش جرار ، وأن من كان على مثل رأيه قد خرج إليه . وخروج من كان يرى رأيه  
خير لك من إقامته عندك . وذكرت أنك قد رأيت من قبلك فشلاً ، فلا تفشل وإن فشوا ؛  
حصن قريبتك ، واختم إليك شيعتك ، وأذكر الحرس في عسكري ، وانذب إلى القوم كفاة  
ابن بشر ، المعروف بالنصيحة والتجربة والبأس ، وأنا نادب إليك الناس على الصئب  
والقلول . فاصبر لمدوئك وامض على بصيرتك ، وقاتلهم على نيتك ، وجاهد من محسباً لله  
سبحانه ؛ وإن كانت فتك أقل الفتنين ؛ فإن الله تعالى يمين القليل ويخذل الكثير .  
وقد قرأت كتابي الفاجر بن النحائين على المعصية ، والمتلأئين على الضلالة ، والمرشئين على  
الحكومة ، والمتكبرين على أهل الدين ؛ الذين استمتعوا بخلافهم ؛ كما استمتع الذين من

(١) الشافعي : جمع مشافى ؛ وهو النعل المرض .



قبلهم بخلافهم ، فلا بضرتك إردعاهما وإبراقهما ، وأجنههما إن كنت لم تجبهما بماها أهله ، فإنك تجد مقالا ماشئت . والسلام .

قال : فكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية جواب كتابه :

أما بعد ؛ فقد أتاني كتابك تذكر من أمر عثمان أمراً لا أعذر إليك منه ، وتأمرني بالتصحي عنك كأنك لي ناصح ، وتخوفني بالحرب كأنك علي شفيق ؛ وأنا أرجو أن تكون الدائرة عليكم ، وأن يهلككم الله في الواقعة ، وأن ينزل بكم اللل ، وأن تولوا الذب ؛ فإن يكن لكم الأمر في الدنيا فكم لكم لعمري من ظالم قد نصرمم وكم من مؤمن قد قتلتم ومثلتم به ! وإلى الله العسير ، وإليه ترجع الأمور ؛ وهو أرحم الراحمين ؛ والله المستعان على ما تصفون .

قال : وكتب محمد بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص جواب كتابه :

أما بعد ، فهمت كتابك ، وعلمت ما ذكرت ؛ زعمت أنك تكرمان بصيبي منك ظفر ، فأشهد بالله إنك لمن البطلين . وزعمت أنك ناصح لي ، وأقسم إنك عندي ظنين . وقد زعمت أن أهل البلد قد رفضوني ، وندموا على اتباعي ؛ فأولئك حزبك وحزب الشيطان الرجيم ؛ وحسبنا الله رب العالمين ونعم الوكيل ، وتوكلت على الله العزيز الرحيم ، رب العرش العظيم .

\*\*\*

قال إبراهيم : فحدثنا محمد بن عبد الله ، عن المدائني ، قال : فأقبل عمرو بن العاص بقصد قصد مصر ، فقام محمد بن أبي بكر في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد ؛ يا معاشرة المؤمنين ، فإن القوم الذين كانوا يفتهمكون الحرمه ، ويفشون<sup>(١)</sup> الضلالة ، ويستطيون بالجبزية ، قد نصبوا لكم العداوة ، وساروا إليكم بالجنود ، فن أراد الجنة والمغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدكم في الله . اتدبوا<sup>(٢)</sup> رحمكم الله مع

(٢) اتدبوا : أي خفوا .

(١) ب : « أرض الضلالة » .



كفانة بن بشر . سم ندب معه نحو أثنى رجل ، وتختلف محمد في ألفين ، واستقبل عمرو بن العاص كفانة وهو على مقدمة محمد ، فلما دنا عمرو من كفانة سرح إليه الكتاب ؛ كتيبة بعد كتيبة ، فلم تأنه من كتاب الشام كتيبة إلا شذ عليها بمن معه فيضربها حتى يُلحقها بعمرو ، ففعل ذلك مرارا . فلما رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن حُديج الكندي ، فأنابه في مثل الذم<sup>(١)</sup> . فلما رأى كفانة ذلك الجيش ، نزل عن فرسه ؛ ونزل معه أصحابه فضاربهم بسيفه ، وهو يقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾<sup>(٢)</sup> . فلم يزل يضاربهم بالسيف حتى استشهد رحمه الله .

قال إبراهيم : حدثنا محمد بن عبد الله ، عن المدائني ، عن محمد بن يوسف ، أن عمرو ابن العاص لما قتل كفانة أقبل نحو محمد بن أبي بكر ، وقد تفرق عنه أصحابه ؛ ففرج محمد متمهلا ، فمضى في طريقه حتى انتهى إلى خربة<sup>(٣)</sup> ، فأوى إليها ، وجاء عمرو بن العاص حتى دخل القُسطاط ، وخرج معاوية بن حُديج في طلب محمد ، حتى انتهى إلى علوج<sup>(٤)</sup> على قارعة الطريق ، فسألهم : هل مرَّ بهم أحد يفكرونه ؟ قالوا : لا ، قال أحدهم : إني دخلت تلك الخربة ، فإذا أنا برجل جالس . قال ابن حُديج : هو هو ورب الكعبة ، فانطلقوا يركضون ، حتى دخلوا على محمد ، فاستخرجوه وقد كاد يوت عطشا ، فأقبلوا به نحو القُسطاط . قال : ووئب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص ، وكان في جُنْدِه ، فقال : لا والله لا يُقتل أخى صبرا ، ابعث إلى معاوية بن حُديج فأنهه ، فأرسل عمرو ابن العاص : أن اتقى بمحمد ، فقال معاوية : أقتلتم كفانة بن بشر ، ابن عتي ، وأخلى عن محمد !

(١) الذم : العدد الكثير .

(٢) سورة آل عمران ١٤٥ .

(٣) الخربة : موضع الخراب .

(٤) علوج : جمع عليج ؛ وهو الرجل من كفار المعجم .



هيهات ! ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ <sup>(١)</sup> . فقال محمد : اسقوني قطرة من الماء ، فقال له معاوية بن حديج : لاسقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً ؛ إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً ، فسقاه الله من الرحيق المختوم ؛ والله لأقتلنك يا ابن أبي بكر وأنت ظلمان ، ويسقيك الله من الحميم والفيلين ، فقال له محمد : يا ابن اليهودية الذئاجة ؛ ليس ذلك اليوم إليك ولا إلى عثمان ، إنما ذلك إلى الله يسقي أوليائه ويظلم أعداءه ؛ وهم أنت وقرناؤك ومن تولاك وتوليتهم ؛ والله لو كان سيقي في يدي ما بلغت مني ما بلغت . فقال له معاوية بن حديج : أتدري ما أصنع بك ؟ أدخلك جوف هذا الحمار لليت ثم أحرقه عليك بالنار . قال : إن فعلت ذلك بي فطالما فعلت ذلك بأوليائه الله ، وإني لله إني لأرجو أن يجعل الله هذه النار التي تخوفني بها برداً وسلاماً ، كما جعلها الله على إبراهيم خليله ، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك ، كما جعلها على نمرود وأوليائه ، وإني لأرجو أن يحرقك الله وإمامك معاوية ، وهذا - وأشار إلى عمرو بن العاص - بنار تظلي ، كلما خبت زادها الله عليكم سميراً . فقال له معاوية بن حديج : إني لأقتلك ظلماً ، إنما أقتلك بثمان بن عفان ، قال محمد : وما أنت وثمان ؟ رجل يحمل بالجور ، وبدل حكم الله والقرآن ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ؛ فتقمنا <sup>(٥)</sup> عليه أشياء عملها ، فأردنا أن يخلع من الخلافة علماً ، فلم يفعل ، فقتله من قتلته من الناس .

(١) سورة القمر ٤٣ .

(٢) سورة المائدة ٤٤ .

(٣) سورة المائدة ٤٥ .

(٤) سورة المائدة ٤٧ .

(٥) قم عليه ، بكسر القاف : أنكر أمره .



فغضب معاوية بن حُذَيج ، فقدمه فضرب عنقه ، ثم ألقاه في جَوْفِ حَارٍ وأحرقه بالنار .

فلما بلغ ذلك عائشة جَزَعَتْ عليه جزعاً شديداً ، وقنَّتْ في دُبُرِ كل صلاة تدعو على معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حُذَيج ، وقبضت عيالَ محمد أخيه وأولاده إليها ، فكان القاسم بن محمد من عيالها .

قال : وكان ابن حُذَيج يلموننا خيثما يسب علي بن أبي طالب عليه السلام . قال إبراهيم : وحدثني عمرو بن حماد بن طلحة القناد ، عن علي بن هاشم ، عن أبيه ، عن داود بن أبي عوف ، قال : دخل معاوية بن حُذَيج على الحسن بن علي في مسجد المدينة ، فقال له الحسن : ويلك يا معاوية ! أنت الذي نسب أمير المؤمنين علياً عليه السلام ! أما والله لئن رأيته يوم القيامة — وما أظنك تراه — لتربته كاشفاً عن ساق ، بضرب وجوه أمثالك عن الخوض ضَرْبَ غرائب الإبل *في حقيقته كغيره من بني أمية*

قال إبراهيم : وحدثني محمد بن عبد الله بن عثمان ، عن المدائني ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله بن شداد ، قال : حلفت عائشة لا تأكل شواءاً <sup>(١)</sup> أبداً بعد قتل محمد ، فلم تأكل شِواءاً حتى لحقت بالله ، وماعثرت قط إلا قالت : نَعَسَ معاوية بن أبي سفيان <sup>(٢)</sup> وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن حُذَيج !

قال إبراهيم : وقد روى هاشم أن أسماء بنت عميس ، لما جاءها نعي <sup>(٣)</sup> محمد ابنها وما صنَّع به ، قامت إلى مسجدِها ، وكفَّمت غيظها حتى تشبَّت <sup>(٤)</sup> دماً .

قال إبراهيم : وروى ابن عائشة التيمي عن رجاله عن كثير النوء ، أن أبا بكر خرج

(١) الشواء ، بالكسر والقم : ما شوى من اللحم وغيره .

(٢) نَعَسَ له : أخبره بموته .

(٣) نعي : تشبَّه دماً : أي انفجر عرقه بالدم .



في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله في غزاة ، فرأت أسماء بنت عميس وهي تحته ؛ كأن  
أبا بكر محض بالحناء رأسه ولحيته ، وعليه ثياب بيض ، فجاءت إلى عائشة فأخبرتها ،  
فقال : إن صدقت رؤياك فقد قُتل أبو بكر ، إن خضابه الدم ، وإن ثيابه أ كفانه ،  
ثم بكت ، فدخل النبي صلى الله عليه وآله وهي كذلك ، فقال : ما أبكاها ؟ فقالوا :  
يا رسول الله ، ما أبكاها أحد ، ولكن أسماء ذكرت رؤيا رأتها لأبي بكر ، فأخبر النبي  
صلى الله عليه وآله ، فقال : « ليس كما عبرت عائشة ؛ ولكن يرجع أبو بكر صالحاً ، فيلقى  
أسماء ، فتحمل منه غلام ، فتسميه محمداً ، يحمله الله غيظاً على الكافرين والمنافقين » .

قال : فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم .

قال إبراهيم : حدثنا محمد بن عبد الله ، عن المدائني ، قال : فكتب عمرو بن العاص  
إلى معاوية بن أبي سفيان عند قتل محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر : أما بعد ، فإننا لقينا  
محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر في جموع من أهل مصر ، فدعوناهم إلى الكتاب  
والسنة ، فدعوا الحق ، فتهولوا <sup>(١)</sup> في الضلال ، فجاهدناهم ، واستنصرنا الله جل وعز  
عليهم ، فضرب الله وجههم وأدبارهم ، ومنحنا <sup>(٢)</sup> أكتافهم ؛ فقتل محمد بن أبي بكر  
وكنانة بن بشر ، والحمد لله رب العالمين .

قال إبراهيم : وحدثني محمد بن عبد الله ، عن المدائني ، عن الحارث بن كعب بن  
عبد الله بن قعين ، عن حبيب بن عبد الله ، قال : والله إنني لعند علي جالس إذ جاءه  
عبد الله بن معين وكعب بن عبد الله من قبل محمد بن أبي بكر يستنصر خانه قبل الواقعة ؛  
فقام علي فنادى في الناس : الصلاة جامعة <sup>(٣)</sup> ؛ فاجتمع الناس فصيد المنبر ، فحمد الله وأثنى

(١) للتهول : التعجب ، وفي ب : « فهولوا » .

(٢) ج : « وأتقنا أكتافهم » .

(٣) ساقطة من ج .



عليه ؛ وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فصلى عليه ، ثم قال : أما بعدُ ، فهذا صريح<sup>(١)</sup> محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر ، قد سار إليهم ابنُ الفايضة عدو الله وعدو من والاه ، وولى من عادى الله ، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم ، والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعاً على باطلهم وضلالهم منكم على حقكم . فكانكم بهم وقد بدوكم وإخوانكم بالفرز ، فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر عباد الله ؛ إن مصر أعظم من الشام وخير أهلاً ، فلا تغلبوا على مصر ؛ فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم ، وكبت لعدوكم ، اخرجوا إلى الجرعة . قال : والجرعة<sup>(٢)</sup> بين الحيرة والكوفة - لتوافي هناك كلنا غداً إن شاء الله .

قال : فلما كان الغد ، خرج يمشى ، فزها بكثرة ، فأقام بها حتى انتصف النهار ، فلم يوافه مائة رجل ، فرجع . فلما كان العشي بعث إلى الأشراف فجمعهم ، فدخلوا عليه القصر ، وهو كتيب حزين ، فقال : الحمد لله على ما قضى من أمر ، وقدّر من فعل ، وابتلاني بكم أيها الفرقة التي لا تطيع إذا أمرتها ، ولا تجيب إذا دعوتها . لا أبا لغيركم ! ماذا تنتظرون بنصركم ، والجهاد على حقكم اللوت خير من الذل في هذه الدنيا لغير الحق ؛ والله إن جاءني اللوت - وليأتيني - لتجدنني لصحبتيكم جيداً قال .

الادين يجمعكم ! الاحية تفضيكم ! ألا تسمعون بدوكم ينتقص بلادكم ، ويشن الغارة عليكم ! أو ليس عجيباً أن معاوية يدعو الجفأة الطغام الظلمة ، فيتبعونه على غير عطاء ولا ممنة ، ويحببونه في السنة المرة والمرتين والثلاث ، إلى أية وجه شاء ، ثم أنا أدعوكم - وأنتم أولو النهى وبقية الناس - تختلفون وتفرقون عني ، وتمصونني وتخالفون علي !

(١) الصريح هنا : السفيث .

(٢) في الأصول : الجرعة ، نصيف .



فقام إليه مالك بن كعب الأرحبي ، فقال يا أمير المؤمنين ، لندب الناس معي ؛ فإنه لا عطر بعد عروس<sup>(١)</sup> ، وإن الأجر لا يأتي إلا بالكره . ثم التفت إلى الناس وقال : اتقوا الله ، وأجيبوا دعوة إمامكم ، وانصروا دعوتَه ، وقاتلوا عدوكم ، إنا نسير إليهم يا أمير المؤمنين .

فأمر عليٌ سعداً موله أن يشادي : ألا سيروا مع مالك بن كعب إلى مصر ، وكان وجهاً مكروهاً ، فلم يجتمعوا إليه شهراً ، فلما اجتمع له منهم ما اجتمع خرج بهم مالك ابن كعب ، فمسكراً بظاهر السكوفة ، وخرج معه عليٌ ، فنظر فإذا جميع من خرج نحو من ألفين ، فقال عليٌ : سيروا ، والله ما أنتم ! ما إخالكم تدركون القوم حتى ينفض أمرهم ! فخرج مالك بهم وسار خمس ليال ، وقدم الحجاج بن غزية الأنصاري على عليٌ ، وقدم عليه عبد الرحمن بن المسيب الفزاري من الشام ؛ فأما الفزاري ، فكان عيناً لملي عليه السلام ، لابنهم ، وأما الأنصاري فكان مع محمد بن أبي بكر ؛ فحدثه الأنصاري بما عاين وشاهد ، وأخبره بهلاك محمد ، وأخبره الفزاري أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشري من قبل عمرو بن العاص ، يتبع بعضها بعضاً بفتح مصر ، وقتل محمد ابن أبي بكر ، وحتى أذن معاوية بقتله على المنبر وقال : يا أمير المؤمنين ، مارأيت يوماً قط سروراً مثل سرور رأيته بالشام حين أتاهم قتلُ محمد بن أبي بكر ، فقال عليٌ : أما إن حزننا على قتله ، على قدر سرورهم به ؛ لا بل يزيد أضعافاً .

قال : فسرخ عليٌ عبد الرحمن بن شريح إلى مالك بن كعب ، فردّه<sup>(٢)</sup> من الطريق قال : وحزن عليٌ على محمد بن أبي بكر حتى رُئي ذلك فيه ، وتبين في وجهه ، وقام في الناس خطيباً ، فحمد الله . وأثنى عليه ، ثم قال : ألا وإن مصر قد افتتحها الفجرة

(١) لا عطر بعد عروس ، مثل يضرب في ذم ادخار الشيء وقت الحاجة ، وانظر مورد المثل في الميدان

٢ : ٢١١ ، ٢١٢ .

(٢) ب : « فطرده » .



أولياء الجور والظلم ، الذين صدّوا عن سبيل الله ، وبغوا الإسلام عوجاً . إلا وإنّ محمد ابن أبي بكر قد استشهد رحمة الله عليه ، وعند الله نحسبه . أما والله لقد كان - ما علمت - ينتظر القضاء ، ويعمل للجزاء ، ويخفض شكل الفاجر ، ويحبّ سمّت المؤمن ؛ إنى والله لا ألوم نفسي على تقصير ولا عجز ؛ وإنّ بتقاساة الحرب لجدّ بصير ، إنى لأقدم على الحرب ، وأعرف وجه الحزم ، وأقوم بالرأى المصيب ، فاستعصر خُكم معلنا ، وأناذ بكم مستخيتاً ؛ فلا تسمعون لى قولاً ، ولا تطيعون لى أمراً ؛ حتى تصير الأمور إلى عواقب المساءة . وأنتم القوم لا يدرك بكم النار ؛ ولا تنقض بكم الأوتار ؛ دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة ؛ فخرجتم<sup>(١)</sup> على جرّجرة الجمل الأسر<sup>(٢)</sup> ، وتناقلتم إلى الأرض تناقل من لانيّة له في الجهاد ، ولا رأى له في الا كساب للأجر ، ثم خرج إلى منكم جنيد متذائب ضعيف ، كأما يساقون إلى الموت وهم ينظرون . فأتى لكم ثم نزل فدخل رحله .

قال إبراهيم : أخذنا محمد بن عبد الله ؛ عن المدائني ؛ قال : كتب عليّ إلى عبد الله ابن عباس وهو على البصرة :

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ، إلى عبد الله بن عباس : سلام عليك ورحمة الله وبركاته :

أما بعد ؛ فإن مصر قد افتتحت ، وقد استشهد محمد بن أبي بكر ، فعند الله عزّ وجلّ نحسبه<sup>(٣)</sup> . وقد كنت كتبت إلى الناس ، وتقدّمت إليهم في بدء الأمر ، وأمرهم بإغاثة

(١) ب : « خرجتم » صوابه في ج . والجرجرة : تردد هدير الفعل .

(٢) الجمل الأسر : السرور : وجم يأخذ البعير في كركرته .

(٣) ج : « احتسابه » .



قبل الوقعة ، ودعوتهم سرا وجهرا ، وعوداً وبدا ، فمنهم الآتي كارها ، ومنهم المتعمل كاذباً ، ومنهم القاعد خاذلاً . أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجاً ، وأن يرخصني منهم عاجلاً ؛ فوالله لولا طمعي عند لقاء عدوي في الشهادة ، وتوطئتي نفسي عند ذلك ، لأحييت ألا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً . عزم الله لنا ولك على تقواه وهداه ، إنه على كل شيء قدير . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قال : فكتب إليه عبدالله بن عباس :

لعمد الله على أمير المؤمنين من عبدالله بن عباس . سلام على أمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته :

أما بعد ؛ فقد بلغني كتابك تذكر فيه افتتاح مصر وهلاك محمد بن أبي بكر ، وأنت سألت الله ربك أن يجعل لك من رعيته التي ابتليت بها فرجاً ومخرجاً ، وأنا أسأل الله أن يُبلي كلمتك ، وأن ينشئك باللائكة عاجلاً . واعلم أن الله صانع لك ، ومعز دعوتك ، وكاتب عدوك . وأخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تباطئوا ثم نشطوا ؛ فافرق بهم يا أمير المؤمنين ودارهم ومنهم ، واستعن بالله عليهم . كفالك الله المم ! والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قال إبراهيم بن زهير عن المدائني ؛ أن عبدالله بن عباس قدم من البصرة على علي ، فعزاه عن محمد بن أبي بكر .

وروى المدائني أن علياً قال : رحم الله محمداً كان غلاماً حدثاً ، لقد كنت أردت أن أولي الرق<sup>(١)</sup> قال هاشم بن عتبة مصر ، فإنه والله لو وليها لما خلى لابن العاص وأهوانه العرصة ، ولا قتل إلا وسيفه في يده ، بلا ذم لحمد ، فلقد اجهد نفسه قضى ما عليه .

(١) الرقال : لقب هاشم بن عتبة الزهري ؛ لأن علياً عليه السلام دفع إليه الراية يوم صفين ؛ فكان يرقل بها الرقال ، والإرقال : ضرب من العدو .



قال السدائى : وقيل لعلّ عليه السلام : لقد جزعيت على محمد بن أبى بكر يا أمير المؤمنين . فقال : وما يمنى إنيّ كان لى ربيبا ، وكان لىنى أخا ، وكنت له ولدا . أعدّه ولدا .

• • •

### [خطبة للإمام على بعد مقتل محمد بن أبى بكر]

وردى إبراهيم ، عن رجاله ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه ، قال : خطب على عليه السلام بعد فتح مصر ، وقتل محمد بن أبى بكر ، فقال :

أما بعد ، فإن الله بعث محمداً نذيراً للعالمين ، وأميناً على النزيل ، وشهيداً على هذه الأمة ؛ وأنتم معاشر العرب يومئذ على شر دين ، وفي شرّ دار ، مئخون على حجارة خشن ، وحيات مُمّ ، وشوك مَبْثُوث في البلاد ، تَشْرُونَ الماء الخبيث ، وتأكلون الطعام الخبيث ؛ تَسِفُكُونَ دِمَاءَكُمْ ، وتقتلون أولادكم ، وتقطعون أرحامكم ؛ وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل . سُبُلُكُمْ خائفة ، والأصنام فيكم منصوبة ، ولا يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون .

فمن الله - عز وجل - عليكم محمد ، فبعثه إليكم رسولاً من أنفسكم ، فعلمكم الكتاب والحكمة ، والفرائض والسنن ، وأمركم بصلة أرحامكم وحسن دياركم وصلاح ذات البين ، وأن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ، وأن تؤفّوا بالعهود ؛ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وأن تعاطفوا وتباروا وترأفوا . ونهاكم عن التناهب والتظالم والتحاسد والتباغى والتعاضف ، وعن شرب الخمر ونحو المكيال ، ونقص الميزان . وتقدم إليكم فيما يبتلى عليكم : ألا تزنوا ولا تزنوا ، ولا تأكلوا أموال



الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ، وَأَنْ تَوَدُّوا الْأَمْثَالَ إِلَىٰ أَهْلِهَا ، وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ، وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ، وَكُلُّ خَيْرٍ بُذِنَ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَيُبَاعِدُ عَنِ النَّارِ أَمَرَ كُمْ بِهِ ، وَكُلُّ شَرٍّ بُذِنَ إِلَى النَّارِ وَيُبَاعِدُ عَنِ الْجَنَّةِ نَهَا كُمْ عَنْهُ .

فلما استكمل مدته ، توفاه الله إلیه سعيداً حیدراً ، فبالها مُصِيبَةً خَصَّتِ الْأَقْرَبِينَ ، وَعَسَتْ الْمُسْلِمِينَ ! مَا أَصِيبُوا قَبْلَهَا بِمِثْلِهَا ، وَلَنْ يُعَابِنُوا بَعْدَهَا أَحْتَبَهَا . فلما مضى لسبيله صلى الله عليه وسلم ، تنازع المسلمون الأمرَ بعده ، فوالله ما كَانَ يُبَلِّغُنِي فِي رَوْعِي ، وَلَا يَخْطُرُ عَلَيَّ بِأَلَى أَنْ الْعَرَبَ تَعْدِلُ هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَلَا أَنَّهُمْ مُنْخَوِهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ . فَمَا رَأَيْتُ إِلَّا أَنْذِيَالُ النَّاسِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَإِجْفَالُهُمْ <sup>(١)</sup> إِلَيْهِ لِإِيَابِيعُوهُ ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي ، وَرَأَيْتُ أَنِّي أَحَقُّ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ مِمَّنْ تَوَلَّى الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةً مِنَ النَّاسِ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ ، يَدْعُونَ إِلَى تَحْقِيقِ دِينِ اللَّهِ وَوَلَاةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَخَشِيتُ - إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ - أَنْ أَرَى فِيهِ تَلْكَ وَهْمًا يَكُونُ لِلصَّابِ بِهَذَا قَلْبًا أَعْظَمَ مِنْ قَوَاتِ وَلَايَةِ أُمُورِ كُمْ ، الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلِيلٍ ، ثُمَّ يَزُولُ مَا كَانَ مِنْهَا كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ ، وَكَأَيُّ بَقْشَعٍ السَّحَابُ ، فَخَشِيتُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعْتُهُ ؛ وَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ ، حَتَّى زَاغَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ ، وَكَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ .

فَتَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الْأُمُورَ ، فَيَسَّرَ وَسَدَّدَ ، وَقَارَبَ وَاقْتَصَدَ ، وَصَحِّبْتُهُ مُنَاصِحًا ، وَأَطَعْتُهُ فِيمَا أَطَاعَ اللَّهَ فِيهِ جَاهِدًا ، وَمَا طِيعْتُ أَنْ لَوْ حَدَّثَ بِهِ حَادِثٌ وَأَنَا حَيٌّ أَنْ يَرُدَّ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي نَازَعْتُهُ فِيهِ - طَمَعَ مُسْتَبِقِينَ ، وَلَا يَلِثُ مِنْهُ بِأَسَمَنْ لَا يَرْجُوهُ ، وَلَوْ لَا خَاصَّةٌ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمْرٍ ، لَفُتِنْتُ أَنَّهُ لَا يَذْفَعُهَا عَنِّي ؛ فَلَمَّا احْتَضَرَ بَعَثَ إِلَى عُمَرَ فَوَلَّاهُ فَمِيعَنَا وَأَطَعَنَا وَنَاصَحَنَا .

(١) أَجْفَلَ النَّاسَ وَانْجَلَوْا : أَيِ ذَمُّوا مُسْرِعِينَ .



وتولى أمر الأمر ، فكان مرضى السيرة ، ميمون النقيية ؛ حتى إذا اختضر ، قلت في نفسي : لن بعدلها عني ؛ ليس بدافعها عني <sup>(١)</sup> ، فجعلني سادس ستة ؛ فإكانوا لولاية أحد منهم أشد كراهة لولايته عليهم ؛ كانوا يسمعون عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لجأج أبي بكر ، وأقول : يامعشر قريش ، إنا - أهل البيت - أحق بهذا الأمر منكم ما كان فيما من يقرأ القرآن ، ويعرف السنة ، ويدين بدين الحق . فخشي القوم - إن أنا وليت عليهم - ألا يكون لهم من الأمر نصيب ما بقوا ، فأجمعوا إجماعاً واحداً ، فصرقوا الولاية إلى عثمان ، وأخرجوني منها ؛ رجاء أن ينالوها ، ويتداولوها إذ يشاء أن ينالوها بها من قبلي ؛ ثم قالوا : هلم قبايع وإلا جاهدناك ؛ فبايت مستكرهاً ، وصبرت محتسباً ، فقال قائلهم : يا بن أبي طالب ، إنك على هذا الأمر لحريم ؛ فقلت انتم أحرص مني وأبعد ؛ أبنا أحرص ؟ أنا الذي طلبت ميراثي وحق الذي جعلني الله ورسوله أولى به ، أم أنتم إذ تضربون وجهي دونه ، وتحولون بيني وبينه ؛ فبهتوا ، والله لا يهدي القوم الظالمين . اللهم إني أستعديك على قريش ، فإنهم قطعوا رحلي ، وأضاعوا إياي ، وصرفوا عظيم منزلي ، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به منهم ، فسلبونيهم ثم قالوا : ألا إن في الحق أن تأخذه ، وفي الحق أن تمنعه ؛ فاصبر كذا ، أومت أسفاً حقيقاً .

فظفرت فإذا ليس معي رافد ولا ذاب ولا ناصر ولا ساعد إلا أهل بيتي ، فضننت بهم من النية ، وأغضبت على القذى ، وتجرعت ريقى على الشجى ؛ وصبرت من كظم الغيظ على أمر من الملقم ، وآلم للقلب من حز الشفار ، حتى إذا نقيم على عثمان أتيتهم فقتلتهم ؛ ثم جئتهم لتبايعوني ، فأيت عليكم ، وأسكت يدي فنازعتموني ودافعتموني ، وبسطتم يدي فكففتها ، ومددتموها فقبضتها ، وازدحمتم علي حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعضكم أو أنكم قاتلي . فقلت : يا يمنة لا نجد غيرك ، ولا نرضى إلا بك ، يا يمنة

(١) ب : « ليس بدافس عنها » .



لا تفرق ولا تختلف كلمتنا. فبايعتكم ودعوت الناس إلى بيعتي ، فمن بايع طوعاً قبلته ؛ ومن أبى لم أكرهه وتركته .

فبايعني فبمن بايعني طلعة والزير ؛ ولو أبياً ما أكرهتهما ، كما لم أكره غيرهما ؛ فالبثا إلا بسيراً حتى بلغني أنهما خرجا من مكة متوجهين إلى البصرة ؛ في جيش ما منهم رجل إلا قد أعطاني الطاعة ، وسمح لي بالبيعة ؛ فقدماً على عاملي وخزان بيت مالى وعلى أهل مصرى الذين كلهم على بيعتي وفي طاعتي ، فشدتوا كلمتهم ، وأفسدوا جماعتهم ، ثم وثبوا على شيعتي من المسلمين ، قتلوا طائفة منهم غدرأ ، وطائفة صبراً <sup>(١)</sup> . ومنهم طائفة غضبوا لله ولى ، فشهرُوا سيوفهم وضربوا بها ؛ حتى لقوا الله عز وجل صادقين ؛ فوافقه لو لم يصيبوا منهم إلا رجلاً واحداً متعمدين لقتله لجل لي به قتل ذلك الجيش بأسره ، فذبح ماأنهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة التي دخلوا بها عليهم ؛ وقد أدال الله منهم ، فبعداً للقوم الظالمين !

ثم إنى نظرت في أمر أهل الشام ، فإذا أعراباً أحزاب وأهل طمع جفاة طغاة ، يهتمون من كل أوب ؛ من كان ينبغى أن يؤدب وأن يؤلى عليه ، ويؤخذ على يده ؛ ليسوا من الأنصار ولا المهاجرين ولا التابعين بإحسان . فسيرت إليهم ، فدعوتهم إلى الطاعة والجماعة ، فأبوا إلا شقاقاً وفراقاً ، ونهضوا في وجوه المسلمين ينضخونهم بالنبل ، ويشجرونهم <sup>(٢)</sup> بالرمح ؛ فهناك نهذت <sup>(٣)</sup> إليهم بالمسلمين فقاتلتهم ، فلما عَضَّهم السلاح . ووجدوا ألم الجراح ، دفعوا المصاحف بدعوتكم إلى ما فيها ؛ فأبائكم أنهم ليسوا بأهل دين ولا قرآن ، وأنهم دفعوها مكيدة وخديعة وهناً وضعفاً ، فامضوا على حقكم وقتالكم . فأينم على وقتلهم ؛ أقبل منهم ؛ فإن أجابوا إلى ما في الكتاب جامعوناً على ما نحن عليه من

(١) صبرا ، أى حبساً .

(٢) يشجرونهم بالرمح ؛ يضخونهم .

(٣) نهذ للقتال ؛ نهض .



الحق، وإن أبوا كان أعظم لحجتنا عليهم. قبلت منهم، وكففت عنهم؛ إذوניתم وأيتهم؛ فكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين، يُحْييان ما أحيا القرآن، ويُمَيِّتان ما أَمَات القرآن؛ فاختلف رأيهما، وتفرق حكمهما، ونَبَذَا ما في القرآن، وخالفا ما في الكتاب؛ فجنَّبهما الله السَّدَاد، ودَلَّاهما في الضلالة، فاعترفت فرقةٌ منافرتكناهم ما تركونا؛ حتى إذا عثوا<sup>(١)</sup> في الأرض يقتلون ويفسدون، أتيناكم فقلنا: اذْفَعُوا إلينا قَتْلَ إخواننا، ثم كتابُ الله بيننا وبينكم. قالوا: كُلُّنا قَتَلهم؛ وكُلُّنا اسْتَعْلَ دماءهم. وشَدَّت علينا خيلهم ورجالهم، فصرَّعهم الله مصارعَ الظالمين.

فلما كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من قورم ذلك إلى عدوكم، قتلتم؛ كلت سيوفنا، وَنَفِدَتْ نبالنا، وَنَصَلَتْ أسيقة رماحنا، وعاد أكثرها قِصَدا<sup>(٢)</sup>، فارجع بنا إلى مصرنا لنستمدد بأحسن عدتنا، فإذا رجعت زدت في مقاتلتنا عدة من هلك منا وفارقنا؛ فإن ذلك أقوى لنا على عدونا؛ فأقبلت بكم، حتى إذا أطلنتم على الكوفة أمرتكم أن تنزلوا بالنخيلة، وأن تلمزوا معكم، وأن تضضوا قواصيصكم، وأن توطئوا على الجهاد أنفسكم، ولا تكثروا زيارة أبنائكم ونسائكم، فإن أهل الحرب للصابروها، وأهل التشمير فيها الذين لا يتفادون من سهر ليلهم ولا ظمأ نهارهم، ولا تحصى بطونهم، ولا نصب أبدانهم، فنزلت طائفة منكم معي معذرة، ودخلت طائفة منكم إلى مصر عاصية؛ فلا من بقي منكم صبر وثبت، ولا من دخل إلى مصر عاد ورجع؛ فنظرت إلى معسكري، وليس فيه خمسون رجلا؛ فلما رأيت ما أتيتهم، دخلت إليكم فلم أقدر على أن تخرجوا معي إلى يومنا هذا، فما تنتظرون! أما ترون أطرافكم قد انتقصت، وإلى مصر قد فتحت، وإلى شيعتي بها قد قتلتم؛ وإلى مسالحكم نعرى، وإلى بلادكم تغزى! وأتم ذوو عدد كثير،

(١) عنى: أفند، مثل عاث.

(٢) القصد: جمع قصدة؛ وهي القطعة المتكسرة.



وشوكة وبأس شديد ؛ فبالكم الله أنتم من أين تؤتون ١ وما لكم تؤفكون ١  
وأني تسخرون ١

ولو أنكم عزتم وأجستم لم تراموا ؛ إلا أن القوم تراجعوا وتناشوا وتناصخوا، وأنتم  
قد وثيتُمْ وتفاشستم وافترقتم، ما إن أنتم إن المسم عندى على هذا بسعداء (١)؛ فأنهوا بأجمعكم،  
وأجمعوا على حَقكم، وتجرّدوا للحرب عدوّكم ؛ وقد أبدت الرغوة عن الصريح، وبين  
الصحيح لذى عينين ؛ إنما تقاتلون الطلقاء، وأبناء الطلقاء وأولى الجفاء، ومن أسلم كرها؛  
وكان لرسول الله صلى الله عليه أنف (٢) الإسلام كله حرباً ؛ أعداء الله والسنة والقرآن،  
وأهل البدع والأحداث؛ ومن كان بوائقه تُتقى، وكان عن الإسلام منحرفاً، أكلة الرشاء،  
وعبدة الدنيا ؛ لقد أنهى إلى أن ابن النافذة لم يبايع معاوية حتى أعطاه، وشرط له أن  
يؤتية ما هي أعظم مما في يده من سلطانه. ألا صغرت يد هذا البائع دينه بالدنيا، وخزيت  
أمانة هذا المشتري. نصرة فاسق غادر بأموال المسلمين ؛ وإن فيهم من قد شرب فيكم  
الخمر وجلب الخلة ؛ يُعرف بالفساد في الدين، والفعل السيئ ؛ وإن فيهم من لم يسلم حتى  
رُضخ له رُضيخة (٣).

فهؤلاء قادة القوم ؛ ومن تركت ذكر مساوته من قادنهم مثل من ذكرت منهم ؛  
بل هو شرّ، وبود هؤلاء الذين ذكرت لو ولّوا عليكم فأظهروا فيكم الكفر والفساد  
والفجور والنسأط بحيرة؛ واتبعوا الهوى وحكموا بغير الحق. ولأنتم - على ما كان فيكم  
من تواكل وتحاذل - خير منهم وأهدى سبيلاً؛ فيكم العلماء والنقهاء، والفُجباء والحكماء،  
وحملة الكتاب والتهجدون بالأسحار، وعمار المساجد بتلاوة القرآن؛ أفلا تسخطون وتهتمون  
أن يفازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم، والأشرار الأراذل منكم ١

(١) كذا في ب، وهي ساقطة من أ، ج

(٢) أنف كل شيء : أوله .

(٣) الرضيخة : العطية القليلة .



فاسمعوا قولي ، وأطيعوا أمري ؛ فوالله لئن أطيعتموني لا تفؤون ، وإن عصيتموني  
لا ترشدون ؛ خذوا للحرب أهبتها وأعدوا لها عدتها ؛ فقد شئت نازها ، وعلا سناها  
وتجرّد لكم فيها الفاسقون ، كي يمدّوا عباد الله ، ويطلقوا نور الله. ألا إنه ليس أولياء  
الشیطان من أهل الطمع والسكر والجفاء بأوّلی فی الجذی غیهم وضلالهم من أهل البرّ  
والزهادة والإخبات فی حقهم وطاعة ربهم ؛ إني والله لو لقيتهم فرداً وهم ملاء الأرض ؛ ما باليت  
ولا استوحشت ؛ وإني من ضلالتهم التي هم فيها ، والهدى الذي نحن عليه ، لعلی ثقة  
وبينة ، يقين وبصيرة ؛ وإني إلى لقاء ربّي لمشتاق ، ولحسن ثوابه لمنتظر ؛ ولكن أسفاً  
يعتريني ، وحزناً يخامرني ، أن بلى أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجّارها ، فيتخذوا مال الله  
دولاً ، وعباده خولاً ؛ والفاسقين حزباً . وإيم الله لولا ذلك لما أکثرت تأنيبكم  
وتحريضكم ، ولتركتكم إذ وبنتم وأيتم حتى أقام بنفسی ؛ متى حتم لي لقاءهم . فوالله إني  
لعلّ الحق ، وإني للشهادة لمحّب ، فانيروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسيكم في  
سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . ولا تناقلوا إلى الأرض فتقرّوا بالخلف ،  
وتبهّوا بالذل ، ويكن نصيبكم الخسران . [ إن ]<sup>(١)</sup> أخا الحرب اليقظان ، ومن ضعف  
أودى ، ومن ترك الجهاد كان كالغيبون المهين .

اللهم اجمعنا وإيّاهم على الهدى ، وزهّدنا وإيّاهم في الدنيا ، واجعل الآخرة خيراً لنا  
ولهم من الأولى .

\*\*\*

### [ خبر مقتل محمد بن أبي حذيفة ]

قال إبراهيم : حدثني محمد بن عبد الله بن عثمان ، عن المدائني ، أن محمد بن أبي  
حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أصيب لما فتح عمرو بن العاص مصر ، فبعث به

(١) نكالة يقتضها السياق .



إلى معاوية بن أبي سفيان وهو يومئذ بفلسطين ، فحبسه معاوية في سجن له ، فكث فيه غير كثير ، ثم هرب - وكان ابن خال معاوية - فأرى معاوية الناس أنه كره انقلاته من السجن ؛ وكان يحب أن ينجو ، فقال لأهل الشام: مَنْ يطلبه ؟ فقال رجل من ختم - يقال له عبيد الله ابن عمرو بن ظلام ، وكان شجاعا وكان عثمانيا: أنا أطلبه ، فخرج في خيل فلحقه بحواريين<sup>(١)</sup> ، وقد دخل بنار هناك ، فجاءت نحر<sup>٢</sup> فدخلته ، فلما رأت الرجل في النار فزعت ونفرت ؛ فقال حارون كانوا قريبا من النار : إن هذه الحمر لسانا ، مانقرا من هذا النار إلا أمر إذهبوا ينظرون ؛ فإذا هم به ؛ فخرجوا به ؛ فوافقهم عبيد الله بن عمرو بن ظلام ؛ فسألهم ووصفهم فقالوا: ها هو هذا ؛ فجاء حتى استخرجه ، وكره أن يصير به إلى معاوية فينجلي سبيله ، فضرب عنقه رحمه الله تعالى .



مركز تحقيقات ودراسات إسلامية

(١) حوارين ، من قرى حلب ، أو حصن بناحية حمص ( مرآة الاصلاح ) .



(٦٨)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام في ذم أصحابه :

كَمْ أَدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارِي الْبَكَارُ الْعِمْدَةَ ، وَالثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ ! كَلَّمَا حَبِصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهْتَكَتْ مِنْ آخَرٍ ، كَلَّمَا أَطْلَعَ عَلَيْكُمْ مِنْسَرٌّ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ ، وَأَنْجَحَرَ أَنْجَحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا ، وَالضُّبُعُ فِي وَجَارِهَا .

الدَّلِيلُ وَاللَّهُ مِنْ نَصْرَتِهِمْ ، وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقِ نَاصِلٍ .  
إِنَّكُمْ وَاللَّهُ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ ، قَلِيلٌ تَحْتَ الرِّايَاتِ ، وَإِنِّي لَمَأْلَمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ ، وَيُقِيمُ أَوْدَكُمْ ، وَلَكِنِّي وَاللَّهُ لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِسَادِ نَفْسِي .  
أَضَرَعَ اللَّهُ خُدُودَكُمْ ، وَأَنْتُمْ جُدُودَكُمْ ! لَا أَمْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ ، وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَابْطَالِكُمُ الْحَقَّ .

\*\*\*

الشرح :

البَكَارُ : جمع بَكَر ، وهو الفتي من الإبل . وَالْعِمْدَةُ : التي قد انشَدَحَتْ أَسْنِمَتُهَا مِنْ دَاخِلٍ وَظَاهِرِهَا صَحِيحٌ ؛ وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ رُكُوبِهَا .

وَالثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ : الْأَسْمَالُ الَّتِي قَدْ أَخْلَقَتْ ؛ وَإِنَّمَا سَمَّيْتُ مُتَدَاعِيَةً ، لِأَنَّ بَعْضَهَا يَتَخَرَّقُ فَيَدْعُو بَعْضَهَا إِلَى مِثْلِ حَالِهِ .

وَحَبِصَتْ : خَبِطَتْ ، وَالْحَوْصُ : الْخِيَاطَةُ . وَتَهْتَكَتْ : تَخْرُقُ .



وأطلّ عليكم ، أى أشرف ، وروى : « أطلّ » بالنظاء للمعجزة ، والمعنى واحد .

ومنسّر : قطعة من الجيش تمرّ قدام الجيش الكثير ، والأفصح « منسّر » بكسر الميم وفتح السين ، ويجوز « منسّر » بفتح الميم وكسر السين .  
وانبحر : استتر في بيته ، أبحرت الضبّة ، إذا ألبأتته إلى جحره فانبحر .

والضبة : أنثى الضباب ، وإنما أوقع التشبيه على الضبة مبالغة في وصفهم بالجبن والفرار ؛ لأن الأنثى أجبن وأذل من الذكر . والوجار : بيت الضمير .

والسهم الأفوق : الناصل المكسور فوق ، للنزوع النصل ، والفوق : موضع الوتر من السهم ؛ يقال نصل السهم إذا خرج منه النصل فهو ناصل ؛ وهذا مثل يضرب لمن استنجد بمن لا ينجده .

والباحات : جمع باحة ، وهى ساحة الدار . والأود : الموج ، أورد الشئ بكسر الواو يأود أوداً ؛ أى اصوج ، وتأود ، أى توج . وأضرع الله خدودكم : أذل وجوهكم . خرع الرجل ذلّ وأضرعه غيره ، ومنه المثل : « الحمى أضرعتك »<sup>(١)</sup> .

وأنس جدودكم ، أى أحال حظوظكم وسمودكم وأهلكها فجعلها يدباراً ونحساً . وأنس : الهلاك . وأصله الكب ؛ وهو ضد الاعتماش . نَس الرجل ، بفتح العين يَنس نَماً . يقول : كم أداريكم كما يداري راكب البعير بعيره المنفضع السنام ، وكما يداري لايس الثوب السمل ثوبه للتداعي ، الذى كلما خيط منه جانب تمزق جانب .

ثم ذكر خبيثهم وذاتهم ، وقلة انتصار من ينتصر بهم ، وأنهم كثير في الصورة ، قليل في المعنى . ثم قال : إني عالم بما يصلحكم ؛ يقول : إنما يصلحكم في السياسة السيئ ؛ وحّدق فإن كثيراً لا يصلح إلا عليه . كما فعل الحجاج بالجيش الذى تقاعد بالمهلب ،

(١) الميداني ١ : ٢٠٥ ، يضرب في الذل عند الحاجة تنزل .



فإنه نادى مناديه : مَنْ وجدناه بعد ثلاثة لم يلتحق بالمهلب فقد حل لنا دمه ؛ ثم قتل عمير بن ضابي وغيره ؛ فخرج الناس يهرعون إلى المهلب .

وأمر المؤمنين لم يكن ليستحل من دماء أصحابه ما يستحل من يريد الدنيا وسياسة الملك وانتظام الدولة ، قال عليه السلام : « لكنى لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسى ، أى إفساد دبنى عند الله تعالى .

فإن قلت : أليست نصرة الإمام واجبة عليهم ؟ فلم لا يقتلهم إذا أخلوا بهذا الواجب ؟ قلت : ليس كل إخلال بواجب يكون عقوبته القتل ، كمن أخل بالحج . وأيضاً فإنه كان يعلم أن عاقبة القتل فسادهم عليه واضطرابهم ؛ فلو أسرع في قتلهم لشغبوا عليه شغباً يفضي إلى أن يقتلوه ويقتلوا أولاده ، أو يسلموه ويسلموه إلى معاوية ؛ ومتى علم هذا أو غلب على ظنه لم يجز له أن يسوسهم بالقتل الذى يفضي إلى هذه الفسدة ، فلو ساءهم بالقتل والحال هذه ؛ لكان آتماً عند الله تعالى ، ومواقعاً للقيع ؛ وفي ذلك إفساد دينه كما قال : « لا تعرفون الحق كمرفقكم الباطل ... » إلى آخر الفصل ؛ فكأنه قال : لا تستقدون الصواب والحق كما تستقدون الخطأ والباطل ؛ أى اعتقادكم الحق قليل ، واعتقادكم الباطل كثير ؛ فمبى عن الاعتقاد العام بالمعرفة الخاصة ؛ وهى نوع تحت جنسه مجازاً . ثم قال : ولا تسرعون في نقض الباطل سرعتكم في نقض الحق وهدمه .

\*\*\*

### [ طائفة من الأشعار الواردة في ذم الجين ]

واعلم أن المجيء بالجين والذل الفرق كثير جداً ، ونظير قوله : « إنكم لكثير في الباحات ، قليل تحت الرايات » قول معدان الطائي :

فَأَمَّا الَّذِي يُحْصِيهِمْ فَكَثَرٌ وَأَمَّا الَّذِي يُطْرِيهِمْ فَقَلِيلٌ<sup>(١)</sup>

(١) ديوان الحماسة - بصرح الرزوقي ٣ : ١٤٦٣



ونحو قول قراد بن حنّس ، وهو من شعر الحماسة <sup>(١)</sup> :

وأنتم سماء بُمُجِبُ النَّاسِ رِزْها      بآبِدَةٍ تُنْحِي شَدِيدِ رَيْسِها <sup>(٢)</sup>  
تَقْطَعُ أَطْنَابَ الْبُيُوتِ بِحَاصِبٍ      وأَكْذِبُ شَيْءَ بَرَقْها ورُعُودْها <sup>(٣)</sup>  
فَوَيْلُكُمْ خَيْلاً بِهَاءٍ وَشَارَةٍ      إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صَدُودْها ١

ومن شعر الحماسة في هذا المعنى :

لَقَدْ كَانَ فِيكُمْ تَوْفِيقٌ بِحَارِكُمْ      لِحَى وَرِقَابٍ عَرْدَةٍ وَمَبَاخِرُ <sup>(٤)</sup>  
مِنَ الصُّهْبِ أَتْنَاءٍ وَجُدْعًا كَانْها      عَذَارَى عَلَيْهَا شَارَةٌ وَمَعَاجِرُ <sup>(٥)</sup>

ومن الهجاء بالجلبن والفرار ، قولُ بعض بني عليٍّ بهجو حاتمٍ ، وهو من شعر

الحماسة أيضاً <sup>(٦)</sup> :

أَمْرِي وَمَا تَعْرِى عَلَى بَيْتٍ      لَيْسَ الْفَقَى الدَّعْوَى بِاللَّيْلِ حَاتِمُ  
غَدَاةُ أَتَى كَالثَّوْرِ أَخْرَجَ فَاتَمَى      بِحَبْتِهِ أَقْطَالَهُ وَهُوَ قَاتِمُ <sup>(٧)</sup>  
كَأَنَّ بَصَحْرَاءَ الْمَرْبُوطِ تَقَامَةُ      تَبَادُرْها وَجَنَحَ الْفَلَامِ نَمَاتِمُ  
أَعَارَتْكَ رَجْلَيْهَا وَهَافِي لُبْها      وَقَدْ جُرَّدَتْ بِيضُ الثَّوْنِ صَوَارِمُ

(١) ديوان الحماسة - بشرح الرزوقي ٣ : ١٤٣١ ؛ من أبيات أربعة أولها :

لَقَوْمِي أَرْعَى لِلْعَلَا مِنْ عَصَابَةٍ      مِنَ النَّاسِ يَا حَارِبُ بْنَ عَمْرِو تَسُودْها

(٢) رزها : صوتها ، أي صوت رعدِها . والآبدة : الغريبة . وتنحي : تتمد .

(٣) الحاصب : الريح تهب . بالحصاب .

(٤) من أبيات منصور بن مسجاح الضبي : الحماسة أبي تمام - بشرح التبريزي ٤ : ٢٥ . عردة : غلاظ .

(٥) يريد من الإبل الصهب ، والصهبة : حمرة يملوها بياض . وأثناء : جمع نثي ؛ وهو من الإبل ما يلق

نثيته ؛ وذلك في السنة الثالثة والجذع : جمع جذع ؛ وهو ما قبل النثي . والسجر : ثوب أصفر من الرداء

تلبسه المرأة . وفي التبريزي : « ومعاصر »

(٦) ليزيد بن قنافة . ديوان الحماسة - بشرح الرزوقي ٣ : ١٤٦٤

(٧) غداة أتى كالثور ؛ يعني حاتمًا ، وأخرج : ضيق عليه وأخرج من عادته ، والأقوال : الأثران والأعداء ،

واحدة قتل .



ونظير للمنى الأول أيضاً قول بعضهم من شعر الجحاسة :

كأثر بسطير إن سعداً كثيرةً ولا ترج من سعدٍ وفاء ولا نصراً<sup>(١)</sup>

يروى عن سعد بن عمرو وجسومها وتزهد فيها حين تقتلها خبراً

ومنه قول حويف القوافي :

وما أمكم تحت الخوافق والقنا بشكل ولا زهراء من نوسة زهر<sup>(٢)</sup>

السم أقل الناس عند لوائهم وأكثرهم عند الذبيحة والقدير

وممن حسن الجبن والفرار بعض الشعراء في قوله :

أضحت تشجعتى هند وقد علمت أن الشجاعة مقرون بها العطب<sup>(٣)</sup>

لا والذي حجت الأنصار كعبته ما ينهى الموت عندي من له أرب

للعرب قوم أضل الله سبيلهم إذا دعيتهم إلى حوماتها وثبوا

ولست منهم ولا أهوى فاعلم لا القتل يمجنى منها ولا السلب

ومن هذا قول أيمن بن خريم الأسدي :

إن للفتنة ميطاً بيننا ووريد البيط منها يمتد<sup>(٤)</sup>

فإذا كان عطاء فابتدر وإذا كان قتال فاعتزل

إنما يسمرها جهالها حطب النار فدعها تشتعل

ومن عرف بالجبن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، غيره عبد الملك بن مروان

فقال :

(١) ديوان الجحاسة - بصرح النبرزي ٤ : ٩١ ، من غير نسبة ، وبهذه :

ولا تدع سعداً للقراع وخلها إذا أمنت ونعتها البلد الفقرا

(٢) ديوان الجحاسة - بصرح النبرزي ٤ : ٩٩

(٣) عيون الأخبار ٤ : ١٦٤ ، من غير نسبة ، المقدم ١ : ١٦٦

(٤) عيون الأخبار ١ : ١٦٤ ، المقدم ١ : ١٦٧ . والبط : الصخب والشدة .



إِذَا صَوَّتَ الْمَصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ      وَلَيْثُ حَدِيدٍ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ<sup>(١)</sup>  
وَقَالَ آخَرُ :

يَطِيرُ فُؤَادُهُ مِنْ تَبَحٍّ كَلْبٍ      وَبُكَفِيهِ مِنَ الزَّجَرِ الصَّفِيرِ  
وَقَالَ آخَرُ :

وَلَوْ أَنَّهَا عَصْفُورَةٌ لَحَبَّتْهَا      مُسَوِّمَةٌ تَدْعُو عَبِيدًا وَأَزْنَمًا<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

### [ أخبار الجبناء وذكر نوادرهم ]

ومن أخبار الجبناء ما رواه ابن قتيبة في كتاب " عيون الأخبار " قال : رأى عمرَ ابن العاص معاوية يوماً فَضَحِكَ ، وقال : هم تَضَحُّكَ يا أمير المؤمنين ، أضحك الله سنك ! قال : أضحك من حُضُورِ ذَهْنِكَ عِنْدَ إِبْدَائِكَ سَوْدَكَ يَوْمَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ؛ والله لقد وجدته مَتَانًا [ كَرِيمًا ]<sup>(٣)</sup> ولو شاء أن يَفْتَلَكَ لَفَتَلَكَ أَفْهَالَ عَمْرٍو : يا أمير المؤمنين ، أما والله إني لمن يَمِينُكَ حِينَ دَعَاكَ إِلَى الْبَزَارِ فَاحْوَلْتُ عَيْنَاكَ ، وَانْفَتَحَ سَحْرُكَ ، وَبَدَأَ مِنْكَ مَا أَكْرَهُ ذِكْرَهُ هَكَذَا ؛ فَمَنْ نَفْسِكَ فَاضْحَكْ أَوْ فَدَعْ<sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

قال ابن قتيبة : وقدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك ، وعليه دِرْعٌ و عمامة سوداء وقوسٌ عربية وكفانة ، فبعثت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان إلى الوليد - وهي تحت يومئذ : مَنْ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ الْمُسْتَأْمِرُ فِي السِّلَاحِ عِنْدَكَ عَلَى خَلْوَةٍ ، وَأَنْتَ فِي غُلَّالَةٍ ؟

(١) عيون الأخبار ١ : ١٦٦ ، المقدم ١ : ١٦٨

(٢) هو السوام بن شاذب الشيباني ، عيون الأخبار ١ : ١٦٦ والبيت من شواهد النقي ٢ : ١٩٦

(٣) من عيون الأخبار .

(٤) عيون الأخبار ٤ : ١٦٩



فَارْسَلَ إِلَيْهَا الْوَلِيدَ : إِنَّهُ الْحِجَاجُ ، فَأَعَادَتْ عَلَيْهِ الرِّسُولَ : وَاللَّهِ لَأَنْ يَخْلُوَ بِكَ مَلَائِكُ الْمَوْتِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَخْلُوَ بِكَ الْحِجَاجُ ! فَضَعَكَ وَأَخْبَرَ الْحِجَاجُ بِقَوْلِهَا وَهُوَ يَمَازُحُهَا ، فَقَالَ الْحِجَاجُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، دَعِ عَنْكَ مِفَاكَةَ النِّسَاءِ بِزُخْرَفِ الْقَوْلِ ، فَإِنَّمَا الْمَرْأَةُ رَمِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ ؛ فَلَا تَطْلُمُهَا عَلَى سِرِّكَ ، وَمَكَايِدَةَ عَدُوِّكَ .

فَلَمَّا انْصَرَفَ الْحِجَاجُ وَدَخَلَ الْوَلِيدُ عَلَى أَمْرَأَتِهِ أَخْبَرَهَا بِمَقَالَةِ الْحِجَاجِ ، فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَاجَتِي إِلَيْكَ الْيَوْمَ أَنْ تَأْمُرَ غَدَاً أَنْ بَأْتِيَنِي مُسْتَلْتِمًا ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَأَتَاهَا الْحِجَاجُ فَحُجِبَتْهُ ثُمَّ أَدْخَلَتْهُ ، وَلَمْ تَأْذِنْ لَهُ فِي الْقُعُودِ ، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْحِجَاجِ ! أَنْتَ الْمَتَنُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِكَ ابْنَ الزَّيْبِرِ وَابْنَ الْأَشْعَثِ ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَلِمَ أَنَّكَ شَرٌّ خَلَقَهُ مَا ابْتَلَاكَ بِرِجْلِ الْكُمْبَةِ الْحَرَامِ ، وَلَا بِقَتْلِ ابْنِ ذَاتِ النُّطَاقِينَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ فِي الْإِسْلَامِ ؛ وَأَمَّا نَهْيُكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مِفَاكَةِ النِّسَاءِ وَبُلُوغِ لَذَائِهِ وَأَوْطَارِهِ ؛ فَإِنْ كُنَّ يَنْفَرُجْنَ عَنْ مِثْلِكَ فَمَا أَحَقُّهُ بِالْقَبُولِ مِنْكَ ! وَإِنْ كُنَّ يَنْفَرُجْنَ عَنْ مِثْلِهِ ، فَهُوَ غَيْرُ قَابِلٍ لِقَوْلِكَ . أَمَا وَاللَّهِ لَوْ تَفَضَّلَ نِسَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ عَدَائِهِمْ فِي أَعْطِيَةِ أَهْلِ الشَّامِ حِينَ كُنْتَ فِي أَصْبَقٍ مِنَ الْقُرْنِ ، قَدْ أَظْلَمْتَ الرِّمَاحَ ، وَأُثْمِنْتَ الْكَفَاحَ ؛ وَحِينَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ ؛ فَأَنْجَاكَ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِحُبِّهِمْ إِيَّاهُ ؛ قَاتِلِ اللَّهَ الْقَاتِلَ حِينَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ وَسِغَانِ غَزَاةٍ <sup>(١)</sup> بَيْنَ كَتِفَيْكَ :

أَسَدٌ عَلَى وَفَى الْحُرُوبِ نِعْمَةٌ      رَبِّدَاءُ تَنْفِرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ  
هَلَا بَرَزْتَ إِلَى غَزَاةٍ فِي الْوَعَى      أَمْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحَيْ طَائِرٍ !  
ثُمَّ قَالَتْ لِحَوَارِيهَا : أَخْرِجْتَهُ ، فَأَخْرَجَ <sup>(٢)</sup> :

\*\*\*

(١) غَزَاةٌ : امْرَأَةٌ شَبِيحُ الْمَارِجِيِّ

(٢) عِيُونَ الْأَخْبَارِ ١ : ١٦٩ ، ١٧٠



ومن طريف حكايات الجبناء ما ذكره ابن قتيبة أيضاً في الكتاب المذكور ؛ قال كان بالبصرة شيخ من بني نهشل بن دارم ، يقال له عروة بن مرثد ، ويكنى أبا الأعز ، ينزل في بني أخت له من الأزد في سكة بني مازن ، تخرج رجالهم إلى ضياعهم في شهر رمضان ، وخرج النساء يصلين في مسجدنهم ، ولم يبق في الدار إلا إمام ، فدخل كلب يستس ، فرأى بيتاً مفتوحاً فدخله ، وانصفق الباب عليه ، فسمع بعض الإمام الحركة ، فظنوا أنه لص ، دخل الدار ، فذهبت إحداهن إلى أبي الأعز ، فأخبرته ، فقال أبو الأعز : إلام يبتغي اللص عندنا ! وأخذ عصاه ، وجاء حتى وقف بباب البيت ، وقال : إيه يا فلان ! أما والله إنني بك لبارف ، فهل أنت من لصوص بني مازن ! شربت حامضاً خبيثاً ، حتى إذا دارت في رأسك منتك نفسك الأمانى ، وقلت : أطرق دور بني عمرو ، والرجال خلوف ، والنساء يصلين في مسجدنهم ، فأسرقهم . سورة لك ! والله ما يفعل هذا ولد الأحرار ! وإيم الله لتخرجن أو لأهفن هتفة مشثومة يلتقي فيها الحيان : عمرو وحفلة ، وتجي سعد عدد الحصى ، وتسيل عليك الرجال ، من هنا وهنا ، ولئن فعلت لتكونن أشأم مولوداً !

فلما رأى أنه لا يجيبه ، أخذه باللين ، فقال : اخرج - بأبي أنت - مستورا ، والله ما أراك تعرفنى . ولو عرفتنى لقمعت بقولى ، وأطمأنت إلى ابن أخى البار الوصول ، أنا - فديتك - أبو الأعز النهشلى ! وأنا خال القوم ، وجليدة بين أعينهم ؛ لا بمصوننى ، ولا نضاراً ليلة وأنت في ذمتى ، وعندى قوم صرطان<sup>(١)</sup> ، أهداهما إلى ابن أخى البار الوصول ، فخذ إحداها ، فانهذا حلالاً من الله ورسوله .

وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق ، وإذا سكت أبو الأعز وثب يريد المخرج ، فتهاف<sup>(٢)</sup> أبو الأعز ، ثم تضاحك ، وقال : يا ألام الناس وأوضعهم ! ألا أراى لك منذ الليلة

(١) القوسرة ، مخفف ومنقل : وعاء يرفع فيه الخمر من البوارى . (٢) التهاف : الضحك والاستهزاء .



في وادٍ وأنت لي في وادٍ آخر ، أقبلت السوداء والبيضاء ، فتصيح وتطرق ؛ فإذا سكنت عنك وثبتت تريد الخروج ! والله لتخرجن أو لألجئن عليك البيت .

فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت : أعرابي مجنون والله ، ما أرى في البيت شيئاً ، فدفت الباب فخرج الكلب شارداً ، وحاد عنه أبو الأعز ساقطاً على قفاه ، شائلة رجلاه ؛ وقال : تالله ما رأيت كالثيلة هذه ! ما أراه إلا كلباً ، ولو علمت بحاله لولجت عليه <sup>(١)</sup> ونظير هذه الحكاية حكاية أبي حية النمرى ، وكان جباناً ، قيل : كان لأبي حية سيفٌ ليس بينه وبين الخشب فرق ، كان يسميه لعاب النية ، فحكى عنه بعض جيرانه أنه قال : أشرفت عليه ليلة ، وقد انتضاء وهو واقفٌ بباب بيت في داره ، وقد سمع فيه حساً ، وهو يقول : أيها المفتر بنا ، المجترى علينا ، بش والله ما اخترت لنفسك ! خير قليلٌ وسيف صقيل ؛ لعاب النية الذي سمعت به ، مشهورة صولته ، ولا تخاف نبوته . اخرج بالمفوء عنك ؛ لا أدخل بالمقوبة عليك ؛ إني والله إن أدع قيساً نملأ القضاء عليك خيلاً ورجلاً . سبحان الله ! ما أكرها وأطيبها ؛ والله ما أنت ببعيد من تابعها ، والرسوب في تيار لجتها !

قال : وهبت ريحٌ ففتحت الباب ؛ فخرج كلبٌ يشتد ، فلبط بأبي حية واربد ، وشغى برجليه ، وتبادرت إليه نساء الحى ، فقلن : يا أبا حية ، لتفرخ روعتك ؛ إنما هو كلب ؛ فجلس وهو : يقول الحمد لله الذى مسخك كلباً ، وكفانى حرباً <sup>(٢)</sup> !

\*\*\*

وخرج مغيرة بن سعيد العجلي في ثلاثين رجلاً بظهر الكوفة ، فمطعموا <sup>(٣)</sup> ، وخالد بن عبد الله القسرى أمير العراق ، يخطب على المنبر فمرق ، واضطرب وتحيّر ، وجعل يقول : اطعموني ماء ، فهجاء ابن نوفل فقال :

(١) عبون الأخبار ١ : ١٦٨ ، ١٦٩

(٢) عبون الأخبار ١ : ١٦٨

(٣) الطحطا : تنابع الأصوات واختلافها .



أخالدُ لاجزأك الله خيراً      وإرى في جرائمك من أمير<sup>(١)</sup>  
 تروم الفخر في أغرابٍ قسِر      كأنك من سَراةِ بنى جَرير  
 جرير من ذوى يَمَنٍ أصيلٍ      كريم الأصل ذو خطرٍ كبير  
 وأمك عِلْجَةٌ وأبوك وغدٌّ      وما الأذنب عَذْلٌ للصدور !  
 وكنت لدى المغيرة عبدةً سوء      تبسول من الخفاة للزئير  
 لأعلاج ثمانية وشيخ      كبير السن ليس بذى ضرر<sup>(٢)</sup>  
 صرخت من الخفاة : أطمئوني      شراباً ثم بُلّت على السرير

وقال آخر يعمده بذلك :

بَلِّ اللّنايرَ من خوفٍ ومن دَهَشٍ      واستنظم الماء لما جدَّ في الحرب<sup>(٣)</sup>  
 ومن كلام ابن المقفع في ذم الجبن : الجبن مقتلة ، والحرس محرمة ؛ فانظر  
 فيما رأيت وسمعت : مَنْ قُتل في الحرب مَقْبِلاً أكثر أم مَنْ قُتل مدبراً ؟  
 وانظر مَنْ يطلب إليك بالإجمال والتكريم أحق أن تسخوَّ نفسك له بالمطية ، أم من  
 يطلب ذلك بالشَّرم والحرس ؟

(١) من أبيات وردت متفرقة في البيان والتبيين ٣ : ٤/٢٦٧ : ٢٠٥ ، والحجوان ٢ : ٤/٢٦٧ : ٢٠٥ / ٣٧٧

(٢) أورد المرزبانى هذا البيت في الوشح ٢٣٥ ، وعده شاهداً على ماى الشعر من التناقض ، قال :  
 لفظة « ضرير » إنما تستعمل - وهي تصرف من الضر - في الأكثر لدى لا بصر له ، وقول هذا  
 الشاعر في هذا الشيخ : إنه ذو بصر وأنه ضرير تناقض من جهة القنية والعدم ؛ وذلك أنه كأنه يقول : إن له  
 بصرأ ولا بصر له ؛ فهو بصر أعشى .

(٣) البيت أيضاً ليجي بن نوفل ، ذكره الجاحظ في البيان ١ : ١٢٢ ، وأورد بعده :

وَأَلْحَنُ النَّاسِ كُلُّ النَّاسِ قَاطِبَةً      وَكَانَ يُوَلِّعُ بِالتَّشْدِيقِ فِي الْخُطَابِ



(٦٩)

الأضل :

وقال عليه السلام في سحرة اليوم الذي ضرب فيه :

مَلَكْتَنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ ، فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ :  
يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوْدِ وَاللَّدَدِ ! فَقَالَ : أَدْعُ عَلَيْهِمْ ، فَقُلْتُ :  
أَبْدَلْنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَأَبْدَلَهُمْ لِي شَرًّا لَهُمْ يَنْبَى .

قال الرضى رحمه الله :

يَنْبَى بِالْأَوْدِ الْأَعْوَجَاجِ ، وَبِاللَّدَدِ الْخِصَامِ ، وَهَذَا مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ .

مركز تحقيقات كويري • • • راسدي

البِنْجُ :

قوله : « مَلَكْتَنِي عَيْنِي » من فصيح الكلام ، يريد غَلَبَنِي النوم .

قوله : « فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ » ، يريد مرتبى كما تَسْنَحُ الطُّبَاءُ وَالطَّيْرُ  
يَمْرًا بَكَ ، وَيَعْتَرِضُ لَكَ .

وَذَا هَاهُنَا بِمَعْنَى « الَّذِي » كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَاذَا تَرَى ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ أَيْ مَا الَّذِي تَرَى ، يَقُولُ :  
قُلْتُ لَهُ : مَا الَّذِي لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ ؟ وَمَا هَاهُنَا اسْتِفْهَامِيَّةٌ كَأَيِّ ، وَيُقَالُ ذَلِكَ فِيهَا يَسْتَعْظِمُ أَمْرَهُ ،  
كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ الْقَارِعَةُ • مَا الْقَارِعَةُ ﴾ <sup>(٢)</sup> . وَ « شَرًّا » هَاهُنَا لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِيهِ شَرًّا ،  
كَقَوْلِهِ : ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ ﴾ <sup>(٣)</sup> لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِي النَّارِ خَيْرًا .



## [ خبر مقتل الإمام عليّ كرم الله وجهه ]

ومحب أن نذكر في هذا الموضع مقتله عليه السلام؛ وأصح ما ورد في ذلك ما ذكره أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب "مقاتل الطالبين" (١).  
قال أبو الفرج علي بن الحسين - بعد أسانيد ذكرها مختلفة متفرقة، تجتمع على معنى واحد نحن ذاكره : إن نقرأ من الخوارج اجتمعوا بمكة فتذاكروا أمر المسلمين، فعاينهم وعابوا أعمالهم عليهم، وذكروا أهل النهروان، فترجموا عليهم، وقال بعضهم لبعض : لو أننا شربنا أنفسنا لله عز وجل فأتينا أئمة الضلال، وطلبنا غررتهم، وأرخصناهم المهاد والبلاد، وثأرنا ياخواننا الشهداء بالنهروان !

فتماعدوا عند انقضاء الحج، فقال عبد الرحمن بن ملجم : أنا أكنفيكم علياً، وقال واحد : أنا أكنفيكم معاوية، وقال الثالث : أنا أكنفيكم عمرو بن العاص، فتماعدوا وتوافقوا على الوفاء، وألا ينكيل أحد منهم عن صاحبه الذي يتوجه إليه ولا عن قتله، واتعدوا لشهر رمضان، في الليلة التي قتل فيها ابن ملجم علياً.

قال أبو الفرج : قال أبو مخنف : قال أبو زهير العبسي : الرجلان الآخران البرك بن عبد الله التميمي، وهو صاحب معاوية، وعمرو بن بكر التميمي، وهو صاحب عمرو بن العاص. قال : فأما صاحب معاوية فإنه قصد، فلما وقعت عينه عليه ضربه، فوقعت ضربه على أليته، وأخذ فجاء الطيب إليه؛ فنظر إلى الضربة فقال : إن السيف مسموم؛ فاختر إماً أن أحیی لك حديدة فأجعلها في الضربة [فتبراً] (٢)، وإما أن أسقيك دواء فتبراً وينقطع نسلك. فقال : أما النار فلا أطيئها، وأما النسل فني يزيد وعبد الله ماتقر عيني، وحسبي بهما. فسقاء الدواء فموفي وعالج جرحه حتى التأم، ولم يولد له بعد ذلك.

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٩ وما بعدها. (٢) من مقاتل الطالبين.



وقال له البرك بن عبدالله : إن لك عندي بشارة ؛ قال : وما هي ؟ فأخبره خبر صاحبه ؛ وقال له : إن عليا قُتل في هذه الليلة فاحتبستني عندك ، فإن قُتل فانت ولي ماتراه في أمري ، وإن لم يقتل أعطيتك العهود والمواثيق أن أمضي إليه فأقتله ، ثم أعود إليك فأضع يدي في يدك ، حتى تحكم في بما ترى . فحبسه عنده ، فلما أتى الخبر أن عليا قُتل في تلك الليلة خلى سبيله .

هذه رواية إسماعيل بن راشد . وقال غيره من الرواة : بل قتله من وقته .

وأما صاحب عمرو بن العاص ، فإنه وافاه في تلك الليلة ، وقد وجد علة فأخذ دواء ، واستخلف رجلاً يصلي بالناس ، يقال له خارجة بن أبي حبيبة ، أحد بني عامر بن لؤي ، فخرج للصلاة ، فشد عمرو بن بكر فضربه بالسيف فأبنته<sup>(١)</sup> ، وأخذ الرجل ، فأتى به عمرو بن العاص فقتله ، ودخل من غد إلى خارجة وهو يحود بنفسه ؛ فقال : أما والله يا أبا عبدالله ما أراد غيرك . قال عمرو : ولكن الله أراد خارجة .

وأما ابن ملجم فإنه قتل علياً تلك الليلة .

قال أبو الفرج : وحدثني محمد بن الحسن الأشناداني وغيره ، قال : أخبرني علي بن المنذر الطريقي ، قال : حدثنا ابن فضيل ، قال : حدثنا فطر<sup>(٢)</sup> ، عن أبي الطفيل ، قال : جمع علي عليه السلام الناس للبيعة ، فجاء عبدالرحمن بن ملجم فردّه علي مرتين أو ثلاثاً ، ثم مد يده فبايعه ، فقال له علي : ما يحبس أشقاها ! فوالذي نفسي بيده لتخضبن هذه من هذه ، ثم أنشد :

أشدُّ حيازيمك للموت      ت فإن الموت لاقيك

ولا تجزع من الموت      ت إذا حلّ بواديك

قال أبو الفرج :

(١) أبنت : أي جرحه .

(٢) في الأصول : « لطن » ، تصحيف ، سواه من مقاتل الطالبين ؛ وهو فطر بن خليفة الخزومي ، ذكره صاحب التهذيب فيمن روى عن أبي الطفيل عامر بن واثقه .



وقد روى لنا من طرق غير هذه ، أن علياً أعطى الناس ، فلما بلغ ابن ملجم أعطاه ، وقال له :

أريدُ حياتهُ وبريدُ قَتلي عذيرُك من خَليلك من مُرادٍ<sup>(١)</sup>

قال أبو الفرج : وحدثنى أحمد بن عيسى العجليّ بإسناد ذكره في الكتاب ، إلى أبي زهير العبيسيّ ، قال : كان ابن ملجم من مُراد وعداده في كِنْدَة ، فأقبلَ حتى قدم الكوفة ، فلقى بها أصحابه وكنتمهم أمره ، وطوى عنهم ما تعاقد هو وأصحابه عليه بمكة من قتل أمراء المسلمين مخافة أن ينتشر ، وزار رجلاً من أصحابه ذات يوم من بني تميم الرّباب ، فصادف عنده قطام بنت الأخضر ، من بني تميم الرّباب - وكان على قتل أخاها وأباها بالنهروان ، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها - فلما رآها شَفِيفَ بها ، واشتدَّ إعجابها بخلقها ، فقالت له : ما الذي تُسمّي لي من الصداق ؟ فقال : احتكيت ما بَدَأَ لك ، فقالت : أحكم عليك ثلاثة آلاف درهم ووصيفاً وخادماً ، وأن تقتلَ عليّ بن أبي طالب . فقال لها : لك جميعُ ما سألتِ ، وأما قتلُ عليّ فأُنيّ لي بذلك ا قالت : تلتبس غِرتَه ، فإن أنت قتلتَه شَفِيتَ نفسِي ؛ وهنالك العيش ممي ؛ وإن قَتَلْتِ فما عند الله خير لك من الدنيا ، فقال لها : أما والله ما أقدمني هذا المصّر ، وقد كنت هارباً منه لأمن أهله ، إلا ما سألتني من قتل عليّ .

قالت له : فأنا طالبة لك بعض مَنْ يساعدك على هذا ويؤويك ، ثم بعثت إلى وردان ابن بجالد ، أحد بني تميم الرّباب ، نفرتَه الخبر ، وسألتَه معاونة ابن ملجم ، فتحمّل لها ذلك ، وخرج ابن ملجم ، فأتى رجلاً من أشجع ، يقال له شبيب بن بَجْرَة ، وقال له : يا شبيب ؛ هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ قل : وما ذاك ؟ قال : تساعدني على قتل عليّ - وكان شبيبٌ على رأي الخوارج - فقال له : هيلتك المَبُولُ<sup>(٢)</sup> ! لقد جئتَ شيئاً إذا ! وكيف تقدر ويحك على ذلك ! قال ابن ملجم : نكمن له في المسجد الأعظم ؟

(١) البيت لعمر بن معديكرب ، اللآلى ١٣٨ ، وروايته هناك : « أريدُ حياته » .

(٢) المَبُول : الكسل ، والمَبُول : المرأة الشكول .



فإذا خرج لصلاة الفجر فتكنا به ، وشفيئنا أنفسنا منه ، وأدركنا ثأرنا . فلم يزل به حتى أجابه .

فأقبل به حتى دخلا على قطام ، وهي مستكفة في المسجد الأعظم ، قد ضربت لها قبة ، فقالا لها : قد أجمع رأينا على قتل هذا الرجل ، قالت لها : فإذا أردتما ذلك فالتقياني في هذا الموضع . فانصرفا من عندها ، فلبثا أياماً ثم أتياها ، ومعهما وردان بن بجاد ، الذي كلفته مساعدة ابن ملجم ؛ وذلك في ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين .

قال أبو الفرج : هكذا في رواية ابن مخنف ، وفي رواية<sup>(١)</sup> أبي عبد الرحمن السلمي أنها كانت ليلة سبع عشرة من شهر رمضان ، فقال لها ابن ملجم : هذه الليلة هي التي وعدت فيها صاحبي ووعداني أن يقتل كل واحد منا صاحبه الذي يتوجه إليه . قلت : إنما تواعدوا بمكة : عبد الرحمن ، والبرك ، وتعمرو ؛ على هذه الليلة ؛ لأنهم يعتقدون أن قتل ولاية الجوز قربة إلى الله ، وأخرى القربات ما تقرب به في الأوقات الشريفة المباركة .

ولما كانت ليلة الجمعة التاسعة عشرة من شهر رمضان ليلة شريفة ، يرجى أن تكون ليلة القدر ، عيئوها لفعل ما يعتقدونه قربة إلى الله ؛ فليعجب المتعجب من العقائد ، كيف تسري في القلوب ، وتغلب على العقول ، حتى يرتكب الناس عظام الأمور ، وأهوال الخطوب لأجلها !

<sup>(٢)</sup> قال أبو الفرج : فدعت لهم بحريز فعصبت به صدورهم ، وتقلدوا سيوفهم ، ومضوا فجلسوا مقابل الشدة التي كان يخرج منها على عليه السلام إلى الصلاة<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

(١) ١ ، ج ومقاتل الطالبين : حديث .

(٢ - ٣) ساقط من ب ، وهو في ١ ، وج ومقاتل الطالبين .



قال أبو الفرج : وقد كان ابن ملجم أكنى الأشعث بن قيس في هذه الليلة ، نخلابه في بعض نواحي المسجد ، ومرت بهما حُجْر بن عدى ، فسمع الأشعث وهو يقول لابن ملجم : النجاء النجاء ! حاجتك ! فقد فضحك الصبح ، قال له حُجْر : قتلته يا هور ! وخرج مبادراً إلى علي<sup>(١)</sup> ، وقد سبقه ابن ملجم فضربه<sup>(٢)</sup> ، فأقبل حُجْر والناس يقولون : قُتِلَ أمير المؤمنين

قال أبو الفرج : وللأشعث بن قيس في انحرافه عن أمير المؤمنين أخبارٌ بطول شرحها ، منها حديثٌ حدثني محمد بن الحسين الأشناداني ، قال : حدثني إسماعيل بن موسى : قال : حدثنا علي بن مسهر ، عن الأجلح ، عن موسى بن أبي النعمان قال : جاء الأشعثُ إلى علي بن سنان عليه ، فردّه قنبر ، فأدّى الأشعثُ أنفه ، فخرج علي وهو يقول : مالي ولك يا أشعث ! أما والله لو بعبد ثقيف فترت لأشعرت شعيراتك ! قيل : يا أمير المؤمنين ، ومن عبد ثقيف ؟ قال : غلام لم لا يبقى أهل بيت من العرب إلا أدخلهم ذلاً ، قيل : يا أمير المؤمنين ، كم يلي - أو كم يمكث ؟ قال : عشرين ، إن بلغها .

قال أبو الفرج : وحدثني محمد بن الحسين أيضاً بإسناد ذكره ، أن الأشعث دخل على علي فكلّمه فأغلظ علي له ، فمرّض له الأشعث ؛ أنه سيفتك به ، فقال له علي : أبا الموت نخوفني أو تهذني ! فوالله ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت على !

قال أبو الفرج : قال أبو مخنف : فحدثني أبي ، عن عبد الله بن محمد الأزدي ، قال : إن لأصلي تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل النضر ، كانوا يصلّون في ذلك الشهر من أول الليل إلى آخره ؛ إذ نظرتُ إلى رجال يصلّون قريباً من السّدة قياماً وقعوداً ، وركوعاً وسجوداً ، ما يسأمون ؛ إذ خرج عليهم علي بن أبي طالب الفجر ، فأقبل ينادي : الصلاة الصلاة ! فرأيتُ بريقَ السيف ، وسمعتُ قائلاً يقول : الحكم لله يا علي لا لك ،

(١) بعدما في مقاتل الطالبين : « وأسرج دابته » .

(٢) في مقاتل الطالبين : « فضرب علياً » .



ثم رأيت بريق سيف آخر ، وسمعت صوت علي عليه السلام ، يقول : لا يفوتكم الرجل .  
 قل أبو الفرج : فأما بريق السيف الأول ، فإنه كان شبيب بن بجرة ضربه فأخطأه ،  
 ووقعت ضربته في الطاق ، وأما بريق السيف الثاني ، فإنه ابن ملجم ، ضربه فأثبت الضربة  
 في وسط رأسه ، وشد الناس عليهما من كل ناحية ، حتى أخذوها <sup>(١)</sup> .

قال أبو مخنف : فهذان تذكر أن رجلا منهم ، يكنى أبا أدماء أخذ ابن ملجم .  
 وقال غيرهم : بل أخذه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ، طرح عليه قبايفة ثم صرعه ،  
 وأخذ السيف من يده وجاء به .

قال : وأما شبيب بن بجرة فإنه خرج هارباً ، فأخذه رجل فصرعه ، وجلس على  
 صدره ، <sup>(٢)</sup> وأخذ السيف من يده ليقتله ، فرأى الناس يقصدون نحوه ، فخشى أن يمتلوا عليه ،  
 فوثب عن صدره <sup>(٣)</sup> ، وخلّاه وطرح السيف عن يده ؛ وأما شبيب بن بجرة فقاتله ، فخرج  
 هارباً حتى دخل منزله ، فدخل عليه ابن ملجم <sup>(٤)</sup> ، فرآه يحمل الحرير عن صدره ، فقال له <sup>(٥)</sup> :  
 ما هذا ؟ لعلك قتلت أمير المؤمنين ! فأراد أن يقول : لا ، فقال : نعم ، ففضى ابن عمه فاشتمل  
 على سيفه ثم دخل عليه فضربه حتى قتله .

قال أبو مخنف : فحدثني أبي ، عن عبد الله بن محمد الأزدي ، قال : أدخل ابن ملجم  
 علي عليه السلام ، ودخلت عليه فيمن دخل ، فسمعت علياً يقول : النفس بالنفس ؛  
 إن أنا ميت فاقبلوه كما قتلتني ، وإن سلمت رأيت فيه رأيي ؛ فقال ابن ملجم : ولقد اشتريته  
 بألف - يعني السيف - ، وسممته بألف ، فإن خائني فأبعده الله ! قال : فنادته أم كلثوم :  
 يا عدو الله ، قتلت أمير المؤمنين ! قال إنما قتلت أباك ، قالت : يا عدو الله ! إني لأرجو

(١) مقاتل الطالبين : « عليه من كل ناحية حتى أخذوه » .

(٢ - ٢) ساقط من أ ، ج ، وهو في مقاتل الطالبين .

(٣ - ٣) ساقط من أ ، ب ، وهو في مقاتل الطالبين .



ألا يكون عليه بأس ، قال : فأراك إنما تبكين علياً إذا والله لقد ضربته ضربة  
لوقسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم .

قال أبو الفرج : وأخرج ابن ملجم من بين يديه ، وهو يقول <sup>(١)</sup> :

نَحْنُ ضَرَبْنَا يَا بَنَةَ الْخَيْرِ إِذْ طَنَى أَبَا حَسَنِ مَأْمُومَةً فَتَفَطَّرَا <sup>(٢)</sup>  
وَنَحْنُ حَاطِلْنَا مَلِكَهُ مِنْ نِظَامِهِ بِضَرْبَةِ سَيْفٍ إِذَا عَلَا وَتَجَبَّرَا  
وَنَحْنُ كِرَامٌ فِي الصَّبَاحِ أَعَزَّةٌ إِذَا لَمَسَ الْمَوْتَ ارْتَدَى وَتَأَزَّرَا  
قال : وانصرف الناسُ من صلاة الصبح ، فأخذوا بابن ملجم ، ينهشون لحمه  
بأسنانهم كأنهم السباع ، ويقولون : يا عدو الله ، ماذا صنعت ! أهلكت أمة محمد ،  
وقتل خير الناس ! وإنه لصامت ما ينطق .

قال أبو الفرج : وروى أبو مخنف ، عن أبي العفيل ، أن مصعب بن صوحان ، استأذن  
على علي عليه السلام ، وقد أتاه عائداً لما ضرب به ابن ملجم - فلم يكن عليه إذن - فقال مصعب  
للأذن : قل له : يرحمك الله يا أمير المؤمنين حياً وميتاً ، فلقد كان الله في صدرك عظيماً ،  
ولقد كنت بذات الله علياً . فأبانه الأذن مقالته ، فقال : قل له : وأنت يرحمك الله ، فلقد  
كنت خفيف المؤنة ، كثير المعونة .

قال أبو الفرج : ثم جمع له أطباء الكوفة ، فلم يكن منهم أحدٌ أعلم بجرحه من أبي هريرة  
عمر بن هاني السكوني - وكان متطبيباً صاحب كرسي بمالج الجراحات ، وكان من الأربعة  
غلاماً الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في عين التمر فبأهم - فلما نظر أثير إلى جرح  
أمير المؤمنين دعا برثة شاة حارة ، فاستخرج منها عرقاً ، وأدخله في الجرح ، ثم نفخه ، ثم

(١) الأبيات في المؤلف والمختلف الآمدي ٢٨٥ ، ونسبها إلى ابن مينا . قال : ومينا أمة .

(٢) المأمومة : الشجة تنبع أم الرأس .



استخرجه ، وإذاعليه بياض الدِّماغ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اعهد عهدك ؛ فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك . فدعا على عليه السلام عند ذلك بدواة وصحيفة ، وكتب وصيته : هذا ما أوصى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؛ أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ؛ صلوات الله وبركاته عليه ؛ إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغه كتابي هذا بتقوى الله ربنا وربكم ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، فإني سمعت رسول الله يقول : « صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام ، وإن الميرة حاكمة الدين إفساد ذات البين ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انظروا إلى ذري أرحامكم فصلوها بين الله عليكم الحساب . والله الله في الأيتام فلا تغيروا أفواههم بحقوقكم . والله الله في جيرانكم ، فإنها وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فما زال يوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورثهم الله ؛ والله الله في القرآن فلا يسبقنكم بالعمل به غيركم . والله الله في الصلاة ، فإنها عماد دينكم . والله الله في صيام شهر رمضان فإنه جنة من النار . والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم ، والله الله في زكاة أموالكم ، فإنها تطفي غضب ربكم ، والله الله في أهل بيت نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم ، والله الله في أصحاب نبيكم فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى بهم . والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم . والله الله فيما ملكت أيمانكم فإنه كانت آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قال : « أوصيكم بالضعيفين ؛ فيما ملكت أيمانكم » ، ثم الصلاة الصلاة لا تخافوا في الله لومة لائم بكمكم من بني عايصكم ، ومن أرادكم بسوء . قولوا للناس حسناً ، كما أمركم الله به ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيتولى ذلك غيركم ، وتدعون فلا يستجاب لكم . عليكم بالتواضع والتبازل والتباز ، وإياكم والتقاطع والتفريق



والتدابير ، تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب . حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ فيكم نبيه ؛ أستودعكم الله خير مستودع ، وعايكم سلام الله ورحته .

قلت : قوله : « والله الله في الأيتام ، فلا تغفرون أفواههم بحفوتكم » ؛ يحتمل تفسيرين : أحدهما لا نجيموهم ؛ فإن الجائع يخلف فيه ، وتتغير نكهته . والثاني : لا نحوجوهم إلى تكرار الطلب والسؤال ، فإن السائل ينضب ريقه وتشتط لهواته ، وتتغير ريح فيه .

وقوله حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « أوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيمانكم » ، يعني به الحيوان الناطق والحيوان الأجم .

قال أبو الفرج : وحدثني أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بإسناد ذكره في الكتاب ، عن أبي عبد الرحمن السلي ، قال : قال لي الحسن بن علي عليه السلام : خرجتُ وأبي يصلي في المسجد ، فقال لي : يا بني إني بيت الليلة أوقف أهلي ، لأنها ليلة الجمعة صبيحة يوم بدر لتسع<sup>(١)</sup> عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، فلكنتي عيناى ، فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقلت : يا رسول الله ؛ ماذا لقيت من أمتك من الأود<sup>(٢)</sup> والدد<sup>(٣)</sup> ا فقال لي : أدع عليهم ؛ قلت : اللهم أبداني بهم خيرا منهم ، وأبدلهم بي من هو شر مني .

قال الحسن عليه السلام : وجاء ابن أبي الساج ، فأذنه بالصلاة ؛ فخرج فخرجت خلفه ، فاعتوره الرجلان ، فأما أحدهما فوقعت ضربته في الطاق ، وأما الآخر فأتبها في رأسه .

قال أبو الفرج : قال : حدثني أحمد بن عيسى ، قال : حدثنا الحسين بن نصر ، قال :

(١) مقاتل الطالبين : « سبع عشرة » .

(٢) في مقاتل الطالبين : قال أبو الفرج : الأود : الموج ، والدد : الحصومات .



حدثنا زيد بن العدل ، عن يحيى بن شعيب ، عن أبي مخنف ، عن فضيل بن خديج ، عن الأسود الكندي والأجلح ؛ قالوا ، توفي علي عليه السلام وهو ابن أربع وستين سنة في عام أربعين من الهجرة ، ليلة لإحدى وعشرين ليلة الأحدث من شهر رمضان ، ووليَّه فُسه ابنه الحسن وعبد الله بن العباس ، وكفنَّ في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ، وصلى عليه ابنه الحسن ، فكبر عليه خمس تكبيرات ، ودُفن بالراحبة ، مما يلي أبواب كنفذة عند صلاة الصبح .

هذه رواية أبي مخنف .

قال أبو الفرج : وحدثني أحمد بن سعيد ، قال : حدثنا يحيى بن الحسن العلوي ، قال : حدثنا يعقوب بن زيد ، عن ابن أبي عمير ، عن الحسن بن علي اللؤلؤ ، عن جده ، قال : قلت للحسين<sup>(١)</sup> بن علي عليه السلام : أين دفنتم أمير المؤمنين عليه السلام ؟ قال : خرجنا به ليلاً من منزله حتى مررنا به على منزل الأشعث بن قيس ، ثم خرجنا به إلى الظاهر بحسب الفري .

قلت : وهذه الرواية هي الحق وعليها العمل ؛ وقد قلنا فيما تقدم أن أبناء الناس أعرفُ بقبور آبائهم من غيرهم من الأجانب ؛ وهذا القبر الذي بالفري ، هو الذي كان بنو علي يزورونه قديماً وحديثاً ؛ ويقولون : هذا قبر أئمتنا ، لا يشك أحد في ذلك من الشيعة ، ولا من غيرهم ؛ أعني بنو علي من ظهر الحسن والحسين وغيرهما من سلالة ، المتقدمين منهم والتأخرين ، ما زاروا ولا وقفوا إلا على هذا القبر بعينه .

\*\*\*

وقد روى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في تاريخه المعروف " بالمنتظم " ،<sup>(٢)</sup> وفاة

(١) مقاتل الطالبين : د الحسن .

(٢) المنتظم : ٩ : ١٨٩ .



أبي الفنائم محمد بن علي بن ميمون الترمي<sup>(١)</sup> المعروف بأبي<sup>(٢)</sup> ، لجودة قراءته قال :  
توفي أبو الفنائم هذا في سنة عشر وخمسة ، وكان محدثاً من أهل الكوفة ثقة حافظاً ،  
وكان من قوام الليل ومن أهل السنة ، وكان يقول : ما بالكوفة من هو على مذهب أهل  
السنة وأصحاب الحديث غيري ؛ وكان يقول : مات بالكوفة ثلاثمائة صحابي ليس قبر أحد  
منهم معروفاً إلا قبر أمير المؤمنين ، وهو هذا القبر الذي يزوره الناس الآن ؛ جاء جعفر بن محمد  
عليه السلام وأبوه محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام إليه ، فزاراه ، ولم يكن إذ ذاك قبراً  
معروفاً ظاهراً ، وإنما كان به مريح عضاء ، حتى جاء محمد بن زيد الداعي صاحب الديلم ،  
فأظهر القبر<sup>(٣)</sup> .

وسألت بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبو بكر  
في تاريخه ، أن قوماً يقولون : إن هذا القبر الذي يزوره الشيعة إلى جانب الغري هو قبر  
المغيرة بن شعبة ، فقال : غلطوا في ذلك ، قبر المغيرة وقبر زياد بالثوبة<sup>(٤)</sup> من أرض الكوفة ،  
ونحن نعرفها ونقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا . وأنشدني قول الشاعر يرثي زيادا ، وقد ذكره  
أبو تمام في الحاسة :

صَلَّى إِلَهُ عَلَى قَبْرِ وَطْئِهِ      عِنْدَ الثُّبُوتِ بِسَفَى فَوْقَ الْمَوْرِ<sup>(٥)</sup>  
زَفَتْ إِلَيْهِ قَرِيشٌ نَعَشَ سَيِّدَهَا      فَالْحَلْمُ وَالْجُودُ فِيهِ الْيَوْمَ مَقْبُورٌ<sup>(٦)</sup>  
أَبَا الْمَغِيرَةِ وَالْدُنْيَا مَفْجَعَةٌ      وَإِنْ مِنْ غَرَّتِ الدُّنْيَا لَمَنْرُورٌ

(١) في الأصول : « الرمي » ، وما أثبتته عن المنتظم والنجوم الزاهرة : ٢١٢ .

(٢) أبي بن كعب بن قيس سيد الفراء .

(٣) في الأصول : « القبعة » ، وما أثبتته عن المنتظم .

(٤) الثوبة : موضع قريب من الكوفة .

(٥) الأبيات في الكامل للمبرد ١ : ٣١٧ ، ونسبها إلى حارثة بن بدر ؛ وهي أيضاً في معجم البلدان

٢٨ : ٣ بهذه النسبة . والمور : التراب ؛ يريد أن الرمي تسميه بالتراب .

(٦) قال المبرد : قوله : « نعش سيدها » يريد موضعه من النسب ؛ لأنه نسبته إلى أبي سفيان ؛ وكان

رئيس قريش قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم .



قد كان عندك للمعروف معرفةً      وكان عندك للمعكور تذكيرُ  
وكنْتَ تُعْشَى وتُعْطَى المَالُ مِنْ سَمَةٍ      فالْيَوْمَ قَبْرُكَ أَضْحَى وهو مَجُورُ  
وَالنَّاسُ بِعَدِّكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُمْ      كَأَنَّمَا نَفِخَتْ فِيهِ الْأَطْعَامُيرُ<sup>(١)</sup>

وسألت قطب الدين تقيب الطالبيين أبا عبد الله الحسين بن الأقباسي رحمه الله تعالى عن ذلك ، فقال : صدق من أخبرك ؛ نحن وأهلها كافة نعرف مقابر تقيف إلى الثوبية ، وهي إلى اليوم معروفة ، وقبر المغيرة فيها ، إلا أنها لا تعرف ، وقد ابتلعها السَّبَخُ وَزَبَدُ الأرض وفورانها ، فطُمِسَتْ واختلط بعضها ببعض .

ثم قال : إن شئت أن تتحقق أن قبر المغيرة في مقابر تقيف فانظر إلى كتاب الأغاني<sup>(٢)</sup> لأبي الفرج علي بن الحسين ، والمَحْ ما قاله في ترجمة المغيرة ، وأنه مدفون في مقابر تقيف ، ويكفيك قول أبي الفرج ، فإنه الناقد البصير ، والطبيب الخبير ؛ فتصفحْ ترجمة المغيرة في الكتاب المذكور ، فوجدت الأمير كما قاله التقيب .

مركز تحقيق التراث  
بمكتبة جامعة القاهرة

قال أبو الفرج : كان مصقلة بن هبيرة الشيباني قد لآحى المغيرة في شيء كان بينهما منازعة ، فضرع له المغيرة وتواضع في كلامه ، حتى طمع فيه مصقلة ، فاستعمل عليه وشقه ، وقال : إني لأعرفُ شَبَهِي في عروة ابنك ، فأشهد المغيرة على قوله هذا شهوداً ، ثم قدمه إلى شريح القاضي ، فأقام عليه البينة ، فضربه شريح الحدَّ وآلى مصقلة ألا يقيم ببلدة فيها المغيرة ، فلم يدخل الكوفة ، حتى مات المغيرة ، فدخلها ، فلتقاه قومه فسلموا عليه ، فما فرغ من السلام حتى سألهم عن مقابر تقيف ، فأرشدوه إليها ، فجعل قومٌ من مواليه

(١) قال البرد : « قوله : كأنما نفخت فيه الأعاصير ؛ هذا مثل ؛ وإنما يريد خفة الخلوم . والإعصار - فيما ذكر أبو عبيدة - ريح تهب بشدة فيما بين السماء والأرض » . هذا ولم أجد الأبيات في الحاشية .

(٢) انظر الأغاني ١٦ : ٧٩ - ١٠١ .



يلتقطون الحجارة ، فقال لهم : ما هذا ؟ فقالوا : نظن أنك تريد أن ترجم قبر المغيرة ، فقال :  
ألقوا ما في أيديكم ، فانطلق حتى وقف على قبره ، ثم قال : والله لقد كنت - ما علمت - نافما  
لصديقك ، ضاراً لعدوك ، ومماثلك إلا كما قال مهلهل في كليب أخيه :

إِنْ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَزْماً وَعَزْماً وَخَيْباً أَلَدَ ذَا مِغْلَاقٍ<sup>(١)</sup>  
حَيَّةٌ فِي الْوِجَارِ أَرْبَدٌ لَا يَنْفَعُ مِنْهُ السَّلِيمُ نَفْثَةٌ رَاقٍ

\*\*\*

قال أبو الفرج : فأما ابن ملجم ، فإن الحسن بن عليّ بعد دفنه أمير المؤمنين دعاه به  
وأمر بضرب عنقه ، فقال له : إن رأيت أن تأخذ عليّ العهد أن أرجع إليك حتى أضع يدي  
في يدك ، بعد أن أمضي إلى الشام ، فأنظر ما صنع صاحبي بمعاوية ، فإن كان قتله وإلا فقتله  
ثم عدت إليك حتى تحكم في حكمك . فقال : هيأت ، والله لا تشرب الماء البارد حتى  
تلتحق روحك بالنار ، ثم ضرب عنقه ، واسترهبته أم الهيثم بنت الأسود النخعية بجثته منه ،  
فوهبها لها ، فأحرقها بالنار .

مركز تحقيقات مكتبة ميرزا قليچ بيگ

وقال ابن أبي مياس الفزاري ، وهو من الخوارج :

فَلَمْ أَرْ مَهْرًا سَأَلَهُ دُو سَمَاحَةٍ كَهَرِ قَطَامٍ مِنْ غَنَى وَمُعْتَمِدٍ  
ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدٌ وَقَيْنَةٌ وَضَرْبٌ عَلَى بِالْحَسَامِ الصَّحْمِ  
فَلَا مَهْرَ أَغْلَى مِنْ عَلِيٍّ وَإِنْ غَلَا وَلَا فَتَكَ إِلَّا دُونَ فَتَكَ ابْنِ مَلْجَمٍ

وقال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب<sup>(٢)</sup> :

وَهَزَّ عَلَى بِالْمَرَاغِينَ لَحِيَةً مَصِيبَتُهَا جَلَّتْ عَلَى كُلِّ مُسَلِّمٍ  
وَقَالَ سَيَانِيهَا مِنْ اللَّهِ نَازِلٌ وَبِخَضْبِهَا أَشَقَى الْبَرِيَّةِ بِالْأَمِّ  
فَعَاجَلَهُ بِالسَّيْفِ ثَلَاثُ يَمِينَةٍ لَشُومِ قَطَامٍ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِ مَلْجَمٍ

(١) الأغاني ١٦ : ٩٢ ، والمغلق : اللسان البانيغ

(٢) الأبيات في الاستيعاب ٤٧٢ ، ونسما ، إلى بكر بن حماد .



فياضربة من خاسر ضلَّ سعيه      تبوأ منها مقعداً في جهنم  
فجاز أمير المؤمنين بحظه      وإن طرقت إحدى الليالي بمعظم  
ألا إنما الدنيا بلاء وفتنة      حلاوتها شيت بصاب وعلم  
قال أبو الفرج: وأنشدني عتي الحسن بن محمد، قال: أنشدني محمد بن سعد، لبعض بني  
عبد المطلب، يرثي علياً، ولم يذكر اسمه:

يا قبر سيدنا المجن سماحة      صلى الإله عليك يا قبر  
ماضراً قبراً أنت ساكنه      الأ يحمل بأرضه القطر  
فليندبن سماح كغفك بالثرى      وليورقن بحنبك الصخر  
والله لو بك لم أجذ أحداً<sup>(۱)</sup>      إلا قتلت ، لفأتني الوثر



مرکز تحقیقات کتب ویراثه اسلامی

(۱) فی حاشیه ج: «لم أدمع أحداً» .



## الأصل

ومن كلام له عليه السلام في ذم أهل العراق :

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمُرَاةِ الْحَامِلِ ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ  
وَمَاتَ قَيْتُهَا ، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا ، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا .

أَمَّا وَاللَّهِ مَا اتَّيْتُكُمْ اخْتِيَارًا ؛ وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْفًا . وَلَقَدْ بَلَغَنِي  
أَنْتُمْ تَقُولُونَ : عَلَيَّ <sup>(١)</sup> يَكْذِبُ ، قَاتِلُكُمْ اللَّهُ تَعَالَى ! فَعَلَى مَنْ أَكْذَبَ ! أَفَلَى اللَّهِ فَإِنَّمَا  
أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ ؟ فَإِنَّا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَ <sup>(٢)</sup> بِهِ !

كَلَّا وَاللَّهِ ! لَكُمْ آلِهَةٌ غَيْبٌ عَنْهَا ، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا ، وَبَلْ أَمْرٌ كَبِيرٌ  
يَغِيرُ مَنْ لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاةٌ : وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ !

مركز توثيق ودراسات اسلامی

## الشرح :

أَمْلَصَتْ الْحَامِلُ : أَلْقَتْ وَلَدَهَا سَقَاطًا وَفَيْسًا : بِلَهَا . وَتَأَيَّمُهَا : خَلُوهَا عَنْ الْأَزْوَاجِ ؛ يَقُولُ :  
لَمَّا شَارَقْتُمْ اسْتِنْصَالَ أَهْلَ الشَّامِ ، وَظَهَرَتْ أَمَارَاتُ الْفَقْرِ لَكُمْ ، وَدَلَّائِلُ الْفَتْحِ ؛ نَكَسْتُمْ  
وَجَنَحْتُمْ إِلَى السَّلَامِ وَالْإِجَابَةِ إِلَى التَّحْكِيمِ عِنْدَ رَفْعِ الْمَصَاحِفِ ؛ فَكُنْتُمْ كَالْمُرَاةِ الْحَامِلِ لَمَّا أَتَمَّتْ  
أَشْهَرَ تَحْلِيلِهَا أَلْقَتْ وَلَدَهَا إِنْقَاءً غَيْرَ طَبِيعِيٍّ ؛ نَحْوُ أَنْ تَلْقِيَهُ لِسُقْطَةٍ أَوْ ضَرْبَةٍ أَوْ عَارِضٍ يَمْتَضِي  
أَنْ تَلْقِيَهُ هَالِكًا .

ثم لم يكف لم بذلك ، حتى قال : « وَمَاتَ بَعْلُهَا ، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا ، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا » ، أَيْ  
لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ وَهُوَ أَقْرَبُ الْخُلَفَاءِ إِلَى الْمَيِّتِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا بَعْلٌ فَوَرِثَهَا الْأَبَاعِدُ عَنْهَا ،

(١) ساقطة من مخطوطة التهجد .

(٢) مخطوطة التهجد : « صدق » .



كالسافلين من بني عمّ ، وكالمولاة تموت من غير ولد ولا من يجري مجراه ، فبرئها مولاهما ولا نسب بينها وبينه .

ثم أقسم أنه لم يأنهم اختياراً ، ولكنّ المقادير ساقته إليهم سَوْقاً ، يعني اضطراراً . وصدق عليه السلام ، لأنه لو لا يوم الجمل لم يحتجّ إلى الخروج من المدينة إلى العراق ، وإنما استنجد بأهل الكوفة على أهل البصرة ، اضطراراً إليهم ، لأنه لم يكن جيشه الحجازي وافيّاً بأهل البصرة الذين أصفقوا على حربته ونكث بيعته ، ولم يكن خروجه عن المدينة سوى دار الهجرة - ومفارقة لقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقبر فاطمة عن إيثاري ومحبة ؛ ولكنّ الأحوال تحكم وتسوق الناس إلى مالا يختارونه ابتداء .

وقد روى هذا الكلام على وجه آخر : « ما أتيتكم اختياراً ، ولا جنت إليكم شوقاً » بالشين المعجمة .

ثم قال : « بلغني أنكم تقولون : يكذب » ؛ وكان كثيراً ما يخبر عن الملاحم والكائنات ويومئ إلى أمور أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيقول المناقون من أصحابه : يكذب كما كان المناقون الأولون في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون عنه : يكذب .

\*\*\*

وروى صاحب كتاب " الفارات " ، عن الأعمش ، عن رجاله ، قال : خطب على عليه السلام ، فقال :

والله لو أمرتكم فجمعتم من خياركم مائة ، ثم لو شئت لحدتكم من غدوة إلى أن تغيب الشمس ؛ لا أخبرتكم إلا حقاً ؛ ثم لتخرجنّ فلنزعنّ أني أكذب الناس وأفجرهم . وقد روى صاحب هذا الكتاب وغيره من الرواة أنه قال :

إن أمرنا صعب مستصعب ، لا يحمله إلا ملك مقرب ، أو نبي مرسل ، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان .



وهذا الكلام منه كلام عارف عالم بأن في الناس مَنْ لا يصدّقه فيما<sup>(١)</sup> يقول؛ وهذا أمر مركوز في الجبلة البشرية، وهو استبعاد الأمور الغريبة، وتكذيب الإخبار بها. وإذا تأملت أحواله في خلافته كلّها وجدتها هي مختصرة من أحوال رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته؛ كأنها نسخة من نسخة منها، في حربه وسيلته، وسيرته وأخلاقه، وكثرة شكايته من المنافقين من أصحابه والخالفين لأمره؛ وإذا أردت أن تعلم ذلك علما واضعا، فاقرا سورة «براءة» ففيها الجَمّ الغفير من المعنى الذي أشرنا إليه.

\*\*\*

### [ ذكر مطاعن النّظام على الإمام عليّ والرّد عليه ]

واعلم أن<sup>(٢)</sup> النّظام لما تكلم في كتاب "النسكت"، وانتصر لسكون الإجماع ليس بحجة، اضطر إلى ذكر عيوب الصحابة، فذكر لكلّ منهم عيبا، ووجه إلى كلّ واحد منهم طعنا، وقال في عليّ: إنه لما حارب الخوارج يوم النهروان، كان يرفع رأسه إلى السماء تارة ينظر إليها، ثم يطرق إلى الأرض فينظر إليها تارة أخرى، يوم أصعابه أنه يوحى إليه، ثم يقول: «ما كذبت ولا كذبت»، فلما فرغ من قتالهم وأدبيل عليهم، ووضعت الحرب أوزارها، قال الحسن ابنه: يا أمير المؤمنين، أكان رسول الله صلى الله عليه وآله تقدّم إليك في أمر هؤلاء بشيء؟ فقال: لا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني بكلّ حق، ومن الحق أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

قال النّظام<sup>(١)</sup>: وقوله: «ما كذبت ولا كذبت»، ورفع رأسه أحيانا إلى السماء وإطرقه إلى الأرض إيهام؛ إما لنزول الوحي عليه، أو لأنه قد أوصى من قبل في شأن الخوارج بأمر. ثم هو يقول: ما أوصى فيهم على خصوصيتهم بأمر؛ وإنما أوصى بكلّ الحق، وقاتلهم من الحق.

(١) كذا في ج، وفي أ، ب: «كما».

(٢) هو إبراهيم بن سيار بن هاني البصري أبو إسحاق النّظام، أحد أئمة المعتزلة؛ ذكره ابن حجر في لسان الميزان ١: ٦٧، وقال إنه «مات في خلافة المعتصم سنة بضع وعشرين ومائتين».



وهذا عجيب طريف .

فنقول : إن النظام أخطأ عندنا في تمريره بهذا الرجل خطأ قبيحاً ، وقال قولاً منكراً ؛ نستغفر الله له من عقابه ، ونسأله عفوّه عنه ؛ وليست الرواية التي رواها عن الحسن وسؤاله لأبيه وجوابه له ، بصحيحة ولا معروفة ، والمشهور المعروف المنقول نقلًا يكاد يبلغ درجة التواتر من الأخبار ، ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله في معنى الخوارج بأعيانهم وذكورهم بصفاتهم ، وقوله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام : « إنك مقاتلهم وقاتلهم ، وإن الخدج <sup>(١)</sup> ذا الذئبة منهم ؛ وإنك ستقاتل بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين » ؛ فجلهم أصنافاً ثلاثة حسب ما وقعت الحال عليه . وهذا من معجزات الرسول صلى الله عليه وآله ، وإخباره عن الغيوب المفصلة . فما أعلم من أى كتاب نقل النظام هذه الرواية ، ولا عن أى محدث رواها ؛ ولقد كان رحمه الله تعالى بعيداً عن معرفة الأخبار والسيرة منصباً فكره ، مجهداً نفسه في الأمور النظرية الدقيقة . كسألة الجزء . ومداخلة الأجسام وغيرها ، ولم يكن الحديث والسيرة من فنونه ولا من علومه ؛ ولا ريب أنه سمعها ممن لا يوثق بقوله ، فنقلها كما سمعها .

فأما كونه عليه السلام كاث بنظر تارة إلى السماء ، وتارة إلى الأرض . وقوله : « ما كذبت ولا كذبت » ، فصحيح وموثوق بنقله ، لاستقامته وشهرته وكثرة روايته ؛ والوجه في ذلك أنه استبطاً وجود الخدج حيث طلبه في جملة القتل ، فلما طال الزمان . وأشفق من دخول شبهة على أصحابه لما كان قدّمه إليهم من الأخبار قلّقواهم . وجعل يكرر قوله : « ما كذبت ولا كذبت » أى ما كذبت على رسول الله صلى الله عليه وآله . ولا كذبتى رسول الله صلى الله عليه وآله فيما أخبرنى به .

فأما رفعه رأسه إلى السماء تارة . وإطرافه إلى الأرض أخرى ؛ فإنه حيث كان يرفع

(١) الخدج : الناقس البد .



رأيه ، كان يدعو ويتضرع إلى الله في تعجيل الظفر بالحدج ؛ وحيث يطرق كان يثبته  
المهم والفكر فيطرق .

ثم حين يقول : « ما كذبت ولا كذبت » ، كيف ينتظر نزول الوحي ، فإن من  
نزل عليه الوحي لا يحتاج أن يسند الخبر إلى غيره ، ويقول : ما كذبت فيما أخبرتكم به  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبما طعن به النظام عليه<sup>(١)</sup> أنه عليه السلام قال : إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله  
عليه وآله فهو كما حدثتكم ، فوالله لأن أخبر من السماء أحب إلي من أن أكذب على  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا سمعتموني أحدثتكم فيما بيني وبينكم ؛ فإنما  
الحرب خدعة .

قال النظام : هذا يجري مجرى التذليس في الحديث ، ولو لم يحدثهم عن رسول الله  
صلى الله عليه وآله بالمعاريض ؛ وعلى طريق الإيهام لما اعتذر من ذلك .

فتقول في الجواب : إن النظام قد وهم وانكس عليه مقصد أمير المؤمنين ؛ وذلك أنه  
عليه السلام<sup>(٢)</sup> لشدة ورعه أراد أن يفصل السامعين بين ما يخبر به عن نفسه ، وبين ما يرويه  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك لأن الضرورة ربما تدعوه إلى استعماله للمعاريض ،  
لا سيما في الحرب المبينة على الخديعة والرأي ؛ فقال لم : كلما أقول لكم قال لي رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، فاعلموا أنه سليم من المعاريض ، خال من الرمز والكناية ، لأنني  
لا أستعيز ولا أستعمل أن أعمى أو أليز في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
وما حدثتكم به عن نفسي ، فربما أستعمل فيه المعاريض ؛ لأن الحرب خدعة .



وهذا كلام رجل قد استعمل التقوى والورع في جميع أموره ، وبلغ من تعظيم أمر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، وإجلال قدره واحترام حديثه ألا يرويه إلا بالفاظه لا بمعانيه ، ولا بأساً يقتضى فيه إلباساً وتعميةً ، ولو كان مضطراً إلى ذلك ؛ ترجيحاً للجانب الذى على جانب مصاحته في خاص نفسه . فأمّا إذا هو قال كلاماً يبتدىء به من نفسه ، فإنه قد يستعمل فيه المعارض إذا اقتضت الحكمة والتدبير ذلك ؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله باتفاق الرواة كافة إذا أراد أن يفزّز وجهاً ورأى عنه بغيره ، ولما خرج عليه السلام من المدينة لفتح مكة ، قال لأصحابه كلاماً يقتضى أنه يقصد بنى بكر بن عبد مناة من كنانة ، فلم يعلموا حقيقة حاله حتى شارف مكة . وقال حين هاجر وصحبته أبو بكر الصديق لأعرابي لقيهما : من أين أنت ؟ ومن أنت ؟ فلما اننسب لهما ، قال له الأعرابي : أمّا أنا فقد أظلمتكم طلع أسرى ؛ فمن أنت ؟ فقال : من ماء ، لم يزد على ذلك ؛ فجعل الأعرابي يفكر ، ويقول : من أى ماء ؟ من ماء بنى فلان ، من ماء بنى فلان ؟ فتركه ولم يفترله ؛ وإنما أراد عليه السلام أنه مخلوق من نطفة .

فأما قول النظام : « لو لم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعارض لما اعتذر من ذلك » ؛ فليس في كلامه اعتذار ؛ ولسكنه نقي أن يَدْخُلَ المعارض في روايته ؛ وأجازها فيما يبتدىء به عن نفسه ؛ وليس يتضمن هذا اعتذاراً . وقوله : « لأن آخر من السماء » يدل على أنه ما قبل ذلك ولا يفعله .

\*\*\*

ثم قال : « عَلَى مَنْ أَكْذِبُ ؟ » يقول : كيف أكذب على الله وأنا أول المؤمنين به ؟ وكيف أكذب على رسول الله وأنا أول المصدقين به ؟ أخرجه مخرج الاستبعاد لعوامهم وزعمهم . فإن قلت : كيف يمكن أن يكون للكاتب الذى هو من أتباع الرسول كاذباً على الله إلا بواسطة إخباره عن الرسول ؛ لأنه لا وصلة ولا واسطة بينه وبين الله تعالى إلا الرسول ؟



وإذا لم يمكن كذبه على الله إلا بكذبه على الرسول لم يبق لتقسيم الكذب وقوله : « أفأنا أ كذب على الله أو على رسوله ؟ » معنى (١) .

قلت : يمكن أن يكذب الكاذب على الله دون أن يكون كاذباً على الرسول ؛ وإن كان من أتباع الرسول ؛ نحو أن يقول : كنت مع الرسول صلى الله عليه وآله ليلة في مقبرة فأحيا الله تعالى فلانا الميت ؛ فقام وقال كذا . أو يقول : كنت معه يوم كذا ؛ فسمعت منادياً يناديه من السماء : اعمل كذا ، أو نحو ذلك من الإخبار بأمور لا تستند إلى حديث الرسول .

\*\*\*

ثم قال عليه السلام (٢) : « كَلَّا وَاللَّهِ » ، أي لا والله . وقيل : إن « كَلَّا » بمعنى « حَقًّا » وإنه إثبات .

قال : « ولكنها لهجة غُيِّبَتْ عنها » ، اللهمجة ، بفتح الجيم ؛ وهي آلة النطق ؛ يقال له : هو فصيح اللهجة ، وصادق اللهجة . ويمكن أن يعنى بها لهجة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيقول : « شهدت وغُيِّبَتْ » . ويمكن أن يعنى بها لهجته هو ؛ فيقول : إنها لهجة غُيِّبَتْ عن منافعها ، وأعدمتم أنفسكم ثمن مناصحتها .

ثم قال : « ويلته » الضمير راجع إلى ما دلَّ عليه معنى الكلام من العلم ؛ لأنه لما ذكر اللهجة وشهوده إياها وغُيِّبَتْ عنهم عنها دلَّ ذلك على علم له خصه به الرسول عليه السلام . فقال : « ويلته » ، وهذه كلمة تقال للمعجب والاستعظام ؛ يقال : « ويلته فارساً ! » وتكتب موصولة كما هي بهذه الصورة ، وأصله « ويل أمه » مرادهم التعظيم والمدح ، وإن كان اللفظ موضوعاً لضد ذلك ، كقوله عليه الصلاة والسلام : « فَاظْفَرُوا بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ » ، وكقولهم للرجل يصفونه ويقرظونه : « لا أباله » .

وقال الحسن البصري ؛ وهو يذكر علياً عليه السلام ، ويصف كونه على الحق

(١) ساقطة من أ ، ب وهي في ج

(٢) ج : « رضى الله عنه » .



في جميع أموره ؛ حتى قال : « فلما شارب الظفر وافق على التحكيم ، ومالك في التحكيم والحق في يديك ، لا أبالك ا » .

قال أبو العباس المبرد : هي <sup>(١)</sup> كلمة فيها جفاء وخشونة ؛ كانت الأعراب تستعملها فيمن يستعظمون أمره ، قال : ولما أنشد سليمان بن عبد الملك قول بعض الأعراب :  
رَبِّ الْعِبَادِ مَالَنَا وَمَالَكَا . قَدْ كُنْتَ تَسْقِينَا فَمَا بَدَا لَكَا  
• أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ لَا أَبَا لَكَا •

قال : أشهد أنه لا أب له ولا صاحبة ولا ولد ، فأخرجها أحسن مخرج .  
ثم قال عليه السلام : « كيلاً بغير ثمن لو كان له وعاء » ، انتصب « كيلاً » لأنه مصدر في موضع الحال ، ويمكن أن ينتصب على التمييز ، كقولهم : لله دره فارسا ! يقول : أنا أكيل لكم العلم والحكمة كيلاً ولا أطلب لذلك ثمناً لو وجدت وعاء ! أي حاملاً للعلم ؛ وهذا مثل قوله عليه السلام : ها إن بين جنبي علما جاءوا أحيد له حيلة !  
ثم ختم الفصل بقوله تعالى : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ ؛ وهو أحسن ما ختم هذا الكلام به .

### [ خطبة الإمام علي بعد يوم النهروان ]

ورد في المدائني في كتاب « صفين » ، قال : خطب علي عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان ، فذكر طرفاً من الملاحم ، قال :  
إِذَا كَثُرَتْ فِيكُمْ الْأَخْلَاطُ ، وَاسْتَوْلَتْ الْأَنْبَاطُ ؛ دَنَا خَرَابُ الْعِرَاقِ ؛ ذَاكَ إِذَا بُنِيَتْ مَدِينَةُ ذَاتِ أَثَلٍ وَأَنْهَارٍ . فَإِذَا غَلَّتْ فِيهَا الْأَشْعَارُ ، وَشُدَّ فِيهَا الْبَنِيَانُ ، وَحَكَمَ فِيهَا الْفُسَاقُ ، وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ ، وَتَفَآخَرَ الْفَوْغَاءُ ؛ دَنَا خُسُوفُ الْبَيْدَاءِ ، وَطَابَ الْهَرَبُ وَالْجَلَاءُ .  
وَسَتَكُونُ قَبْلَ الْجَلَاءِ أُمُورٌ بِشِيبٍ مِنْهَا الصَّغِيرُ ، وَيَمُطِبُ الْكَبِيرُ ، وَيَخْرُسُ النَّصِيبُ



وَبَيَّهَتْ الْآيِبُ؛ يَمَاجِلُونَ بِالسَّيْفِ صَلَاحًا، وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ فِي غَضَارَةٍ مِنْ عَيْشِهِمْ يَمْرُحُونَ.  
 فَيَالَهَا مَصِيبَةً حِينَئِذٍ! مِنَ الْبَلَاءِ الْمَقِيمِ، وَالْبُسْكَاءِ الطَّوِيلِ، وَالْوَيْلِ وَالْعَوِيلِ، وَشِدَّةِ الصَّرِيحِ؛  
 فِي ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ - وَهُوَ كَائِنٌ، وَقَفًا - يَرِجُ<sup>(١)</sup>. فَيَا بَنَ حُرَّةَ<sup>(٢)</sup> الْإِمَاءِ، مَتَى تَنْتَظَرُ! أَبَشِيرُ  
 بِنَصْرِ قَرِيبٍ مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ. أَلَا فَوَيْلٌ لِلْمُتَكَبِّرِينَ؛ عِنْدَ حَصَادِ الْخَاصِدِينَ، وَقَتْلِ الْفَاسِقِينَ.  
 عَصَا ذِي الْعَرْشِ الْعَظِيمِ؛ فَيَأْتِي وَاحِدٌ مِنْ عِدَّةٍ قَلِيلَةٍ! أَسْمَاؤُهُمْ فِي الْأَرْضِ مُجْهُولَةٌ. قَدْ دَنَا  
 حِينَئِذٍ ظُهُورُهُمْ، وَلَوْ شِئْتُ لَأَخْبَرْتُكُمْ بِمَا يَأْتِي وَيَكُونُ مِنْ حَوَادِثِ دَهْرِكُمْ وَنَوَائِبِ  
 زَمَانِكُمْ، وَبَلَايَا أَيَامِكُمْ، وَغَمَرَاتِ سَاعَاتِكُمْ، وَلَسَكُنَّه أَفْضِيهِ إِلَى مَنْ أَفْضِيهِ إِلَيْهِ، مَخَافَةً  
 عَلَيْكُمْ، وَنَظَرًا لَكُمْ؛ عَلِمًا مَتَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ وَمَا يَكُونُ مِنَ الْبَلَاءِ الشَّامِلِ؛ ذَلِكَ عِنْدَ تَمَرُّدِ  
 الْأَشْرَارِ، وَمَطَاعَةِ أُولَى الْخَسَارِ. ذَاكَ أَوَانُ الْخُتْفِ وَالْإِدَارِ، ذَاكَ إِدْبَارُ أَمْرِكُمْ، وَانْقِطَاعُ أَصْلِكُمْ  
 وَتَشْتِ الْفَتَكُمْ؛ وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَ ظُهُورِ الْعَصِيَانِ، وَانْتِشَارِ الْفُسُوقِ؛ حَيْثُ يَكُونُ  
 الضَّرْبُ بِالسَّيْفِ أَهْوَنَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ اكْتِسَابِ دَرَاهِمٍ حَلَالٍ؛ حِينَ لَا تَنَالُ الْمَعِيشَةَ  
 إِلَّا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فِي سَمَائِهِ، حِينَ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ،  
 وَتُظْلِمُونَ مِنْ غَيْرِ مَنَافَةٍ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ. تَتَفَسَّكُمُونَ بِالْفُسُوقِ، وَتَبَادِرُونَ  
 بِالْمَعْصِيَةِ. قَوْلُكُمْ الْبَهْتَانِ، وَحَدِيثُكُمْ الزُّورِ، وَأَهْمَالُكُمْ الْفُرُورِ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا تُثَامِنُونَ  
 الْبَيَّاتِ، فَيَالَهُ مِنْ بَيَّاتٍ مَا أَشَدَّ ظُلْمَتَهُ! وَمَنْ صَاحَّ مَا أَفْطَحَ صَوْتَهُ! ذَلِكَ بَيَّاتٌ لَا يَنْبَغِي  
 صَاحِبُهُ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ تُقْتَلُونَ، وَبِأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ تُضْرَبُونَ، وَبِالسَّيْفِ تَحْصَدُونَ، وَإِلَى  
 النَّارِ تُصِيرُونَ، وَيَمُضُّكُمْ الْبَلَاءُ كَمَا يَمُضُّ الْفَارِبُ الْقَتَبُ<sup>(٣)</sup>. يَا عَجَبًا كُلَّ الْعَجَبِ، بَيْنَ  
 جُجَادِي وَرَجَبٍ! مِنْ جَمْعِ أَشْتَاتٍ، وَحَصْدِ نَبَاتٍ، وَمِنْ أَصْوَاتٍ بَعْدَهَا أَصْوَاتٌ.

ثم قال: سبق القضاء.. سبق القضاء!

(١) كذا وردت العبارة في الأصول، وفيها غموض.

(٢) كذا في ب، وفي ج: «خربت الإمام»، وفي كلمة غير واضحة.

(٣) الفارب هنا: كاهل البعير. والقرب: رجل صغير على قدر السنام؛ والسلام هنا جار على التثنية.



قال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه: أشهد أنه كاذب على الله ورسوله ! قال الكوفي: وما يدريك ؟ قال: فوالله ما نزل على من المنبر حتى فُلج الرجل، فحِيلَ إلى منزله في شِقِّ محمل، فمات من ليلته .

\*\*\*

### [ من خطب الإمام عليّ أيضاً ]

وروى المدائني أيضاً، قال: خطب عليّ عليه السلام<sup>(١)</sup>، فقال: لو كُثِرَتْ لي الوسادة لحُكْتُ بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، وما من آية في كتاب الله أنزلت في سهل أو جبل إلا وأنا عالم متى أنزلت، وفيه من أنزلت .

فقال رجل من القمود تحت منبره: يا الله والدعوى الكاذبة ! وقال آخر إلى جانبه: أشهد أنك أنت الله رب العالمين ! قال المدائني: فانظر إلى هذا التناقض والتباين فيه !

\*\*\*

وروى المدائني أيضاً، قال: خطب عليّ عليه السلام<sup>(١)</sup>، فذكر الملاحم، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، أما والله لَدَشْغَرَنُ الفتنة الصماء برجلها، وتطأ في خطامها . يالها من فتنة<sup>(٢)</sup> شُبَّتْ نارها بالحطب الجزل، مقبلة من شرق الأرض رافعة ذيلها، داعية وبلها، بدجلة أو حولها . ذاك إذا استدار الفلك، وقتلتم : مات أو هلك، بأيّ واد سلك !

فقال قوم تحت منبره: لله أبوه ! ما أفصحته كاذباً !

\*\*\*

وروى صاحب كتاب " الفارات " عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث،

(١) ح : « رضى الله عنه » .

(٢) ج : « فتنة » تصحيف .



قال : سمعت علياً يقول على المنبر : ما أحدٌ جرّث عليه الموائس إلا وقد أنزل الله فيه قرآناً ؛  
فقام إليه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، فما أنزل الله تعالى فيك ؟ قال : يريد تكذيبه .  
فقام الناس إليه يلکزونہ فی صدره وجنبه ، فقال : دعوه ، أقرأت سورة هود ؟ قال نعم ،  
قال : أقرأت قوله سبحانه : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ <sup>(۱)</sup> قال :  
نعم ، قال : صاحب البينة محمد ، والنالي الشاهد أنا .



مرکز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی



(٧١)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله :  
 اللَّهُمَّ دَاخِي الْمَذْخُوتِ ، وَدَاخِي الْمَسْمُوكَاتِ ، وَجَابِلِ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَانِهَا <sup>(١)</sup> شَقِيهَا  
 وَسَعِيدِهَا ؛ اجْعَلْ شَرَّائِفَ صَلَوَاتِكَ ، وَنَوَاصِي بَرَكَاتِكَ ، عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ .  
 الْخَلِيقِ إِمَّا سَبَقَ ، وَالْفَاتِحِ إِمَّا انْفَلَقَ ، وَالْمُعَلِّمِ الْحَقُّ بِالْحَقِّ ، وَالِدَّافِعِ جَيْشَاتِ  
 الْأَبَاطِيلِ ، وَالِدَّامِعِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ . كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ ، فَأَمَّا بِأَمْرِكَ ، مُسْتَوْفِزاً  
 فِي مَرْضَاتِكَ ، غَيْرَ نَاكِيلٍ عَنْ قَدِيمٍ ، وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ ، وَاعِيّاً لَوْحِيكَ ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ .  
 مَاضِياً عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ ؛ حَتَّى أُوْرَى قَبَسَ الْقَابِيسِ ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقِ لِلْإِخْلَاطِ ، وَهُدَيْتَ بِهِ  
 الْقُلُوبَ بِمَذْخُوضَاتِ الْفِتَنِ وَالْآثَامِ <sup>(٢)</sup> . وَأَقَامَ مَوْضِعَاتِ الْأَعْلَامِ وَنِزَاتِ الْأَحْكَامِ ؛  
 فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْغُزُونِ ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَبَعِيْثُكَ بِالْحَقِّ ،  
 وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ .

اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ ؛ وَأَجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ .  
 اللَّهُمَّ وَأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَائِسِ بِنَاءَهُ ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنَزَلَتَهُ ، وَأَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ ،  
 وَأَجْزِهِ مِنْ أَتِمَاتِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ ؛ مَرْضِىَ الْمَقَالَةِ ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ ، وَخُطْبَةٍ  
 فَضْلٍ .

اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وَفَرَارِ النِّعْمَةِ ، وَمَتْنِ الشَّهَوَاتِ ، وَأَهْوَاءِ  
 اللَّذَاتِ ، وَرَخَاءِ الدُّعَا ، وَمُنْتَهَى الطَّمَأْنِينَةِ ، وَنَحْبِ الْكِرَامَةِ .

\*\*\*

(١) مخطوطة النهج : « فطرتها »

(٢) مخطوطة النهج : « بالآثم » .



## التبنيح :

دَحَوْتُ الرِّغيفَ دَحْوًا : بَسَطْتَهُ ؛ وَالدَّحْوَاتُ هُنَا : الْأَرْضُونَ .

فَإِنْ قُلْتَ : قَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْأَرْضَ كُرِّيَّةٌ ؛ فَكَيْفَ تَكُونُ بَسِيطَةً ، وَالبَّسِيطُ هُوَ الْمُسَطَّحُ ،  
وَالْكُرِّيُّ لَا يَكُونُ مُسَطَّحًا ؟

قُلْتَ : الْأَرْضُ بِحَمَلَتِهَا شَكْلَ كُرَّةٍ ؛ وَذَلِكَ لَا يَمْنَعُ أَنْ تَكُونَ كُلُّ قِطْعَةٍ مِنْهَا مَبْسُوطَةً  
تَصْلُحُ لِأَنْ تَكُونَ مُسْتَقَرًّا مَجَالًا لِلْبَشَرِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْحَيَوَانِ ؛ فَإِنَّ الْمُرَادَ بِانْبِسَاطِهَا هَذَا لَيْسَ  
هُوَ الْمُسَطَّحُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي لَا يَوْجَدُ فِي الْكُرَّةِ ، بَلْ كَوْنُ كُلِّ قِطْعَةٍ مِنْهَا صَالِحَةً لِأَنْ يَتَصَرَّفَ  
عَلَيْهَا الْحَيَوَانُ لَا يَعْنِي بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ .

وَدَاعَى الدَّحْوَاتِ ، يَنْتَصِبُ لِأَنَّهُ مَنَادَى مُضَافٌ ، تَقْدِيرُهُ : يَا بَاسِطِ الْأَرْضِينَ الْمَبْسُوطَاتِ .  
قَوْلُهُ : « وَدَاعِمُ الْمَسْمُوكَاتِ » ، أَيْ حَافِظُ السَّمَوَاتِ الْمَرْفُوعَاتِ ؛ دَعَمْتُ الشَّيْءَ إِذَا حَفَظْتَهُ  
مِنَ الْهَوَىِّ بِدِعَامَةٍ ، وَالْمَسْمُوكُ : الْمَرْفُوعُ ، قَالَ :

إِنَّ الَّذِي سَمَّكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَامُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ <sup>(١)</sup>

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَنَى بِكَوْنِهَا مَسْمُوكَةً كَوْنَهَا مُنْخَبِئَةً . وَسَمَّكَ الْجِسْمَ هُوَ الْبَعْدُ الَّذِي  
يَعْبَرُ عَنْهُ الْمُتَكَلِّمُونَ بِالْعَمَقِ وَهُوَ قِيمُ الطَّوْلِ وَالْعَرْضِ ، وَلَا شَيْءَ أَعْظَمَ نَحْنًا مِنَ الْأَفْلَاقِ .  
فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ قَالَ : إِنَّهُ تَعَالَى دَعَمَ السَّمَوَاتِ وَهِيَ بِغَيْرِ عَمَدٍ ؟

قُلْتَ : إِذَا كَانَ حَافِظًا لَهَا مِنَ الْهَوَىِّ بِتَقْدِيرِهِ وَقُوَّتِهِ فَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِ كَوْنُهُ دَاعِمًا لَهَا ؛  
لَأَنَّ قُوَّتَهُ الْحَافِظَةَ تَجْرِي بِجَرَى الدَّعَامَةِ .

قَوْلُهُ : « وَجَابِلُ الْقُلُوبِ » أَيْ خَالِقُهَا ، وَالْجَبَلُ الْخَلْقُ ، وَجِبَلَةُ الْإِنْسَانِ : خِلَاقَتُهُ ، وَفِطْرَاتُهَا :  
بِكَسْرِ الْفَاءِ وَفَتْحِ الطَّاءِ : جَمْعُ فِطْرَةٍ ، وَبِجُوزِ كَسْرِ الطَّاءِ ، كَمَا قَالُوا فِي سِدْرَةٍ : سِدَرَاتُ  
وَسِدَرَاتُ ، وَالْفِطْرَةُ : الْحَالَةُ الَّتِي يَفْطُرُ اللَّهُ عَلَيْهَا الْإِنْسَانَ ، أَيْ يَخْلُقُهُ عَلَيْهَا خَالِيًا مِنَ الْأَرَاءِ



والديانات والمعائد والأهوية ؛ وهي مابقتضيه محض العقل ؛ وإنما يختار الإنسان بسوء نظره ما يفضي به إلى الشقوة ؛ وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه » .

قوله : « شقيها وسعيدها » بَدَل من القلوب ، وتقدير الكلام : وجابل الشقي من القلوب والسعيد على ما فطرت عليه .

والنوامي : الزوائد . والخاتم لما سبق ؛ أي لما سبق من المِلل . والفتاح لما انفلق من أمر الجاهلية . والمعلن الحق بالحق ، أي المظهر للحق الذي هو خلاف الباطل بالحق ، أي بالحرب والخصومة ؛ يقال : حاق فلان فلاناً لحقه ، أي خاصمه فخصمه . ويقال : مافيه حق أي خصومة .

قوله : « والدافع جيشات الأباطيل » ، جمع جيشة ، من جاشت القدر إذا ارتفع غلباتها . والأباطيل : جمع باطل على غير قياس ؛ والمراد أنه قانع ما نجم من الباطل . والدامغ : المهلك ، من دَمَغه أي شجّه حتى بلغ الدماغ ؛ ومع ذلك يكون الهلاك . والصَوَلات : جمع صولة وهي السطوة . والأضاليل : جمع ضلال على غير قياس . قوله : « كما تحمل » ، أي لأجل أنه يحمل ، والعرب تستعمل هذه الكاف بمعنى

التعليل ، قال الشاعر :

فقلتُ له أبا المَلْحَاء خُذْهَا    كما أوسمتنا بغيّاً وَعَسَدُوا

أي هذه الضربة ابغيك علينا ، وتعديك .

وقوله : « كما حمل » بمعنى تحمّل أعباء الرسالة . فاضطلع ، أي نهض بها قوياً ؛ فرس ضليع أي قوي ؛ وهي الضلاعة ، أي القوة .

مستوفزاً ، أي غير بطيء ، بل يبحث نفسه ويجهدها في رضا الله سبحانه ، والوفز : العجلة ، والمستوفز : المستعجل .



غير ناكلي عن قُدَم ، أى غير جبان ولا متأخر عن إقدام ، والإقدام : التقدم ؛ يقال  
مضى قُدْماً أى تقدّم وسار ولم يرج .

قوله : « ولا واهٍ في عزم » ؛ وهى ، أى ضعف ، والواهى : الضعيف .

واعياً لوحيدك ، أى ظاهراً ، وَعَيْتُ الحديث ، أى فهمته وَعَقَلْتَهُ .

ماضياً على نفاذ أمرك ؛ فى الكلام حذف تقديره : ماضياً مصراً على نفاذ أمرك ،  
كقوله تعالى : ﴿ فى تسع آيات إلى فرعون ﴾ <sup>(١)</sup> ، ولم يقل : « مرسلًا » لأن الكلام يدل  
بعضه على بعض .

وقوله : « حتى أوزى قيس القابس » ؛ يقال : ورى الزند ، برى ؛ أى خرج  
ناره ، وأوريقه أنا . والقَبَس : شعلة من النار ؛ والمراد بالقَبَس هاهنا نور الحق ، والقابس :  
الذى يطلب النار ، يقال : قَبَسْت منه نارا ، وأقبسنى نارا ؛ أى أعطانيها .

وقال الراوندى : أقبست الرجل علماً ، وقبسته نارا ؛ أعطيته ؛ فإن كنت طلبتها له  
قلت : أقبسته نارا .

وقال الكسائى : أقبسته نارا وعلماً سواء ؛ قال : ويجوز « قبسته » بنير همزة فيهما .

قوله : « وأضاء الطريق للخابط » ، أى جعل الطريق للخابط مضيئة ، والخابط :  
الذى يسير ليلاً على غير جادة واضحة .

وهذه الألفاظ كلها استعارات ومجازات .

وخَوَضَات الفتن : جمع خَوْضَةٍ ؛ وهى المرة الواحدة ، من خَضَتُ الماء والوحل ،  
أخوضهما ، وتقدير الكلام : وهديتُ به القلوبُ إلى الأعلام الموضحة بعد أن خاضتُ  
فى الفتن أطواراً . والأعلام : جمع عَلَم ، وهو ما يستدل به على الطريق ، كالمفارة ونحوها .  
والموضحة : التى توضح للناس الأمور وتكشفها . [ والذيرات ] <sup>(٢)</sup> : ذوات النور .

قوله : « فهو أمينك المأمون » أى أمينك على وحيك ، وأمّون من أنقاب رسول الله  
صلى الله عليه وآله ، قال كمب بن زهير :



سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَوَّابَةٍ وَأَنْهَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ<sup>(١)</sup>

وخازن عليك ، الخزون بالجر صفة « عليك » والعلم الإلهي الخزون : هو ما أطلع الله تعالى عليه ورسوله من الأمور الخفية التي لا تتعلق بالأحكام الشرعية كاللحام وأحكام الآخرة وغير ذلك ، لأن الأمور الشرعية لا يجوز أن تكون مخزونة عن المكلفين .

وقوله : « وشهيدك يوم الدين » ، أى شاهدك ، قال سبحانه : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴾<sup>(٢)</sup> .

والبعيث : المبعوث « فمیل » بمعنى « مفعول » كقتيل وجريح وصریح . ومنسحاً مصدر ، أى وسع له منسحاً .

وقوله : « فى ظلك » يمكن أن يكون مجازاً ، كقولهم : فلان يسننى بظله ، أى بإحسانه وبره ، ويمكن أن يكون حقيقة ، ويعنى به الظل المدود الذى ذكره الله تعالى ، فقال : ﴿ وَظِلِّ تَمْدُودٍ \* وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله : « وأعل على بناء البائين بناءة » ، أى أجعل منزلته فى دار الثواب أعلى المنازل . وأنتم له نوره ، من قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ ﴾<sup>(٤)</sup> . وقد روى أنه نطقاً سائر الأنوار إلا نور محمد صلى الله عليه وآله ، ثم يعطى المخلصون<sup>(٥)</sup> من أصحابه أنواراً يسيرة يبصرون بها مواطئ الأقدام ، فيدعون إلى الله تعالى بزيادة تلك الأنوار وإتمامها . ثم إن الله تعالى يتم نور محمد صلى الله عليه وآله ، فيستطيل حتى يملأ الآفاق ، فذلك هو إتمام نوره صلى الله عليه وآله .

قوله : « من اجتماعك له » ، أى فى الآخرة .

مقبول الشهادة ، أى مصدقاً فيما يشهد به على أمتة وعلى غيرها من الأمم .

(١) ديوانه ٣ ، وروايته : « شربت مع المأمون » ، وقال فى شرحه : « وكانت قریش تسمى النبی صلى الله عليه وسلم المأمون الأمين » .  
(٢) سورة النساء ٤١ .  
(٣) سورة الواقعة ٣٠ ، ٣١ .  
(٤) سورة النجم ٨ .  
(٥) ج « المكلفون » .



وقوله: «ذا منطلق عدل»، أى عادل، وهو مصدر أقيم مقام اسم الفاعل؛ كقولك: رجل  
يُطر وصَوْن، أى منظر وصائم.

وقوله: «وخطبة فصل» أى يخطب خطبة فاصلة يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ  
فَصْلٍ • وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ﴾<sup>(١)</sup>، أى فاصل يفصل بين الحق والباطل؛ وهذا هو المقام المحمود الذى  
ذكره الله تعالى فى الكتاب، فقال: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾<sup>(٢)</sup>، وهو  
الذى يشار إليه فى الدعوات فى قولهم: «اللهم آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، والدرجة الرفيعة،  
وابنه المقام المحمود».

قوله: «فى برّد العيش»؛ تقول العرب: عيش بارد ومعبشة باردة، أى لاحترب فيها  
ولا نزاع، لأن البرد والسكون متلازمان كتلازم الحرّ والحركة.  
وقرار الذمّة، أى مستقرّها، يقال: هذا قرار السَّيْلِ، أى مستقرّه. ومن أمثالهم: «لكلّ  
سائلة قرار».

ومعنى الشهوات: ما تتعلق به الشهوات من الأمانى. وأهواء اللذات: ما تهواه النفوس وتستلذه.  
والرخاء، المصدر من قولك: رجل رخی البال فهو بين الرخاء، أى واسع الحال.  
والذّعة: السكون والطمانينة، وأصلها الواو.  
ومنتهى الطمانينة: غايتهما التى ليس بعدها غاية.  
والتحف: جمع تحفة؛ وهى ما يكرّم به الإنسان من البرّ واللّطف، ويجوز فتح الحاء.

\*\*\*

[ معنى الصلاة على النّبى والخلاف فى جواز الصلاة على غيره ]

فإن قلت: ما معنى الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله، التى قال الله تعالى فيها:

(١) سورة الطارق ١٣، ١٤.

(٢) سورة الإسراء ٧٩.



﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

قلت : الصلاة من الله تعالى هي الإكرام والتبجيل ورفع المنزلة ، والصلاة منا على النبي صلى الله عليه وآله هي الدعاء له بذلك ، فقوله سبحانه : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> أى هو الذى يرفع منازلكم فى الآخرة ، وقوله : ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ أى يدعون لكم بذلك . وقيل : جُعِلوا لكونهم مستجابى الدعوة كأنهم قائلون التعظيم للؤمن ورفع المنزلة ، ونظيره قوله : «حَيَّاكَ اللهُ» أى أحيَاكَ اللهُ وأبْجَاكَ ، وحَيْثُكَ أى دعوت لك بأن يحْيِيكَ ، لأنك لاعتمادك على إجابة دعوتك ووثوقك بذلك ، كأنك تحييه وتبقيه على الحقيقة ، وهكذا القول فى قوله سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ .

وقد اختلف فى الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله : هل هي واجبة أم لا ؟ فمن الناس من لم يقل بوجوبها ، وجعل الأمر فى هذه الآية للذنب ومنهم من قال : إنها واجبة .

واختلفوا فى حال وجوبها ؛ فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره ، وفى الحديث : « مَنْ ذَكَرْتُ عَنْدهُ فلم يصلْ على دخل النار وأبعده الله » ؛ ومنهم من قال : يجب فى كل مجلس مرة واحدة ، وإن تكرر ذكره . ومنهم من أوجبها فى الممر مرة واحدة ؛ وكذلك قال فى إظهار الشهادتين .

واختلف أيضا فى وجوبها فى الصلاة المفروضة ، فأبو حنيفة وأصحابه لا يوجبونها فيها . وروى عن إبراهيم النخعي أنهم كانوا يكفون - بمعنى الصحابة - عنها بالتشهد ، وهو : « السَّلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » ، وأوجبها الشافعي وأصحابه . واختلف أصحابه فى وجوب الصلاة على آل محمد صلى الله عليه وآله ، فالأكثر على أنها واجبة ، وأنها شرط فى صحة الصلاة .

(١) سورة الأحزاب ٥٦

(٢) سورة الأحزاب ٥٣



فإن قلت : فما تقول في الصلاة على الصالحين والمسلمين ؟  
 قلت : القياس جواز الصلاة على كل مؤمن ، لقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ وقوله : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> ؛ ولكن العلماء قالوا : إذا ذكر أحد من المسلمين تبعاً للنبي عليه السلام فلا كلام في جواز ذلك ؛ وأما إذا أفردوا أو ذكر أحد منهم ؛ فأكثر الناس كرهوا الصلاة عليه ؛ لأن ذلك شعار رسول الله فلا يشركه فيه غيره .

وأما أصحابنا من البغداديين فلهم اصطلاح آخر ؛ وهو أنهم يكرهون إذا ذكروا علياً عليه السلام أن يقولوا : « صلى الله عليه » ولا يكرهون أن يقولوا : « صلوات الله عليه » ، وجعلوا اللفظة الأولى مخصصة بالرسول صلى الله عليه وآله ، وجعلوا اللفظة الثانية مشتركة فيها بينهما عليهما السلام ، ولم يطلقوا لفظ الصلاة على أحد من المسلمين إلا على علي وحده .

(١) سورة التوبة ١٠٣

(٢) سورة البقرة ١٥٧



الأصل :

ومن كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة .

قالوا : أَخَذَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ أَسِيرَ أَيُّومَ الْجَمَلِ فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ ، فَقَالَا لَهُ : يُبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَوَلَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ ؛ إِنَّهَا كَفَتْ يَهُودِيَّةً ، لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسَبْتِهِ . أَمَا إِنْ لَمْ يَأْمُرْهُ كَلِمَةُ الْكَلْبِ أَنْفَهُ ، وَهَوَّ أَبُو الْأَكْبَشِ الْأَرْبَعَةَ ، وَسَتَلَقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَنْخَرَنِي

• • •

التبسيط :

قد رُوِيَ هذا الخبر من طرق كثيرة ، ورويت فيه زيادة لم يذكرها صاحب " نهج البلاغة " ، وهي قوله عليه السلام في مروان : « يَحْمِلُ رَايَةَ ضَلَالَةٍ بَعْدَ مَا يَشِيبُ صُدُغَاهُ ، وَإِنَّ لَهُ إِمْرَةً ... » إلى آخر الكلام .

وقوله : « فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ » ، هو الوجه ، يقال : اسْتَشْفَعْتُ فَلَانًا إِلَى فَلَانٍ ؛ أَي سَأَلْتُهُ أَنْ يَشْفَعَنِي إِلَيْهِ ، وَتَشَفَّعْتُ إِلَى فَلَانٍ فِي فَلَانٍ فَشَفَّعَنِي فِيهِ تَشْفِيعًا . وقول الناس : « اسْتَشْفَعْتُ فَلَانًا إِلَى فَلَانٍ » بالباء ليس بذلك الجيد . وقول أمير المؤمنين عليه السلام : « أَوْ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ ! » أَي وَقَدْ خَدَرَ ؛ وَهَكَذَا لَوْ بَايَعَنِي الْآنَ .



ومعنى قوله : « إنها كفت يهودية » أى غادرة ، واليهود تنسب إلى الغدر والخبث ، وقال تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

والسببة : الاست ، بفتح السين ، سبه بسبه أى طعنه فى الموضع ؛ ومعنى الكلام محمول على وجهين :

أحدهما : أن يكون ذكر السببة إهانة له وظلمة عليه ، والعرب تسلك مثل ذلك فى خطبها وكلامها ؛ قال المتوكل لأبى العيناء : إلى متى تمدح الناس وتذمهم ؟ فقال : ما أحسنو وأساءوا ؛ ثم قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن الله تعالى رضى عن واحد فمدحه ، وسخط على آخر فهجاه وهجا أمه ؛ قال : ﴿ نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقال : ﴿ عُنْتِ بِمَدَدِ ذَلِكَ زَيْنِيمٍ ﴾ <sup>(٣)</sup> ؛ والزَّيْنِيم ولد الزنا <sup>(٤)</sup> .

الوجه الثانى : أن يريد بالكلام حقيقة لا مجازاً ؛ وذلك لأن الغادر من العرب كان إذا عزم على الغدر بعد عهد قد عاهد أو عقد قد عقد ، حبق استهزاء بما كان قد أظهره من اليمين والمهد ؛ وسخرية ونهكما .

والإمرة : الولاية ، بكسر الهمزة . وقوله : « كَلَمَقَةِ الْكَلْبِ اللَّهُ » ، يريد قصر المدة ، وكذلك كانت مدة خلافة مروان ، فإنه ولي تسعة أشهر .

والأكبش : الأربعة بنو عبد الملك : الوليد ، سليمان ، يزيد ، وهشام ؛ ولم يل الخلافة من بنى أمية ولا من غيرهم أربعة إخوة إلا هؤلاء .

وكل الناس فسروا الأكبش الأربعة بمن ذكرناه ؛ وعندى أنه يجوز أن يعنى به

(١) سورة المائدة ٨٢

(٢) سورة ص ٣٠ ، ٤٤

(٣) سورة الفلم ١٣

(٤) النحل : الشديد .



بنى مروان لصلبه ؛ وهم : عبد الملك ، وعبد العزيز ، وبشر ، ومحمد ؛ وكانوا كباشاً أبطالاً  
أنجاداً ، أما عبد الملك فولّى الخلافة ، وأما بشر فولّى العراق ، وأما محمد فولّى الجزيرة ،  
وأما عبد العزيز فولّى مصر ، ولكلّ منهم آثار مشهورة . وهذا التفسير أولى ؛ لأن  
الوليد وإخوته أبناء ابنه ، وهؤلاء بنوه لصلبه .

ويقال لليوم الشديد : يوم أحر ، وللسنة ذات الجذب : سنة حراء .

وكلّ ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الكلام وقع كما أخبر به ؛ وكذلك .  
قوله : « يحمل راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه » ، فإنه وليّ الخلافة وهو ابن خمسة وستين  
في أعدل الروايات .

### [ مروان بن الحكم ونسبه وأخباره ]

ونحنُ ذاكرون في هذا الموضع نسبَه ، ونُجملُ من أمره وولايته للخلافة ؛ ووقاته على  
سبيل الاختصار :

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه آمنه  
بنت علقمة بن صفوان بن أمية الكِنَاني . يُكنى أبا عبد الملك ، ولدَ على عهد رسول الله  
صلى الله عليه وآله ؛ منذ سنة اثنتين من الهجرة ، وقيل عام الخلق ، وقيل يوم أحد ؛  
وقيل غير ذلك . وقال قومٌ : بل ولد بمكة ، وقيل : ولد بالطائف . ذكر ذلك كله أبو  
عمر بن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " (١) .

قال أبو عمر : ومن قال بولادته يوم أحد ملك بن أنس ، وعلى قوله يكونُ

(١) الاستيعاب ١٣٨٧ - ١٣٩٠ ( طبعة نهضة مصر )



رسول الله صلى الله عليه وآله قد توفى ، وعمره ثمان سنين أو نحوها .

وقيل : إنه لما نفي مع أبيه إلى الطائف كان طفلاً لا يعقل ، وإنه لم ير رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان الحكم أبوهم قد طرده رسول الله عن المدينة ، وسيّره إلى الطائف ؛ فلم يزل بها حتى وليّ عثمان ، فردّه إلى المدينة ، فقدمها هو وولده في خلافة عثمان ، وتوفى ، فاستكتبه عثمان وضمّه إليه ، فاستولى عليه إلى أن قتل .

والحكم بن أبي العاص<sup>(١)</sup> هو عمّ عثمان بن عفان ، كان من مُسلّة الفتح ، ومن المؤلّفة قلوبهم ، وتوفى الحكم في خلافة عثمان قبل قتله بشهور .

واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ قيل : إنه كان يتحيل ويستغنى ويتسمّع<sup>(٢)</sup> ما يُسرّه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أكبر الصحابة في مُشركي قريش وسائر الكفار والمناققين ، ويُفشي ذلك عنه ، حتى ظهر ذلك عنه<sup>(٣)</sup> . وقيل كان يتجسّس على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عند نسائه ، ويسترق السّمع ، ويُصنّي إلى ما يجري هناك ممّا لا يجوز الاطلاع عليه ، ثم يحدث به المنافقين على طريق الاستهزاء .

وقيل : كان يحكيه في بعض مشيّه وبعض حرّكاته ، فقد قيل : إن النّبي صلى الله عليه وآله كان إذا مشى بكفّاً<sup>(٤)</sup> ، وكان الحكم بن أبي العاص يحكيه ، وكان شاتئاً له مبغضاً حاسداً ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً ، فرآه يمشي خلفه يحكيه في مشيّه ؛

(١) الاستيعاب ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٢) كذا في الاستيعاب ، وفي الأصول : « يسع » .

(٣) ج : « يفت » .

(٤) قال ابن الأنبر في النهاية ٤ : ٢٤ في صفة مشيه عليه الصلاة والسلام : « كان إذا مشى بكفّاً أي تمايل إلى قدام ؛ مكثاً روى غير مهوز ، والأصل الهز ، وبعضهم يرويه مهوزاً لأنه مصدر فعمل . . . » .



فقال له : كذلك فلتكن يا حكم . فكان الحكم مختلجا برنمش من <sup>(١)</sup> يومئذ ، فذكر

ذلك عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ؛ فقال لعبد الرحمن بن الحكم بهجوه :

إِنَّ اللَّعِينَ أَبُوكَ فَارِمَ عِظَامَهُ      إِنْ تَرِمَ تَرِمَ مَخْلَجًا مَجْنُونًا

يَمْشِي خَهِيصَ الْبَطْنِ مِنْ عَمَلِ الثَّقَى      وَيُظَالُّ مِنْ عَمَلِ الْخَلِيفَةِ بَطِينًا

قال صاحب الاستيعاب : أما قول عبد الرحمن بن حسان « إِنَّ اللَّعِينَ أَبُوكَ » فإنه

روى عن عائشة من طرق ذكرها ابن أبي خيثمة وغيره ، أنها قالت لمروان إذ قال في أخيها

عبد الرحمن أنه أنزل فيه : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِ لَكُمَا أَنْعِدَانِي أَنْ أَخْرُجَ وَقَدْ

خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَمَا يَسْتَفِihanُ اللَّهُ وَبِئْسَ آيَاتُ الْآيِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> : أما أنت يامروان فأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن

أباك وأنت في صلبه <sup>(٣)</sup> .

وروى صاحب كتاب « الاستيعاب » ، بإسناد ذكره عن عبد الله بن عمرو بن العاص ،

أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « يدخل عليكم رجل له بن » ، قال عبد الله : وكنت قد

رايت أبي <sup>(٤)</sup> بلبس ثيابه ليقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلم أزل مشفقاً أن

يكون أول من يدخل ، فدخل الحكم بن أبي العاص .

قال صاحب « الاستيعاب » : « ونظر علي عليه السلام يوماً إلى مروان ، فقال له :

« ويل لك ، وويل لأمة محمد منك ومن بنيك » <sup>(٥)</sup> إذا شاب صدغاك ! » . وكان مروان يدعى

(١) المير في النهاية لابن الأثير ١ : ٣١٠ عن عبد الرحمن بن أبي بكر : « أن الحكم بن أبي العاص  
ابن أبي أمية أبا مروان ، كان يجلس خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا تكلم اختلج بوجهه ، فرآه  
فقال له : كن كذلك ، فلم يزل يختلج حتى مات أي كان يحرك شففيه وذقنه استهزاء وحكاية لقل النبي  
صلى الله عليه وسلم فيق يرتعد ويضطرب إلى أن مات » .

(٢) سورة الأحقاف ١٧

(٣) الاستيعاب : « تركت » .

(٤) الاستيعاب : « عمراً » .

(٥) ج : « بينك » .



خَيْطُ بَاطِلٌ ؛ قِيلَ : لِأَنَّهُ كَانَ طَوِيلًا مُضْطَرَبًا .

وَضُرِبَ يَوْمَ الدَّارِ عَلَى قَفَاهُ نَخْرَةً لِقِيهِ <sup>(١)</sup> فَلَمَّا بُوِيعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ ، قَالَ فِيهِ أَخُوهُ عَبْدِ  
الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ - وَكَانَ مَاجِنًا شَاعِرًا [ مُحْسِنًا ] <sup>(٢)</sup> ؛ وَكَانَ لَا يَرَى رَأْيَ مَرْوَانَ :

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَسَائِلٌ      حَلِيلَةٌ مَضْرُوبُ الْقَفَا كَيْفَ تَصْنَعُ  
لِخَالَتِهِ قَوْمًا أَمَرُوا خَيْطًا بَاطِلٌ      عَلَى النَّاسِ يُعْطَى مَا يَشَاءُ وَيَمْنَعُ

وَقِيلَ : إِنَّمَا قَالَ لَهُ أَخُوهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ذَلِكَ حِينَ وَلَّاهُ مُعَاوِيَةُ أَمْرَةَ الدَّبِيصَةِ ، وَكَانَ  
كَثِيرًا مَا يَهْجُوهُ ؛ وَمِنْ شَعْرِهِ فِيهِ :

وَهَبْتُ نَصِيْبِي مِنْكَ يَا مَرْوُ كَلِّهِ      لِعَمْرِو وَمَرْوَانَ الطَّوِيلِ وَخَالِدِ  
وَرَبِّ ابْنِ أُمِّ زَائِدٍ غَيْرِ نَاقِصٍ      وَأَنْتَ ابْنُ أُمِّ نَاقِصٍ غَيْرُ زَائِدِ  
وَقَالَ مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ يَهْجُو مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ :

لِعَمْرُكَ مَا مَرْوَانُ يَقْضِي أُمُورَنَا <sup>(٣)</sup>      وَلَكِنْ مَا يَقْضِي لَنَا بَنْتُ جَعْفَرِ  
فِيَالَيْتِمَا كَانَتْ عَلَيْنَا أَمِيرَةً      وَلَيْتَكَ يَا مَرْوَانَ أَمْسَيْتَ ذَا حِرِ

وَمِنْ شَعْرِ أَخِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِيهِ :

أَلَا مَنْ يُبْلِغُنِ مَرْوَانَ عَنِّي <sup>(٤)</sup>      رَسُولًا وَالرَّسُولُ مِنَ الْبَيَانِ  
بَأَنَّكَ لَنْ تَرَى طَرْدًا لِحَرِّ      كَالصَّاقِ بِهِ بَعْضَ الْهَوَانِ <sup>(٥)</sup>  
وَهَلْ حَدَّثْتَ قَبْلِي عَنْ كَرِيمٍ      مَعِينٍ فِي الْحَوَادِثِ أَوْ مُعَانِ  
يَقِيمُ بَدَارَ مُضِيْعَةٍ إِذَا لَمْ      يَكُنْ حَيْرَانَ أَوْ خَفِقَ الْجَنَانِ

(١) الاستيعاب : « نَجَرَى لِقِيهِ » .

(٢) من الاستيعاب .

(٣) في الأصول : « يَا مَرْوَانَ » والصواب ما أثبتته من الاستيعاب .

(٤) الاستيعاب : « مَنْ مَبْلَغٌ » .

(٥) ورد البيت معرفة في الأصول ، وما أثبتته من الاستيعاب .



فلا تقذف بي الرجَّوينِ إلى أقلِّ القومِ مَنْ يُغَيِّ مَكَانِي<sup>(١)</sup>  
 ما كفيك الذي استكفيت مني بأمرٍ لا تُخالجه اليدانِ  
 فلو أنا بمنزلة جربننا جربت وأنت مضطرب العنانِ  
 ولولا أن أمَّ أهلك أمي وأن من قد هجأك فقد هجأني  
 لقد جأرت بالبغضاء إلى أمرٍ الجهارة والعلانِ

ولما صار أمر الخلافة إلى معاوية ، ولى مروان المدينة ، ثم جمع له إلى المدينة مكة والطائف ، ثم عزله وولى سعيد بن العاص ، فلامات يزيد بن معاوية ، وولى ابنه أبو ليلى معاوية بن يزيد في سنة أربع وستين ، عاش في الخلافة أربعين يوما ومات ، فقالت له أمه أم خالد بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس : اجعل الخلافة من بعدك لأخيك ، فأبى وقال : لا يكون لي مرءها ولكم حلوها ، فوثب مروان عليها ، وأنشد :

إني أرى فتنة تنجلي مراحيلها واللك بعد أبي ليلى لمن غلبا

وذكر أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب " الأغاني " : أن<sup>(٢)</sup> معاوية لما عزل مروان بن الحكم عن إمرة المدينة والحجاز ، ولى مكانه سعيد بن العاص ، ووجه مروان أخاه عبد الرحمن بن الحكم أمامه إلى معاوية ، وقال له : القه قبل فعاتبه لي واستصليحه .

قال أبو الفرج : وقد روى أن عبد الرحمن كان بدمشق يومئذ ، فلما بلغه خبر عزل مروان وقدمه إلى الشام ، خرج وتلقاه ، وقال له : أقيم حتى أدخل إلى أخيك<sup>(٣)</sup> ، فإن كان عزلك عن موجدة دخلت إليه منفردا ، وإن كان عن غير موجدة دخلت إليه مع الناس

(١) الرجا : ناحية البئر من أعلاها ، إلى أسفلها ، وثنيته رجوان ، (على البناء للجوهول) وروى به الرجوان ، أي استهين به ، فكأنه روى به هناك ، أي طرح في المهالك .

(٢) الأغاني ١٣ : ٢٥٩ وما بعدها (طبعة دار) .

(٣) الأغاني : « الرجل » .



فأقام مروان ومضى عبد الرحمن ، فلما قدم على معاوية دخل إليه وهو يمشي الناس ، فأنشده :

أَتَتَكَ الْعَيْسُ تَنْفُخُ فِي بُرَاهَا تَكْشِفُ عَنْ مَنَازِكِهَا الْقَطُوعُ<sup>(١)</sup>  
بِأَيْفَضَ مِنْ أُمَيَّةَ مَضْرَحِي كَانَ جَيْشَهُ سَيْفٌ صَنِيعٌ<sup>(٢)</sup>

فقال له معاوية : أذاثراً جئت أم مفاخرامكأبرأ ؟ فقال : أى ذلك شئت ا فقال : ماأشاء من ذلك شيئاً ؛ وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذى عن له ، فقال له : على أى ظهر جثتنا ؟ فقال : على فرس ، قال : ما صفته ؟ قال : أجش هزيم - يعرض بقول التجاشي في معاوية يوم صفين :

وَنَجَّى ابْنَ حَرْبٍ سَاحِجٌ ذَوْعُلَالَةٍ أَجْشٌ هَزِيمٌ وَالرِّمَاحُ دَوَانٍ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا قُلْتَ أَطْرَافُ الرِّمَاحِ تَنَالُهُ مَرَّةً<sup>(٤)</sup> لَهُ السَّاقَانِ وَالْقَدَمَانِ<sup>(٥)</sup>

فغضب معاوية ، وقال : إلا أنه لا يركبه صاحبه في الظلم إلى الرئيب ؛ ولا هو ممن يتسور على جاراته ، ولا يتوثب بعد هزيمة الناس على كفائه<sup>(٥)</sup> - وكان عبد الرحمن يتهم بذلك في امرأة أخيه - فاجعل عبد الرحمن ، وقال : يا أمير المؤمنين ، ما حملك على عزل ابن عمك ؟ أخيانة أوجبت ذلك ، أم لراى رأيته وتدير استصلحته ؟ قال : بل لتدير استصلحته ، قال : فلا بأس بذلك . فخرج من عنده فلقى أخاه مروان ، فأخبره بما دار بينهما وبين معاوية ، فاستشاط غضباً وقال لعبد الرحمن : قبحك الله ، ما أضفك ! عرّضت للرجل بما أغضبه ، حتى إذا انتصر<sup>(٦)</sup>

(١) العيس : النوق البيض ، يقال بياضها شقرة . والبرى : جمع بره ، بضم فتح ، وهى حلقة تجعل في أذن البعير : والقطوع : جمع قطع ، بالكسر ؛ وهو الطنفة تكون تحت الرجل .

(٢) المضرحى : السيد الكريم ، والصنيع : السيف المجرى المجلو .

(٣) الساج : الفرس السريع . والعلالة : البقية من السير . والأجش : الغليظ الصوت من الإنسان ومن الحيل ومن الرعد . والهزيم : الفرس الشديد الصوت .

(٤) مرته : استدرت جريه . وفي الأغاني : « إذا خلت » .

(٥) كنان : جمع كنة ؛ امرأة الأخ أو الابن .

(٦) الأغاني : « انتصف » .



منك أحجبت عنه . ثم لبس حُلته ، وركب فرسه ، وتقلد سيفه ، ودخل على معاوية ، فقال له حين رآه وتبين الغضب في وجهه : مَرَحَبًا يَا بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ! لقد زرتنا عند اشتياق مِنَّا إِلَيْكَ ، فقال : [لا] <sup>(١)</sup> هَالِكٌ ، مازرتك لذلك ولا قدمت عليك فَأَلْفَيْتُكَ إِلَّا عَاقًا قَاطِعًا ؛ وَاللَّهِ مَا أَنْصَفْتَنَا وَلَا جَزَيْتَنَا جَزَاءَنَا ، لَقَدْ كَانَتْ السَّابِقَةُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ لَأَلِ ابْنِ الْعَاصِ ، وَالصُّهْرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ ، وَالْخِلَافَةُ مِنْهُمْ <sup>(٢)</sup> ، فَوَصَلُوكُمْ يَا بَنِي حَرْبٍ وَشَرَفُوكُمْ وَوَلَّوْكُمْ ، فَاعْزَلُوكُمْ وَلَا آثَرُوا عَلَيْكُمْ ؛ حَتَّى إِذَا وَلِيْتُمْ وَأَفْضَى الْأَمْرِ إِلَيْكُمْ أَيْتِمُوا إِلَّا أَثَرَةَ وَسْوَءِ صَنِيعَةٍ وَقَبِيحِ قَطِيعَةٍ ، فَرَوَيْدًا رَوَيْدًا فَقَدْ بَلَغَ بَنُو الْحَكَمِ وَبَنُو بَنِيهِ نَيْفًا وَعَشْرِينَ ، وَإِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ حَتَّى يَكْمُلُوا أَرْبَعِينَ ، ثُمَّ يُعْلَمُ أَمْرُهُ وَمَا يَكُونُ مِنْهُمْ حِينَئِذٍ ؛ ثُمَّ هُمْ لِلْجَزَاءِ بِالْحُسْنَى وَالسُّوءِ بِالْبَرِّ صَاد .

قال أبو الفرج : هذا رمز إلى قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا بلغ بنو أبي العاص أربعين رجلاً ، اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا وَعِبَادَ اللَّهِ خَوَلًا » ، فَكَانَ بَنُو أَبِي الْعَاصِ يَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ سَيَلُونُ أَمْرَ الْأُمَّةِ إِذَا بَلَغُوا هَذِهِ الْعُدَّةَ .

قال أبو الفرج : فقال له معاوية : مهلاً أبا عبد الملك ، إِنِّي لَمْ أَعِزَّلَكَ عَنْ خِيَانَةٍ ، وَإِنَّمَا عِزَّلْتُكَ لِثَلَاثَةٍ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَّا وَاحِدَةٌ لَا وَجِبْتَ عِزْلَكَ : إِحْدَاهُنَّ أَنِّي أَمَرْتُكَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَاصِرٍ ، وَيَبْنِيكَمَا مَا يَبْنِيكَمَا ، فَلَنْ نَسْتَطِيعَ أَنْ تَشْتَفِيَ مِنْهُ ، وَالثَّانِيَةُ كِرَاهِيَتُكَ لِلْأُمِّرَةِ زِيَادٍ ، وَالثَّالِثَةُ أَنَّ ابْنَتِي رَمْلَةَ اسْتَعْدَّتْكَ عَلَى زَوْجِهَا عَمْرُو بْنُ عِمَّانٍ ، فَلَمْ تُعْذِرْهَا . فقال مروان : أَمَّا ابْنُ عَامِرٍ فَإِنِّي لَا أَتَعَصَّرُ مِنْهُ فِي سُلْطَانِي ، وَلَكِنْ إِذَا نَسَاوتِ الْأَقْدَامَ عِلْمُ أَيْنَ مَوْقِعُهُ ، وَأَمَّا كِرَاهِيَتِي لِلْأُمِّرَةِ زِيَادٍ فَإِنَّ سَائِرَ بَنِي أُمِيَّةٍ كَرَهُوهُ ؛ وَجَعَلَ اللَّهُ لَنَا فِي ذَلِكَ السَّكْرَةَ خَيْرًا كَثِيرًا . وَأَمَّا اسْتِعْدَاءُ رَمْلَةَ عَلَى عَمْرُو ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَأْتِي عَلَى سَنَةِ أَوْ أَكْثَرَ

(١) من الأغاني ، وما هنا تنبيهه وبعدها حرف قسم محذوف ( انظر الفقه ١ : ٣٤٩ ) .

(٢) الأغاني : « فيهم » .



وعندى بنت عثمان ، فما أكشف لها ثوباً - يعرض بأن رملة إنما تستعدي على عمرو بن عثمان طلب النكاح - فنضب معاوية ، فقال : يا بن الوزغ<sup>(١)</sup> ؛ لست هناك ! فقال مروان : هو ما قلت لك ؛ وإني الآن لأبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، وقد كاد ولد أبي<sup>(٢)</sup> أن يكلوا العدة - بمعنى أربعين ؛ ولو قد بلغوها لعلت أين تقع منى . فانخزل<sup>(٣)</sup> معاوية ، وقال :  
 فإن أك في شِرَارِكُمُ قَلِيلاً فَإِنِّي فِي خِيَارِكُمُ كَثِيرٌ<sup>(٤)</sup>  
 بَغَاتُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحاً وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتٌ تَزُورُ<sup>(٥)</sup>  
 ثم استخذي معاوية في يد مروان<sup>(٦)</sup> وخضع ، وقال : [لك] <sup>(٧)</sup> العتي ، وأنا رادك إلى عملك . فوثب مروان ، وقال : كلاً وعبيك لا رأيتني عائداً ! وخرج .

فقال الأحنف لمعاوية : ما رأيت قط لك سعة مثلاً ! ما هذا الخضوع لمروان ! أو أي شيء يكون منه ومن بنى أبيه إذا بلغوا أربعين ؟ وما الذي نخشاه منهم ؟ فقال : اذن مني أخبرك ذلك ، فدنا الأحنف منه ، فقال [ له ] <sup>(٧)</sup> : إن الحكم بن أبي العاص كان أحداً من قديم مع [ أختي ] <sup>(٧)</sup> أم حبيبة لما رُفِئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهو يتولى نقلها إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحد النظر إليه ، فلما خرج من عنده ، قيل : يا رسول الله ، لقد أهدت النظر إلى الحكم ! فقال : ابن الحزومية ، ذاك رجل إذا بلغ بنو<sup>(٨)</sup> أبيه ثلاثين أو أربعين ، ملكوا الأمر من بعدى ، فوافقه لقد تلقاها مروان من عين صافية . فقال الأحنف : رويداً يا أمير المؤمنين ؛ لا يسمع هذا منك أحد ؛ فإنك تصع من قدرك وقدر ولدك بعدك ؛ وإن يقض الله أمراً يكن . فقال :

(١) الوزغ : جمع وزغة ، سام أبرص ، سميت بها الحناش وسرعة حركتها .

(٢) الأغاني : « ولد » . (٣) أنخزل ، أي تراجع .

(٤) البيتان من مقطوعة للمباس بن مرداس - ح - أسية أبي تمام - بشرح الرزوقي ٣ : ١٤٥٣ ؛

ونسب صاحب اللسان في ( قلت ) البيت الثاني إلى كثير عزة .

(٥) المقلات : مفعال ، من القلت ، وهو الهلاك . والزور : القليلة .

(٦) الأغاني : « في يد مروان » .

(٧) من الأغاني .

(٨) الأغاني : « ولد » .



معاوية : اَكْتُسَهَا يَا أَبَا بَجْرٍ عَلَى إِذَا ؛ فَقَدْ لَعَنُوكَ <sup>(١)</sup> صدقت ونصحت .

\*\*\*

وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب "مفاخرة هاشم وعبد شمس" ، أن مروان كان يُضعف ، وأنه كان ينشد يوم مَرَجٍ راهط والروس تُنذَرُ عن كواهلها :  
وما ضَرَّتْهُمْ غَيْرَ حَيْنِ الثَّفَوُ سِ أَيْ غَلَامِي قَرِيشَ غَلَبَ ا  
قال : وهذا حَقٌّ شديد ، وضعف عظيم ؛ قال : وإنما ساد مروان وذكر بابه  
عبد الملك ، كما ساد بنوه ؛ ولم يكن في نفسه هناك .

\*\*\*

فأما خلافة مروان ، فذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ <sup>(٢)</sup> أن  
عبد الله بن الزبير لما أخرج بني أمية عن الحجاز إلى الشام في خلافة يزيد بن معاوية ،  
خرجوا وفيهم مروان ، وابنه عبد الملك ، ولم تَطُلْ مدة يزيد ، فتوفى ، ومات ابنه بعده  
بأيام يسيرة . وكان من رأى مروان أن يدخل إلى ابن الزبير بمكة فبإيابه بالخلافة ،  
فقدم عبيد الله بن زياد ، وقد أخرجته أهل البصرة عنها بعد وفاة يزيد ، فاجتمع هو  
وبنو أمية ، وأخبروه بما قد أجمع عليه مروان ، فجاء إليه ، وقال : استعجبت لك يا أبا عبد الملك ،  
فما يريد ! أنت كبير قريش وسيدها تصنع ما تصنع ، وتشخص إلى أبي خُبَيْبٍ فتبأيه  
بالخلافة ! فقال مروان : ما فات شيء بعد ؛ فقام مروان ، واجتمع إليه بنو أمية ومواليهم  
وعبيد الله بن زياد وكثير من أهل اليمن وكثير من كُلب ، فقدم دمشق وعليها الضحاك  
ابن قيس الفهري ، قد بابيه الناس على أن يُصَافَى بهم ، ويقيم لهم أمرهم ، حتى يجتمع

(١) الأغاني : ٥ لصرى .

(٢) تاريخ الطبري : ٥ : ٣٠ وما بعدها ؛ مع تصرف واختصار .



الناس على إمام ، وكان هوى الضعاك مع ابن الزبير إلا أنه لم يبايع له بعد ، وكان زفر ابن الحارث الكلبي بقتلين يخطب لابن الزبير ، والنعمان بن بشير الأنصاري يخطب يخطب لابن الزبير ، وكان حسان بن مالك بن جندل الكلبي بفلسطين يهوى هوى بني أمية ، ثم من بينهم بني حرب ، لأنه كان عاملاً لمعاوية ، ثم يزيد بن معاوية من بعده ، وكان حسان بن مالك مطاعاً في قومه ، عظيماً عندهم ؛ فخرج عن فلسطين يريد الأردن ، واستخلف على فلسطين رزح بن زنباع الجذامي ، فوثب عليه بعد شخص حسان بن مالك وناتل<sup>(١)</sup> بن قيس الجذامي أيضاً ، فأخرجه عن فلسطين ، وخطب لابن الزبير ، وكان له فيه هوى ، فاستوثقت الشام كلها لابن الزبير ، ماعداء الأردن ؛ فإن حسان بن مالك الكلبي كان يهوى هوى بني أمية ، ويدعو إليهم ؛ فقام في أهل الأردن فخطبهم ؛ وقال لهم : ما شهدتكم على ابن الزبير وقتل المدينة بالحرة ؟ قالوا : نشهد أن ابن الزبير كان منافقاً ؛ وأن قتل أهل المدينة بالحرة في النار ، قال : فما شهدتكم على يزيد بن معاوية وقتلكم بالحرة ؟ قالوا : نشهد أن يزيد بن معاوية كان مؤمناً ، وكان قتلنا بالحرة في الجنة ، قال : وأنا أشهد أنه إن كان دين يزيد ابن معاوية وهو حي حقاً ، إنه اليوم كعليّ حق هو وشيعته ، وإن كان ابن الزبير يومئذ هو وشيعته على باطل ؛ إنه اليوم وشيعته على باطل ؛ قالوا : صدقت ، نحن نبايعك على أن نقاتل معك من خالفك من الناس وأطاع ابن الزبير ، على أن نجعلنا ولاية هذين الغلامين ابني يزيد بن معاوية ، وهما خالد وعبد الله ، فإنهما حديثا أسنانها ونحن نكره أن يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبي !

قال : وقد كان الضعاك بن قيس يوالى ابن الزبير باطلاً ، ويهوى هواه ، ويمنعه إظهار ذلك بدمشق والبيعة له أن بني أمية وكلباً كانوا يحضروا ، وكلب أخوال يزيد

(١) في الأصول : « ناتل » ، والصواب ما أتته من تاريخ الطبري .



ابن معاوية وبنيه ، ويطلبون الإمرة لم ، فكان الضحاك يعمل في ذلك سرًا ، وبلغ حسان ابن مالك بن محمد ما جمع عليه الضحاك ، فكتب إليه كتابا يعظم فيه حق بني أمية ، ويدكر الطاعة والجماعة وحسن بلاه بني أمية عنده وصنيعهم إليه ، ويدعوه إلى بيعتهم وطاعتهم ويدكر ابن الزبير ويقع فيه وبشتمه ، ويدكر أنه منافق قد خلع خليفتين ، وأمره أن يقرأ كتابه على الناس ؛ ثم دعا رجلا من كُتب يقال له ناغضة ، فسرح بالكتاب معه إلى الضحاك بن قيس ، وكتب حسان نسخة ذلك الكتاب ، ودفعه إلى ناغضة ، وقال له : إن قرأ الضحاك كتابي على الناس ، وإلا فقم أنت وقرأ هذا الكتاب عليهم ، وكتب حسان إلى بني أمية بأمرهم أن يحضروا ذلك ، فقدم ناغضة بالكتاب على الضحاك ، فدفعه إليه ، ودفع كتاب بني أمية إليهم سرًا .

فلما كان يوم الجمعة ، وصعد الضحاك على المنبر ، وقدم إليه ناغضة ، فقال : أصلح الله الأمير ! ادع بكتاب حسان فقرأه على الناس ، فقال له الضحاك : اجلس ، فجلس ثم قام ثانية فتكلم مثل ذلك ، فقال له : اجلس ، فجلس ثم قام ثالثة وكان كالثانية والأولى ، فلما رآه ناغضة لا يقرأ الكتاب أخرج الكتاب الذي معه ، فقرأه على الناس . فقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، فصدق حسان ، وكذب ابن الزبير وشتمه ، وقام يزيد بن أبي النمس الفسائي ، فصدق مقالة حسان وكتابه ، وشتم ابن الزبير ، وقام سفيان بن أبرد الكلبي ، فصدق مقالة حسان وشتم ابن الزبير ، وقام عمر بن يزيد الحكمي ، فشتم حسان ، وأثنى على ابن الزبير ، فاضطرب الناس ، ونزل الضحاك بن قيس ، فأمر بالوليد بن عتبة ، وسفيان ابن الأبرد ، ويزيد بن أبي النمس الذين كانوا صدقوا حسان ، وشتموا ابن الزبير . فحبسوا ، وجال الناس بعضهم في بعض ، ووثبت كُتب على عمر بن يزيد الحكمي فضر به ، وخرقوا ثيابه . وقد كان قام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد منقائين<sup>(١)</sup> من المنبر ، وهو يومئذ غلام . والضحاك بن قيس فوق المنبر ، فتكلم بكلام أوجز فيه ، لم يسمع بمثله ، ثم نزل .



فلما دخل الضحّاك بن قيس داره ، جاءت كلب إلى السجن فأخرجوا سفيان بن أبرد الكلبي ، وجاءت غسان ؛ فأخرجوا يزيد بن أبي النمير ؛ وقال الوليد بن عتبة : لو كنت من كلب أو غسان ؛ لأخرجت ؛ فجاء ابن يزيد بن معاوية : خالد وعبد الله ؛ ومعهما أخوالهما من كلب ، فأخرجوه من السجن .

ثم إن الضحّاك بن قيس خرج إلى مسجد دمشق ، فجلس فيه ؛ وذكر يزيد بن معاوية فوقع فيه ، فقام إليه سنان من كلب ومعه عصا ؛ فضربه بها ؛ والناس جلوس حلقاً . متقلّدي السيوف . فقام بعضهم إلى بعض في المسجد ؛ فاقتتلوا ، فكانت قيس عيلان قاطبة تدمر إلى ابن الزبير ومعهما الضحّاك ، وكتب تدعو إلى بني أمية ، ثم إلى خالد بن يزيد ، فقيمصون له ، فدخل الضحّاك دار الإمارة ، وأصبح الناس ، فلم يخرج الضحّاك إلى صلاة الفجر .

فلما ارتفع النهار بعث إلى بني أمية ، فدخلوا عليه ، فاعتذر إليهم ، وذكر حسن بلائهم عنده ، وأنه ليس يهوى شيئاً يكرهونه ، ثم قال : تكتبون إلى حسان وكتب ، ويسر حسان من الأردن حتى ينزل الجابية<sup>(١)</sup> ونسير نحن وأنتم حتى نوافيه بها ؛ فيجتمع رأي الناس على رجل منكم ! فرضيت بذلك بنو أمية ، وكتبوا إلى حسان وهو بالأردن وكتب إليه الضحّاك بأمره بالموافاة في الجابية ، وأخذ الناس في الجهاز للرحيل .

وخرج الضحّاك بن قيس من دمشق ، وخرج الناس وخرجت بنو أمية ، وتوجّهت الرايات يريدون الجابية ، فجاء ثور بن معن يربد بن الأخنس السلمي إلى الضحّاك ؛ فقال : دعوتنا إلى طاعة ابن الزبير فبايعتناك على ذلك ؛ ثم أنت الآن تسير إلى هذا الأعرابي من كلب لتستخلف ابن أخيه خالد بن يزيد بن معاوية ! فقال الضحّاك : فما الرأي ؟ قال : الرأي أن

(١) الجابية ، بكسر الباء وباء خفيفة : من أعمال دمشق .



نظروا ما كنا نُسِرُّ ، ونُدعو إلى طاعة ابن الزبير ، وقاتل عليها . قال الضحاك بمن معه من الناس ، وانخزل من بني أمية ومن معهم من قبائل اليمن قنزل مَرَجٍ راهط .

قال أبو جعفر : واختلف في أي وقت كانت الواقعة بمرج راهط فقال الواقدي : كانت في سنة خمس وستين . وقال غيره : في سنة أربع وستين .

قال أبو جعفر : وسارت بنو أمية ولقيفها حتى وافوا أحسان بالجابية ، فصلّى بهم أربعين يوماً ، والناس يتشاورون ، وكتب الضحاك بن قيس من مرج راهط إلى الثُّعَمان بن بشير الأنصاري ، وهو على حِمْنٍ يستنجد به ؛ وإلى زُفَر بن الحارث وهو في قَدَسرين ، وإلى نائل <sup>(١)</sup> ابن قيس وهو على فلسطين يستمدّهم ؛ وكلّهم على طاعة ابن الزبير ، فأمدوه ، فاجتمعت الأجناد إليهم بمرج راهط ، وأما الذين بالجابية فكانت أهواؤهم مختلفة ، فأما مالك ابن هيرة السكوني ، فكان يهودي هوي يزيد بن معاوية ، ويجب أن تكون الخلافة في ولده ، وأما حصين بن نمير السكوني <sup>(٢)</sup> ؛ فكان يهودي هوي بنو أمية ؛ ويجب أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم ؛ فقال مالك بن هيرة لـ حصين بن نمير : هلم فلنباع لهذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه ؛ وهو ابن أختنا ؛ فقد عرفت منزلتنا التي كانت من أبيه ؛ إنك إن تباينه يملك غدا على رقاب العرب . يعني خالد بن يزيد . فقال الحصين : لا لعمر الله ؛ لا يأتينا العرب بشيخ ؛ ونأتيها بصبي ؛ فقال مالك : أظنّ هَواك في مروان والله إن استخلفت مروان ليحسدنك على سَوطِكَ وشِرَاكِ نَعْلِكَ ، وظلّ شجرة تستظلّ بها . إن مروان أبو عشرة ، وأخو عشرة وهم عشرة ، فإن بايعتموه كنتم صبيداً لهم ، ولكن عليكم بـ ابن أخكم خالد بن يزيد فقال الحصين : إنّي رأيتُ في المنام قنذِلاً مملقاً من السماء ، وإنه جاء كلّ من يمدّ عنقه إلى الخلافة ليتناولوه ، فلم يصل إليه . وجاء مروان فتناوله ، والله لنستخلفنه .

(١) في الأصول : « نائل » وصوابه من تاريخ الطبري .

(٢) في الأصول : « النول » ، وما أتته من تاريخ الطبري .



فلما اجتمع رأيهم على بيعته ، واستمالوا حسان بن بحدل إليها ، قام رَوْح بن زُبَاع الجذامي ، فحيد الله وأثنى عليه ، فقال :

أيها الناس ؛ إنكم تذكرون لهذا الأمر عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وتذكرون صحبة لرسول الله صلى الله عليه ، وقدمه في الإسلام ، وهو كما تذكرون ؛ لكفه رجل ضعيف ، وليس صاحب أمة محمد بالضعيف ؛ وأما عبد الله بن الزبير وما يذكرون الناس من أمره ، وأن أباه حواري رسول الله صلى الله عليه ، وأمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين ؛ فهو لعمرى كما تذكرون ، ولكفه منافق قد خلع خليفتين : يزيد وأباه معاوية ، وسفك الدماء ، وشق عصا المسلمين ؛ وليس صاحب أمة محمد صلى الله عليه بالمنافق ؛ وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الإسلام صدع قط إلا كان مروان تم يشمب ذلك الصدع ، وهو الذي قاتل عن عثمان بن عفان يوم الدار ، والذي قاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل ؛ وإنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ، ويستشبهوا<sup>(١)</sup> الصغير - يعني بالكبير مروان ، وبالصغير خالد بن يزيد .

فاجتمع رأي الناس على البيعة لمروان ، ثم لخالد بن يزيد من بعده ؛ ثم لعمر بن سعيد ابن العاص بعدها ؛ على أن تكون في أيام خلافة مروان إمرة دمشق لعمر بن سعيد ، وإمرة حمص لخالد بن يزيد . فلما استقر الأمر على ذلك ، دعا حسان بن بحدل خالد بن يزيد ؛ فقال : يا ابن أختي ؛ إن الناس قد أبوك لخدمة سنك ، وإني والله ما أريد هذا الأمر إلا لك ولأهل بيتك ؛ وما أبايع مروان إلا نظراً لكم ، فقال خالد : بل هجرت عفاً ، فقال : لا والله لم أهجرك عنك ؛ ولكن الرأي لك مارأيت .

ثم إن حسان دعا مروان بن الحكم ، فقال له : يا مروان ، إن الناس كلهم لا يرضون

(١) في الأصول : « واملأوا » وما أتبعه من تاريخ الطبري .



بك ، فأتري ؟ فقال مروان : إن يرد الله أن يعطينيها لم يمنعها أحد من خلقه ؛ وإن يرد أن يمنعنيها لا يعطينيها أحد من خلقه ، فقال حسان : صدقت .

ثم صعد حسان المنبر ، فقال : أيها الناس ؛ إني مستخلف في غدٍ أحدكم إن شاء الله ؛ فاجتمع الناس بكثرة الفد ينتظرون ، فصعد حسان المنبر ، وباع مروان ، وباع الناس ؛ وسار من الجابية حتى نزل بمرج راهط ؛ حيث الضحاك بن قيس نازل ، فجعل مروان على ميمنته عمرو بن سميد بن العاص ، وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد ؛ وجعل الضحاك على ميمنته زياد بن عمرو بن معاوية التميمي ، وعلى ميسرته ثور بن معن التميمي ؛ وكان يزيد ابن أبي النمس الفسائي بدمشق ، لم يشهد الجابية ، وكان مريضاً ؛ فلما حصل الضحاك بمرج راهط<sup>(١)</sup> ، ثار بأهل دمشق في عبيده وأهله ، فغلب عليها ، وأخرج طامل الضحاك منها ؛ وغلب على الخزانة بيت المال ، وباع مروان ، وأمدّه من دمشق بالرجال والمال والسلاح ؛ فكان ذلك أول فتح فتح مروان .

ثم وقعت الحرب بين مروان والضحاك ؛ فاقتلوا بمرج راهط عشرين ليلة ؛ فهزم أصحاب الضحاك وقتلوا ؛ وقتل أشرف الناس من أهل الشام ؛ وقتلت قيس مقتلة لم تقتل مثله في موطن قط ، وقتل ثور بن معن التميمي الذي رذ الضحاك عن رأيه .

قال أبو جعفر : وروى أن بشير بن مروان كان صاحب الراية ذلك اليوم ، وأنه كان ينشد :

إن على الرئيس حقاً حقاً أن يخضب الصمّدة أو يندقا  
ومرّ ذلك اليوم عبد العزيز بن مروان<sup>(٢)</sup> ثم استنقذ<sup>(٣)</sup> .

قال : ومرّ مروان برجل من محارب وهو في نفر يسير من أصحاب مروان ، فقال له :

(١) مرج راهط : موضع في القنطرة من دمشق ؛ بها الواقعة المعهورة بين قيس وطلب .  
(٢-٢) لم يذكر في الطبري .



لو انضمت إلى أصحابك رحمك الله ! فإني أراك في قلة ، فقال : إن معنا يا أمير المؤمنين من الملائكة مددا أضاعف من تأمرنا بالانضمام إليهم ؛ قال : فضحك مروان وسر بذلك ، وقال للناس ممن كان حوله : ألا تستمعون !

قال أبو جعفر : وكان قاتل الضعفاك رجلاً من كلب ، يقال له زحنة بن عبد الله ، فلما قتله وأحضر الرأس إلى مروان ، ظهرت عليه كآبة ، وقال : الآن حين كبرت سني ، ودق عظمي ، وصرت في مثل غيم<sup>(١)</sup> الحمار ؛ أقبلت أضرب الكتاب بعضها ببعض !

قل أبو جعفر : وروى أن مروان أنشد لما بوبع ودعا إلى نفسه :

لما رايت الأمر أمراً نهياً  
سريت غسان لهم وكلها  
والشككيين رجلاً غلباً  
وطيئنا تأبى إلا ضرباً  
والقن تمشي في الحديد فكياً  
ومن تنوخ مشخيراً صعباً  
لا يملكون الملك إلا غصباً<sup>(٢)</sup>  
وإن دنت قيس قتل لا قرباً

قال أبو جعفر : وخرج الناس منهزمين بعد قتل الضعفاك ؛ فأنهى أهل حص إلى حص ؛ وعليها التيمان بن بشير ، فلما عرف الخبر خرج هارباً ومعه ثقله وولده ، ونحو ليلته كلها ، وأصبح وهو بباب مدينة حمص ، فرآه أهل حص يقتلوه ، وخرج زفر بن الحارث الكلبي من قنسرين هارباً ، فلقى بقر قيسية ؛ وعليها عياض بن أسلم الجرشي<sup>(٣)</sup> فلم يمكنه من دخولها ، فحلف له زفر بالطلاق والعناق أنه إذا دخل حمامها خرج منها ، وقال له : إن لي حاجة إلى دخول الحمام ، فلما دخلها لم يدخل حمامها وأقام بها ، وأخرج عياضاً

(١) أي لم يبق من عمري غير وقت قصير ، والظلم في الأصل : ما بين التمرتين ، ويقال : إنه ليس شيء من الدواب أقصر ظمأً من الحمار .

(٢) الطبري : « لا يأخذون الملك » .

(٣) في الطبري : « وهو ابن أسلم بن كعب بن مالك » .



منها ، وتحصن فيها ، وثابت إليه قيس عيلان ؛ وخرج قاتل بن قيس الجذامي من فلسطين هاربا ؛ فالتحق بابن الزبير بمكة ، وأطبق أهل الشام على مروان واستوثقوا له ، واستعمل عليهم عماله ، ففى ذلك يقول زفر بن الحارث :

أَرِيْفِي سِلَاحِي لَا أَبَالِكَ إِنِّي      أَرَى الْحَرْبَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا <sup>(١)</sup>  
 أَتَانِي عَنْ مَرَوَانَ بِالغَيْبِ أَنَّهُ      مُرِيقٌ دُمِي ، أَوْ قَاطِعٌ مِنْ لِسَانِيَا  
 وَفِي الْمَيْسِ مَنَاجَاةٌ ، وَفِي الْأَرْضِ مَهْرَبٌ      إِذَا نَحْنُ رَفَعْنَا لَهْنَ الْمُبَانِيَا <sup>(٢)</sup>  
 قَدْ يَنْبِتُ الْمَرْعى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى      وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النَّفُوسِ كَمَا هِيََا  
 أَنْذَهَبَ كَلْبٌ لَمْ تَنْهَلْهَا رَمَاحُنَا      وَتَرَكْتُ قَتْلِي رَاهِطٌ هِيََا مَا هِيََا  
 لِعَمْرِي لَقَدْ أَبَقْتُ وَقِيعَةً رَاهِطٌ      لِحَسَانٍ صَسْدُهَا بَيْنَنَا مَتْنَانِيَا  
 أَبْسُدُ ابْنَ عَمْرٍو وَابْنَ مَعْنٍ تَنَاقِيَا <sup>(٣)</sup>      وَمَقْتَلِي قَمَامٌ أَمْنِي الْأَمَانِيَا  
 وَلَمْ تَرَمْ مَنِي نَبْوَةٌ قَبْلَ هَذِهِ      فَرَارِي وَتَرْكِي صَاحِبِي وَرَاثِيَا  
 أَبْذَهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنِّ أَسَاسُهُ      بِصَالِحِ أَبِيي وَحَسَنِ بِلَاثِيَا  
 فَلَا صَلَاحَ حَتَّى تَنْحِطَ الْخَيْلُ بِالْقَنَا      وَتَتَارُ مِنْ نِسْوَانٍ كَلْبِي نِسَائِيَا <sup>(٤)</sup>  
 وَقَالَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ أَيْضَا ، وَهُوَ مِنْ شُعْرِ الْحَمَاسَةِ :

أَفَى اللَّهِ أَمَا بِمَحْدَلٍ وَابْنِ بِمَحْدَلٍ      فَيَحْيَا وَأَمَّا ابْنُ الزَّيْبِرِ فَيَقْتُلُ <sup>(١)</sup>  
 كَذَبْتُمْ وَيَيْتِ اللَّهُ لَا تَقْتُلُونَهُ      وَأَمَّا يَكُنْ يَوْمٌ أَعْرُ بِمَحْدَلٍ

(١) الأبيات في معجم البلدان ٤ : ٢١٦ ، والأغاني ١٧ : ١١١ ( ساسي ) ، مع اختلاف في الرواية بينها وبين رواية الطبري .

(٢) في الطبري : « المتانيا » ، بعده :

فَلَا تَحْسَبُونِي إِنْ تَغَيَّبْتُ غَافِلًا      وَلَا تَفْرَحُوا إِنْ جَشْتُكُمْ بِلَقَائِيَا

(٣) النحط : موت الخيل من الإعياء ، بعده في الطبري :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تُصَيِّبُنَّ غَارِيَا      تَنْوُخًا وَحَيَّ طَيِّبًا مِنْ شِفَائِيَا

(٤) دهبان الحماسة - بشرح المرزوقي ٢ : ٦٤٩ .



وَلَمَّا يَكُنْ لِلْمَشْرِقِيَّةِ فَوْقَكُمْ شَعَاعٌ كَقَرْنِ الشَّمْسِ حِينَ تَرَجُلُ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وأما وفاة مروان ، والسبب فيها أنه كان قد استقر الأمر بعده لخالد بن يزيد بن معاوية على ما قدمنا ذكره ، فلما استوثق له الأمر ، أحب أن يبائع لعبد الملك وعبد العزيز ابنيه ، فاستشار في ذلك ، فأشير عليه أن يتزوج أم خالد بن يزيد ، وهي ابنة أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ليصغر شأنه فلا يرشح للخلافة ، فتزوجها . ثم قال خالد يوماً في كلام دار بينهما والمجلس غاص بأهله : اسكت يا ابن الرطبة<sup>(٢)</sup> ، فقال خالد : أنت لعمرى مؤمن وخبير . ثم قام باكياً من مجلسه . وكان غلاماً حينئذ . فدخل على أمه ، فأخبرها ، فقالت له : لا يعرفن ذلك فيك ، واسكت فأنا أ كفيك أمر . فلما دخل عليها مروان ، قال لها : ما قال لك خالد ؟ قالت : وما عساه يقول ؟ قال : ألم يشكني إليك ؟ قالت : إن خالداً أشد إعظاماً لك من أن يشكيك ، فصدقها . ثم مكثت أياماً ، فنام عندها وقد أعدت جواربها ، وقمن إليه ، فجعلن الوسائد والبراذع عليه ، وجلسن عليه حتى خنقه ، وذلك بدمشق في شهر رمضان . وهو ابن ثلاث وستين سنة ، في قول الواقدي .

وأما هشام بن محمد الكلبي ، فقال : ابن إحدى وثمانين سنة ، وقال : كان ابن إحدى وثمانين ، عاش في الخلافة تسعة أشهر . وقيل عشرة أشهر ، وكان في أيام كتابته لعثمان بن عفان أكثر حُكماً ، وأشد تلطفاً وتسليطاً منه في أيام خلافة ، وكان ذلك من أعظم الأسباب الداعية إلى خلع عثمان وقتله .

وقد قال قوم : إن الضحاك بن قيس لما نزل مَرَجَ راهط لم يدع إلى ابن الزبير ، وإنما دعا إلى نفسه . وبويح بالخلافة ، وكان قرشياً . والأكثر الأشهر أنه كان يدعو إلى ابن الزبير .

(١) قرن الشمس : أول ما ظهر منها . الترجل : هو النوع ، والنوع : قبل اختصاف النهار .

(٢) الطبري : « يا ابن الرطبة الاست » .



(٧٣)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان :

لَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي؛ وَوَاللَّهِ لَا أُسَلِّحَنَّ مَا سَلَّحْتَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلَمْ  
يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَى خَاصَّةٍ، أَلْيَاسًا لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْدًا فِيهَا تَنَافَسْتُمُوهُ  
مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِينَتِهِ .



البيان :

نافست في الشيء : مُنافسة ونفاسا : إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم ، وتنافسوا  
فيه ، أى رغبوا .

والزخرف : الذهب ، ثم شبه به كل مموت مزور ، قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ  
الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾ <sup>(١)</sup> والمزخرف : المزين .

والزبرج : الزينة من وشى أو جواهر ، ونحو ذلك . ويقال : الزبرج الذهب أيضا .  
يقول لأهل الشورى : إنكم تعلمون أنى أحق بالخلافة من غيرى ، وتعدلون عني . ثم  
أقسم لئسليّن وليتركن المخالفة لهم ، إذا كان في تسليمه ونزوله عن حقه سلامة أمور المسلمين ،  
ولم يكن الجور والخيف إلا عليه خاصة ، وهذا كلام مثله عليه السلام ، لأنه إذا علم أو غلب  
على ظنه أنه إن نازع وحارب دخل على الإسلام وهن وتلم لم يختر له المنازعة ، وإن كان



يطلب المنازعة ما هو حق ؛ وإن عليم أو غلب على ظنه بالإسالة عن طلب حقه إنما يدخل الثلم والوهن عليه خاصة ، وبسلم الإسلام من الفتنة ، وجب عليه أن يفضى ويصبر على ما أتوا إليه من أخذ حقه ، وكفى بده ؛ حراسة للإسلام من الفتنة .  
فإن قلت : فملا سلم إلى معاوية وإلى أصحاب الجمل ، وأغضى على اغتصاب حقه حفظاً للإسلام من الفتنة ؟

قلت : إن الجور الداخل عليه من أصحاب الجمل ومن معاوية وأهل الشام ، لم يكن مقصوراً عليه خاصة ؛ بل كان يعم الإسلام والمسلمين جميعاً ؛ لأنهم لم يكونوا عنده ممن يصلح لرياسة الأمة وتحمل أعباء الخلافة ، فلم يكن الشرط الذي اشترطه متحققاً ، وهو قوله : « ولم يكن فيه جور إلا على خاصة » .

وهذا الكلام يدل على أنه عليه السلام لم يكن يذهب إلى أن خلافة عثمان كانت تتضمن جوراً على المسلمين والإسلام ، وإنما كانت تتضمن جوراً عليه خاصة ، وأنها وقعت على جهة مخالفة الأولى ؛ لا على جهة الفساد الكلى والبطلان الأصلى ؛ وهذا محض مذهب أصحابنا .

\*\*\*

### [ كلام لعل قبل المبايعة لعثمان ]

ونحن نذكر في هذا الموضع ما استفاض في الروايات من مناشدته أصحاب الشورى ، وتعيده فضائله وخصائصه التي بان بها منهم ومن غيرهم . قد روى الناس ذلك فأكثروا ؛ والذي صح عندنا أنه لم يكن الأمر كما روى من تلك التعديلات الطويلة ؛ ولكنه قال لم بعد أن بايع عبد الرحمن والحاضرون عثمان ، وتلكاً هو عليه السلام عن البيعة : إن لنا حقاً إن نعطه نأخذه ، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل وإن طال الشرى ؛ في كلام قد ذكره أهل السيرة ؛ وقد أوردنا بعضه فيما تقدم ، ثم قال لم : أنشدكم الله ! أفبكم أحد أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين نفسه ؛ حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض غيري ؟



فقالوا: لا؛ فقال: أفياكم أحد؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فهِذَا مَوْلَاهُ» غَيْرِي؟ فقالوا: لا، فقال: أفياكم أحد؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَنْتَ مَنِي بِمَنْزِلَةِ خَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» غَيْرِي؟ فقالوا: لا، قال: أفياكم مَنْ أَوْثَقَنِي عَلَى سُورَةِ بَرَاءةٍ، وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنَّهُ لَا يُؤْدِي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِثِّي غَيْرِي؟ فقالوا: لا، قال: أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَّوْا عَنْهُ فِي مَأْقِطٍ<sup>(١)</sup> الْحَرْبِ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ، وَمَا فَرَرْتُ قَطُّ؟ قالوا: بلى، قال: أَلَا تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا؟ قالوا: بلى. قال: فَأَيْنَا أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسَبًا؟ قالوا: أَنْتَ. فَتَقَطَعَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ كَلَامَهُ، وَقَالَ: يَا عَلِيٌّ؛ قَدْ أَبَى النَّاسُ إِلَّا عَلَى عُثْمَانَ، فَلَا تَجْعَلَنَّ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا الَّذِي أَمَرَكَ بِهِ صَرًّا؟ قَالَ: أَنْ أَقْتُلَ مَنْ شَقَّ عَصَا الْجَنَاحَةِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِعَلِيٍّ: بَايِعْ إِذْنَ؛ وَإِلَّا كُنْتَ مَتَّبِعًا غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْفَذْنَا فَبِكَ مَا أَمَرْنَا بِهِ. فَقَالَ: «لَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَاللَّهِ لَأَسْلِمَنَّ...» الْفَصْلُ إِلَى آخِرِهِ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَبَايَعَ.



(٧٤)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام لما بلغه أنهم بنى أمية له بالمشاركة في دم عثمان :  
 أَوْ لَمْ يَنْهَ بَنِي أُمِّيَّةَ عِلْمَهَا بِى عَنْ قَرْفِى ! أَوْ مَا وَزَعَ الْجَلْمَالُ سَابِقَتِى عَنْ نُهْمَتِى !  
 وَلَمَّا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِى .  
 أَنَا حَاجِبُ الْمَارِقِينَ ، وَخَصِيمُ النَّاكِثِينَ الْمُرْتَابِينَ ، وَحَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعْرِضُ  
 الْأَمْثَالُ ، وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَاوِزُ الْعِبَادُ .



التفسير :

القَرْفُ : السبب ؛ قرفته بكذا أى عبته . ووزع ؛ كَفَ وَرَدَعَ ؛ ومنه قوله : « لا بد  
 للناس من وَزَعَةٍ » ، جمع وازع ، أى من رؤساء وأمرأء . وَالنُّهْمَةُ ، بفتح الهاء ؛ هى اللغة  
 الفصيحة ؛ وأصل التاء فيه واو .

والحجيج ، كالحصيم : ذو الحجاج والخصومة . يقول عليه السلام : أما كان في علم  
 بنى أمية بحالى ما بينهاها عن قَرْفِى بدم عثمان ا وحاله التى أشار إليها ؛ وذَكَرَ أَنَّ عِلْمَهُمْ  
 بِهَا يَفْتَضِى أَلَا يَقْرِفُوهُ بِذَلِكَ ؛ هى منزلته في الدين التى لا منزلة أعلى منها ، وما نطق به  
 الكتاب الصادق من طهارته وطهارة بنيه وزوجته ؛ في قوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ  
 عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيراً ﴾ <sup>(١)</sup> . وقول النبي صلى الله عليه وآله :  
 « أَنْتَ مِنِّى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » ، وذلك يقتضى عصمته عن الدم الحرام ؛



كما أن هارون معصوم عن مثل ذلك . وترادف الأقوال والأفعال من رسول الله صلى الله عليه وآله في أمره التي يضطرّ معها الحاضرون لها والمشهدون إتيانها إلى أن مثله لا يجوز أن يسمى في إراقته دم أمير مسلم ، لم يحدث حدثاً يستوجب به إحلال دمه .

وهذا الكلام صحيح مقول ؛ وذلك أنا نرى من يظهر ناموس الدين ، ويوagli على نوافل العبادات ، ونشاهد من ورعه وتقواه ما يقررّ معه في نفوسنا استشعاره الدين ، واعتقاده إياه ، فيصرفنا ذلك عن قرّفه بالمعيوب الفاحشة ، ونستبعد مع ذلك طعن من يطعن فيه ، وننكره ونأباه ونكذبه ؛ فكيف ساع لأعداء أمير المؤمنين عليه السلام ؛ مع علمهم بمنزلة العالية في الدين ، التي لم يصل إليها أحد من المسلمين ، أن يطلقوا السّنة فيهم ، وينسبوه إلى قتل عثمان أول المبالاة عليه ؛ لاسيما وقد اتصل بهم ، وثبتت عندهم ؛ أنه كان من أنصاره لامن المجلبين عليه ، وأنه كان أحسن الجماعة فيه قولاً وفعلًا .

ثم قال : « ألم تزع الجاهل وتردعهم سابقني عن نهقي » ! وهذا الكلام تأكيد للقول الأول .

ثم قال : إن الذي وعظهم الله تعالى به في القرآن من تحريم الغيبة والقذف وتشبيه ذلك بأكل لحم الميت أبلغ من وعظي لهم ، لأنه لاعظة أبلغ من عظة القرآن .

ثم قال : « أنا حبيب المارقين ، وخصيم المرتابين » ، يعني يوم القيامة ؛ روى عنه عليه السلام أنه قال : « أنا أول من يمشوا للحكومة بين يدي الله تعالى » ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله مثل ذلك مرفوعاً في قوله تعالى : ﴿ هَذَانِ خَصِمَانِ اُخْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ <sup>(١)</sup> وأنه صلى الله عليه وآله سئل عنها ، فقال : « عليّ وحزرة وعبيدة ، وعتبة وشيبة والوليد » ، وكانت حادثتهم أول حادثة وقعت فيها مبارزة أهل الإيمان لأهل الشرك ، وكان المقتول الأول بالمبارزة الوليد بن عتبة ، قتله عليّ عليه السلام ، ضربه على رأسه فهدرت عيناه على وجهه ،



فقال النبي صلى الله عليه وآله وفي أصحابه ما قال ، وكان على عليه السلام بكثرة من قوله :  
« أنا حبيب المارقين » ، ويشير إلى هذا المعنى .

ثم أشار إلى ذلك بقوله : « على كتاب الله تعرض الأمثال » ، يريد قوله تعالى :  
( هَٰذَا نِ خُصَمَاءِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) .

ثم قال : « وبما في الصدور تجازي العباد » إن كنت قتلتُ عثمان أو مالت عليه ؛  
فإن الله تعالى سيجازيني بذلك ، وإلا فسوف يجازي بالمعقوبة والمذاب من أتهمني به ،  
ونسبه إلى .

وهذا الكلام يدل على ما يقوله أصحابنا من تبرؤ أمير المؤمنين عليه السلام من دم  
عثمان ، وفيه رد وإبطال لما يزعمه الإمامية ، من كونه رضى به وأباحه ؛ وليس يقول أصحابنا  
إنه عليه السلام لم يكن ساخطا أفعال عثمان ، وأنكرهم يقولون : إنه وإن سخطها وكرها  
وأنكرها لم يكن مبيعا لدمه ، ولا مماثلا على قتله ، ولا يلزم من إنكار أفعال الإنسان  
إحلال دمه ، فقد لا يبلغ الفعل في القبح إلى أن يستعمل به الدم ؛ كما في كثير من الناهي .



(٧٥)

الأصل

ومن خطبة له عليه السلام :

رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى ، وَدُعَى إِلَى رَشَادٍ قَدَنَا ، وَأَخَذَ بِحُجْرَةِ هَادٍ  
فَنَجَا . رَاقِبَ رَبَّهُ ، وَخَافَ ذَنْبَهُ ، قَدَّمَ خَالِصًا ، وَعَمِلَ صَالِحًا . اكْتَسَبَ مَذْخُورًا ،  
وَأَجْتَنَّبَ مَحْذُورًا . رَمَى غَرَضًا ، وَأَحْرَزَ عَوَاضًا . كَايَرَ هَوَاهُ ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ .  
جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ ، وَالْتَقَوَى عُدَّةَ وَقَاتِهِ . رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْفَرَاءَ . لَزِمَ  
الْحَبِجَةَ الْبَيْضَاءَ . اغْتَنَمَ الْمَهْلَ ، وَبَادَرَ الْأَجَلَ ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ .



مركز تحقيقات تكملة ترمذی

الشرح

الحكم هاهنا: الحكمة ، قال سبحانه : ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾<sup>(١)</sup> ، ووعى : حفظ ،  
وعيت الحديث أعياه وعياه ، وأذن راعية ، أى حافظه . ودنا : قرب . والحجرة : معبد  
الإزار ؛ وأخذ فلان ؛ بحجرة فلان إذا اعتصم به ولجأ إليه .

ثم حذف عليه السلام الواو في اللفظات الأخر فلم يقل : « وراقب ربه » ، ولا « وقدم  
خالصا » ، وكذلك إلى آخر اللفظات ؛ وهذا نوع من الفصاحة كثير في استعمالهم .

واكتسب ، بمعنى كسب ، يقال : كسبت الشيء واكتسبته بمعنى .

والغرض : ما يرمى بالسهم ، يقول : رحيم الله امرأ رمى غرضًا ، أى قصد الحق كمن  
يرمى غرضًا يقصده ، لا من يرمى في عمياء لا يقصد شيئًا بعينه .



والموض المحرز ها هنا : هو الثواب .

وقوله : « كابر هواء » أى غلبه . وروى « كثر » بالثاء المنقوطة بالثلاث ؛ أى غالب

هواء بكثرة عقله ، يقال : كثر نام فكثرتام ، أى غلبتهم بالكثرة .

وقوله : « وكذب مناء » أى أميته . والطريقة الغراء : البيضاء . والليل :

النظر والتؤدة .



مركز تحقيقات و نشر در علوم اسلامی



(٧٦)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام :

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيَفُوقُونَنِي تَرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ تَفَوُّحًا ، وَاللَّهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لَا تُفَضُّهُمْ نَفْسَ اللَّحَامِ الْوِذَامِ التَّرْبَةِ .

\*\*\*

قال الرضى رحمه الله : وَيُرْوَى « التَّرَابِ الْوِذْمَةُ » ، وهو على القلب .

وقوله عليه السلام : « لَيَفُوقُونَنِي » أى يُعْطُونَنِي من المال قليلا كَفُوقِ الناقة ،

وهو الحلبة الواحدة من لبنها .

وَالْوِذَامُ التَّرْبَةُ : جمعُ وَذْمَةٍ ، وهى الحُرَّة من الكَرَشِ أو الكَيْدِ تقع فى التُّرابِ

فَتَنْفُضُ .

\*\*\*

الشرح :

اعلم أن أصل هذا الخبر قد رواه أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني في كتاب

« الأغاني » ،<sup>(١)</sup> بإسناد رفعه إلى الحارث بن حبيش ، قال : بعثني سعيد بن العاص - وهو

يومئذ أمير الكوفة من قبل عثمان - بهدايا إلى المدينة ، وبعث معي هدية إلى علي عليه السلام

وكتب إليه : إني لم أبعث إلى أحدٍ أكثر مما بعثت به إليك ، إلا إلى أمير المؤمنين<sup>(٢)</sup> .

فلما أتيت عليا عليه السلام وقرأ كتابه<sup>(٣)</sup> ، قال : « لشد ما يحظر علي بنو أمية تراث محمد

صلى الله عليه وسلم ! أما والله لئن وليتها لأنفضنها نفس القصاب التراب الوذمة » .

(١) الأغاني ١٢ : ١٤٤ ( طبعة دار الكتب ) .

(٢) الأغاني : « إلا عيثاً في خزائن أمير المؤمنين » .

(٣) الأغاني : « فأخبرته » .



قال أبو الفرج : وهذا خطأ ؛ إنما هو « الوِذَامُ التَّريَّةُ » .

قال : وقد حدثني <sup>(١)</sup> بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن أبي زيد عمر بن شبة ، بإسناد ذكره في الكتاب ، أن سعيد بن العاص حيث كان أمير البكوفة ، بعث مع ابن أبي عائشة مولاة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام بصلّة ، فقال علي عليه السلام : والله لا يزال غلام من غلمان بني أمية يبعث إلينا مما آفاه الله على رسوله بمثل قوت الأرملة ؛ والله لئن بقيت لأنقضنها نقض القصاب الوذام التريّة .



مرکز تحقیقات کتب و اسناد اسلامی

---

(١) الخبر في الأغاني : « عن أبي زيد من عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي عن السدي عن أبيه » .



(٧٧)

الأصل

ومن كلمات كان عليه السلام يدعو بها :

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ؛ فَإِنْ عُدْتُ فَمَنْدُ عَلَىَّ بِالْمَغْفِرَةِ . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي  
مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي ، وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي .  
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ، نَحْمُ خَالِقَهُ قَلْبِي . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي  
رَمَزَاتِ الْأَلْحَافِ ، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ وَسَهَوَاتِ الْجَنَانِ ، وَهَفَوَاتِ اللِّسَانِ .



مركز تحقيقات علوم اسلامی

الشرح

وأيتُ ، أى وعدت ، والوإى الوعد . ورمزات الألفاظ : الإشارة بها . والألفاظ : جمع  
لَحْظ ، بفتح اللام ، وهو مؤخر العين . وسقطات الألفاظ : لغوها ، وسهوات الجنان :  
غفلاته ، والجنان : القلب . وهفوات اللسان : زلاته .

وفى هذا اللوح يقال : ما فائدة الدعاء عندكم - والقديم تعالى إنما يغفر الصفات ؛ لأنها  
تقع مكفرة ، فلا حاجة إلى الدعاء بغفرانها ، ولا يؤثر الدعاء أيضا في أفعال الباري سبحانه  
لأنه إنما يفعل بحسب المصالح ويرزق المال والولد وغير ذلك ، وبصرف الرضى والجذب  
وغيرهما بحسب ما يملئه من المصلحة ؛ فلا تأثير للدعاء فى شيء من ذلك ؟

والجواب ؛ أنه لا يمنع أن يحسن الدعاء بما يعلم أن القديم يفعل له بحاله ، ويكون وجه  
حُسْنِهِ ، صدوره عن المكلف على سبيل الانقطاع إلى الخالق سبحانه .



ويجوز أيضاً أن يكون في الدعاء نفسه مصلحة ولطف للكلف ؛ لقد حَسُنَ مِنَّا الاستغفار للمؤمنين ، والصلاة على الأنبياء والملائكة .

وأيضاً فليس كل أفعال الباري سبحانه واجبة عليه ، بل معظمها ما يصدر على وجه الإحسان والتفضل ، فيجوز أن يفعله ، ويجوز ألا يفعله .

فإن قلت : فهل يستحقُّ فعلُ الواجب الذي لا بدَّ للقديم - تعالى - من فعله إجابةً لدعاء للكلف ؟

قلت : لا ؛ وإنما يستحقُّ إجابة إذا فعل سبحانه ما يجوز أن يفعله ، ويجوز ألا يفعله كالتفضل . وأيضاً فإنَّ اللطف والمصلحة قد يكون لطفًا ومصلحةً في كلِّ حال ، وقد يكون لطفًا عند الدعاء ، ولولا الدعاء لم يكن لطفًا ؛ وليس بممتنع في القسم الثاني أن يستحقَّ إجابة للدعاء ؛ لأنَّ للدعاء على كلِّ حال تأثيراً في فعله .

فإن قيل : أيجوز أن يدعو النبي صلى الله عليه وآله بدعاء فلا يستجاب له ؟ قيل : إن من شرط حسن الدعاء أن يعلم الداعي حَسَنَ ما يطلبه بالدعاء ؛ وإنما يعلمُ حسنه ؛ بالألا يكون فيه وجه قبح ظاهر ، وما غاب عنه من وجوه القبح ؛ نحو كونه مفسدة يجب أن يشترطه في دعائه ، ويطلب ما يطلبه بشرط ألا يكون مفسدة . وإن لم يظهر هذا للشرط في دعائه وجب أن يُضْمِرَه في نفسه ، فتى سأل النبيُّ ربَّه تعالى أمراً فلم يفعله لم يجر أن يقال : إنه ما أجيب دعوتُه ؛ لأنه يكون قد سأل بشرط ألا يكون مفسدة ؛ فإذا لم يقع ما يطلبه ، فلا نَّ للطلب قد علم الله فيه من المفسدة ما لم يعلمه النبي صلى الله عليه وآله ؛ فلا يقال : إنه ما أجيب دعاؤه ؛ لأنَّ دعاءه كان مشروطاً ؛ وإنما يصدق قولنا ما أجيب دعاؤه على مَنْ طلب أمراً طلباً مطلقاً غير مشروط فلم يقع ، والنبي صلى الله عليه وآله لا يصحُّق ذلك في حقه .



### [ من أدعية رسول الله الماثورة ]

ونحن نذكر في هذا الموضع جملة من الأدعية للآثورة طلباً لبركتها ، ولينتفع قارى الكتاب بها :

كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أصبح أن يقول :

« أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ وَالْكَبِيرُ ، وَالْمُظَلَمَةُ وَالْجَلالُ وَالْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا يَسْكُنُ فِيهِمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَ يَوْمِي هَذَا صَلَاحًا ، وَأَوْسَطَهُ فَلَاحًا ، وَآخِرَهُ نَجَاحًا . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحْمِلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِنَا مَا تَبْلُغُنَا بِهِ رَحْمَتَكَ ؛ وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوَنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصِيبَاتِ الدُّنْيَا . اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا ، وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنَّا ، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا ، وَلَا تَجْعَلْ مَصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمًّا ، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلَا تَسْلُطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا » .

### [ من أدعية الصحيفة ]

ومن دعاء أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان يدعو به زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام ؛ وهو من أدعية الصحيفة :

يَا مَنْ يَرْحَمُ مَنْ لَا يَرْحَمُهُ الْعِبَادُ ، وَيَا مَنْ يَقْبَلُ مَنْ لَا يَقْبَلُهُ الْبِلَادُ ، وَيَا مَنْ لَا يَحْضِرُ أَهْلَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ؛ يَا مَنْ لَا يَجِبُهُ بِالرَّدِّ أَهْلُ الْإِلْحَاحِ إِلَيْهِ . يَا مَنْ لَا يَخْنِي عَلَيْهِ صَغِيرُ مَا يُتَحَفَّ بِهِ ، وَلَا يَضِيعُ بِسِيرٍ مَا يَعْمَلُ لَهُ . يَا مَنْ يَشْكُرُ عَلَى الْقَلِيلِ ، وَيَجْازِي بِالْجَلِيلِ . يَا مَنْ يَدْنُو إِلَى مَنْ دَنَا مِنْهُ . يَا مَنْ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ مَنْ أَدْبَرَ عَنْهُ . يَا مَنْ لَا يَنْفِرُ النَّفْسَ ، وَلَا يَادِرُ بِالنَّفْسِ . يَا مَنْ يَشْرِي الْحَسَنَةَ حَتَّى يَمُوتَ بِهَا ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ السَّيِّئَةِ حَتَّى يَصْفِيَهَا ؛ انصرفت



دون مَدَى كَرَمِكَ الحاجات ، وامتلأت ببعضِ جودك أوعية الطليبات ، وتفتحت دون  
 بلوغ نعمتك الصفات . فلك العلوّ الأهل فوق كل عالٍ ، والجلال الأجد فوق كل جلال ؛  
 كلّ جليل عندك حقير ، وكلّ شريف في جنب شرفك صغير ، خاب الوافدون على غيرك ،  
 وخسر التعرضون لإلاك ، وضاع اللغثون إلا بك ، وأجذب للمتجمعون إلا من انتجع  
 فضلك ، لأنك ذو غاية قريبة من الراغبين ، وذو مجدٍ مباح للسائلين ؛ لا يخيبُ لديك  
 الآملون ، ولا يخفق من عطائك التعرضون ، ولا يشقى بنعمتك المستغفرون ؛ رزقك مبسوط  
 لمن عصاك ، وحلمك معرض لمن ناولك ، وعادتك الإحسان إلى المسئئين ، وسنتك الإبقاء  
 على المعتدين ، حتى لقد غرّتهم أناتك عن النزوع ، وصدّهم إسهالك عن الرجوع ، وإنما  
 تأنيت بهم ليفيئوا إلى أمرك ، وأسهلتهم ثقةً بدوام مُلكك ، فمن كان من أهل السعادة  
 ختمت له بها ، ومن كان من أهل الشقاوة خذلك لها .  
 كلهم صائر إلى رحمتك ، وأمورهم آيلة إلى أمرك ؛ لم يهن على طول مدتهم سلطانك ،  
 ولم تدحض لترك معاجلتهم حججك <sup>(١)</sup> ؛ حججك قائمة ، وسلطانك ثابت ، قالوبل الدائم  
 لمن جتجعت عنك ، والخبيّة الخاذلة لمن خاب أمه منك ، والشقاء الأشقى لمن اغترّ بك .  
 ما أكثر قلبه في عذابك ، وما أعظم تردده في عقابك ، وما أبعد فاقته من الفرج ،  
 وما أثبطه من سهولة المخرج ؛ عدلاً من قضائك لا تجور فيه ، وإنصافاً من حكك  
 لا تحيفُ عليه ؛ قد ظهرت الحجج ، وأزلت الأعذار ، وتقدّمت بالوعيد ، وتلطّقت في  
 الترغيب ؛ وضربت الأمثال ، وأطلت الإسهال ، وأخرت وأنت تستطيع للمعاجلة ،  
 وتأقنيت وأنت مليء بالمبادرة .

لم تك أناتك تجزأ ، ولا حيلك وهنا ، ولا إمساكك لعة ، ولا انتظارك لمدارة ،  
 بل لتكون حججك الأبلغ ، وكرمك الأكل ، وإحسانك الأوفى ، ونعمتك الأتم .



كلّ ذلك كان ولم يزل ، وهو كائن لا يزول . نعمتك أجلّ من أن تُوصف بكلماتها ،  
ومجدك أرفع من أن يحذّ بكنهه ، وإحسانك أكبر من أن يشكر على أفله ، فقد أنصرتُ  
ساكتاً عن تحميدك ، وتَهَيَّيتُ ممسكاً عن تمجيدك ، لا رغبةً يا إلهي عنك بل عجزاً ،  
ولا زهداً فيما عندك بل تفصيلاً ، وها أنذا يا إلهي أوَمِّلْ بالوفادة ، وأسألك حسنَ  
الرِّقادة ، فاسمع ندائي ، واستجب دعائي ؛ ولا تُخَمِّمْ عَمَلِي بِخِيَّتِي ، ولا تُجَبِّهْنِي بِالرَّدْفِ  
مَسْأَلَتِي ، وأكْرِمْ من عندك منصرفي ؛ إنك غير ضائقَ عَمَّا تُريد ، ولا عاجزَ عَمَّا تُشاء ؛  
وأنت على كل شيء قدير .

\*\*\*

ومن أدعيته عليه السلام ؛ وهو من أدعية الصحيفة أيضا :

اللهم يامنُ برحمته يستغيث المذنبون ، ويامنُ إلى إحسانه يفرّحُ المضطرون ، ويامنُ  
لخفيته ينتحب الخاطئون ؛ يا أنس كلِّ مستوحشٍ غريب ، يافرج كلِّ مكروبٍ حريب .  
يا عون كلِّ مخذولٍ فريد ، يا عاضد كلِّ محتاجٍ طريد ؛ أنت الذي وسَّعت كلَّ شيء رحمة  
وعلا ، وأنت الذي جعلت لكلِّ مخلوقٍ في نعمتك سهماً ، وأنت الذي عفوه أعلى من  
عقابه ، وأنت الذي رحمته أمام غضبه ؛ وأنت الذي إعطاؤه أكبر من منعه ، وأنت  
الذي وسَّع الخلاق كلَّهم بعفوه ، وأنت الذي لا يرغبُ في غنى من إعطاء . وأنت  
الذي لا يفرطُ في عقاب من عضاء .

وأنا ياسيدي عبدك الذي أمرته بالدعاء فقال : لبيك وسعديك ! وأنا ياسيدي عبدك  
الذي أوقرت الخطايا ظهري ، وأنا الذي أفنت<sup>(١)</sup> الذنوبُ عمره ، وأنا الذي يجهل  
عصاك ؛ ولم يكن أهلاً منه لذلك ؛ فهل أنت بامولاي راحمٌ من دعاك فاجتهد في الدعاء ،  
أم أنت غافرٌ لمن بكى لك ، فأسرع في البكاء ، أم أنت متجاوزٌ عن عقرِّك وجهه ،  
متذللًا ، أم أنت مُعْنٍ من شكا إليك فقره متوكلاً ؟

(١) ج : « وأفنت الذنوب عمره » .



اللهم فلا تخيب من لا يخدمك غيرك ، ولا تأخذ من لا يستغنى عنك بأحدٍ دونك .  
اللهم لا تعرض عني وقد أقبلت عليك ، ولا تحرمني وقد رغبتُ إليك ، ولا تجهني بالردِّ  
وقد انتصبتُ بين يديك . أنت الذي وصفتَ نفسك بالرحمة ، وأنت الذي سميتَ نفسك  
بالعفو ، فارحمني واعف عني ؛ فقد ترى بإسدي فيض دموعي من خيفتك ، ووجيبَ  
قلبي من خشيتك ، وانتفاضَ جوارحي من هيبتك ، كلُّ ذلك حياة منك بسوء عملي ،  
وخجلاً منك لكثرة ذنوبي ؛ قد كَلَّ لساني عن مناجاتك ، وتحدصوتي عن الداء إليك !

يا إلهي ، فكُفَّ من عيب سترته علي فلم تفضحني ، وكُفَّ من ذنب غطيت عليه  
فلم تشهر بي ! وكُفَّ من عاتبة أملتُ بها فلم تهتك عني سترها ، ولم تقلدني مكروه شأرها ،  
ولم تبد علي محرمات سوا آثامها . فمن يلتبس معاصي من جبرتي وحسدة نعمتك عندي ، ثم  
لم ينهي ذلك حتى صرتُ إلى أسوأ ما عهدتُ مِنِّي ! فمن أجهل مِنِّي بإسدي برشدك أو مِنِّي  
أغفل مِنِّي عن حفظه منك ! وَمَن أبعده مِنِّي من استصلاح نفسه حين أنفقت ما أجريت علي  
من رزقك فيما نهيتني عنه من معصيتك ! وَمَن أبعده غوراً في الباطل ، وأشدَّ إقداماً علي  
السوء مِنِّي حين أقِفُ بين دعوتك ودعوة الشيطان ، فاتبع دعوته علي غير نهي عن المعرفة به ،  
ولا نسيان من حفظي له ؛ وأنا حينئذ موقنٌ أن منتهى دعوتك الجنة ، ومنتهى  
دعوته النار !

سُبْحَانَكَ فما أعجب ما شهد به علي نفسي ، وأعدده من مكنون أمري ! وأعجب مِن  
ذلك أناتك عني ، وإبطائك عن معاجلتني ؛ وليس ذلك من كرمي عليك ، بل تأتياً منك  
بي وتفضلاً منك علي ؛ لأن ارتدع عن خطي ، ولأن عفوك أحبُّ إليك من عقوبي .  
بل أنا يا إلهي أكثرُ ذنوباً ، وأقبح آثاماً ، وأشنع أفعالا ، وأشدَّ في الباطل تهوراً ، وأضعف  
عند طاعتك ثبوتاً ، وأغفل لوعيدك انتباهاً ؛ مِن أن أحصي لك عيوبي ، وأقدر علي تعديد



ذنوبي ؛ وإنما أوتخ بهذا نفس طمعاً في رافتك التي بها إصلاح أمر المذنبين ، ورجاء  
لمصمتك التي بها فكاك رقاب الخطاطين . اللهم وهذه رقبتي قد أرقتها الذنوب فأعنيها  
بعفوك ؛ وقد أثقلتها الخطايا تخفف عنها عنك . اللهم إني أوبكيت حتى تسقط أشفاري عني ؛  
وانتهيت حتى يقطع صوتي ، وقت لك حتى تنشر قدمي ، وركعت لك حتى ينجلي  
صلي ، وسجدت لك حتى تنفقا حدقتاي ، وأكلت التراب طول عمري ، وشربت ماء  
الرماد آخر دهرى ؛ وذكرتك في خلال ذلك حتى يكل لسانى ؛ ثم لم أرفع طرفي إلى آفاق  
السماء استحياء منك ؛ لما استوجبت بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتي ؛ فإن كنت تغفر لي  
حين أستوجب مغفرتك ، ونفوس عني حين أستحق عفوكم ؛ فإن ذلك غير واجب لي  
بالاستحقاق ، ولا أنا أهل له على الاستيجاب ؛ إذ كان جزاؤى منك من <sup>(١)</sup> أول ما عصيتك  
النار ؛ فإن تعذبنى فإنك غير ظالم .

إلهي فإن نعمدتني بسترِكَ فلم تفضحني ، وأمهلتني بكرمِكَ فلم تعاجلني ، وحملت عني  
بفضلِكَ فلم تغير نعمك عليّ ، ولم تكدر معروفك عندي ، فأرحم طول نصرعي ، وشدة  
مسكنتي ، وسوء موقي .

اللهم صل على محمد وآل محمد ، وأنقذني من المعاصي ، واستعملني بالطاعة ، وارزقني  
حسن الإنابة ، وطهرني بالثوبة ، وأبدني بالعصمة ، واستصلحني بالعافية ، وارزقني حلالة  
المغفرة ، واجعلني طليق عفوكم ، واكتب لي أماناً من سخطك ، وبشرني بذلك في العاجل  
دون الآجل <sup>(٢)</sup> ؛ بشرى أعرفها ، وعرفتني له علامة أتبينها ؛ إن ذلك لا يضيّق عليك في  
وُجْدك ، ولا يشكّاءك في قدرتك ، وأنت على كل شيء قدير .

\*\*\*

ومن أدعيته عليه السلام ؛ وهو من أدعية الصحيفة :

(٢) ب : د والعاجل .

(١) ب : د .



اللهم إذا للك للتأبد بالخلود والسلطان ، المتنفس بغير جنود ، والمزمز الباقي على مرّ  
الدهور ؛ عزّ سلطانك عزّاً لا حدّ له ولا منتهى لآخره ، واستعمل ملكك علواً سقطت  
الأشياء دون بلوغ أمدّه ، ولا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك نعوت أقصى نعت الناعتين  
ضلّت فيك الصفات ، وتفتتت دونك النعوت ، وحارت في كبرياتك لطائف الأوهام .  
كذلك أنت الله في أوليتك ، وعلى ذلك أنت دائم لا تزول ، وكذلك أنت الله في  
آخريتك ؛ وكذلك أنت ثابت لا نحول .

وأنا العبد الضعيف عملاً ، الجسم أملاً ، خرجت من يدى أسباب الوصلات إلى  
رحمتك ، وتقطعت عني عصم الآمال إلا ما أنا معتصم به من عفوك . قلّ عندي ما اعتدّ به  
من طاعتك ، وكثّر عندي ما أبوء به من معصيتك ؛ ولن يفونك <sup>(١)</sup> عفوّ عن عبدك وإن  
أساء ؛ فاعف عني .

اللهم قد أشرف على كلّ خطايا الأعمال عليك ، وانكشف كلّ مستور عند خبرك ؛  
فلا ينطوى عنك دقائق الأمور ، ولا يعزّب عنك خفايا السرائر <sup>(٢)</sup> ؛ وقد هربت إليك من  
صفائر ذنوب موبقة ، وكبائر أعمال مردية ، فلا شفيع بشفع لي إليك ، ولا خفيّر يؤمّنني  
منك ، ولا حصن يحجبني عنك ، ولا ملاذ ألبأ إليه غيرك .

هذا مقام المائذ بك ، ومحل المترف لك ، فلا يضيقن عني فضلك ، ولا يقصرن  
دوني عفوك ، ولا أكون أخيب عبادك الثائبين ، ولا أقنط وفودك الآملين ؛ واغفر لي  
إنك خير الناظرين .

اللهم إنك أمرتني فمفات ، ونهيتهني فركبت ، وهذا مقام من استعيا لنفسه منك ،  
وسخط عليها ورضى عنك ؛ وتلقاك بنفس خاشعة ، وعين خاضعة ، وظهير مثقل من الخطايا ،  
واقفا بين الرغبة إليك والرغبة منك ؛ وأنت أولى من رجاء ، وأحق من خشية واتقاء ؛

(١) ج : د يفونك .

(٢) ج : د خفايا لأعمال .



فَاعْطِنِي يَا رَبُّ مَا رَجَوْتُ ، وَأَمْنِي مَا حَذَرْتُ ، وَعِدْ عَلَيَّ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ ؛ إِنَّكَ أَكْرَمُ الْمُسْتَوَلِينَ .

اللَّهُمَّ وَإِذْ سَتَرْتَنِي بِعَفْوِكَ ، وَتَقَمَّدْتَنِي بِفَضْلِكَ فِي دَارِ الْغَنَاءِ ، فَأَجِرْنِي مِنْ قَضِيحَاتِ دَارِ الْبَقَاءِ عِنْدَ مَوَاقِفِ الْأَشْهَادِ ؛ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْقَرِيبِينَ ، وَالرُّسُلِ الْمَكْرُمِينَ ، وَالشُّهَدَاءِ الصَّالِحِينَ ؛ مِنْ جَارِ كُنْتُ أَكَانَهُ سَيِّئَاتِي ، وَمِنْ ذِي رَحِمٍ كُنْتُ أَحْنَشِمُ مِنْهُ لِسِرِّيَاتِي ؛ لَمْ أَتَقِ بِهِمْ فِي السِّرِّ <sup>(١)</sup> عَلَيَّ ، وَوَقَّعْتُ بِكَ فِي الْغَفَرَةِ لِي ، وَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ وَثِقَ بِهِ ، وَأَعْطَى مَنْ رُغِبَ إِلَيْهِ ، وَأَرَأَفُ مَنْ اسْتَرْحِمَ ؛ فَارْحَنِي .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَارٍ تَفْلُظُتْ بِهَا عَلَى مَنْ عَصَاكَ ، وَأَوْعَدَتْ بِهَا مَنْ ضَارَكَ وَنَاوَاكَ ، وَصَدَفَ عَنْ رِضَاكَ . وَمِنْ نَارٍ نَوْرُهَا ظُلْمَةٌ ، وَهَيْئُهَا صَعْبٌ ، وَقَرِيبُهَا بَعِيدٌ . وَمِنْ نَارٍ يَأْكُلُ بِمَضْمَا بِمَضَا ، وَيَبْصُلُ بِمَضْمَا عَلَى بَعْضٍ ؛ وَمِنْ نَارٍ تَذَرُّ الْمَقَامَ رَمِيًّا ، وَتَسْقِي أَهْلَهَا حِمَاً ، وَمِنْ نَارٍ لَا تَبْقَى عَلَى مَنْ تَضَرَّعَ ، وَلَا تَرْحَمُ مَنْ اسْتَعَطَفَهَا ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى التَّخْفِيفِ عَنْ خَشَعِ لَهَا ، وَاسْتَبْقَلِ إِلَيْهَا ، تَلْقَى مَسَاكِنَهَا بِأَحْرَ مَالِدِيهَا مِنْ أَلِيمِ الشَّكَالِ ، وَشَدِيدِ الْوَبَالِ .

اللَّهُمَّ بِكَ أَعُوذُ مِنْ عَفَّارِهَا الْغَاغِرَةِ أَفْوَاهُهَا ، وَحَيَاتِهَا النَّاهِشَةِ بَأْيَابِهَا ، وَشَرَابِهَا الَّذِي يَقَطَعُ الْأَمْعَاءَ ، وَيَذِيبُ الْأَحْشَاءَ ؛ وَأَسْتَهْدِيكَ لِمَا بَاعَدَ عَنْهَا ، وَأَنْقَذَ مِنْهَا ، فَأَجِرْنِي بِفَضْلِ رَحْمَتِكَ ؛ وَأَقِلْنِي عَثَرَتِي بِحَسَنِ إِقَالَتِكَ ، وَلَا تَحْذُلْنِي بِأَخِيرِ الْحَبِيرِينَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ إِذَا ذَكَرَ الْأَبْرَارَ ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، صَلَاةً لَا يَنْقَطِعُ مَدَدُهَا ، وَلَا يَحْصَى عَدْدُهَا ، صَلَاةً تَشْحَنُ الْمَوَاءَ ، وَتَمْلَأُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ .

صَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ حَتَّى تَرْضَى ، وَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ بَعْدَ الرِّضَا صَلَاةً لَا حُدُودَ لَهَا ، وَلَا مَنَهَى ؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ !

\*\*\*



ومن دعائه عليه السلام ، وهو من أدعية الصحيفة :

اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب ، وغلبة الحسد وضعف الصبر ، وقلة القناعة ، وشكاسة الخلق ، وإلحاح الشهوة ، وملسكة الحمية ، ومتابعة الهوى ، ومخالفة الهدى وسنة الغفلة ، وتماطى الكلفة ، وإيثار الباطل على الحق ، والإصرار على المآثم ، والاستكثار من المعصية ، والإفلال من الطاعة ، ومباهات المكثرين ، والإضرار على المقلين ، وسوء الأمانة على من تحت أيدينا ، وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا ، وأن نعصدا ظالما ، أو نخذل مملوفا ، أو نروم ما ليس لنا بحق ، أو نقول بغير علم ، ونعوذ بك أن تنطوي على غش لأحد ، وأن نُعجب بأموالنا وأعمالنا ، وأن نُمد في آمالنا . ونعوذ بك من سوء السريرة ، واحتقار الصغيرة ، وأن يستحوذ علينا الشيطان ، أو يشتد لنا الزمان ؛ أويتم ضمنا السلطان ، ونعوذ بك من حب الإسراف ، وفقدان الكفاف ، ومن شماتة الأعداء ، والفقر إلى الأصدقاء ، ومن عيشة في شدة ، أو موت على غير عتبة .

ونعوذ اللهم بك من الخسرة العقلية ، والمصيبة الكبرى ، ومن سوء المآب ، وحرمان الثواب ، وحلول العقاب .

اللهم أعذنا من كل ذلك برحمتك ومنك وجودك ، إنك على كل شيء قدير .

\*\*\*

ومن دعائه عليه السلام وتحميده ، وذكره النبي صلى الله عليه وآله ، وهو من أدعية الصحيفة أيضا :

الحمد لله بكل ما حمده أدنى ملائكته إليه ، وأكرم خلقه عليه ، وأرضى حامديه لديه ؛ حمداً بفضل سائر الحمد ، كفضل ربنا - جل جلاله - على جميع خلقه .

ثم له الحمد مكان كل نعمة له علينا ، وعلى جميع عباده الماضين والباقيين ، عدد ما أحاط به عامه ، ومن جميع الأشياء أضعافاً مضاعفة ، أبداً سرمداً إلى يوم القيامة ، وإلى ما لا نهاية له .



من بعد القيامة ؛ حداً لا غاية لحده ، ولا حساب لعدده ، ولا انقطاع  
لأمامه ؛ حداً يكون وصلةً إلى طاعته ، وسبباً إلى رضوانه ، وذريعة إلى مغفرته ،  
وطريقاً إلى جنته ، وخفيراً من نعمته وأمناً من غضبه ، وظهيراً على طاعته ، وحاجزاً عن  
معصيته ؛ وعوناً على تأدية حقه ووظائفه ؛ حداً نسمدُ به في السعداء من أوليائه ، وننتظم  
به في نظام الشهداء بسيوف أعدائه .

والحمد لله الذي من علينا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله دون الأمم الماضية ، والقرون  
السالفة ؛ لقدرة التي لا تعجز عن شيء ، وإن عظم ، ولا يفوتها شيء ، وإن لطف .

اللهم فصل على محمد أمينك على وحيك ، ونجيتك من خالقك ، وصفيك من عبادك .  
إمام الرحمة وقائد الخير ، ومفتاح البركة ، كما نصب لأمرك نفسه ، وعرض فيك للسكر وه  
بدنه ، وكاشف في الدعاء إليك حاجته ، وحارب في رضاك أسرته ، وقطع في نصرة دينك  
رحمه ، وأقصى الأدين على عنودهم عنك ، وقرب الأقصين على استجابتهم لك ؛ ووالى  
فيك الأبعدين ، وعاند فيك الأقربين ، وأدب<sup>(١)</sup> نفسه في تبايع رسالتك ، وأتبعها في  
الدعاء إلى ملتك ، وشغلها بالنصح لأهل دعوتك ، وهاجر إلى بلاد الغربة ومحل النأي  
عن موطن رحله ، وموضع رحله ، ومنقط رأسه ، ومأوى نفسه ؛ إرادة منه لإعزاز  
دينك ، واستنصاراً على أهل الكفر بك ؛ حتى استتب له ما حاول في أعدائك ، واستنم  
له ما دبر في أوليائك ، فهد إلى المشركين بك ، مستفتحاً بعونك ، ومتقوياً على ضمه  
بنصرك ، ففزاهم في عقر ديارهم ، وهجم عليهم في مجبوحة قرارهم ؛ حتى ظهر أمرك ،  
وعلت كلمتك ؛ وقد كره للمشركون .

اللهم فارفعه - بما كدح فيك - إلى الدرجة العليا من جنتك ؛ حتى لا يساوى في منزلة ،  
ولا يكافأ في مرتبة ، ولا يوازيه لديك ملك مغرب ، ولا نبي مرسل ، وعرفه في أمته من



حين الشفاعة أجل ما وعدته ؛ يا نافذ المدة ، يا وافي القول ، يا مبدل السبئات بأضعافها  
من الحسنات ؛ إنك ذو الفضل العظيم .

\*\*\*

### [ من الأدعية المأثورة عن عيسى عليه السلام ]

ومن الأدعية المروية عن عيسى بن مريم عليهما السلام :

اللهم أنت إله مَنْ في السماء ، وإله مَنْ في الأرض ، لا إله فيها غيرك ، وأنت  
حكيم مَنْ في السماء ، وحكيم مَنْ في الأرض ؛ لا حكيم فيها غيرك ؛ وأنت ملك مَنْ في  
السماء ، وملك مَنْ في الأرض ، لا ملك فيها غيرك ؛ قدرتكَ في السماء كقدرتكَ في  
الأرض ، وسلطانك في السماء كسلطانك في الأرض ؛ أسألك باسمك الكريم ، ووجهك  
المنير ، وملكك القديم أن تفعل بي كذا وكذا .

\*\*\*

### [ من الأدعية المأثورة عن بعض الصالحين ]

وكان بعض الصالحين يدعو فيقول :

اللهم لا تدخلنا النار بعد أن أسكنت قلوبنا توحيدهك ، وإني لأرجو ألا تفعل ؛  
وإن فعلت لتجعلن بيننا وبين قوم عاديناهم فيك .

ومن دعاء بعضهم :

اللهم إنك لم تشرك في خلقنا غيرك ، فلا تشرك في إحسان إلينا غيرك ؛ اللهم لا رب  
لنا غيرك ؛ فلا تجعل حاجتنا عند غيرك . اللهم إنا لنعبدُ غيرك ، فلا تسلط علينا غيرك .  
قام أعرابي على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال :



يا بى أنت و اى يا رسول الله ! قلت فقبلنا ، وتلوت فوعينا ، ثم ظلمنا أنفسنا ، وقرأنا  
 فيما أتيتنا به عن ربنا : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ  
 لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا <sup>(١)</sup> 〉 . اللهم إنا قد جئنا رسولك ونحن نستغفرك  
 ونسأل رسولك أن يستغفر لنا خطايانا ، فاغفر لنا وتب علينا .

فيقال : إن إنساناً حضر ذلك الدعاء ، قرأى تلك الليلة رسول الله صلى الله عليه وآله  
 في منامه يقول له : أبلغ الأعرابي أن الله قد غفر له .

ومن أدعية بعض الصالحين :

اللهم إني لم آتِكَ بعمل صالح قدَّمته ، ولا شفاعة مخلوق رجوتُه ؛ أتيتُكَ مَقْرَأًا بِالظلم  
 والإساءة على نفسي ؛ أتيتُكَ بلا حجة ، أتيتُكَ أرجو عظيمَ عفوك الذى عدتَ به على  
 الخاطئين ؛ ثم لم يمنك عكوفهم على عظيم الجرم أن جدتَ لهم بالمغفرة ، فيا صاحب العفو  
 العظيم اغفر الذنب العظيم ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وروى أن علياً عليه السلام اعتَمَر ، فرأى رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة ، وهو يقول :  
 يامن لا يشغله سمع عن سمع ؛ يامن لا تفلقه <sup>(٢)</sup> المسائل ولا يبرمه إلحاح الملحين ؛ أذقنى برِّدَ  
 عفوك ، وحلاوة مغفرتك ؛ وعذوبة عافيتك ؛ والفوزَ بالجنة ، والنجاة من النار .

فقال على عليه السلام : والذى نفسى بيده إن قاما وعليه مثل السموات والأرض  
 من الذنوب قولاً مخلصاً لينفرن له .

ودعا أعرابى عند الملتزم ، فقال :

اللهم إن لك على حقوقاً فتصدق بها على ، وإن للناس قبلى تَبِمَاتٍ فتحمّلها عنى ؛  
 وقد أوجبت لكل ضيفٍ قرى وأنا ضيفُك الليلة ، فاجعل قرأى الجنة .

(١) سورة النساء ٦٤ .

(٢) ب : « تفلطه » ، وما أتيت من ج .



ودعا بعض الأعراب أيضاً ، وقد خرج حاجاً ، فقال : اللهم إليك خرّجتُ ؛ وما عندك طلبت ، فلا تحرمني خيرَ ما عندك ، لشرِّ ما عندي ؛ اللهم إن كنتَ لم ترسَمْ نعيمي ونصبي ؛ فإنها مصيبة أصيبتُ بها ، فلا تحرمني أجرَ المصاب على المصيبة .

ودعا بعضهم فقال : اللهم إنك سترت علينا في الدنيا ذنوباً كثيرة ؛ ونحن إلى سترها في الآخرة أحوَج ؛ فاعفُ لنا .

ومن دعاء بعضهم : اللهم اجعل الموتَ خيرَ غائبٍ تنتظره ، واجعل القبرَ خيرَ بيتٍ نصره ؛ واجعل ما بعده خيراً لنا منه . اللهم إليك هجّت الأصوات بصنوف اللغات نألكُ الحاجات ، وحاجتي إليك أن تذكرني عند طول البلى ، إذا نسيني أهل الدنيا .

وقال بعضهم : كنتُ أدعو الله بعد وفاة مالك بن دينار أن أراه في منامي ، فرأيتُه بعد صبحي ، فقلت : يا أبا يحيى ، علمني كيف أدعو ؟ فقال : قل : اللهم يسّر الجواز ، وسهل المجاز .

وقال الشعبي : حدثني عبد الله بن مروان عن دعاء كان يدعو به على المنبر ؛ يقول : اللهم إن ذنوبي كثيرة جلّت أن توصف ، وهي صغيرة في جنب عفوِكَ ، فاعفُ عني .

ومن دعاء بعض الزهاد : اللهم إني أعوذ بك من أهل يُلهبني ، ومن هوَى يردّيني ، ومن عمل يُخزّيني ، ومن صاحبٍ يُغويّني ، ومن جارٍ يؤذيني ؛ ومن غنيّ يُطغيني ، ومن فقيرٍ يندسّيني . اللهم اجعلنا نستحييك وتثقيك ، ونخافك ونخشاك ، ونرجوك ونطيعك في السرِّ والعلاية . اللهم استرنا بالمعافاة والغنى ؛ أستمع الله على أموري ، وأستغفر الله لذنوبي ، وأعوذ بك من شرِّ نفسي .

ويروى أن رجلاً أعمى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فشكا إليه ذهابَ بصره ، فقال صلى الله عليه وآله له : قل : يا ستّوح يا قدّوس ، يا نور الأنوار ، يا نور السموات والأرض ، يا أول الأولين ، ويا آخر الآخرين ، أسألك



أَنْ تُغْفِرَ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ ، وَالذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ النِّقَمَ ، وَالذُّنُوبَ الَّتِي تُهْتِكُ الْعِصَمَ ،  
وَالذُّنُوبَ الَّتِي تُوجِبُ الْبَلَاءَ ، وَالذُّنُوبَ الَّتِي تُقَطِّعُ الرَّجَاءَ ، وَالذُّنُوبَ الَّتِي تُحْبِسُ الدُّعَاءَ ،  
وَالذُّنُوبَ الَّتِي تُكْشِفُ الْغِطَاءَ ، وَالذُّنُوبَ الَّتِي تُعَجِّلُ الْفَنَاءَ ، وَالذُّنُوبَ الَّتِي تُظِلُّ الْمَوَاءَ ،  
وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ ، وَوَجْهِكَ الْكَرِيمِ ، أَنْ تَرُدَّ عَلَيَّ بِصَرِي .  
فَدَعَا بِذَلِكَ فَرَدَّ عَلَيْهِ بِصَرِهِ .

وَمِنَ الْأَثَارِ الْمَنْقُولَةِ ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَضِبَ عَلَى أُمَّةٍ فَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ ، وَكَانَ فِيهِمْ  
ثَلَاثَةٌ صَالِحُونَ ، فَخَرَجُوا وَابْتَهِلُوا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَقَامَ أَحَدُهُمْ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا أَنْ نَعْتَقَ  
أَرْقَاءَنَا وَنَحْنُ أَرْقَاؤُكَ ؛ فَأَعْتَقْنَا ، ثُمَّ جَلَسَ . وَقَامَ الثَّانِي فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا أَنْ نَعْفُوَ  
عَمَّنْ ظَلَمْنَا ، وَقَدْ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَأَعْفُ عَنَّا ، ثُمَّ جَلَسَ . وَقَامَ الثَّالِثُ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا عَلَى ثِقَةٍ  
أَنْتَ لَمْ تَخْلُقْ خَلْقًا أَوْسَعَ مِنْ مَغْفِرَتِكَ ، فَاجْعَلْ لَنَا فِي سَمْعِهَا نَصِيحًا ؛ فَرَفَعَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ .  
قِيلَ لِسَفِيَّانِ بْنِ عُيَيْنَةَ : مَا حَدَّثَ رَوَيْتَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « أَفْضَلُ دُعَاءٍ  
أَعْطَيْتَهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ قَبْلِي : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي  
وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » ، كَانَهُمْ لَمْ يَرَوْهُ دُعَاءًا  
فَقَالَ : مَا تَنْكُرُونَ مِنْ هَذَا ! ثُمَّ رَوَى لَهُمْ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « مَنْ تَشَاغَلَ  
بِالْتَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ ، أَعْطَاهُ اللَّهُ فَوْقَ رَغْبَةِ السَّائِلِينَ » . ثُمَّ قَالَ : هَذَا أُمِّيَّةُ بَنِي أَبِي الصَّلْتِ يَقُولُ  
لَا بِنَ جُدْعَانِ :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ ؟ إِنَّ شَيْمَتَكَ الْحَيَاءَ <sup>(١)</sup>

إِذَا أَتَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَّاهُ مِنْ تَمَرُّضِهِ الثَّنَاءَ

وَقَالَ : هَذَا مَخْلُوقٌ يَقُولُ لِمَخْلُوقٍ ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ !



ومن دعائه صلى الله عليه وآله : « اللهم إني أعوذُ بك من الفقر إلا إليك ، ومن  
الذل إلا لك » .

ومن دعائه عليه السلام : « اللهم أرزقني عينين هطالتين تسفيان القلوب مذكوف  
الدموع ، قبل أن يكون الدمع دماً ، وقرع الضر من ندماً » .

ومن دعائه عليه السلام : « اللهم طهر لساني من الكذب ، وقلبي من النفاق ، وعمل  
من الرياء ، وبصري من الخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور » .

ومما رواه أنس بن مالك . « لا تعجزوا عن الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد » .

ومن رواية جابر بن عبد الله : « لقد بارك الله للرجل في الحاجة بكثرة الدعاء فيها ،

أعطياها أو منعهما » .

أبو هريرة يرفعه : « اللهم أصلح لي في ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي  
التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخري التي إليها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل  
خير ، والموت راحة لي من كل شر » .

قيل لأعرابي : أحسن أن تدعوا ربك ؟ فقال : نعم ، ثم دعا فقال : اللهم إنك مننت  
علينا بالإسلام من غير أن نسألك ، فلا نحرمنك الجنة ونحن نسألك .

سمعت أعرابية تقول في دعائها : يا عريض الجفنة ، يا أبا المسكارم ، يا أبيض الوجه ؛  
فزجرها رجل ، فقالت : دعوني أصف ربي بما يستحقه .

وكان موسى بن جعفر عليه السلام يقول في سجوده آخر الليل : إلهي عظم الذنب من  
عبدك ، فليحسن العفو من عندك .

ذكر عند بعض الصالحين رجل قد أصابه بلاء عظيم ، وهو يدعو فتبطل عنه الإجابة ،  
فقال : ينبغي أن الله تعالى يقول : كيف أرحم المبتلى من شيء أرحم به !



قال طاوس : إني لفي الحِجْر ليلة إذ دخل عليّ بن الحسين عليه السلام ، فقلت : رجل صالح من أهل بيت صالح ؛ لأسمع دعاءه ؛ فسمته يقول في أثناء دعائه : عَبْدُكَ بِفَنَائِكَ ، سَائِلُكَ بِفَنَائِكَ ، مَسْكِينُكَ بِفَنَائِكَ . فما دعوت بهنّ في كَرْبٍ إلا وفرّج عني .

عمر بن ذَرٍّ : اللهم إن كنا عصيانك فقد تكنا من معاصيك أبغضها إليك ؛ وهو الإشراك ، وإن كنا قَصَرْنَا عن بعض طاعتك ، فقد تمسكنا منها بأحبّها إليك ، وهو شهادة أن لا إله إلا أنت ، وأنّ رسلك جاءت بالحق من عندك .

أعرابي : اللهم إنا نبت نمتك ، فلا تجعلنا حصاداً ثقتك .

بعضهم : اللهم إن كنت قد بلغت أحداً من عبادك الصالحين درجة يبلا ، فبلغنيها بالعافية .

حجّ أعرابي ، فكان لا يستغفر إذا صلى كما يستغفر الناس ، ف قيل له ، فقال : كما أن تركي الاستغفار مع ما أعلم من عَفْوِ الله ورحمته ضئيف ، فكذلك استغفاري مع ما أعلم من إصراري لوأم .

لما صاف قتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم ، سأل عن محمد بن واسع ، ف قيل : هو في أقصى اليمنة جانحاً على سيّة<sup>(١)</sup> قوسه ، مبصبصاً ياصبغه نحو السماء ، فقال قتيبة : لنلك الأصبع القارورة ، أحبّ إليّ من مائة ألف سيف شهير ، ورمح طرير<sup>(٢)</sup> .

سمع مطرّف بن الشخير صيحة الناس بالدعاء ، فقال : لقد هممتُ أن أحلف أن الله غفر لهم ، ثم ذكرت أني فيهم فكففت .

كان للأمويّ إذا رفعت المائدة من بين يديه يقول : الحمد لله الذي جعل أرزاقنا أكثر من أقواتنا .

الحسن البصري : مَنْ دخل المقبرة فقال : اللهم ربّ الأرواح العالية ، والأجساد البالية ،

(١) سيّة القوس : ما عطف من طرفها . (٢) رمح طرير : محدد .



والمظام النخيرة التي خرجت من الدنيا وهي مؤمنة بك ؛ أدخل عليهم روحاً منك وسلاماً مني ؛ كتب الله له بعدد من ولد - منذ زمن آدم إلى أن تقوم الساعة - حسنات .  
 على عليه السلام : الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض .  
 قيل : إن فيما أنزله الله تعالى من الكتب القديمة : إن الله يبتلي العبد وهو يحبه ؛  
 لیسمع دعاءه وتضرعته .

أبو هريرة : اطلبوا الخير دهركم كله ، وتمرضوا لنفحات من رحمة الله تعالى ،  
 فإن الله تعالى نفحات من رحمته ، يصيب بها من يشاء من عباده ، واسألوا الله أن يستر  
 عواريتكم ، ويؤمن روعاتكم .

صلى رجل إلى جنب عبد الله بن المبارك ، فلما سلم الإمام سلم وقام عجلاً ، فجذب  
 عبد الله بثوبه ، وقال : أمالك إلى ربك حاجة ؟  
 قيل لعمر بن عبد العزيز : جزاك الله عن الإسلام خيراً فقال : لا ، بل جزى الله  
 الإسلام عني خيراً .

على عليه السلام : الداعي بغير عمل كالرامي بغير وتر .

كان الزهري إذا فرغ من الحديث تلاء ، فدعا : اللهم إني أسألك خيراً ما أحاط به  
 علمك في الدنيا والآخرة ، وأعوذ بك من شر ما أحاط به علمك في الدنيا والآخرة .  
 كان زبيد النامي يستبج الصبيان إلى المسجد ، وفي كفة الجوز ، ويقول : من ينبغي  
 منكم فأعطيه خمس جوزات ؟ فإذا دخل المسجد ، قال ارفعوا أيديكم وقولوا : اللهم اغفر  
 لزبيد ، فإذا دعوا قال : اللهم استعجب لهم ، فإنهم لم يذنبوا .

على عليه السلام : جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسأله ، فتى  
 شئت استفتحته بالدعاء أبواب نعمته ، واستمطرت شأبيب رحمته ، فلا يقطنك إبطاء



إجابته ، فإن العطيّة على قدر النية ، وربما أخرت عنك الإجابة ، ليكون ذلك أعظم لأجر السائل ، وأجزل لمطاء الأمل ؛ وربما سألت الشيء فلا تؤتاه ، وأوتيت خيراً منه ، أو صرف عنك بما هو لك خير . واعلم أنه ربّ أمر قد طلبت ؛ فيه هلاك دينك لو أوتيته .

ومن الدعاء للرفوع : اللهم من أراد بنا سوءاً فأحيط به ذلك سوء كإحاطة القلائد بترائب الولايد ، وأرسخه على هامته كرسوخ السّجيل<sup>(١)</sup> على قَم أصحاب القيل .

سمع عمر رجلاً يقول في دعائه : اللهم اجعلني من الأقلين ! فقال : ما أردت بهذا ؟ قال : قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ هَٰبَادِي الشُّكُورِ ﴾<sup>(٣)</sup> ، فقال : عليكم من الدعاء بما عُرِف .

قال سميد بن المسيّب : مرّ بي صِلَة بن أشيم ؛ فقلت له : ادع لي ، فقال : رغبك الله فيما يبقى ، وزهدك فيما يفنى ، ووهب لك اليقين الذي لا تسكنُ النفوس إلا إليه ، ولا تموت إلا عليه .

كان عليّ بن عيسى بن ماهان صاحب خراسان ، وفي أيامه عصام بن يوسف الزاهد فلقبه في الطريق ، وسلم عليه عليّ ، فأعرض عنه ولم يردّ عليه ، فوقف عليّ ، ورفع يديه وأسبل عينيه ، وقال : اللهم إن هذا الرجل يقترب إليك بيفضي ، وأنا أتقرب إليك بحبه ، فإن كنت غفرت له بيفضي ، فاغفري لي بحبه ، يا كريم ! ثم سار .

قال الأصمعيّ : سمعتُ أعرابياً يدعو ويقول : اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله ، وإن كان في الأرض فأخرجه ، وإن كان بعيداً فقربه ، وإن كان قريباً فيسرّه ، وإن كان قليلاً فكثره ، وإن كان كثيراً فبارك لي فيه .

(١) السجيل : حجارة من مدر .

(٢) سورة هود ٤٠

(٣) سورة سبأ ١٣



من دعاء عمرو بن عبّيد (١) : اللهم أغْنِنِي بِالْاِفْتِقَارِ إِلَيْكَ ، وَلَا تُفْقِرْنِي بِالِاسْتِفْنَاءِ عَنْكَ ؛ اللهم أَعْنِي عَلَى الدُّنْيَا بِالقَنَاعَةِ ؛ وَعَلَى الدِّينِ بِالعَصَةِ .

شكا رجل إلى الحسن رحمه الله تعالى رجلاً يظلمه ، فقال له : إذا صليت الركعتين بعد المغرب ، فاسجد وقل : يا شديد القوى ، يا شديد الحال ، يا عزيز ، أذلت لك رك جميع مَنْ خلقت ، فصل على محمد وآل محمد ، واكفني مؤنة فلان بما شئت . فدعا بها فلم يرعه إلا الواعية (٢) بالليل . فسأل ، فقيل : مات فلان فجأة .

قال موسى عليه السلام : يارب إنك لتعطيني أكثر من أمني ، قال : لأنك تسكثر من قول : ماشاء الله ؛ لا قوة إلا بالله .

كان بعض الصالحين يقول قبل الصلاة : يا محسن ، قد جاءك المساء ، وقد أمرت المحسن أن يتجاوز عن المساء ، فتجاوز عن فحيح ماعندي بجميل ماعندك . اللهم ارزقني عمل الخائفين وخوف العاملين ؛ حتى أنعم بترك (٣) التمتع طمعا فيما وعدت ، وخوفا مما أوعدت .

ومن الأدعية الجامعة : اللهم أغْنِنِي بِالْعِلْمِ ، وَزَيِّنِي بِالْحِلْمِ ، وَجَلِّنِي بِالْعَافِيَةِ ، وَكُرِّمْنِي بِالتَّقْوَى .

أحمد بن يوسف كاتب المأمون ؛ إذا دخل عليه حياء بتعزية أبرويز الملك : عشت الدهر ، ونلت المنى ، وجئبت طاعة النساء .

ومن الدعاء المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها . اللهم أنعمشني وأجزني وانصرني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق ؛

(١) في الأصول : « عبدة » تحريف .

(٢) الواعية : الصراخ .

(٣) في الأصول : « منزلة » ، تحريف .



إنه لا يهدى لصالحها ، ولا يصرف عن سيئها إلا أنت . اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ،  
والهزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ، وأسألك قلباً سليماً ، ولساناً  
صديقاً ، وأسألك من خير ما تعلم ؛ وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت  
علام الغيوب .

\*\*\*

### [ آداب الدعاء ]

قالوا : ومن آداب الدعاء أن ترصد له الأوقات الشريفة ، كما بين الأذان والإقامة ،  
وكوقت السجود ووقت السحر ؛ ويستحب أن يدعو مستقبل القبلة رافعاً يديه ؛ لما روى  
سلمان عن النبي صلى الله عليه وآله : « إِنْ رَبَّكُمْ كَرِيمٌ يَسْتَجِبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ  
أَنْ يَرُدَّهَا صِفْراً » ، ويستحب أن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء ، فإن ذلك قد روى عن  
رسول الله صلى الله عليه وآله .

ويكره أن يرفع بصره إلى السماء ، لقوله عليه السلام : « لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِ أَبْصَارِهِمْ  
إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَ الدَّعَاءِ ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ » ، وقد رُخِّصَ في ذلك للصدّيقين والأئمة العادلين  
ويستحب أن يخفض صوته ، لقوله تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ <sup>(١)</sup> . وقد  
روى أن عمر سمع رجلاً يحمر بالدعاء ، فقال : لكن زكراً نادى ربه نداء خفياً .

ويكره أن يتكلم <sup>(٢)</sup> الكلام المسجوع ، ويستحب الإتيان بالمطبوع منه ، لقوله صلى  
الله عليه وآله : « إِنَّا كُمْ وَالسَّجْعُ فِي الدَّعَاءِ » ، بحسب أحدكم أن يقول : اللهم إني أسألك الجنة  
وما قرّب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول أو عمل .

(١) سورة الأعراف . . .

(٢) في ب : « بكلم » ، وما أثبتته عن أ ، ج .



وقيل في الوصية الصالحة : ادعُ ربَّك بلسان الذَّلة والاختصار ، لا بلسان الفصاحة والتشدد .

وقال سفيان بن عيينة : لا ينعن أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه ، فإن الله تعالى أجاب دعاء شرَّ خلقه إبليس حيث قال : ﴿ أَنْظِرْنِي ﴾ <sup>(١)</sup> .

الذي صلى الله عليه وآله : « إذا سأل أحدكم ربه مسألة [ فتمترف الإجابة ] <sup>(٢)</sup> ، فليقل : الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . ومن أبطأ عنه شيء من ذاك فليقل : الحمد لله على كل حال . ومن الآداب أن يفتتح بالدُّكْر والْأَلَّا يبتدئ بالمسألة ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يدعو يقول : « سبحان ربِّي العليُّ الوهاب » .

أبو سليمان الداراني : مَنْ أراد أن يسأل الله تعالى حاجته فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم يسأل حاجته ، ثم يحتم بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن الله تعالى يقبل الصلاتين ؛ وهو أكرم من أن يدع ما بينهما .

ومن دعاء علي عليه السلام : « اللهم من وجهي باليسار ، ولا تبذل جاهي بالإفطار ، فأستزق طالبي رزقك ، وأستمطف شرار خلقك ، وأبتلى بمحمد من أعطاني ، وأفتن بدم من منعتني ، وأنت من وراء ذلك كله ولي الإعطاء والمنع ، إنك على كل شيء قدير » .

ومن دعاء الحسن رحمه الله تعالى : « اللهم إني أعوذ بك من قلب يعرف ، ولسان يصِف ، وأعمال تخالف » .

ومن دعاء أهل البيت عليهم السلام ، وفيه راحة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي نحن في شرحه : اللهم إني أستغفرك لما تبت منه إليك ثم عدت فيه ، وأستغفرك

(١) سورة الأعراف ١٤ .

(٢) من ج .



لما وعدتك من نفسي ثم أخلفتك ، واستغفرك للنعم التي أنعمت بها عليّ ، فتقوّيتُ على معصيتك ، واستغفرك من كلّ ذنب تمكّنت منه بعافيتك ، ونالته يدي بفضل نعمتك ، وانبطعتُ إليه بسعة رزقك ، واحتجبتُ فيه عن الناس بسترك ، واتكلتُ فيه على أكرم عفوك . اللهم إني أعوذ بك أن أقولَ حقاً ليس فيه رضاك ، ألتمس به أحد أسوأك ، وأعوذ بك أن أتزيّن للناس بشيء يشينني عندك ، وأعوذ بك أن أكونَ عِزّةً لأحد من خلقك ، وأن يكون أحدٌ من خلقك أسعدَ بما علّمتني مني ، وأعوذ بك أن أستعينَ بمعصية لك على ضرتي بصيبي .  
كان أبو مسلم الخولاني إذا أهته أمر قال : يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين .

ومن دعاء عليّ عليه السلام : اللهم إنّي أتيتُ عن مسألتي وأُعييتُ عن طلبتي ، فدلّني على مصالحِي ، ووخذْ بقلبي إلى مرشدِي . اللهم احملني على عفوك ، ولا تحمِلني على عدلك .

مرکز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی



(٧٨)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام قاله لبعض أصحابه لما عزم على السير إلى الخوارج ، وقد قال له : إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت ، خشيت ألا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم ، فقال عليه السلام :

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَن سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ الشَّوْءُ، وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَن سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضَّرُّ ! فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ ، وَأَسْتَفْنِي عَنِ الِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ فِي نَيْلِ الْخُجُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ . وَتَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُؤَلِّكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ ؛ لَأَنَّكَ - بِزَعْمِكَ - أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النِّفْعَ ، وَأَمِنَ الضَّرْرَ .

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا كُمْ وَتَعَلَّمُ النُّجُومَ إِلَّا مَا يَهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكُهَانَةِ ؛ الْمُتَجِّمُ كَالْكَاهِنِ ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ ، وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ ، وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ ؛ سِيرُوا عَلَى أَسْمِ اللَّهِ .

\*\*\*

البرخ :

حاق به الضر، أى أحاط به؛ قال تعالى : ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

ويؤليك الحمد ، مضارع « أولاك »؛ وأولاك معذى بالهمزة من « ولى »، يقال : ولى



الشيء ولايةً وأوليته ذلك؛ أي جعلته والياً له ومنسلطاً عليه. والكاهن : واحد الكهّان  
وهم الذين كانوا يخبرون عن الشياطين بكثير من الغائبات .

\*\*\*

### [ القول في أحكام النجوم ]

واعلم أن الناس قد اختلفوا في أحكام النجوم ، فأنكرها جمهور المسلمين والمحققون  
من الحكماء ؛ ونحن نتكلم هاهنا في ذلك ونبحث فيه بحثين : بحثاً كلامياً ، وبحثاً حكيمياً .  
أما البحثُ الكلامي ؛ هو أن يقال : إما أن يذهب النجمون إلى أن النجوم  
مؤثرة ، أو أمارات .

والوجه الأول ينقسم قسمين : أحدهما أن يقال : إنها تفعل بالاختيار ، والثاني أن  
تفعل بالإيجاب .

والقول بأنها تفعل بالاختيار باطل ؛ لأن المختار لابد أن يكون قادراً حياً، والإجماع  
من المسلمين حاصل على أن الكواكب ليست حية ولا قادرة ، والإجماع حجة ، وقد بين  
المتكلمون أيضاً أن من شرط الحياة الرطوبة ، وأن تكون الحرارة على قدر مخصوص ؛  
متى أفرط امتنع حلول الحياة في ذلك الجسم ؛ فإن النار على صرافتها يستحيل أن تكون  
حية ؛ وأن تحملها الحياة لمدم الرطوبة وإفراط الحرارة فيها واليبس ، والشمس أشد حرارة  
من النار ؛ لأنها على بُعدها تؤثر ما تؤثره النار على قريتها ؛ وذلك دليل على أن حرارتها  
أضعاف حرارة النار ؛ وبينوا أيضاً أنها لو كانت حية قادرة لم يحز أن تفعل في غيرها  
ابتداء ؛ لأن القادر بقدرته لا يصح منه الاختراع ؛ وإنما يفعل في غيره على سبيل التوليد ؛  
ولابد من وصلة بين الفاعل والمفعول فيه ، والكواكب غير مماسة لنا ، فلا وصلة بينها وبيننا ؛  
فيستحيل أن تكون فاعلة فينا .



فإن ادعى مدّع أن الوصلة هي الهواء ، فمن ذلك أجوبة :  
أحدها : أن الهواء لا يجوز أن يكون وصلة وآلة في الحركات الشديدة وحمل الأثقال ،  
لأسيما إذا لم يتموج .

والثاني : أنه كان يجب أن نحسّ بذلك ، ونعلم أن الهواء يحرّكنا ويصرفنا ؛ كما نعلم  
في الجسم إذا حرّكنا وصرفنا بآلة موضع تحريكه لنا بتلك الآلة .  
والثالث : أن في الأفعال الحادثة فينا مالا يجوز أن يفعل بآلة ، ولا يتولد عن سبب ؛  
كالإرادات والاعتقادات ونحوها .

وقد دلت أحمابنا أيضا على إبطال كون الكواكب فاعلة للأفعال فينا ، بأن ذلك  
يقتضى سقوط الأمر والنهي ، واللذع والدم ، ويلزمهم ما يلزم الحجرة ، وهذا الوجه يبطل  
كون الكواكب فاعلة فينا بالإيجاب ، كما يبطل كونها فاعلة بالاختيار .  
وأما القول بأنها أمارات على ما يحدث ويتجدد ؛ فيمكن أن ينصر بأن يقال :  
لم لا يجوز أن يكون الله تعالى أجرى المادة ، بأن يفعل أفعالا مخصوصة عند طلوع كوكب  
أو غروبه أو اتصاله بكوكب آخر .

والكلام على ذلك بأن يقال : هذا غير ممّنع لو ثبت سمع مقطوع به يقتضى ذلك ؛  
فإن هذا مما لا يعلم بالعقل .

فإن قالوا : نعلم بالتجربة .

قيل لهم : التجربة إنما تكون حجة إذا استمرت واطردت ؛ وأنتم خطوكم فيها  
تحمكون به أكثر من صوابكم ، فملا نسبتم الصواب الذي يقع منكم إلى الاتفاق والتخمين ؛  
فقد رأينا من أصحاب الزرق<sup>(١)</sup> والتخمين من يصيب أكثر مما يصيب المنجم ، وهو من غير  
أصل صحيح ولا قاعدة معتمدة ومتى قلتم : إنما أخطأ المنجم لغلطه في تسيير الكواكب ؛

(١) الزرق : التفرس .



قيل لكم: ولم لا يكون سبب الإصابة اتفاقاً لو إنما يصح لكم هذا التأويل والتخريج لو كان على صحة أحكام النجوم دليل قاطع ، هو غير إصابة المنجم .

فأما إذا كان دليل صحة الأحكام الإصابة، فهلا كان دليل فسادها الخطأ، فما أحدهما

إلا في مقابلة صاحبه !

ومما قيل على أصحاب الأحكام، إن قيل لهم في شيء بعينه : خذوا الطالع واحكموا ، ابؤخذ أم يترك ؟ فإن حكموا بأحدهما خولفوا ، وقيل خلاف ما أخبروا به ؛ وهذه المسألة قد أعضل عليهم جوابها .

وقال بعض المتكلمين لبعض المنجمين : أخبرني ، لو فرضنا جادة مسلوكة ، وطريقاً يمشى فيها الناس نهراً وليلاً ؛ وفي تلك الحجة آبار متقاربة ، وبين بعضها وبعض طريق يحتاج ماله إلى تأمل وتوقف ؛ حتى يتخلص من السقوط في بعض تلك الآبار ؛ هل يجوز أن تكون سلامة من يمشى بهذا الطريق من العميان كسلامة من يمشى فيه من البصراء ، والمفروض أن الطريق لا يخلو طرفة عين من مشاة فيها عميان ومبصرون ؟ وهل يجوز أن يكون عطب البصراء مقارباً لمعطب العميان ؟

فقال المنجم : هذا مما لا يجوز ، بل الواجب أن تكون سلامة البصراء أكثر من سلامة العميان .

فقال للتكلم : فقد بطل قولكم ؛ لأن مسألتنا نظير هذه الصورة ، فإن مثال البصراء هم الذين يعرفون أحكام النجوم ، ويميزون مساعدتها من مناحسها ، ويتوقنون بهذه المعرفة مضار الوقت والحركات ويتخطونها ويعتمدون منافعها ويقصدونها ؛ ومثال العميان كل من لا يحسن علم النجوم ؛ ولا يقولون به من أهل العلم والعمامة ، وهم أضعاف أضعاف عدد المنجمين .



ومثال الطريق الذي فيه الآبار ، الزمان الذي مضى ومرّ على الخلق أجمعين ، ومثال آباره مصائبه ومحنه .

وقد كان يجب - لو صبح علم أحكام النجوم - أن سلامة المنجّين أكثر ، ومصائبهم أقل ؛ لأنهم يتوقّون الحن ويتخطّونها لعلمهم بها قبل كونها ، وأن تكون محنّ للمرضين عن علم أحكام النجوم على كثرتهم أوفر وأظهر ؛ حتى تكون سلامة كل واحد منهم هي الطريقة القريبة ؛ والمعلوم خلاف ذلك ، فإن السلامة والحن في الجميع متقاربة متناسبة غير متفاوتة .

\*\*\*

وأما البحث الحكيم في هذا الموضع ؛ فهو أن الحادث في عالم العناصر عند حلول الكوكب المخصوص في البرج المخصوص ؛ إمّا أن يكون المفتّض له مجرد ذلك الكوكب أو مجرد ذلك البرج ، أو حلول ذلك الكوكب في ذلك البرج . فالأولان باطلان ؛ وإلا لوجب أن يحدث ذلك الأمر قبل أن يحدث ، والثالث باطل أيضاً ؛ لأنه إمّا أن يكون ذلك البرج مساوياً لغيره من البروج في الماهية ، أو مخالفاً . والأول يقتضى حدوث ذلك الحادث حال ما كان ذلك الكوكب حالاً في غيره من البروج ؛ لأن حكم الشيء حكم مثله ، والثاني يقتضى كون كرة البروج متخالفة الأجزاء في أنفسها ؛ ويلزم في ذلك كونها مركبة ، وقد قامت الدلالة على أنه لا شيء من الأفلاك بمركب .

وقد اعترض على هذا الدليل بوجهين :

أحدهما : أنه لم يمحور أن تختلف أفعال الكواكب المتغيرة عند حلولها في البروج ، لا لاختلاف البروج في نفسها ، بل لاختلاف مافي تلك البروج من الكواكب الثابتة المختلفة الطوائع .

الوجه الثاني : لم يمحور أن يقال : الفلك التاسع مكوكب بكواكب صفار لا تراها



لغاية بعدها عنا ، فإذا تحركت في كرات تدويرها سامت مواضع مخصوصة من كرة الكواكب الثابتة ؛ وهي فلك البروج ، فاختلفت آثار الكواكب المتحركة عند حلولها في البروج ، باعتبار اختلاف تلك الكواكب الصغيرة ؟ ولم لا يجوز إثبات كرة بين الكرة الثامنة ، وبين الفلك الأطلس المدبر لجميع الأفلاك من المشرق إلى المغرب ، وتكون تلك الكرة المتوسطة بينهما بطيئة الحركة بحيث لا تنفي أعمارنا بالوقوف على حركتها ؛ وهي مكوبة بتلك الكواكب الصغار المختلفة الطبائع ؟

وأجيب عن الأول ، بأنه لو كان الأمر كما ذكر ، لوجب أن تختلف بيوت الكواكب وإشرافها وحدودها عند حركة الثوابت بحركة فلكها ، حتى إنها تتقدم على مواضعها في كل مائة سنة على رأى المتقدمين ، أو في كل ست وستين سنة على رأى المتأخرين درجة واحدة ؛ لكن ليس الأمر كذلك ، فإن شرف القمر ، كما أنه في زماننا في درجة الثالثة من الثور ، فكذلك كان عند الذين كانوا قبلنا بألف سنة وبألفي سنة .

وأما الوجه الثانى فلا جواب عنه .

\*\*\*

واعلم أن الفلاسفة قد عوّلت في إبطال القول بأحكام النجوم على وجه واحد ، وهو أن مبنى هذا العلم على التجربة ، ولم توجد التجربة فيما يدّعيه أرباب علم النجوم ، فإنّ هاهنا أمور لا تتكرر إلا في الأعمار المتطاولة مثل الأدوار والألوف التى زعم أبو معشر أنها هي الأصل في هذا العلم ، ومثل مماسة جرم زحل للكرة المكوبة ، ومثل انطباق معدل النهار على دائرة فلك البروج ، فإنهم يزعمون أن ذلك يقتضى حدوث طوفان الماء وإحاطته بالأرض من جميع الجوانب ، مع أن هذه الأمور لا توجد إلا في ألوف الألوف من السنين ؛ فكيف تصح أمثال هذه الأمور بالتجربة !

وأيضاً ، فإننا إذا رأينا حادثاً حدث عند حلول كوكب مخصوص في برج مخصوص



فكيف نعلم استناد حدوثه إلى ذلك الحلول ! فإن في الفلك كواكب لا نحصى ، فما الذي خصص حدوث ذلك الحدوث بحلول ذلك الكواكب في ذلك البرج لا غيره ! وبتقدير أن يكون لحلوله تأثير في ذلك ، فلا يمكن الجزم قبل حلوله بأنه إذا حل في البرج المذكور لابد أن يحدث ذلك الحادث ، لجواز أن يوجد ما يبطل تأثيره ؛ نحو أن يحل كوكب آخر في برج آخر ، فيدفع تأثيره ، ويبطل عمله ؛ أو لمّا المادة الأرضية لا تكون مستعدة لقبول تلك الصورة ، وحدوث الحادث ، كما يتوقف على حصول الفاعل يتوقف على حصول القابل ، وإذا وقع الشك في هذه الأمور بطل القول بالجزم بعلم أحكام النجوم ؛ وهذه الحجة جيدة إن كان النجوم يطلبون القطع في علمهم .

فأما إن كانوا يطلبون الغان فإن هذه الحجة لا تفسد قولهم .



فأما أبو البركات بن ملسكا البغدادي صاحب كتاب "المعتبر" فإنه أبطل أحكام النجوم من وجه وأثبتته من وجه .

قال : أما من يريد تطبيق علم أحكام النجوم على قاعدة العلم الطبيعي فإنه لا سبيل له إلى ذلك ؛ فإننا لا نعلق من أقوالهم إلا بأحكام يحكمون بها من غير دليل ؛ نحو القول بحرّ الكواكب وبردها أو رطوبتها ، وبيوستها واعتدالها ، كقولهم : إن زحل بارد يابس ، والمشتري معتدل ؛ والاعتدال خير والإفراط شر ، وينتجون من ذلك أن الخير يوجب سعادة ، والشر يوجب منجاسة ، وما جانس ذلك مما لم يقل به علماء الطبيعيين ولم تنتجهم مقدماتهم في أنظارهم ؛ وإنما الذي أنتجته هو أن الأجرام السماوية فاعلة فيما تحويه ونشتمل عليه وتتحرك حوله فعلا على الإطلاق غير محدود بوقت ؛ ولا مقدّر بتقدير ، والقائلون بالأحكام ادّعوا حصول علمهم بذلك ؛ من توقيف وتجربة لا يطابق نظر الطبيعي .

وإذا قلت بقول الطبيعي بحسب أنظاره أن المشتري سعد ، والمريخ نحس ، أو أن زحل



بارد يابس ، والريخ حار يابس ؛ والحار والبارد من اللدوسات ؛ ومادل على هذا المس  
وما استدل عليه بلس كتأثيره فيما يلمسه ؛ فإن ذلك لم يظهر للحس في غير الشمس ،  
حيث تسخن الأرض بشماعها ؛ ولو كان في السمائيات شيء من طبائع الأضداد ؛ لكان  
الأولى أن تكون كلها حارة ؛ لأن كواكبها كلها مديرة .

ومتى يقول الطبيعي بتقطع الفلك وتقسيمه إلى أجزاء ، كما قسمه النجمون قسمة وهمية  
إلى بروج ودرج ودقائق ؛ وذلك جائز للتوهم ، كجواز غيره ، وليس بواجب في الوجود ولا  
حاصل ، فنقلوا ذلك التوهم الجائز إلى الوجود الواجب في أحكامهم ، وكان الأصل فيه على  
زعمهم حركة الشمس والأيام والشهور ، فحصلوا منها قسمة وهمية ، وجعلوها كالخاصة  
الوجودية المثمرة بمحدود وخطوط ، كأن الشمس بحركتها من وقت إلى مثله خطت في السماء  
خطوطا ، وأقامت فيها جذراً أو حدوداً ، أو غيرت في أجزائها طباعاً تفسيرا يبق ، فيتنق به  
القسمة إلى تلك الدرج والدقائق ، مع جواز الشمس عنها ، وليس في جوهر الفلك اختلاف  
يتميز به موضع عن موضع سوى الكواكب ، والكواكب تتحرك عن أماكنها ،  
فبقيت الأمكنة على التشابه ، فهاذا يتميز بوجه ودرجه ، ويبقى اختلافها بعد حركة المتحرك  
في سمتها ؟ وكيف يقيس الطبيعي على هذه الأصول ، وينتج منها نتائج يحكم بحسبها أحكاماً ؟  
وكيف له أن يقول بالحدود ويجعل خمس درجات من برج الكوكب وقتاً لآخر ،  
وأربعاً لآخر ، ويختلف فيها البابليون والمصريون ، وجعلوا أرباب البيوت كأنها أملاك ،  
والبيوت كأنها أملاك تنبت لأربابها بصكوك وأحكام الأسد للشمس والسرطان للقمر !  
وإذا نظر الناظر وجد الأسد أسداً من جهة كواكب شكلوها بشكل الأسد ، ثم  
انقلبت عن مواضعها وبقي الموضع أسداً وجعلوا الأسد للشمس . وقد ذهبت منه الكواكب  
التي كأن بها أسداً كأن ذلك الملك بيت للشمس ، مع انتقال الساكن وكذلك  
السرطان للقمر .



ومن الدقائق في العلم النجوى الدرجات المدارية والغربية والمظلمة والنسبة والزائدية السعادة ودرجات الآثار ؛ من جهة أنها أجزاء الفلك ؛ إن قطعوها وما انقطعت ؛ ومع انتقال ما ينتقل من الكواكب إليها وعنها ، ثم أنتجوا من ذلك نتائج أنظارهم ؛ من أعداد الدرج وأقسام الفلك ، فقالوا : إن الكواكب ينظر إلى الكواكب من ستين درجة نظر تسديس لأن سُدُس من الفلك ، ولا ينظر إليه من خمسين ولا من سبعين ، وقد كان قبل الستين بعشر درج ، وهو أقرب من ستين ، وبعدها بعشر درج ، وهو أبعد من ستين لا ينظر . فليت شعري ما هذا النظر ! أترى الكواكب تظهر للكواكب ثم تختبئ عنه ، ثم شعاعه يختلط بشعاعه عند حد لا يختلط به قبله ولا بعده !

وكذلك الربيع ، من الربع الذي هو تسعون درجة ، والتثليث ، من الثالث الذي هو مائة وعشرون درجة ، فلم لا يكون التخصيب والتسبيع والتعشير على هذا القياس ! ثم يقولون : الحمل حار يابس ناري ، والثور بارد يابس أرضي ، والجوزاء حار رطب هوائي ، والسرطان بارد رطب مائي ! ما قال الطبيعي هذا قط ، ولا يقول به .

وإذا احتجوا وقاسوا كانت مبادئ قياساتهم الحمل بُرج ينقلب ؛ لأن الشمس إذا نزلت فيه ينقلب الزمان من الشتاء إلى الربيع ، والثور برج ثابت ؛ لأن الشمس إذا نزلت فيه ثبت الربيع على ربيعته .

والحق أنه لا ينقلب الحمل ولا يثبت الثور ؛ بل هما على حالهما في كل وقت . ثم كيف يبقى دهره منقلبا مع خروج الشمس منه وحلولها فيه ! أتراها تخالف فيه أثرا أو تحيل منه طبعا ؛ وتبقى تلك الاستعالة إلى أن تمود فتجددها ! ولم لا يقول قائل : إن السرطان حار يابس ، لأن الشمس إذا نزلت فيه يشتد حر الزمان ؛ وما يحانس هذا بما لا يلزم ؛ لاهو ولا ضده ؛ فليس في الفلك اختلاف يعرفه الطبيعي ، إلا بما فيه من الكواكب ، وهو في نفسه



واحد متشابه الجوهر والطبع ؛ ولكنها أقوال قال بها قائل فقبلها قائل ، ونقلها ناقل ، فحسن فيها ظن السامع ، واغتر بها من لا خبرة له ولا قدرة له على النظر .

ثم حكم بها الحاك كون مجيد وردى ، وسلب وإيجاب ، وبت وتجاوز ، فصادف بمضه موافقة الوجود فصدق ، فيمتدح به المستبرون ، ولم يلتفتوا إلى ما كذب منه فيكذبوه ؛ بل عذروا وقالوا : إنما هو منجم ؛ وليس بنبي حتى يصدق في كل ما يقول ؛ واعتذروا له بأن العلم أوسع من أن يحيط به أحد ، ولو أحاط به أحد لصدق في كل شيء ؛ ولعمرك أنه لو أحاط به علما صادقا لصدق ، والشأن في أن يحيط به على الحقيقة ، لا أن يفرض فرضا ، ويثوم وها ، فينقله إلى الوجود وينسب إليه ، ويقبس عليه .

قال : والذي يصح من هذا العلم ويلتفت إليه العقلاء ؛ هي أشياء غير هذه الخرافات التي لأصل لها ؛ فما حصل توقيف أو تجربة حقيقة كالتقرانات واللقابلة ، فإنها أيضا من جملة الاتصالات ؛ كالمقارنة من جهة أن تلك غاية القرب ؛ وهذه غاية البعد ؛ ونجوم كوكب من النجيرة ، تحت كوكب من الثابتة ، ونحوه ما يمرض للمتخيرة من رجوع واستقامة وارتفاع في شمال ، وانخفاض في جنوب ، وأمثال ذلك .

فهذا كلام ابن ملكا كما تراه يبطل هذا الفن من وجه ، ويقول به من وجه .

\*\*\*

وقد وقفت لأبي جعفر محمد بن الحسين الصنعاني المعروف بالغازي ، صاحب كتاب "زيج الصفائح" على كلام في هذا الباب مختصر له سماه "كتاب العالمين" ، أنا ذاكره في هذا الموضع على وجهه . لأنه كلام لا بأس به ، قال : إن بعض المصدقين بأحكام النجوم وكل المكذابين بها ، قد زاغوا عن طريق الحق والصواب فيها . فإن الكثير من المصدقين بها قد أدخلوا فيها ما ليس منها ، وادعوا ما لم يمكن إدراكه بها ، حتى كثرت فيها خطوهم ، وظهر كذبهم ، وصار ذلك سببا لتكذيب أكثر الناس بهذا العلم .



فأما المكذَّبون به فقد بلغوا من إنكار صحيحه وردِّ ظاهريه إلى أن قالوا : إنه لا يصحَّ منه شيء أصلاً ، ونسبوا أهله إلى الرزق والاحتياال والخذاع والتمويه ، فلذلك رأينا أن نبثِّد بتبيين صحة هذه الصناعة ، ليظهر فساد قول المكذِّبين لها بأسرها ، ثم نبين ما يمكن إدراكه بها ليعطل دعوى المدَّعين فيها ما تمنع وجوده بها .

أما الوجوه التي بها نصَّح صناعة الأحكام فهي كثيرة ، منها ما يظهر لجميع الناس من قِبَل الشمس ، فإنَّ حدوث الصيف والشتاء وما يمرض فيهما من الحر والبرد والأمطار والرياح ونبات الأرض ، وخروج وقت الأشجار وحملها الثمار ، وحركة الحيوان إلى النسل والتوالد وغير ذلك ، مما يشاكله من الأحوال ، إنما يكون أكثر ذلك بحسب دنو الشمس من سمت الروس في ناحية الشمال ، وتباعدها منه إلى ناحية الجنوب ، وبفضل قوَّة الشمس على قوَّة القمر ، وقوَّى سائر الكواكب ظهر ما قلنا لجميع الناس .

وقد ظهر لهم أيضاً من قِبَل الشمس في تغيير الهواء كلَّ يوم ؛ عند طلوعها ، وعند توسطها السماء ، وعند غروبها ما لا يخفاء به من الآثار .

ومن هذه الوجوه ما يظهر للفلاحين والملاحين بأدنى تفقُّد للأشياء التي تحدث . فإنَّهم يعلمون أشياء كثيرة من الآثار التي يؤثرها القمر وأنوار الكواكب الثابتة ، كالمدَّ والجزر ، وحركات الرياح والأمطار وأوقاتها عند الحدوث ، وما يوافق من أوقات الزراعات وما لا يوافق ، وأوقات اللقاح والنتاج .

وقد يظهر من آثار القمر في الحيوان الذي يتوالد في الماء والرطوبات ما هو مشهور لا ينكر .

ومنها جهات أخرى يعرفها الذين يجتمعون فقط على حسب فضل علمهم ، ودقَّة نظرهم في هذا



العلم . وإذا قد وصفنا على سبيل الإجمال ما يوجب حقيقة هذا العلم ، فإننا نصِف ما يمكن إدراكه به أو لا يمكن ، فنقول : لما كانت تغيرات الهواء ، إنما تحدث بحسب أحوال الشمس والقمر والكواكب المتغيرة والثابتة ، صارت معرفة هذه التغيرات قد تدرك من النجوم مع سائر ما يتبعها من الرياح والسحاب والأمطار والثلج والبرد والرعد والبرق ؛ لأن الأشياء التي تلي الأرض وتصل إليها هذه الآثار من الهواء المحيط بها ، كانت الأعراض العامة التي تعرض في هذه الأشياء تابعة لتلك الآثار ؛ مثل كثرة مياه الأنهار وقلتها ، وكثرة الثمار وقلتها وكثرة خضب الحيوان وقلته ، والجذوبة والقشط ، والوباء والأمراض التي تحدث في الأجناس والأنواع ، أو في جنس دون جنس ، أو في نوع دون نوع ، وسائر ما يشاكل ذلك من الأحداث .

ولما كانت أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن ، وكانت الأحداث التي ذكرناها متغيرة لمزاج البدن ، صارت أيضاً متغيرة للأخلاق ، ولأن المزاج الأول الأصلي هو الغالب على الإنسان في الأمر الأكثر ، وكان المزاج الأصلي هو الذي طبع عليه الإنسان في وقت كونه في الرحم ، وفي وقت مولده وخروجه إلى جوف العالم . صار وقت السكون ووقت المولد أدل الأشياء على مزاج الإنسان ، وعلى أحواله التابعة للمزاج ، مثل خلقة البدن ، وخلق النفس والمرض والصحة ، وسائر ما يتبع ذلك ، فهذه الأشياء وما يشبهها من الأمور التي لا تشارك شيئاً من الأفعال الإرادية فيه مما يمكن معرفته بالنجوم ، وأما الأشياء التي تشارك الأمور الإرادية بعض المشاركة ، فقد يمكن أن يصدق فيها هذا العلم على الأمر الأكثر ، وإذا لم يستعمل فيه الإرادة جرى على ما تنقود إليه الطبيعة .

على أنه قد يعرض الخطأ والغلط لأصحاب هذه الصناعة من أسباب كثيرة ، بعضها يختص بهذه الصناعة دون غيرها ، وبعضها يمتد إليها وغيرها من الصنائع .



فأما ما بعم فهو من قصور طبيعة الناس في معرفة الصنائع أيًا كانت عن بلوغ الغاية فيها ، حتى لا يبقى وراءها غاية أخرى ، فكثرة الخطأ وقتله على حسب تقصير واحد واحد من الناس .

وأما ما يخص هذه الصناعة فهو كثير ما يحتاج صاحبها إلى معرفته ، مما لا يمكنه أن يعلم كثيراً منه إلا بالحدس والتخمين ، فضلاً عن لطف الاستنباط وحسن القياس ، وما يحتاج إلى معرفة علم أحوال الفلك ، وما يحدث في كل واحد من تلك الأحوال ، فإن كل واحد منها له فعل خاص ، ثم يؤلف تلك الأحوال بعضها مع بعض على كثرة فنونها واختلافاتها ، ليحصل من جميع ذلك قوة واحدة ، وفعل واحد ، يكون عنه الحادث في هذا العالم ، وذلك أمر عسير ، فتي أغفل من ذلك شيء كان الخطأ الواقع بحسب الشيء الذي سبها عنه وترك استعماله .

ثم من بعد تحصيل ما وصفناه ينبغي أن يعلم الحال التي عليها يوافق في تلك القوة الواحدة الأشياء التي تعرض فيها تلك الأحداث ، كأنه مثلاً إذا دل ما في الفلك على حدوث حر ، وكانت الأشياء التي تعرض فيها ما يعرض قد مرّ بها قبل ذلك حر ، فتميت وسكنت أثر ذلك فيها أثراً قوياً ، فإن كان قد مرّ بها برّد قبل ذلك ، أثر ذلك فيها أثراً ضعيفاً ، وهذا شيء يحتاج إليه في جميع الأحداث التي تعمل في غيرها مما يناسب هذه المعرفة .

وأما الأحداث التي تخص ناحية ناحية ، أو قوماً قوماً ، أو جنساً جنساً ، أو مولوداً واحداً من الناس ؛ فيحتاج مع معرفتها إلى أن يعلم أيضاً أحوال البلاد والمعادات ، والأغذية والأوباء وسائر ما يشبه ذلك ، مما له فيه أثر وشركة ، مثل ما يفعل الطبيب في المعالجة ، وفي مقدمة المعرفة ، ثم من بعد تحصيل هذه الأشياء كلها ينبغي أن ينظر في الأمر الذي قد استدلّ على حدوثه ، هل هو مما يمكن أن يرد أو يتلافى بما يبطله أو يغيره من جهة



الطب والحيل أم لا؟ كأنه مثلاً استدلّ على أنه يصيب هذا الإنسان حرارة يحمّ منها ، فينبغي أن يحكم بأنه يحمّ إن لم يتلاف تلك الحرارة بالتبريد ، فإنه إذا فعل ذلك أنزل الأمور منازلها ، وأجراها مجاريها .

ثم إن كان الحادث قوياً لا يمكن دفعه ببعض ما ذكرنا ، فليس يلزم الحاجة إلى ما قلنا ، فإنّ الأمر يحدث لا محالة ، وما قوى وشمل الناس فإنه لا يمكن دفعه ولا فسخه ، وإن أمكنّ فإنما يمكن في بعض الناس دون بعض .

وأما أكثرهم فإنه يجري أمره على ما قد شمل وعمّ ، فقد يعمّ الناس حرّ الصيف ، وإن كان بعضهم يحتال في صرفه بالأشياء التي تبرّد وتنقي الحرّ .

فهذه جملة ما ينبغي أن يعلم ويعمل عليه أمور هذه الصناعة .



قلت : هذا اعتراف بأن جميع الأحداث المتعلقة باختيار الإنسان وغيره من الحيوان لا مدخلَ لعلّ أحكام النجوم فيه ، فعلى هذا لا يصحّ قول من يقول منهم زيد مثلاً : إنك تنزّوج أو تشتري فرساً ، أو تقتل عدوّاً أو تسافر إلى بلد ونحو ذلك ، وهو أكثر ما يقولونه ويحكمون به .

وأما الأمور الكلية الحادثة لا بإرادة الحيوان واختياره ، فقد يكون لكلامهم فيه وجه من الطريق التي ذكرها ، وهي تعلق كثير من الأحداث بحركة الشمس والقمر ، إلا أن للعلوم ضرورة من دين رسول الله صلى الله عليه وآله إبطال حكم النجوم وتحريم الاعتقاد بها والنهي والزجر عن تصديق المتعجبين ، وهذا معنى قول أمير المؤمنين في هذا الفصل : « فن صدقك بهذا فقد كذب القرآن ، واستغنى عن الاستعانة بالله » . ثم أردف



ذلك وأكده بقوله : كان يجب أن يحمّد المنجم دون الباري تعالى ؛ لأن المنجم هو الذي هدى الإنسان إلى الساعة التي ينجح فيها، وصدّه عن الساعة التي يحقق ويكدر فيها فهو المحسن إليه إذاً ، والمحسن يستحقّ الحمد والشكر ، وليس للبارئ سبحانه إلى الإنسان في هذا الإحسان المخصوص ؛ فوجب ألا يستحقّ الحمد على ظفر الإنسان بطلبه ؛ لكنّ القول بذلك والتزامه كفر محض .



مركز تحقيق تكملة طريق الهدى



( ٧٩ )

## الأجل :

ومن كلام له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء :

مَعَاثِيرَ النَّاسِ ؛ إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ ، نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ ، نَوَاقِصُ الْقَوْلِ .  
فَأَمَّا نَقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ فَمَقْعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ ، وَأَمَّا نَقْصَانُ  
عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ مِنْهُنَّ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ ، وَأَمَّا نَقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ  
فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ .  
فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ  
حَتَّى لَا يَطْعَمَنَّ فِي الْمَنْكَرِ .

مركز تحقيقات مكتبة مسجد

## الشرخ :

جعل عليه السلام نقصان الصلاة نقصاناً في الإيمان ، وهذا هو قول أصحابنا : إن  
الأعمال من الإيمان ، وإن المقر بالتوحيد والنبوة ، وهو تارك للعمل ليس بمؤمن .  
وقوله عليه السلام « لا تطيعوهن في المعروف » ، ليس ينهى عن فعل المعروف ؛  
وإنما هو ينهى عن طاعتهم ، أي لا تفعلوه لأجل أمرهن لكم به ، بل افعلوه لأنه معروف ،  
والكلام ينفعو نحو المثل المشهور : « لا تعط العبد كراعاً فيأخذ ذراعاً » .

وهذا الفصل كثر رمز إلى عائشة ، ولا يختلف أصحابنا في أنها أخطأت فيما فعلت ثم تابت  
وماتت تائبة ، وأنها من أهل الجنة .



قال كل من صنف في السير والأخبار : إن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان ؛ حتى إنها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فنصبته في منزلها ، وكانت تقول للداخلين إليها : هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبيل ، وعثمان قد أبلى سنته .

قالوا : أول من سمي عثمان نعتلا عائشة ؛ والنعتل : الكثير شعر اللحية والجسد ، وكانت تقول : اقتلوا نعتلا ، قتل الله نعتلا !

وروى المدائني في كتاب " الجمل " ، قال : لما قتل عثمان ، كانت عائشة بمكة ، وبلغ قتله إليها وهي بشراف ، فلم تشك في أن طلحة هو صاحب الأمر ، وقالت : بعداً لنعتل وسحقاً إياه ذا الإصبع ! إيه أبا شبل ! إيه يابن عم ؛ لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له : حثوا الإبل ودعدعوها <sup>(١)</sup> .

قال : وقد كان طلحة حين قتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال ، وأخذ نجائب كانت لعثمان في داره ، ثم فسد أمره ، فدفعها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام .

[ أخبار عائشة في خروجها من مكة إلى البصرة بعد مقتل عثمان ]

وقال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه : إن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة ، أقبلت مسرعة ، وهي تقول : إيه ذا الإصبع ! الله أبوك ! أما إنهم وجدوا طلحة لها كفووا . فلما انتهت إلى شراف استقبلها عبيد بن أبي سلمة اللبي ، فقالت له : ما عندك ؟ قال : قتل عثمان ، قالت : ثم ماذا ؟ قال : ثم حارت بهم الأمور إلى خير محار ؛ بايموا عليا ، فقالت : لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تم هذا ، ونحك ! انظر ما تقول ! قال : هو ما قلت لك يأم المؤمنين ، فولوت ، فقال لها : ما شأنك يأم المؤمنين !

(١) الدعدة : الزجر .



والله ما أعرف بين لابتيها أحداً أوّلَى بها منه ولا أحقّ ؛ ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته ، فلماذا تكرهين ولا يتنه ؟ قال : فاردت عايه جواباً .

قال : وقد روى من طرق مختلفة أن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة ، قالت : أبعد الله ! ذلك بما قدمت يداي ، وما الله بظلام للعبيد .

قال : وقد روى قيس بن أبي حازم أنه حج في العام الذي قُتل فيه عثمان وكان مع عائشة لما بلغها قتله ، فتحتل إلى المدينة ، قال : فسمعتها تقول في بعض الطريق : إيه ذا الإصبع ! وإذا ذكرت عثمان قالت : أبعد الله ! حتى أتاهما خبر بيعة عليّ ، فقالت : لوددت أن هذه وقعت على هذه ، ثم أمرت برد ركابتها إلى مكة فردت معها ، ورأيتها في سيرها إلى مكة مخاطب نفسها ، كأنها مخاطب أحداً : قتلوا ابن عفان مظلوماً ، فقلت لها : يا أمّ المؤمنين ، ألم اسمعك آتفاً تقولين : أبعد الله ، وقد رأيتك قبل أشدّ الناس عايه وأقبحهم فيه قولاً ! فقالت : لقد كان ذلك ، ولكنني نظرت في أمره ، فرأيتهم استتابوه حتى إذا تركوه كالنميمة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقتلوه .

قال : وروى من طرق أخرى أنها قالت لما بلغها قتله أبعد الله ! قتله ذنبه ، وأفاده الله بماله ! يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان ، كما سام أحرار ثمود قومهم ، إن أحقّ الناس بهذا الأمر ذو الإصبع ، فلما جاءت الأخبار ببيعة عليّ عليه السلام ، قالت : تعسوا تعسوا ! لا يردون الأمر في تيم أبداً .

كتب طلحة والزبير إلى عائشة وهي بمكة كتاباً : أن خذلي الناس عن بيعة عليّ ، وأظهرى الطلب بدم عثمان ، وحملوا الكتاب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير ، فلما قرأت الكتاب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان ؛ وكانت أمّ سلمة رضي الله عنها بمكة في ذلك العام ؛ فلما رأت صنع عائشة ، قابلتها بنقيض ذلك ، وأظهرت موالاة عليّ عليه السلام ونصرته على مقتضى المداراة المركوزة في طباع الصّرتين .



قال أبو مخنف : جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان ، فقالت لها : يا بنت أبي أمية ، أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت كبيرة أمهات المؤمنين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لنا من بيتك ، وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك ، فقالت أم سلمة : لأمر ما قلت هذه المقالة ، فقالت عائشة : إن عبد الله أخبرني أن القوم استأبوا عثمان ، فلما تاب قتلوه صائما في شهر حرام ، وقد عزمت على الخروج إلى البصرة ومعي الزبير وطلحة ، فاخرجني معنا ، لعل الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا ، بنا ، فقالت أم سلمة : إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان ، وتقولين فيه أخبث القول ، وما كان اسمه عندك إلا نعتا ، وإنك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عند رسول الله صلى الله عليه وآله ، أفأذكرك ؟ قالت : نعم ، قالت : أتذكرين يوم أقبل عليه السلام ونحن معه ؟ حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال ، خلا بعلي يناديه فأطال ، فأردت أن تهجى عليهما ، فنهيتك فمصيتني ، فهجمت عليهما ، فما لبثت أن رجعت باكية ، فقلت : ما شأنك ؟ فقالت : إني هجمت عليهما وهما يتناجيان فقلت لعلني : ليس لي من رسول الله إلا يوم من تسعة أيام ، أفأدعني يا بن أبي طالب ويومي ! فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ، وهو غضبان عمره الوجه ، فقال : ارجعي ورايك ، والله لا يبنضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلا وهو خارج من الإيمان ، فرجعت نادمة ساقطة ! قالت عائشة : نعم أذكر ذلك .

قالت : وأذكرك أيضا ، كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت تفلسين رأسه ، وأنا أحبس له حبسا ، وكان الحيس<sup>(١)</sup> يمجبه ، فرفع رأسه ، وقال : « يا ليت شعري ، أبتسكن صاحبة الجمل الأذن ، تنبجها كلاب الحووب ، فتكون ناكبة

(١) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن ويبدل حتى تخرج ثم يندر نواه .



عن الصراط ا « فرفت يدي من الخيس ، فقلت : أعود بالله وبرسوله من ذلك ، ثم ضرب على ظهرك ، وقال : « إياك أن تكونيها » ثم قال : يا بنت أبي أمية ؛ إياك أن تكونيها يا حبيراء ، أما أنا فقد أندرتهك » ، قالت عائشة : نعم أذكر هذا .

قالت : وأذكرك أيضا كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر له ، وكان عليّ يتعاهد نعلَيْ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخسفهما <sup>(١)</sup> ، ويتعاهد أثوابه فيفسلها ، فنقبت <sup>(٢)</sup> له نعل ، فأخذها يومئذ يخسفها ، وقعد في ظل سكرة ، وجاء أبوك ومعه عمر ، فاستأذنا عليه ، فقمنا إلى الحجاب ، ودخلا يحادثانه فيما أراد ، ثم قالا : يا رسول الله إنا لا ندري قدر ما تصحبنا ، فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ، ليكون لنا بعدك مفرعا ؟ فقال لهما : أما إني قد أرى مكانه ، ولو فعلت لتفرقتم عنه . كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران ، فسكننا ثم خرجنا ، فلما خرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت له ، وكنت أجرا عليه منا : من كنت يا رسول الله ، مستخلفا عليهم ؟ فقال : خاف النمل ، فظننا فلم نر أحدا إلا عليا ، فقلت : يا رسول الله ، ما أرى إلا عليا ، فقال : هو ذاك ، فقالت عائشة : نعم أذكر ذلك ، فقالت : فأبى خروج تخرجين بعد هذا ؟ فقالت : إنما أخرج للإصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن شاء الله ، فقالت : أنت ورأيك ، فانصرفت عائشة عنها ، وكتبت أم سلمة بما قالت وقيل لها إلى علي عليه السلام .

فإن قلت : فهذا نص صريح في إمامة علي عليه السلام ، فما تصنع أنت وأصحابك

المعتزلة به ؟

قلت : كلاً إنه ليس بنص كما ظننت ، لأنه صلى الله عليه وآله لم يقل : قد استخلفته ، وإنما قال : « لو قد استخلفت أحدا لاستخلفته » ، وذلك لا يقتضي حصول الاستخلاف ؛

(١) خسف النعل : حرزها .

(٢) نقبت النعل : نقبت .



ويجوز أن تكون مصلحة المكلفين متعلقة بالنص عليه لو كان النبي صلى الله عليه وآله مأموراً بأن ينص على إمام بعينه من بعده ، وأن يكون من مصلحتهم أن يختاروا لأنفسهم من شاءوا إذا تركهم النبي صلى الله عليه وآله وآراءهم ولم يعين أحداً .

\*\*\*

وروى هشام بن محمد السكلي في كتاب " الجمل " أن أم سلمة كتبت إلى علي عليه السلام من مكة : أما بعد ، فإن طلحة والزبير وأشباعهم أشباع الضلالة ، يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة ومعهم عبد الله بن عامر بن كريز ؛ ويذكرون أن عثمان قُتل مظلوماً ، وأنهم يطلبون بدمه ؛ والله كافيهم بحوله وقوته ؛ ولولا ما هنا الله عنه من الخروج ، وأمرنا به من لزوم البيت لم أذع الخروج إليك ، والنصرة لك ؛ ولكنني باعثة نحوك ابني ، عدل<sup>(١)</sup> نفس عمر بن أبي سلمة ، فاستوصي به يا أمير المؤمنين خيراً .

قال : فلما قدم عمر على علي عليه السلام أكرمه ، ولم يزل مقياً معه حتى شهد مشاهدته كلها ، ووجهه أميراً على البحرين . وقال لابن عمر له : بلغني أن عمر يقول الشعر ، فابعث إلى من شعره ، فبعث إليه بأبيات له أولها :

جزتك أمير المؤمنين قرابةً رفعت بها ذكرى جزاء موفراً

فمجب على عليه السلام من شعره واستحسنه .

\*\*\*

ومن الكلام المشهور الذي قيل : إن أم سلمة رحمها الله ، كتبت به إلى عائشة : إنك جنة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أمته ، وإن الحجاب دونك لمضروب على حرمة ، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه ، وسكن عقيقاك فلا تُصحر بها ، لو أذكرتك قوله من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرفينها لهشت بها نهش الرقشاء المظرفة . ما كنت

(١) عدل نفس : مثلاً .



قائلة لرسول الله صلى الله عليه وآله لو اتيك ناصّة قلوص قومك من منهل إلى منهل قد تركت عهوداً ، وهتكت ستره ، إن عمود الدين لا يقوم بالنساء ، وصدّعه لا يرأب بهن ، مُحاديّات النساء خفض الأصوات وخفّر الأعراض ، اجعلي قاعدة البيت فبرك حتى تلقينه ، وأنت على ذلك .

فقلت عائشة : ما عرفني بنصحك ، وأقبلني لوعظك ! وليس الأمر حيث تذهبين ؛ ما أنا بمسيئة عن رأيك ، فإن أقوم فني غير حرج ، وإن أخرج فني إصلاح بين فئتين من المسلمين .

وقد ذكر هذا الحديث أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه المصنف في " غريب الحديث " في باب أم سلمة ، على ما أورده عليك ، قال :

لما أرادت عائشة الخروج إلى البصرة ، انتهأ أم سلمة ، فقالت لها : إنك سؤدة بين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته ، وحجابك مضروب على حرمة ، قد جمع القرآن ذبلك فلا تنذحيه ، وسكن عقيرك فلا تصعري بها ، الله من وراء هذه الأمة ، لو أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهد إليك عهداً علّت علّت ؛ بل قد نهاك عن القرطة في البلاد ؛ إن عمود الإسلام لا يثأب بالنساء إن مال ، ولا يرأب بهن إن صدع ، مُحاديّات النساء غصّ الأطراف وخفّر الأعراض وقصّر الوهازة ؛ ما كنت قائلة لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله طارحك بعد الفلوات ، ناصّة قلوصاً من منهل إلى آخر ، إن بعين الله سهواك ، وعلى رسوله تردين ؛ وقد وجهت سدّافته - ويروى سجاافته - وترك عهوداً . لو سرت مسيرك هذا ثم قبل لي : ادخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى محمداً صلى الله عليه وسلم هاتكة حجاباً ، وقد ضرب به على ، اجعلي حصنك بيتك ، ووقاعة السرفبرك ؛ حتى تلقينه ، وأنت على تلك أطوع ما تكونين لله



بالرقبة ، وأنصر ما تكون للدين ما حلت عنه . لو ذكرتك قولاً تعرفينه نهشت به نهش  
الرقشاء المطرقة .

فقلت عائشة : ما أقبلني لو عظك أو ليس الأمر كما تظنين ، ولنعم المسيرُ مسيرُ فرغت فيه  
إلى فتان متناجرتان - أو قالت متناحرتان - إن أقعدني غير حرج ، وإن أخرج فإلى  
ملا بد لي من الازدياد منه .

### تفسير غريب هذا الخبر

السُّدَّة : الباب ؛ ومنه حديث رسول الله صلى الله عليه وآله أنه ذكر أول مَنْ  
يردُّ عليه الخوض ، فقال : الشُّعْثُ رُمُوسًا ، الدُّنُسُ ثِيَابًا ، الذين لا تفتح لهم السُّدَدُ ،  
ولا ينكحون المتبهمات ؛ وأرادت أم سلمة أنك بابٌ بين النبي صلى الله عليه وآله  
وبين الناس ، فتي أصيب ذلك الباب بشيءٍ فقد دُخِلَ على رسول الله صلى الله عليه  
وآله في حرمة وحوزته ، واستبيح ما حواه ، تقول : فلان كوني أنت سبب ذلك بالخروج  
الذي لا يجب عليك ، فتخرجي الناس إلى أن يفعلوا ذلك . وهذا مثل قول نعان بن مقرن  
للمسلمين في غزاة نهاوند : ألا وإنكم باب بين المسلمين والمشركين ، إن كسر ذلك الباب  
دُخِلَ عليهم منه .

وقولها : « قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه » ، أي لا تفتحيه ولا توسعيه بالحركة  
والخروج ؛ يقال : ندحت الشيء إذا وسعته ، ومنه يقال : فلان في مندوحة عن كذا ، أي  
في سعة ؛ تريد قول الله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ <sup>(١)</sup> . ومن روى « تندحيه » بالباء  
فإنه من البداح وهو المتسع من الأرض ؛ وهو معنى الأول .

وسكن عَقِيرَاكَ ، من عَقَر الدار وهو أصلها ؛ أهل الحجاز يسمون العيين ؛ وأهل نجد  
يفتحونها . وعَقِيرُ اسم مبنى من ذلك على صيغة التصغير ؛ ومثله مما جاء مصغراً « الثريَّا »  
و« الحميَّا » وهو سورة الشراب . قال ابن قتيبة : ولم أسمع « بعقيرا » إلا في هذا الحديث .

(١) سورة الأحزاب ٣٣ .



قولها : « فلا تُصعربها » ، أى لا تُبْرِزها وتُجملها بالصحراء ، يقال : أصحَرَ ، كما يقال : أجمد وأسهل وأحزن .

وقولها : « الله من وراء هذه الأمة » ، أى يحيط بهم وحافظ لهم وعالم بأحوالهم ، كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ <sup>(١)</sup> .

قولها : « لو أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم » الجواب محذوف ، أى لفعل ولتهد ؛ وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أى لكان هذا القرآن .

قولها : « عِلْتُ عِلْتُ » ؛ أى جرت في هذا الخروج ، وعدلت عن الجواب ، والعول : الميل والجور ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَذَى الْأَتَّوَلُوا ﴾ <sup>(٣)</sup> . ومن الناس من يرويه « عِلْتُ عِلْتُ » بكسر العين ، أى ذهبت في البلاد وأبعدت السير ، يقال : مال فلان في البلاد ، أى ذهب وأبعد ؛ ومنه قيل للذئب : عيال .

قولها : « عن القَرْطَةِ في البلاد » ، أى عن السفر والشخوص ، من القَرْط وهو السبق والتقدم ، ورجل قارط : أتى الماء ، أى سابق .

قولها : « لا يثأب بالنساء » ، أى لا يردنهن إن مال إلى استوائه ؛ من قولك : ثاب فلان إلى كذا ، أى عاد إليه .

قولها : « ولا يرأب بهن إن صدع » أى لا يسد بهن ، ولا يجمع ، والصدع : الشق ، ويروى : « إن صدع » بفتح الصاد والذال أجروءه مجرى قولهم : جبرت العظم فجبر .

قولها : « حاديات النساء » يقال : حَادَاكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا مِثْل « قُصَارِكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا » أى جهدك وغايتك .

(١) سورة البروج ٨٥ .

(٢) سورة الرعد ٣٦ .

(٣) سورة النساء ٣ .



وغض الأطراف؛ جُمها، وخَفَر الأعراض، انخَفَر: الحياء، والأعراض، جمع عِرْض وهو الجسد، يقال: فلان طيب العِرْض، أى طيب ريح البدن؛ ومن رواه «الإعراض» بكسر الهمزة جملة مصدرها؛ من أعرَضَ عن كذا.

قولها: «وَقَصَّر الوِهَازة» ، قال ابن قتيبة: سألت عَنْ هَذَا فَقَالَ لِي مَنْ سَأَلَهُ: سَأَلْتُ عَنْهُ أَعْرَابِيًّا فَصِيحًا فَقَالَ: الوِهَازة: الخطوة، يقال للرجل: إِنَّهُ لَمَتَوَهَّزٌ وَمَتَوَهَّرٌ، إِذَا وَطِئَ وَطْئًا ثَقِيلًا.

قولها: «نَاصَةٌ قُلُوصًا» ، أى رافعة لها فى السير، والنص: الرفع، ومنه يقال: حديث مَنْصُوص، أى مرفوع، والقُلُوص من النوق: الشابة وهى بمنزلة الفتاة من النساء. والتسل: الماء ترده الإبل.

قولها: «إِنْ بَيْنَ اللَّهِ مَهْوَكَ» ، أى إِنْ اللَّهُ يَرَى سِرَّكَ وَحَرَكَتَكَ، وَالْمَهْوَى: الانحدار فى السير من التَّجْد إلى النَّوْرِ.

قولها: «وَعَلَى رَسُولِهِ تَرْدِينٌ» ، أى تَقْدِيمٌ فِي الْقِيَامَةِ.

قولها: «وَقَدْ وَجَّهَتْ سِدَّافَتَهُ» ، السَّدَافَة: الحجاب والستر، هى من أَسَدَفَ اللَّيْلُ إِذَا سَتَرَ بظلمته، كَأَنَّهُ أَرخَى سَتُورًا مِنَ الظَّلامِ، وَيُرْوَى بِفَتْحِ السِّينِ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي سَجَافَتِهِ؛ إِنَّهُ يُرْوَى بِكَسْرِ السِّينِ وَفَتْحِهَا، وَالتَّدَافَة وَالسَّجَافَة بمعنى.

ووجَّهَتْ، أى نظَّمَتْهَا بِالْخُرْزِ، والوجيعة: خرزة معروفة، وعادة العرب أن تنظِّم على الحمل خرزات إذا كان للنساء.

قولها: «وَتَرَكْتُ عُمَيْدَاهُ» ، لفظة مصفَّرة مأخوذة من العُمْد، مشابهة لما سلف من قولها: «عُقَيْرَاكَ» و «حماديات النساء».

قولها: «وَوِقَاعَةُ السَّتْرِ» أى مَوْقِعُهُ عَلَى الْأَرْضِ إِذَا أَرْسَلَتْهُ، وهى الموقعة أيضا، وموقعة الطائر.



قولها : « حتى تلقينه وأنت على تلك » ، أى على تلك الحال ، فحذف .

قولها : « أطوع ما تكوّنن لله إذا لمته » ، أطوع : مبتدأ ، وإذا لمته : خبر المبتدأ ، والضمير فى لمته راجع إلى العهد والأمر الذى أمرت به .

قولها : « لنهشتُ به نهش الرقشاء المطرقة » ، أى لمضك ونهشك ما أذكرك لك وأذكرك به كما نهشك أفعى رقشاء ، والرقش فى ظهرها ، هو النفط ، والجرادة أيضا رقشاء ، قال النابغة :

فبت كاني ساورتني ضيلة من الرقش فى أنيابها الشم ناعم<sup>(١)</sup>

والأفعى يوصف بالإطراق ؛ وكذلك الأسد والنمر والرجل الشجاع ؛ وكان معاوية يقول فى علي عليه السلام : الشجاع المطرق ، وقال الشاعر وذكر أفعى :

أسم أعمى ما يجيب الرق من طول إطراق وإسبسات<sup>(٢)</sup>

قولها : « فثمان متناجزتان » ، أى تسرع كل واحدة منهما إلى نفوس الأخرى ، ومن رواء « متناجزتان » أراد الحرب وطعن النجور بالأسنة ، ورشقها بالسهم . وفزعت إلى فلان فى كذا ، أى لذت به والتجأت إليه .

وقولها : « إن أقعد فنى غير حرج » أى فى غير إثم ، وقولها : « فإن أخرج فالى مالا بدلى من الازدياد منه » ، كلام من يعتقد النضيلة فى الخروج ، أو يعرف موقع الخطأ وبصره عليه .

\*\*\*

لما عزمّت عائشة على الخروج إلى البصرة طلبوا لها ميرا أيدأ يحمل هوذجها ، فجاءهم يعلى بن أمية ببعيره المسى عسكراً ، وكان عظيم الخلق شديداً ، فلما رآته أعجبها ، وأنشأ الجمال يحدثها بقوته وشده ، ويقول فى أثناء كلامه : « عكر » ، فلما سمعت هذه اللفظة ، استرجعت ، وقالت : ردوه لاجبة لى فيه ، وذكرت حيث مثلت أن رسول الله

(١) ديوانه : ٥١

(٢) اللسان ٢ : ٣٤٣ ، من غير نسبة .



صلى الله عليه وآله ذكر لها هذا الاسم ، ونهاها عن ركوبه ، وأمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه ، فتبر لها بجلال غير جلاله ، وقيل لها : قد أصبنا لك أعظم منه خلقا ، وأشد قوة ، وأتيبت به فرضيت .

قال أبو مخنف : وأرسلت إلى حنيفة تسألها الخروج والمسير معها <sup>(١)</sup> ، فبلغ ذلك عبد الله ابن عمر ، فإني أخته فعزم عليها ، فأقامت وحطت الرحال بعد ما همت .

كتب الأشتر من المدينة إلى عائشة وهي بمكة ، أما بعد : فإنك ظعينة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد أمرك أن تقرى في بيتك ، فإن فعلت فهو خير لك ، فإن آيتي إلا أن تأخذى منسأتك ، وتلقى جلبابك ، وتبدي للناس شعيرائك ، فأتيتك حتى أردك إلى بيتك ، والموضع الذي يرضاه لك ربك .

فكتبت إليه في الجواب : أما بعد ، فإنك أول العرب شب النفتة ، ودعا إلى الفرقة وخالف الأئمة ، وسعى في قتل الخليفة ، وقد علمت أنك لن تمجز الله حتى يصيبك منه بئسمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم ، وقد جاءني كتابك ، وفهمت ما فيه ؛ وسيكفينيك الله ؛ وكل من أصبح مماثلا لك في ضلالك وغيبك ، إن شاء الله .

وقال أبو مخنف : لما انتهت عائشة في سيرها إلى الحوآب ، وهو ماء لبنى عامر بن صعصعة ، نبعتها الكلاب ؛ حتى نفرت صعباب إبلها ، فقال قائل من أصحابها : ألا ترون ، ما أكثر كلاب الحوآب ، وما أشد نباحها ! فأمسكت زمام بعيرها ، وقالت : وإني الكلاب الحوآب ! ردوني ردوني ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ... وذكرت الخبر ، فقال لها قائل : مهلا يرحمك الله ! فقد جزنا ماء الحوآب ؛ فقالت : فهل من شاهد ؟ فلفقوا لها خمسين أعرابيا ، جعلوا لهم جملا ، فلفقوا لها <sup>(٢)</sup> : إن هذا ليس بماء الحوآب ، فسارت لوجهها . لما انتهت عائشة وطلحة والزبير إلى حفر <sup>(٣)</sup> أبي موسى قريبا من البصرة ، أرسل

(١) ساقطة من ب .

(٢) ضبطه صاحب مرصد الاطلاح بالفتح ثم السكون ، وقال : على جادة البصرة إلى مكة .

(٣) (١٥ - نهج ٦)



عثمان بن حنيفة - وهو يومئذ حامل على عليه السلام على البصرة - إلى القوم بأبى الأسود الدؤلى يعلم له <sup>(١)</sup> علمهم، فجاء حتى دخل على عائشة، فسأها عن سيرها، فقالت: أطلب بدم عثمان، قال: إنه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد، قالت: صدقت؛ ولكنهم مع على بن أبى طالب بالمدينة، وجئت أستنهض أهل البصرة لقتاله. أنفض لكم من سوط عثمان ولا تفض لثمان من سيوفكم! فقال لها: ما أنت من السوط والسيف! إنما أنت حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله، أمرك أن تقرى في بيتك، وتلى كتاب ربك، وليس على النساء قتال، ولا لهن الطلب بالدماء؛ وإن علياً لأولى بعثمان منك، وأمس رحاً؛ فإنهما ابناً عبد مناف، فقالت: لست بمنصرفة حتى أمضى لما قدمت له، أفنظن بأبى الأسود أن أحداً يقدم على قتالى! قال: أما والله لقتاتلن قتالا أهونه الشديد.

ثم قام فأتى الزبير، فقال: بأبى عبد الله، عهد الناس بك، وأنت يوم بويج أبوبكر أخذ بقاتم سيفك، تقول: لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبى طالب؛ وأين هذا المقام من ذلك! فذكر له دم عثمان، قال: أنت وصاحبك وليتاء فيما بلغنا! قال: فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول، فذهب إلى طلحة، فوجده سادراً في غيّه، مصيراً على الحرب والفتنة، فرجع إلى عثمان بن حنيفة، فقال: إنها الحرب، فتأهب لها!

لما نزل على عليه السلام بالبصرة، كتبت <sup>(٢)</sup> عائشة إلى زيد بن صوحان العبدى: من عائشة بنت أبى بكر الصديق زوج النبى صلى الله عليه وسلم إلى ابنها الخالص زيد ابن صوحان؛ أما بعد فأقيم في بيتك، وخذل الناس عن على، وليبلغني عنك ما أحب؛ فإنك أوثق أهلى عندى، والسلام.

فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبى بكر؛ أما بعد فإن الله أمرك بأمر وأمرنا بأمر؛ أمرك أن تقرى في بيتك، وأمرنا أن نجاهد، وقد أتاني كتابك،

(١) كذا في ١، وفي ب: «علم».

(٢) كذا في ١، وفي ب: «فكتبت».



فأمرتنى أن أصنع خلاف ما أمرنى الله، فأكون قد صنعت ما أمرك الله به، وصنعت ما أمرنى الله به، فأمرك عندى غير مطاع، وكتابك غير محاب، والسلام .  
روى هذين الكتابين شيخنا أبو عثمان عمرو بن بحر، عن شيخنا أبي سعيد الحسن البصرى .

\*\*\*

وركت عاتشة يوم الحرب الجمل المسى عسكرا في هودج، قد ألبس الرغرف، ثم ألبس جلود النمر، ثم ألبس فوق ذلك دروع الحديد .  
الشعبى، عن مسلم بن أبي بكر، عن أبيه أبي بكر، قال: لما قدم طلحة والزبير البصرة، تفلت سيفى، وأنا أريد نصرهما، فدخلت على عاتشة، وإذا هى تأمر وتنهى، وإذا الأمر أمرها، فذكرت حديثا كنت سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « لن يفلح قوم نذر أمرهم امرأة »، فانصرفت واعتزلتهم .  
وقد روى هذا الخبر على صورة أخرى : « إن قوما يخرجون بعدى في فئة، رأسها امرأة، لا يفلحون أبدا » .  
كان الجمل لواء عسكر البصرة لم يكن لواء غيره .

\*\*\*

خطبت عاتشة والناس قد أخذوا مصافهم للحرب، فقالت :  
أما بعد فإننا كنا نقتنا على عثمان ضرب السوط، وإمرة الفتيان، ومرتع السعابة الحمية؛  
الاولانكم استمتبتموه فأعتبكم، فلما مضىتموه<sup>(١)</sup> كما يماص الثوب الرحيض<sup>(٢)</sup>، عدوتم عليه،  
فارتكبتم منه دما حراما، وإيم الله إن كان لأحصنكم فرجا، وأتقاكم لله .

\*\*\*

(١) اللوس : الفصل ؟ كذا فسره صاحب اللسان، واستشهد بكلام عاتشة .

(٢) الرحيض : المفسول ؟ وانظر النهاية لابن الأثير ١ : ٧٢



خطب على عايد السلام لما تواقف الجمعان ، فقال :

لا تقاتلوا القومَ حتى يبدؤكم ، فإنكم بحمد الله على حُجَّة ؛ وكفَّكم عنهم حتى يبدؤكم حجة أخرى ، وإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح ، وإذا هزمتهم فلا تتبعوا مُدْبِراً ، ولا تكتشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، وإذا وصلتُم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سِتْرًا ، ولا تدخلوا دارًا ، ولا تأخذوا من أموالهم شيئًا ، ولا تهيجوا امرأة بأذى ، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصالحاءكم ؛ فإنهن ضعاف القوى <sup>(١)</sup> ، والأنفس والعقول ؛ لقد كنا نؤمر بالكف عنهم وإنهن لمشركات ، وإن كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والجريدة ، فيعير بها وعقبه من بعده .



قَتَلَ بنو ضَبَّةَ حول الجبل فلم يبقَ فيهم إلا مَنْ لا نفعَ عنده ، وأخذت الأزد بخطامه ، فقالت عائشة : مَنْ أنتم ؟ قالوا : الأزد ، قالت : صبراً ، فإنما يصبر الأحرار ؛ ما زلت أرى النصر مع بنى ضَبَّةَ ؛ فلما فقدتهم أنسكروته . فخرضت الأزد بذلك ؛ فقاتلوا قتالاً شديداً ، ورُمي الجبلُ بالنبل حتى صارت القبة عليه كهيئة القنفذ .

\*\*\*

قال عليّ عليه السلام : لما فنيَ الناس على خِطام الجبل ، وقطعت الأيدي ، وسالت النفوس : ادعُوا إلى الأشتر وعَمَّاراً ، فجاءا ، فقال : اذهباً فاعقرا هذا الجبل ؛ فإن الحرب لا يبوخ <sup>(٢)</sup> ضيرامها مادام حَيًّا ؛ إنهم قد اتخذوه قبلة ، فذهبوا ومعها فتَيَّان من مُراد ، يعرف أحدهما بعمر بن عبد الله ، فزالا يضربان الناسَ حتى خَلَصَا إليه ، فضربه ألرادى عَلَى عرقوبيه ، فألقى وله رُغاء ، ثم وقع لجنبه ، وفرَّ الناس من حوله ، فنادى عليّ عليه السلام : اقطعوا

(١) ق ب : د القوم ، و ما أنبته من ا .

(٢) لا يبوخ : لا يخذل .



أنساع المودج ، ثم قال محمد بن أبي بكر : اكفني أختك ، فحملها محمد حتى أنزلها دار عبد الله بن خلف الخزاعي .

\*\*\*

بعث عليّ عبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة ، قال : فأتيتها<sup>(١)</sup> ، فدخلت عليها ، فلم يوضع لي شيء أجلس عليه ، فتناولت وسادة كانت في رَحْلِها ، فقامت عليها ، فقالت : يا بن عباس ، أخطأت السنة ، قدمت على وسادتنا في بيتنا بغير إذننا ! قلت : ليس هذا بيتك الذي أمرك الله أن تقرّئ فيه ، ولو كان بيتك ما قدمت على وسادتك إلا بإذنك ، ثم قلت : إن أمير المؤمنين أرسلني إليك يأمرُك بالرحيل إلى المدينة ، فقالت : وأين أمير المؤمنين ! ذاك عمر ، قلت : عمر وعليّ ، قالت : أبيت ! قلت : أما والله ما كان أبوك إلا قصير المدّة ، عظيم المشقة ، قليل المنفعة ، ظاهر الشؤم بين النكدة ، وما عسى أن يكون أبوك ! والله ما كان أمرُك إلا كحلب شاة حتى صرت لنامرين ولا تنهين ، ولاناخذين ولا نعطين ، وما كنت إلا كما قال أخو بني أسد :

ما زال إهداء الصغار بيننا      نثّ الحديث وكثرة الألقاب<sup>(٢)</sup>

حتى نزلت كأن صوتك بينهم      في كلّ نائبة طنين ذباب

قال : فبكت حتى سُمع نحيبها من وراء الحجاب ، ثم قالت : إني معجّلة الرحيل إلى بلادى إن شاء الله تعالى ، والله ما من بلد أبغضَ إليّ من بلد أنتم فيه ، قلت : ولم ذاك ! فوالله لقد جعلناك للمؤمنين أمّا ، وجعلنا أباك صديقاً ، قالت : يا بن عباس ، أتمنّ عليّ برسول الله ؟ قلت : مالي لا آمنّ عليك بمن لو كان منك لمننت به عليّ !

ثم أتيت عليّاً عليه السلام فأخبرته بقولها وقولي ، فسرّ بذلك ، وقال لي : ﴿ ذُرِيَّةَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ وفي رواية : أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك .

(١) ب • فلقيتها • ، وما أتيتها من ا .

(٢) البيتان في نثر القلوب ٥٠٣ ، ونسبهما إلى حضرمي بن عامر ، وهما أيضاً في الحيوان ٣ : ٣١٥ .

(٣) سورة آل عمران ٣٤ .



(٨٠)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ الزَّهَادَةُ قِصَرُ الْأَمَلِ ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ ، وَالْوَرَعُ عِنْدَ  
الْمَحَارِمِ ، فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَنْتَلِيبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ ، وَلَا تَنْفِسُوا عِنْدَ النِّعَمِ  
شُكْرَكُمْ ؛ فَقَدْ أَعَذَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ ؛ وَكَتُبَ بَارِزَةً الْعُذْرَ  
وَاضِحَةً .



مركز تحقيقات تكميلية علوم اسلامی

البشرح :

فسر عليه السلام لفظ الزَّهَادَةُ ، وهى الزَّهْدُ ، بثلاثة أمور وهى : قِصَرُ الْأَمَلِ ،  
وَشُكْرُ النِّعْمَةِ ، وَالْوَرَعُ عَنِ الْمَحَارِمِ ، فقال : لا يَسْتَمِى الزَّاهِدُ زَاهِدًا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ هَذِهِ  
الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ ، ثُمَّ قَالَ : « فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ » ، أى بَعُدَ ، فَأَمْرَانِ مِنَ الثَّلَاثَةِ لَا بَدَّ  
مِنْهُمَا ؛ وَهِيَ الْوَرَعُ وَشُكْرُ النِّعَمِ ، جَعَلَهُمَا آكِدَ وَأَمَمَ مِنْ قِصَرِ الْأَمَلِ .

واعلم أن الزَّهْدَ فى العُرْفِ المشهور هو الإِعْرَاضُ عَنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَطَبِيعَاتِهَا ، لَكِنَّهُ  
لَمَّا كَانَتِ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ طَرِيقًا مَوْطِئَةً إِلَى ذَلِكَ أُطْلِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَفْظَ الزَّهْدِ عَلَيْهَا عَلَى  
وَجْهِ الْمَجَازِ .

وقوله : « فَقَدْ أَعَذَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ » أى بَالِغٌ ؛ يُقَالُ : أَعَذَرَ فُلَانٌ فِى الْأَمْرِ أَيْ بَالِغٌ فِيهِ ،  
وَيُقَالُ : ضَرِبَ فُلَانٌ فَأَعَذَرَ ، أَيْ أَشْرَفَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ؛ وَأَصْلُ اللَّفْظَةِ مِنَ الْعُذْرِ ؛ يُرِيدُ أَنَّهُ



قد أوضح لكم بالحجج النيرة المشرقة ما يجب اجتنابه، وما يجب فعله ؛ فإن خالفتم استوجبتم العقوبة ؛ فكان له في تعذيبكم العذر .

\*\*\*

### [ الآثار والأخبار الواردة في الزهد ]

والآثار الواردة في الزهد كثيرة :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أفلح الزاهد في الدنيا ، حظي بمرّ العاجلة وبثواب الآخرة » .

وقال صلى الله عليه وآله : « من أصبحت الدنيا هم ، وسدّمه ، نزع الله الفنى من قلبه وصير الفقر بين عينيه ، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن أصبحت الآخرة هم ، وسدّمه ، نزع الله الفقر عن قلبه ، وصير الفنى بين عينيه ، وأتته الدنيا وهي راغمة » .

وقال عليه السلام للضحّاك بن سفيان : ما طعامك ؟ قال : اللحم والخبز ، قال : ثم يصير إلى ماذا ؟ قال : إلى ما علفت ، قال : فإن الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا .

وكان الفضيل بن عياض يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه : انطلقوا حتى أرىكم الدنيا ، فيجىء بهم إلى المزبلة ، فيقول : انظروا إلى عنبهم وشمشهم ودجاجهم وبطهم ! صار إلى ما ترون .

ومن الكلام المنسوب إلى المسيح عليه السلام : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تمروها .

سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله سبحانه : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ



يُشْرِحُ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ<sup>(١)</sup> فقال : إذا دخل النور القلب انفسح ، فذلك شرح الصدر ،  
فقل : أفذلك علامة يعرف بها ؟ قال : نعم ، الإجابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار القُرور ،  
والاستعداد للموت قبل نزوله .

قالوا : أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء : اتخذ الدنيا ظئراً ، واتخذ الآخرة أمّاً .  
الشعبي : ما أعلم لنا والدنيا مثلاً إلا قول كثير :

أَسْبَيْتُ بَنًا أَوْ أَحْسَنِي لَا مَلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِبَةً إِنْ تَقَلَّتْ<sup>(٢)</sup>

بعض الصالحين : المستغنى عن الدنيا بالدنيا ، كالمطعم بالنار بالخبز .

وفي بعض الكتب القديمة الإلهية : قال الله للدنيا : مَنْ خَدَمَنِي فَأَخْدِمِيهِ ، وَمَنْ  
خَدَمَكَ فَأَسْتَحْدِمِيهِ .

دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم ، وعليه مدرعة من صُوف ، فقال : ماهذه ؟  
فسكت ، فأعاد عليه السؤال ، فقال : أكره أن أقول زهداً فأزكّي نفسي ، أو فقراً  
فأشكّو ربي .

قيل في صفة الدنيا والآخرة : هما كضرتين إن أرضيت إحداها أسخطت الأخرى .  
قيل لمحمد بن واسع : إنك لترضى بالدُّون ، قال : إنما رضى بالدُّون مَنْ رضى بالدنيا .  
خطب أعرابي كان حاملاً لجعفر بن سليمان على ضربة يوم الجمعة خطبة لم يُسمع  
أوجز منها ولا أفصح ، فقال : إن الدنيا دارُ بلاغ ، وإن الآخرة دار قرار ؛ فخذوا من  
همركم مُستقرّاً ، ولا تهتكوا أَسْثَارَكُمْ عند مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ ، وَأَخْرِجُوا مِنْ  
الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ؛ ففيها جثثكم ، ولنغيرها خلقتكم ؛ إن المرء إذا  
هلك قال الناس : ماترك أو قالت الملائكة : ما قدّم ؟ فإله آثاركم أقدموا بعضاً يكن لكم ،

(١) سورة الأنعام ١٢٥ .

(٢) من قصيدته الشهيرة ؛ في أمالي القالي ٢ : ١٠٧ - ١١٠ .



ولا تؤخروا كلاً فيكون عليكم ؛ أقول قولي هذا ؛ وأستغفر الله ، والمدعو له الخليفة ،  
ثم الأمير جعفر . ونزل .

أبو حازم الأعرج : الدنيا كلها غموم ، فما كان فيها سروراً فهو رنج .

محمد بن الحنفية : مَنْ عزّت عليه نفسه هانت عليه الدنيا .

قيل لعلي بن الحسين عليه السلام : مَنْ أعظمُ الناس خطراً ؟ قال : مَنْ لم ير الدنيا  
لنفسه خطراً .

قال المسيح عليه السلام لأصحابه : حبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خطيئة ، واقتناء المال فيها  
داء عظيم ، قالوا له : كيف ذلك ؟ قال : لا يسلم صاحبه من البغي والكبر ؛ قيل : فإن سَلِمَ  
منهما ؛ قال : يشغله إصلاحه عن ذكر الله .

أشرف أبو الدرداء على أهل دمشق ؛ فقال : يا أهل دمشق ، تبنون ما لا تسكنون ، وتجمعون  
مالاً تأكلون ، وتأملون ما لا تدركون ؛ أين مَنْ كان قبلكم ؟ بنوا شديداً ، وأملوا بعيداً ،  
وجمعوا كثيراً ، فأصبحت مساكنهم قبوراً ، وجمعهم بوراً ، وأملهم غروراً .

قال المأمون : لو سئلت الدنيا عن نفسها لم تسطع أن تصف نفسها بأحسن من  
قول الشاعر :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفتْ له عن عُدُوِّ في ثيابِ صديقٍ<sup>(١)</sup>

وقال رجل : يا رسول الله ، كيف لي أن أعلم أمري ؟ قال : « إذا أردت شيئاً من أمور  
الدنيا ففسر عليك ؛ فاعلم أنك بخير ، وإذا أردت شيئاً من أمر الدنيا ففسر لك ؛ فاعلم أنه  
شرٌّ لك » .

قال رجل ليونس بن عبيد : إن فلانا يعمل بعمل الحسن البصري ، فقال : والله  
ما أعرف أحداً يقول بقوله ، فكيف يعمل بمثله ؟ قيل : فصّفه لنا ، قال : كان إذا أقبلَ



فكأنه أقبل من دفين حبيب ، وإذا جلس فكأنه أسير أجس لفرب عنه ، وإذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له .

وقال بعض الصالحين لرجل : يا فلان ، هل أنت على حال أنت فيها مستعد للموت ؟ قال : لا ، قال : فهل أنت عالم بأنك تنتقل إلى حال ترضى به ؟ قال : لا ، قال : أف تعلم بعد الموت داراً فيها مستعيب<sup>(١)</sup> ؟ قال : لا ، قال : أف تأمين للموت أن يأتيك صباحاً أو مساءً ؟ قال : لا ، قال : أف ترضى بهذه الحال عاقل !

وقال أبو الدرداء : أضحكنتي ثلاث ، وأبكنتي ثلاث : أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفل عنه ، وضاحك ملء فيه لا يدري أراض عنه الله أم ساخط ! وأبكاني فراق محمد وحزبه ، وأبكاني هول الموت ، وأبكاني هول الموقف ، يوم تبدو السرائر حين لا أدري أبؤخذ بي إلى جنة أم إلى نار !

وكان عبد الله بن صفيح يقول : أنضحك واملأ كفانك قد خرجت من عند القصارا وكان يقال : من أتى الذنب ضاحكاً ، دخل النار باكياً .

وكان مالك بن دينار يقول : وددت أن رزقي في حصاة أمضها حتى أبول ، فلقد اخففت إلى الخلاء حتى استحييت من ربي .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما ليس به بأس حذراً عما به البأس » .

وقال المسيح عليه السلام : بحق أقول لكم ؛ إن من طلب الفردوس ، فخير الشمير ، والنوم على المزابل مع الكلاب ، له كثير .

وأوصى ابن محرز رجلاً فقال : إن استطعت أن تعرف ولا تعرف ، وتسال ولا تسأل ، وتمشي ولا يمشي إليك ، فافعل .

(١) مستعيب : رضا .



وقال صلى عليه السلام : طوي قنن عرّف الناس ولم يعرفوه ، نسجنت له مديته ، وقل ترائه ، وقد باكيته .

وكان يقال : في الجوع ثلاث خصال : حياة للقلب ، ومذلة للنفس ، وبورث العقل الدقيق [ من المعاني ] <sup>(١)</sup> .

وقال رجل لإبراهيم بن آدم : أريد أن تقبل مني دراهم ، قال : إن كنت غنياً قبلتها منك ، وإن كنت فقيراً لم أقبلها ، قال : فإني غني ، قال : كم تملك ؟ قال : ألفي درهم ، قال : أفسر لك أن تكون أربعة آلاف ؟ قال : نعم ، قال : لست بغني ودراهمك لا أقبلها . وكان أبو حازم الأعرج إذا نظر إلى الفاكهة في السوق ، قال : موعدك الجنة إن شاء الله تعالى .

ومرّ أبو حازم بالقصابين ، فقال له رجل منهم : يا أبا حازم ؛ هذا سمين فاشتر منه ، قال : ليس عندي دراهم ، قال : أنا أنظرك ، قال : فافكر ساعة ، ثم قال : أنا أنظر نفسي . نزل الحاجاج في يوم حارّ على بعض المياه ، ودعا بالفداء وقال للحاجبه : انظر من يتندى معي ، واجهد ألا يكون من أهل الدنيا ، فرأى الحاجب أعرابياً ثاماً ، عليه شملة من شعر ، فضربه برجله ، وقال : أجب الأمير ، فأتاه ، فدعا الحاجاج إلى الأكل ، فقال : دعاني من هو خير من الأمير فأجبتني ؛ قال : من هو ؟ قال : الله ، دعاني إلى الصوم فصمت ؛ قال : أفى هذا اليوم الحار ؟ قال : نار جهنم أشدّ حرّاً ، قال : أفطر ونصوم غداً ، قال : إن ضمنت لي البقاء إلى غد ، قال : ليس ذلك إليّ ، قال : فكيف أدع عاجلاً لأجل لا تقدر عليه ؟ قال : إنه طعام طيب ، قال : إنك لم تطيبه ولا الخبز ، ولكن المافية طيبته لك .

وقال شبيب : كنّا سنة في طريق مكة ، فجاء أعرابي في يوم صائف شديد الحرّ ،

(١) بالأسول غموض ، وأمل الصواب ما أثبتته أو قريب منه .



ومعه جارية سوداء ، وصحيفة ؛ فقال : أفبكم كاتب ؟ قلنا : نعم ، وحضر غداؤنا ، فقلنا له : لو دخلت فأصبحت من طعامنا ! قال : إني صائم ، قلنا : الحر وشدة ، وجفاء البادية ، فقال : إن الدنيا كانت ولم أكن فيها ، وستكون ولا أكون فيها ، وما أحب أن أغيب أمانى ، ثم نبذ إلينا الصحيفة ، فقال للكاتب : اكتب ولا ترز على ما أملكه عليك : هذا ما اعتق عبد الله بن عقيل الكلبي ، اعتق جارية له سوداء اسمها لؤلؤة ، ابتغاء وجه الله وجواز العقبة ، وإنه لا سبيل له عليها إلا سبيل الولاء ، والمثنة لله علينا وعليها واحدة .

قال الأصمعي : فحدث بذلك الرشيد ، فأمر أن يعتق عنه ألف نسمة ، ويكتب لم هذا الكتاب .

وقال خالد بن صفوان : بت ليلى هذه أتمنى ، فكسبت البحر الأخضر بالذهب الأحمر ، فإذا الذي يلقي من ذلك رغبان وكوزان وطمران <sup>(١)</sup> .  
ورأى رجل رجلا من ولد معاوية يعمل على بعير له ، فقال : هذا بعد ما كنتم فيه من الدنيا ! قال : رحلك الله يا بن أخي ، ما قدنا إلا الفصول .

وقال الحسن : يا بن آدم ، إنما أنت أيام مجموعة ، كلما ذهب يوم ذهب بعضك .

قال يونس الكاتب : لو قيل بيت دريد في زاهد كان به جديرا :  
قليلُ التشكى للمصيبات ذاكرٌ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد <sup>(٢)</sup>  
وقال الحسن : ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل .

وقال رجل لفضيل بن عياض : ما أحب الأشياء ؟ قال : قلب عرف الله ثم عصاه .  
قال وكيع : ما أحسن قط إلى أحد ، ولا أسأت إليه ، قيل : كيف ؟ قال : لأن الله تعالى قال : ﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْ لِنَفْسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ <sup>(٣)</sup> .

(١) الطمر : الثوب الخاق .

(٢) من كلمة له في ديوان الخامسة ٢ : ٣٠٨ برئ أخاه عبد الله .

(٣) سورة الإسراء ٢٠ .



وقال الحسن لرجل : إن استطعت ألا نسيء إلى أحدٍ من تحبه فافعل ، قال الرجل :  
يا أبا سعيد <sup>(١)</sup> ، أو يسىء للراء إلى من يحبه ؟ قال : نعم ، نفسك أحب النفوس إليك ،  
فإذا عصيت الله فقد أسأت إليها .

وكان مالك بن دينار إذا منع نفسه شيئاً من الشهوات ، قال : اصبري ، فوالله ما منعك <sup>(٢)</sup>  
إلا لكرامتك على .

قام رسول الله صلى الله عليه وآله الليل ، حتى تورمت قدماءه ، فقبله : يا رسول الله ،  
أتفعل هذا ، وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » .  
وقال عبد الله بن مسعود : لا يكونن أحدكم جيفة ليله ، فطرب <sup>(٣)</sup> نهاره .

وكان يقال . من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار .  
وكان مالك بن دينار يقول في قصصه : ما أشد فطام الكبر ! وينشد :  
أتروض عروسك بعد ما هربت ! ومن النساء رياضة الهرم  
وقال آخر :

إن كنت تؤمن بالقيامة واجترأت على الخطيئة  
فلقد هلكت وإن جحدت فذاك أعظم للبليّة

(١) كنية الحسن البصري . (٢) ج : « ما منعك » .

(٣) الطرب : دويبة لا تستريح نهارها سعيًا .



(٨١)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام في صفة الدنيا :

مَا أَصِيفُ مِنْ دَارٍ ، أَوَّلُهَا عَنَاءٌ ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ ، فِي حَلَالِهَا حَرَابٌ ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ .

مَنْ أَسْتَغْفَى فِيهَا فِتْنٌ ، وَمَنْ أَفْتَقَرَ فِيهَا حَزَنٌ وَمَنْ سَاعَاَهَا فَاثَنَةٌ ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاثَنَةٌ ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتَهُ ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ .



قال الرضى رحمه الله :

أقول : وإذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام : « وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتَهُ » ، وجد تحت من المعنى العجيب ، والغرض البعيد ، مالا يبلّغ غايته ولا يدرك غوره ، لاسيّما إذا قرن إليه قوله : « وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ » ، فإنه يجد الفرق بين « أَبْصَرَ بِهَا » و « أَبْصَرَ إِلَيْهَا » واضحاً نيراً ، ومجيباً باهراً .

البيان :

العناء : التعب . وساعاها : جاراها سعيًا . واثنه : طاعته .

ونظر الرضى إلى قوله . « أَوَّلُهَا عَنَاءٌ وَآخِرُهَا فَنَاءٌ » ، فقال .

وَأَوَّلُنَا الْعَنَاءَ إِذَا طَلَعْنَا إِلَى الدُّنْيَا وَآخِرُنَا الذَّهَابُ<sup>(١)</sup>



ونظر إلى قوله عليه السلام « في حلالها حساب ، وفي حرامها عقاب » بعض  
الشعراء ، فقال :

الدمر يومان فيومٌ مضى	عنك بما فيه ويومٌ جديدٌ
حلالٌ يوميك حسابٌ وفي	حرامٌ يوميك عذابٌ شديدٌ
تجمعُ ما يأكله وارثٌ	وأنت في القبر وحيدٌ فريدٌ
إني لغيري واعظٌ تاركٌ	نفسى وقولى من فعالٍ بعيدٌ
حلاوة الدنيا ولذاتها	تكلف العاقل ما لا يريدُ

ومن المعنى أيضا قول بعضهم :

حَلَالُهَا حَسْرَةٌ تُفِضُ إِلَى نَدَمٍ      وَفِي الْحَرَامِ مِنْهَا الْغَمُّ مَنزُورُ  
ونظر الحسن البصرى إلى قوله عليه السلام : « من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر  
فيها حزن » ، فقال ، وقد جاءه إنسان يبشره بمولود له ذكر : ليهدك الفارس يا أبا سعيد ،  
فقال : بل الراجل اثم قال : لا مرحبا بمن إن كان غنياً فتنى ، وإن كان فقيراً أحزنى ،  
وإن عاش كدنى ، وإن مات هدى ، ثم لا أرضى بسمى له سمياً ، ولا يسكدحى له  
كدحاً ؛ حتى أهتم بما يصيبه بعد موتى ، وأنا فى حالٍ لا ينالنى بمساءته حزنٌ ،  
ولا بسروره جذل .

ونظر ابن المعتز إلى قوله عليه السلام : « مَنْ سَاعَاها فَاتَتْه ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْه »  
فقال : الدنيا كظلائك ، كلما طلبته زاد منك بعدا .

ونظرتُ إلى قوله عليه السلام : « وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصْرَتَهُ ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا  
أَعْمَتَهُ » ، فقلت :

دُنْيَاكَ مِثْلُ الشَّمْسِ تُدْنِي إِلَيَّ	لَكَ الضُّوءُ لَكِنْ دَعْوَةُ النَّوْكَ
إِنْ أَنْتَ أَبْصَرْتَ إِلَى نُورِهَا	تَمُشُّ ، وَإِنْ تَبَصَّرَ بِهِ تَدْرُكُ



فإن قلت : المسموع : أبصرت زيدا ، ولم يسمع أبصرت إلى زيد ، قلت : يجوز أن يكون قوله عليه السلام : « ومن أبصر إليها » ، أى ومن أبصر متوجها إليها ، كقوله : ﴿ فِي نِيعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾<sup>(١)</sup> ولم يقل « مرصلا » ؛ ويجوز أن يكون أقام ذلك مقام قوله « نظر إليها » لما كان مثله ، كما قالوا في « دخلت البيت » ، « ودخلت إلى البيت » أجزؤه مجزئ « ولجت إلى البيت » لما كان نظيره .



مركز تحقيقات علوم وادب اسلامی



( ٨٢ )

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام ؛ وتسمى بالفراء ؛ وهي من الخطب المعجبة :

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّا بِحَوْلِهِ ، وَدَنَا بِطَوْلِهِ ؛ مَا يَنْجِرُ كُلَّ غَنِيْمَةٍ وَفَضْلٍ ، وَكَاشَفَ كُلَّ عَظِيْمَةٍ وَأَزَلَّ . أُنَحِّدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ ، وَسَوَابِغِ نَعَمِهِ ، وَأَوْمِنُ بِهِ أَوَّلًا بَادِيًا ، وَأُسْتَهْدِيهِ قَرِيْبًا هَادِيًا ، وَأُسْتَعِيْنُهُ قَاهِرًا قَادِرًا ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاقِ أَمْرِهِ ، وَإِنْهَاءِ عَذْرِهِ ، وَتَقْدِيمِ نَذْرِهِ .



السنج :

مركز تحقيقات علوم وادب

الحول : القوة . والعلول : الإفضال ، والمأنح : المعطى . والأزل ، بفتح الهمزة : الضيق والحبس . والمواطن : جمع عاطفة وهي ما يعطفك على الغير ، ويدنيه من معروفك ، والسوابغ : التوامم الكوامل ؛ سبغ الظل ؛ إذا غم وشمل .

« أولاً » هاهنا منصوب على الظرفية ؛ كأنه قال : قبل كل شيء . والأول تفيض الآخر أصله « أوئل » على « أفعل » مهور الوسط ، قلبت الهمزة واواً وأدغم ، بدل على ذلك قولهم : « هذا أول منك » والإتيان بحرف الجر دليل على أنه « أفعل » ، كقولهم : هذا أفضل منك ؛ وجمعه على أوائل وأوال أيضاً على القلب . وقال قوم : أصله « وؤل » على « فؤعل » فقلبوا الواو الأولى همزة ؛ وإنما لم يجمع على « ووال » لاستنقالهم اجتماع الواوين بينهما ألف الجمع .

(١) ب : « أوال » تصحيف



وإذا جعلت « الأول » صفة لم تصرّفه ، تقول : لقيته عاماً أول ، لاجتماع وزن الفعل ، وتقول :  
 ما رأيته مذ عام أول ، كلاهما بغير تنوين ؛ فمن رفع جعله صفة لعام ؛ كأنه قال : أول من  
 عامنا ، ومن نصب جعله كالظرف ، كأنه قال : مذ عام قبل عامنا . فإن قلت : « ابدأ بهذا  
 أول » ، ضمته على الناية .

والإنهاء : الإبلاغ ، أنهيت إليه الخبر فأنهت ؛ أى بلغ ؛ والمعنى أن الله تعالى أعذر  
 إلى خلقه وأنذرهم ؛ فإعذاره إليهم أن عرفهم بالحجج العقلية والسمعية أنهم إن عصوه  
 استحقوا العقاب ؛ فأوضح عذره لهم في عقوبته إياهم على عصيانه . وإنذاره لهم : تخويفه إياهم  
 من عقابه . وقد نظر البحتري إلى معنى قوله عليه السلام : « علا بحوله ، ودنا بطوله » ، فقال :

دَنَوْتُ تَوَاضُعًا وَعَلَوْتُ قَدْرًا فَشَأْنُكَ انْخِفَاضٌ وَارْتِفَاعٌ<sup>(١)</sup>  
 كَذَلِكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أَنْ تُسَامِيَ وَيَذْنُو الثَّوَرُ مِنْهَا وَالشُّعَاعُ

مركز تحقيقات كهندي

وفي هذا الفصل ضروب من البديع ؛ فمنها أن « دنا » في مقابلة « علا » لفظاً ومعنى ؛  
 وكذلك « حوله » و « طوله » .

فإن قلت : لأريب في تقابل « دنا » و « علا » من حيث المعنى واللفظ ؛ وأما « حوله »  
 و « طوله » فإنهما يتناسبان لفظاً ؛ وليسا متقابلين معنى ، لأنهما ليسا ضدّين ، كافي  
 العلوّ والدنوّ .

قلت : بل فيهما معنى التضادّ ، لأن الحول هو القوة ، وهي مشعرة بالسّطوة والقهر ، ومنه  
 منشأ الانتقام ، والطول : الإفضال والتكرم ، وهو نقيض الانتقام والبطش .  
 فإن قلت : أنت وأصحابك لا تقولون إن الله تعالى قادرٌ بقدرة ، وهو عندكم قادر

(١) ديوانه ١ : ٨٢ ، يمدح إبراهيم بن المدير .



لذاته ، فكيف تتأولون قوله عليه السلام : « الذي علّاه بحوله » ؟ أليس في هذا إثبات لقدرة له زائدة على ذاته ، وهذا يخالف مذهبكم !

قلت : إن أصحابنا لا يمتنعون من إطلاق قولهم : إن الله قوة وقدرية وحولا ، وحاش لله أن يذهب ذاهب منهم إلى منع ذلك ! ولستهم يطلقونه ويعنون به حقيقة المرفقية ، وهي كون الله تعالى قويا قادرا ، كما نقول نحن والمخالف : إن الله وجودا وبقاء وقديما ، ولا نمنى بذلك أن وجوده أو بقاءه أو قدمه معان زائدة على نفسه ، لكننا نمنى كلنا بإطلاق هذه الألفاظ عليه كونه موجودا أو باقيا أو قديما ، وهذا هو العرف المستعمل في قول الناس : « لا قوة لي على ذلك » و « لا قدرة لي على فلان » لا يعنون نفي المعنى ، بل يعنون كون الإنسان قادرا قويا على ذلك .

ومنها أن « مانحا » في وزن « كاشف » و « غنية » بإزاء « عظيمة » في اللفظ ، وضدها في المعنى ؛ وكذلك « فضل » و « أزل » .

ومنها أن « عواطف » بإزاء « سوابغ » و « نعمة » بإزاء « كرمه » .  
ومنها وهو اللطف ما يستعمله أرباب هذه الصناعة : أنه جعل « قريبا هاديا » ، مع قوله : « أستهديه » ؛ لأن الدليل القريب منك أجدر بأن يهديك من البعيد النازح ، ولم يجعل مع قوله : « وأستعينه » ؛ وجعل مع الاستعانة « قاهرا قادرا » لأن القادر القاهر يليق أن يستعان ويستعجده به ؛ ولم يجعله قادرا قاهرا مع التوكل عليه ، وجعل مع التوكل « كافيا ناصرا » ؛ لأن الكافي الناصر أهل لأن يتوكل عليه .

وهذه اللطائف والدقائق من معجزاته عليه السلام التي فات بها البلغاء ، وأخرس التصعاع .



## الأصل :

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمْ الْأَمْثَالَ ، وَوَقَّتَ لَكُمْ الْأَجَالَ ،  
وَالْبَسَكُمْ الرِّيشَ ، وَأَرْفَعَ لَكُمْ الْمَاشَ ، وَأَحَاطَ بِكُمْ الْإِحْصَاءَ ، وَأَرْصَدَ لَكُمْ  
الْجَزَاءَ ، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَائِغِ ، وَالرَّقْدِ الرِّوَافِعِ ، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحَجَجِ  
الْبَوَالِغِ ؛ فَأَحْصَاكُمْ عَدَدًا ، وَوَقَّفَ لَكُمْ مُدَدًا ، فِي قَرَارِ خَيْرَةٍ ، وَدَارِ عِبَرَةٍ ، أَنْتُمْ  
مُخْتَبِرُونَ فِيهَا ، وَمُحَاسِبُونَ عَلَيْهَا .

\*\*\*

## الشرح :

وقت وأقت بمعنى ؛ أى جعل الأجل لوقتٍ مقدر .

والريش والريش واحد ؛ وهو اللباس ، قال تعالى : ﴿ بَوَارِي سَوْمَاتِكُمْ وَرِيشًا ﴾ <sup>(١)</sup> .  
وقرىء «وريشًا» ، ويقال : الريش : الخصب والفتى ، ومنه ارتاش فلان ، حسنت حاله ، ويكون  
لفظ « ألبسكم » مجازاً إن فُسِّرَ بذلك .

وأرفع لكم الماش ؛ أى جملة رفيضا ، أى واسعاً مخصباً ؛ يقال : رفغ - بالضم - عيشه  
رفافة ، اتسع ، فهو رافع ورفيع ، وترفع الرجل ، وهو فى رفاغية من العيش ، مخففاً ، مثل  
« رفاغية » و « ثمانية » .

وقوله : « وأحاط بكم الإحصاء » ، يمكن أن ينصب الإحصاء على أنه مصدر فيه  
اللام ، والعامل فيه غير لفظه ، كقوله : « يعجبهُ السُّخُون » ، ثم قال : « حُبًّا <sup>(٢)</sup> » ، وليس

(١) سورة الأعراف ٢٦ .

(٢) أصله قول الراجز ، وأورده صاحب اللسان فى ( سخن ) :

يُعْجِبُهُ السُّخِينُ وَالْمَصِيدُ وَالْتَّمَرُ حُبًّا مَالَهُ مَزِيدُ



دخول اللام بمائع من ذلك ؛ تقول : ضربته الضربة ، كما تقول : ضربته ضرباً . ويجوز أن ينصب بأنه مفعول به ، ويكون ذلك على وجهين :

أحدهما : أن يكون من « حَاطَ » ثلاثياً ، تقول : حاط فلان كرمه ، أى جعل عليه حائطاً ، فكأنه جعل الإحصاء والعدّ كالحائط المدار عليهم ؛ لأنهم لا يبعدون منه ولا يخرجون عنه .  
والثاني : أن يكون من حاط الحار عاتته يحوطها ؛ بالواو أى جمعها ؛ فأدخل الهمزة ؛ كأنه جعل الإحصاء يحوطهم ويحدهم ؛ تقول : ضربتُ زيداً وأضربته أى جعلته ذا ضرب ،  
فلذلك كأنه جعل عليه السلام الإحصاء ذا تحويط عليهم بالاعتبار الأول ، أو جعله ذا جمع لهم بالاعتبار الثاني .

ويمكن فيه وجه آخر ، وهو أن يكون الإحصاء مفعولاً له ويكون في الكلام محذوف تقديره : وأحاط بكم حفظته وملائكته للإحصاء ودخول اللام في المفعول له كثير ، كقوله :  
• وَالْهَوَلُ مِنَ هَوَلِ الْهَوْرِ <sup>(١)</sup> •

قوله : « وأرصد » بمعنى أعدّ ، وفي الحديث : « إلا أن أرصدّه لدين على » .  
وآثركم ، من الإثارة ، وأصله أن تقدم غيرك على نفسك في منعة أنت قادر على الاختصاص بها وهو في هذا الموضع مجاز مستحسن .

والرَفْدُ : جمع رِفْدَةٍ ، مثل كِسرة وكَسَر ، وَفِدْرَةٍ وَفَدَّر . والرَّفْدَةُ والرَّفْدُ واحد ، وهي العطية والصَّلَة وَرَفَدَتْ فلاناً رَفْدًا بالفتح ، والمضارع أَرَفِدُهُ بكسر الفاء ، ويجوز « أَرَفَدْتُهُ » بالهمزة .

والروافغ : الواسعة . والحجيج البوالغ : الظاهرة البينة ، قال سبعمه : ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

(١) للمعاج وقد ورد البيت عرقاً في الأصول ، وصوابه من الديوان ٤٨

(٢) سورة الأنعام ١٤٩ .



ووظف لكم مدداً ، أى قدر ، ومنه وظيفة الطعام .  
 وقرار خيرة بكسر الخاء ، أى دار بلاء واختبار ، تقول : خبرت زيدا أخبره خيرة ،  
 بالضم فيهما ، وخيرة بالكسر إذا بلوته واختبرته ، ومنه قولهم : صغر الخبير الخبر .  
 ودار عيرة أى دار اعتبار وأماظ ، والضمير فى « فيها » و « عليها » ليس واحداً ،  
 فإنه فى « فيها » يرجع إلى الدار ، وفى « عليها » يرجع إلى النعم والرقد ، ويجوز أن يكون  
 الضمير فى « عليها » عائداً إلى الدار على حذف النضاف ، أى على سكانها .

\*\*\*

### الأصل :

فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنَقٌ مَّشْرِئُهَا ، رَدِغٌ مَّشْرِئُهَا ، يُورِنُقُ مَنَظَرُهَا ، وَيُورِبُقُ مَخْبَرُهَا .  
 غُرُورٌ حَائِلٌ ، وَضَوْءٌ آفِلٌ ، وَظِلٌّ زَائِلٌ ، وَسِفَادٌ مَائِلٌ ، حَتَّى إِذَا أُنِيسَ نَافِرُهَا ،  
 وَأَطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا ، قَمَعَتْ بِأَرْجُلِهَا وَقَمَعَتْ بِأَحْبِلِهَا ، وَأَفْصَدَتْ بِأَسْهَمِهَا ، وَأَغْلَقَتْ  
 الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيِّ ، قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ ، وَوَحْشَةَ الْمَرْجِعِ ، وَمُعَابَنَةَ  
 الْمَحَلِّ وَتَوَابِ الْعَمَلِ .

وَكَذَلِكَ أُنْخَلَفَ بِقَبِّ السَّلَفِ ؛ لَا تَقْلِيعُ الْمَنِيَّةِ اخْتِرَامًا ، وَلَا يَرْغَوِى  
 الْبَاقُونَ اجْتِرَامًا ، يَحْتَذِرُونَ مِثَالًا ، وَيَبْغُضُونَ أَرْسَالَ ، إِلَى غَايَةِ الْإِنْهَاءِ ،  
 وَصَيُورِ الْفَنَاءِ .

\*\*\*

### الشرح :

يقال : عيش رنق ، بكسر النون ، أى كدر ، وما رنق بالتسكين ، أى كدر والرنق  
 بفتح النون مصدر قولك : « رنق الماء » بالكسر ورثته أنا ترنيقا ، أى كدرته والرواية



المشهورة في هذا الفصل «رَنَقَ مشربها» بالكسر أقامه مقام قولهم : «عيش رَنَق»، ومن رواء «رَنَقَ مشربها» بالسكون - وهم الأقلون - أجرى اللفظ على حقيقته .

ويقال : مشرع رَدَغ : ذو طين ووحل ، روى «الرَدَّغَةُ» بالتحريك ، ويجوز تسكين الدال ؛ والجمع رِداغ ورَدَغ<sup>(١)</sup> .

ويورنق منظرها : يعجب الناظر ؛ آتقني الشيء أعجبني . ويوبق مخبرها : يهلك ، وبَق الرجلُ يَبِق ويُبوقا ، هلك ؛ والموبق «مَفِيل» منه كالموعد «مَفْعَل» ، من وعد بعد ، ومنه قوله سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴾<sup>(٢)</sup> . وقد جاء وَبِق يَبِق ، بالكسر فيهما ، وهو نادر ، كورث يرث ، وجاء أيضا وبِق يوبق وجًا .

والغُرور ، بضم الغين : ما يفتقر به من متاع الدنيا ، والغُرور ، بالفتح : الشيطان . والحائل : الزائل ، والآفل : الغائب ، أفل غاب بأفل وبأفل أفولا .

والسناد : دِعامَة يُسندُ بها السقف . ونأكرها : فاعل ، من نكرت كذا ، أي أنكرته . وقويست بأرجلها ، قمص الفرس وغيره يقيص ويقمص قمصا وقمصا ، أي استن ؛ وهو أن يرفع يديه ويترحمها معاً ، ويمعن برجليه ، وفي المثل المضروب لمن ذلَّ بعد عزة : « ما لَمِير من قِاص » .

وجمع فقال : « بأرجلها » وإنما للدابة رجلان ، إما لأن المثنى قد يطلق عليه صيغة الجمع ؛ كافي قولهم : امرأة ذات أوراك ومآكم ؛ وهما وركان ، وإما لأنه أجرى اليدين والرجلين مجرى واحد ، فسمها كلهما أرجلا . ومن رواء « بالحاء » فهو جمع رَحَل الناقة . وأقصدت : قتلت مكانها من غير تأخير .

(١) وردع ، كخدم أيضاً . (٢) سورة الكهف ٥٢ .



والأوهاق : جمع وَهَقَ بالتحريك ، وهو الحبل ، وقد يسكن مثل نَهْرٍ وَهَرٍ . وأعلقتُ  
المرء الأوهاق : جعلت الأوهاق عالقاً به . وألضكت : الضيق .

والمضجع : المصدر أو المكان ، والفعل ضَجَعَ الرجل جنبه بالأرض ، بالفتح ، يضجع  
ضجوعاً وضجماً ، فهو ضاجع ؛ ومثله أضجع .

والمرجع : مصدر رَجَعَ ، ومنه ؛ قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ ﴾ ؛ <sup>(١)</sup> وهو  
شاذ ، لأن المصادر من فَعَلَ بفعل بكسر العين ؛ إنما يكون بالفتح .

قوله : « ومعابنة المحل » ، أى الموضع الذى يحلُّ به المكافء بعد الموت ؛ ولا بد لكل  
مكلف أن يعلم عقيب الموت مصيره ؛ إما إلى جنة وإما إلى نار .

وقوله : « ثواب العمل » يريد جزاء العمل ، ومراده الجزاء الأعم الشامل للسعادة  
والشقاوة ، لا الجزاء الأخص الذى هو جزاء الطاعة ، وسمى الأعم ثواباً على أصل الحقيقة  
اللغوية ؛ لأن الثواب فى اللغة الجزاء ؛ يقال : قد أناب فلان الشاعر لقصيدة كذا ، أى جازاه

وقوله : « وكذلك الخلف بعقب السلف » الخلف للتأخرون ، والسلف المتقدمون ؛  
وعقب هاهنا بالتسكين ؛ وهو بمعنى بَعْدَ ، جئت بعقب فلان أى بعده ، وأصله جَرَى الفرس  
بعد جَرِيه ، يقال : لهذا الفرس عقب حسن . وقال ابن السكيت : يقال : جئت فى عقب شهر  
كذا ، بالضم ، إذا جئت بعد ما يعصى كله ، وجئت فى عقب ، بكسر القاف إذا جئت وقد  
بقيت منه بقية . وقد روى : « يعقب السلف » ، أى يتبع .

وقوله : « لا تطلع للنية » ، أى لا تكف ، والاخترام : إذهاب الأنفس واستئصالها .



وارعوى : كفت عن الأمر وأمسك ، وأصل فعله الماضى رَعَى برعى ، أى كفت عن الأمر ، وفلان حسن الرُّعْوة والرُّعْوة والرُّعْوة والرُّعْوى والارعواء . والاجترام ، افتعال من الجرَم ، وهو الذنب ، ومثله الجريمة ، يقال : جَرَمَ وأجرَمَ بمعنى .  
قوله : « يَحْتَذِرُونَ مَثَلًا » أى يَحْتَذِرُونَ ، وأصله من « حَذَرْتُ النَّمْلَ بِالنَّمْلِ حَذَرًا » ، إذا قَدَّرْتُ كُلَّ وَاحِدَةٍ عَلَى صَاحِبِهَا .

قوله : « وَيَمْضُونَ أَرْسَالًا » ، بفتح الهمزة ، جمع رَسَلَ ، بفتح السين ، وهو القطيع من الإبل أو الغنم ، يقال : جاءت الخيل أرسالاً ، أى قطيعاً قطيعاً .



وصيور الأمر : آخره وما يؤول إليه .

مركز تحقيقات علوم و فرهنگ اسلامی

الأصل :

حَقٌّ إِذَا تَصَرَّعَتِ الْأُمُورُ ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ ، وَأَزِفَ النُّشُورُ ، أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَايِخِ الْقُبُورِ ، وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ ، وَأَوْجِرَةِ السَّبَاجِ ، وَمَطَارِيحِ التَّهَالِكِ ؛ سِرَاعًا إِلَى أَمْرِهِ ، مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ رَعِيلًا صُمُوتًا ، قِيَامًا صُفُوفًا ، يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي ؛ عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الْإِسْتِسْكَانَةِ ، وَضُرْعُ الْإِسْتِسْلَامِ وَالذَّلَّةِ . قَدْ ضَلَّتِ الْخَيْلُ ، وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ ، وَهَوَتْ الْأَفْنِدَةُ كَاظِمَةً ، وَخَشَمَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيِّمَةً ، وَالْجَمَّ الْمَرَقُ ، وَعَظُمَ الشَّقَقُ ، وَأَرْعَدَتِ الْأَسْمَاعُ ، لَزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخُطَابِ وَمُقَابَضَةِ الْجَزَاءِ ، وَنَسْكَالِ الْمِقَابِ ، وَنَوَالِ الثَّوَابِ .



## الْبَرْخُ

نصرت الأمور: تقطعت، ومثله «تقضت الدهور». وأزف: قُرب ودنا، بأزف أزفاً؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ﴾ <sup>(١)</sup> أى القيامة، الفاعل «أزف».

والضرائح: جمع ضريح وهو الشق في وسط القبر. ولأخذ: ما كان في جانب القبر، وضربت ضريحاً، إذا حفرت الضريح.

والأوكار: جمع وكر يفتح الواو، وهو عش الطائر، وجمع السكرة وكور، وكر الطائر يكر وكرأ، أى دخل وكره، والوكن بالفتح مثل الوكر، أى العش.

وأوجرة السباع: جمع وجر بكسر الواو، ويجوز فتحها، وهو بيت السبع والضبع ونحوها.

مطمعين: مسرعين. والرعييل: القطعة من الخيل.

قوله عليه السلام: «ينفذهم البصر ويبصرون» أى هم مع كثرتهم لا يخفى منهم أحد عن إدراك الباري سبحانه، وهم مع هذه الكثرة أيضاً لا يبق منهم أحد إلا إذا دعا داعي الموت سمع دعاءه ونداءه.

واللبوس، بفتح اللام: ما يلبس، قال:

البَسَ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُؤْسَهَا <sup>(٢)</sup>

ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾ <sup>(٣)</sup> بمعنى الدروع.

والاستكانة: الخضوع. والضرع: الخشوع والضعف، ضرع الرجل يضرع، وأضرعه غيره. وكأظمت: ساكتة، كظم يكظم كظوماً أى سكت، وقوم كظم أى ساكتون.

(١) سورة النجم ٥٧.

(٢) أنشده ابن الكيث ليهس الفزارى، في خبر ذكره صاحب اللسان في ٨ : ٨٧.

(٣) سورة الأنبياء ٨١.



ومهمبة: ذات هيئمة، وهى الصوت الخفى . وألجم العرق: صار لجاما، وفى الحديث: «إن العرق ليَجْرِى منهم حتى إن منهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ صدره، ومنهم من يبلغ عنقه، ومنهم من يُلجمه، وهم أعظمهم مشقة» .

وقال لى فائل: ما أرى لقوله عليه السلام: «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»، كثير فائدة، لأن طول العنق جدا ليس مما يرغب فى مثله، قد ذكرت له الخبر الوارد فى العرق وقلت: إذا كان الإنسان شديد طول العنق كان عن إجمام العرق أبعد، فظهرت فائدة الخبر. وروى «وأتجم العرق»، أى كثر ودام .

والشَّقَق والشَّققة، بمعنى، وهو الاسم من الإشفاق، وهو الخوف والحذر، قال الشاعر:

هَوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْنَهَا شَفَقًا      ولَوْتُ أَكْرَمَ نَزَالٍ عَلَى الْحَرَمِ<sup>(١)</sup>

وأرعدت الأسماع: عرتها الرعدة . وزبرة الداعى: صدته، ولا يقال الصوت زبرة إلا إذا خالطه زجر وانتهار، زبرته أزبره، بالضم .

وقوله: «إلى فصل الخطاب»، إلى هاهنا يعلق بالداعى . وفصل الخطاب: بت الحكومة التى بين الله وبين عباده فى الموقف، رزقنا الله المسامحة فيها عنه! وإنما خص الأسماع بالرعدة، لأنها تحدث من صوت الملك الذى يدعو الناس إلى محاسبته .

والمقايضة: للمعاوضة، قابضت زيدا بالمنازع، وهما قِيَضَان، كما قالوا: بَيَّعَان .

فإن قلت: كيف يصح ما ذكره المسلمون من حشر الأجساد وكيف يمكن ما أشار إليه عليه السلام من جمع الأجزاء البدنية من أوكار الطيور وأوجرة السباع، ومعلوم أنه قد يأكل الإنسان سبع، ويأكل ذلك السبع إنسان آخر، ويأكل هذا الإنسان طائر، ثم يأكل الطائر إنسان آخر، والمأكول يصير أجزاء من أجزاء بدن الآكل، فإذا حشرت

(١) لإسحاق بن خلف، من أبيات له فى ديوان الحماسة - بشرح التبريزى ١: ٢٢٥ .



الحيوانات كلها على ما تزعم المعتزلة ، فذلك الأجزاء المفروضة ، إما أن تحشر أجزاء من بنية الإنسان ، أو بنية السبع ، أو منها معا ، فإن كان الأول وجب ألا يحشر السبع ، وإن كان الثاني وجب ألا يحشر الإنسان ، والثالث محال عقلا ، لأن الجزء الواحد لا يكون في موضعين .

قلت : إن في بدن كل إنسان وكل حيوان أجزاء أصلية وأجزاء زائدة ، فالأجزاء الزائدة يمكن أن تصير أجزاء بدن حيوان إذا اغتذى بها ، والأجزاء الأصلية لا يمكن ذلك فيها ، بل يحرمها الله تعالى من الاستحالة والتغيير ، وإذا كان كذلك ، أمكن الحشر بأن تعاد الأجزاء الأصلية إلى موضعها الأول ، ولا فساد في استحالة الأجزاء الزائدة ، لأنه لا يجب حشرها ، لأنها ليست أصل بنية المكلف ، فاندفع الإشكال . وأما من يقول بالنفس الناطقة من أهل الملة ، فلا يلزمه الجواب عن السؤال ، لأنه يقول : إن النفس إذا أزيف يوم القيامة ، خلقت لها أبدان غير الأبدان الأولى ، لأن المكلف المطيع والعاصي المستحق للثواب والعقاب عندهم ، هو النفس ، وأما البدن فآلة لما لتعمله استعمال الكاتب للقلم ، والنجار للفأس .

\*\*\*

### الأصل

عِبَادَ مَخْلُوقُونَ أَفْتِدَارًا ، وَمَرَبُوبُونَ أَفْتِسَارًا ، وَمَقْبُوضُونَ أَحْتِضَارًا ، وَمُصَمَّنُونَ أَجْدَاتًا ؛ وَكَائِنُونَ رُقَاتًا ، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَادًا ، وَمَدِينُونَ جَزَاءً ، وَمُمَيِّزُونَ حِسَابًا . قَدْ أَهْمَلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ ، وَهَدُّوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ ، وَعَمَرُوا مَهْلَ الْمُتَعَتَبِ ، وَكَشَفَتْ عَنْهُمْ سُدْفُ الرُّيْبِ ، وَخَلُّوا لِيَضْمَارِ الْجِيَادِ ، وَرَوِيَّةِ الْإِرْتِيَادِ ، وَأَنَاءِ الْمُقْتَبَسِ الْمُرْتَادِ ، فِي مَدَّةِ الْأَجَلِ ، وَمُضْطَرَبِ اللَّهْلِ .

\*\*\*



## الشيخ :

مربوبون : مملوكون . والاقنصار : الغلبة والقهر .

والاحتضار : حضور الملائكة عند الميت ؛ وهو حينئذ محتضر ، وكانت العرب تقول :  
لبن محتضر : أى فاسد ذو آفة ؛ يمتنون أن الجن حضرته ؛ يقال : الابن محتضر ففطاً إناؤه .  
والأجداث : جمع جدث ، وهو القبر ؛ واجتدث الرجل ؛ اتخذ جدثاً ، ويقال :  
« جدف » بالفاء .

والرثفات : الحطام ؛ تقول منه رَفَتَ الشيء فهو مرفوت .

ومدينون ، أى مجزيون . والذنين : الجزاء ؛ ومنه ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ <sup>(١)</sup> .  
وميمزون حساباً ، من قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا زُورَ الْيَوْمِ أَهْلًا الْمَجْرُمُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ومن قوله  
تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ <sup>(٣)</sup> ؛ كأن قوله : « وميمزون أفراداً » ، مأخوذ من قوله تعالى :  
﴿ وَأَقْبَدُ جِثْمُونَاً فَرَادًى ﴾ <sup>(٤)</sup> وأصل التمييز على الفصل والتبيين .  
قوله : « قد أمهلوا فى طلب المخرج » ، أى أنظروا ليفيثوا إلى الطاعة ويخلصوا التوبة ،  
لأن إخلاص التوبة هو المخرج الذى من سلكه خرج من رِبْقَةِ المعصية . ومثله قوله : « وهُدُوا  
سبيل للنهج » ، والنهج : الطريق الواضح .

والمستعتب : المسترضى ؛ استعبت زيدا إذا استرضيته عتق ؛ فأنا مستعتب له ، وهو  
مستعتب . وأعتبى ، أى أَرْضَانِي ، وإنما ضرب المثل بهل المستعتب ، لأن مَنْ يُطْلَبُ رِضَاهُ  
فى مجرى العادة لا يُرْهَقُ بالتماس الرضا منه ؛ وإنما يمهل ليرضى بقلبه لا بلسانه .

والشدف : جمع سُدفَة ؛ هى القطعة من الليل المظلم ، هذا فى لغة أهل نجد ؛ وأما غيرهم

(١) سورة الفاتحة ٣

(٢) سورة يس ٥٩

(٣) سورة الواقعة ٧

(٤) سورة الأنعام ٩٤



فيجعل السدفة الضوء ، وهذا اللفظ من الأضداد، وكذلك السدف، بفتح السين والهمزة. وقد قيل : السدفة: اختلاط الضوء والظلمة كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسقار، والسدف: الصبح وإقباله ، وأسدف الليل ، أعظم ؛ وأسدف الصبح أضواء ، يقال : أسدف الباب ، أى افتحه حتى يضيء البيت ؛ وفي لغة هوازن «أسدفوا» ؛ أى أسرجوا، من السراج. والربيب : الشبهة ، جمع ريبية .

والضمار : الموضع الذى تضمّر فيه الخليل ، والمضمار أيضا المدة التى تضمّر فيها . والتصمير : أن تعلّف الفرس حتى يستنّ ثم تردّه إلى قوته الأولى ؛ وذلك فى أربعين يوماً ، وقد يطلق التضمير على نقيض ذلك ؛ وهو التجويع حتى يهزل ويخفّ لحمه. ضمّر الفرس بالفتح، يضمّر بالضم، ضمورا، وجاء «ضمّر الفرس» بالضم، وأضمّرتة أنا، وضمّرتة فاضطر هو، ولؤلؤ مضطر : فى وسطه بعض الانضمام. رَجُلٌ لطيف الجسم ، ضمير البطن، وناقاة ضامر وضامرة أيضا . يقول : مكّتهم الحكيم سبحانه وخلاّم وأعمالهم ، كما تمكّن الخليل التى تستبق فى المضمار ليعلم أيّها سبق .

والروية : الفكرة، والارتياذ: الطلب، ارتاد فلان الكلا يرتاده ارتيادا : طلبه، ومثله راد الكلا يروده رَوْدًا وريادًا ؛ وفى الحديث : « إذا بال أحدكم فليرتد لبوله »، أى فليطلب مكانا لينا أو منحدرًا ، والرائد: الذى يرسله القوم فى طلب الكلا ؛ وفى المثل : « الرائد لا يكذب أهله » . والأناء : القوذة والانتظار ، مثل القناة .

وتأتى فى الأمر: ترفق، واستأنى فلان بفلان، أى انتظر به، وجاء الأناة ، بالفتح والمد، على « فَمَالٌ » قال الخطيبه :

وَأَكْرَبْتُ الْمَشَاءَ إِلَى سُهَيْلٍ أَوْ الشُّعْرَى فَطَالَ لِي الْأَنَاءُ<sup>(١)</sup>

والمقتبس : متعلّم العلم هاهنا، ولا بدّ له من أناء ومهل ليبلغ حاجته، فضرب مثلا، وجاء



في بعض الروايات: « ومقبوضون اختصاراً » بالخاء المعجمة؛ وهو موت الشاب غصاً أخضر، أي مات شاباً، وكان فتيان يقولون لشيخ: أجززت يا أبا فلان، فيقول: أي بني، ومختضرون! أجز الحشيش: أن أن يجر، ومنه قيل للشيخ كاد يموت: قد أجز، والرواية الأولى أحسن، لأنها أعم.

وفي رواية « لمضمار الخيار »، أي للمضمار الذي يستبق فيه الأبرار الأتقياء إلى رضوان الله سبحانه.

\*\*\*

### الأصل:

فِيَالهَا أُمْتَالًا صَائِبَةً ، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً ، تَوَصَّدَفَتْ قُلُوبًا زَاكِيَةً ، وَأَسْمَاعًا وَاعِيَةً ، وَآرَاءَ عَازِمَةٍ ، وَأَلْبَابًا حَازِمَةٍ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ تَغِيَةً مَنْ تَمِيعَ فَخْشَعٍ ، وَأَقْتَرَفَ فَاغْتَرَفَ ، وَوَجِلَ فَعَمِلَ ، وَحَازَرَ فَبَادَرَ ، وَأَيَقَنَ فَأَحْسَنَ ، وَعُجِّرَ فَاغْتَبَرَ ، وَحَذَرَ فَحَذِرَ ، وَزَجَرَ فَازْدَجَرَ ، وَأَجَابَ فَأَنَابَ ، وَرَاجَعَ فَتَابَ ، وَأَقْنَدَى فَاخْتَدَى ، وَأَرَى فَرَأَى ، فَأَسْرَعَ طَالِبًا ، وَتَجَا هَارِبًا ؛ فَأَفَادَ ذَخِيرَةً ، وَأَطَابَ سَرِيرَةً ، وَعَمَّرَ مَعَادًا ، وَاسْتَظْهَرَ زَادًا ، لِيَوْمِ رَحِيلِهِ ، وَوَجَّهَ مَبِيلِهِ ، وَحَالَ حَاجَتِهِ ، وَمَوْطِنَ طَاقَتِهِ ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ .

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةً مَا خَلَقَكُمْ لَهُ ، وَأَحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّوَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ ، وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ .

\*\*\*

### الشرح:

صائبة: غير عادلة عن الصواب، صاب السهم بصوب صوبته، أي قصد ولم يجر،



وصاب السهمُ القرطاسَ يَصِيبُهُ صَبِيْلًا في «أصابه»، وفي المثل : مع الخواطيء سهم صائب .  
وشافية : تَبْرِيءُ من مرض الجهل والهوَى . والقلوب الزاكية : الطاهرة ، والأسماع الواعية :  
الحافظة . والآراء العازمة : ذات المزم . والألباب : العقول ، والحازمة : ذات الحزم ،  
والحزم : ضبط الرجل أمره .

وخشع الرجل ، أى خضع . واقتَرَف : اكتسب ، ومثله قَرَف يَقْرِفُ بالكسر ، يقال :  
هو يَقْرِفُ لِمَالِهِ ، أى يكسب .

ووجِل الرجل خاف ، وَجَلًا ، بفتح الجيم ، ومستقبله يُوَجَّل ويَجَل ويبيجَل ،  
بكسر الياء المضارعة .

وبادر : سارع . وعَبَّر : أى أَرى العَبْرَ مرارا كثيرة ، لأنَّ التشديد هاهنا دليل التكرير .  
فاعتبر ، أى فانتَظ . والزَّجْر : النهي والمنع ، زَجَرَ أى منع ، وازدجر مطاوع ازدجر ؛ اللفظ  
فيهما واحد ، تقول : ازدجرت زيدا عن كذا فازدجر هو ، وهذا غريب ؛ وإنما جاء مطاوع  
ازدجر في «زجر» لأنهما كالشي الواحد ؛ وفي بعض الروايات «ازدجر فازدجر» ، فلا يحتاج مع  
هذه الرواية إلى تأويل .

وأَناب الرجل إلى الله ، أى أقبل وتاب . واتقَى يزيد ؛ فعل مثله فعله ،  
واحتذى مثله .

قوله عليه السلام : « فأفاد ذخيرة » ، أى فاستفاد ؛ وهو من الأضداد ، أفدت المال زيدا  
أعطيته إياه ؛ وأفدت أنا مالا ؛ أى استفدته واكتسبته .

قوله عليه السلام : « فاتقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له » . نصب «جهة» بفعل مقدر ، تقديره :  
«واقصدوا جهة ما خلقكم له» بمعنى العبادة ، لأنه تعالى قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ  
إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ <sup>(١)</sup> . فحذف الفعل ، واستغنى عنه بقوله : « فاتقوا الله » لأنَّ التقوى



ملازمة لقصد المكلف العبادة ، فدلّت عليه واستغنى بها عن إظهاره .

والسكنة : الغاية والنهاية ؛ تقول : أعرفه كنهه المعرفة ؛ أى نهايتها .

ثم قال عليه السلام : « واستحقوا منه ما أعدّ لكم » ، أى اجملوا أنفسكم مستحقين لثوابه الذى أعدّه لكم إن أطعتم .

والباء فى « بالتعجّز » متعلق بـ « استحقوا » ويقال : فلان يتعجّز الحاجة ، أى

يستنجعها ويطلب تعجلها ، والناجز : العاجل ؛ يقال : « ناجزاً بناجز » ؛ كفولت :

« بدأ بيد » أى تمجيلاً بتمجيل ؛ والتعجّز من المكلفين بصدق ميماد القديم سبحانه ؛

وهو مواظبتهم على فعل الواجب ، وتجنّب القبيح . و « والحذر » مجرور بالمعطف على

« التعجّز » ؛ لا على « الصديق » ؛ لأنه لا معنى له .



مرکز تحقیقات فقهی و حقوقی اسلامی

الأصل :

ومنها :

جَعَلَ لَكُمْ أَنْعَامًا لِتَمِيزَ مَعْنَاهَا ، وَأَبْصَارًا لِيَتَجَلَّوْا عَنْ عَشَاهَا ، وَأَشْلَاءَ جَامِعَةً  
لِأَغْضَائِهَا ، مُلَائِمَةً لِأَخْنَائِهَا ، فِي تَرْكِيبِ صُورِهَا ؛ وَمُدَدٍ عُمْرِهَا ، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ  
بِأَرْفَاقِهَا ، وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا ، فِي مَجَالَلَاتٍ نَعِيمَةٍ ، وَمَوْجِبَاتٍ مَنَنِهِ ،  
وَحَوَاجِزٍ عَافِيَتِهِ .

وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَارًا اسْتَرَهَا عَنْكُمْ ، وَخَلَفَ لَكُمْ عِبَرًا مِنْ آثَارِ الْمَاضِيْنَ قَبْلَكُمْ ،  
مِنْ مُسْتَمْتَعٍ خَلَقَهُمْ ، وَمُسْتَفْسَحٍ خَنَاقِهِمْ . أَرْهَقَتْهُمْ الْمَنَآيَا دُونَ الْآمَالِ ، وَشَدَّ بِهِمْ  
عَنْهَا تَحْرِيْمُ الْآجَالِ ، لَمْ يَمْتَدُّوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ ، وَلَمْ يَتَعَبَّرُوا فِي أَنْفِ الْأَوَانِ .

\*\*\*



## البشرخ :

قوله : « لتعى ما عشاها » ، أى لتحفظ وتفهم ما أهمتها ؛ ومنه الأثر للرفوع : « من  
حُسِنَ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .  
ولتجלו ، أى لتكشف .

وعن ها هنا زائدة ؛ ويجوز أن تكون بمعنى « بَعْدَ » كما قال :  
• لَقِيتُ حَرْبُ وَاثِلٍ عَنْ حِيَالٍ <sup>(١)</sup> •

أى بعد حِيَال ، فيكون قد حذف المفعول ، وحذفه جائز ، لأنه فُضِّلَ ؛ ويكون  
التقدير : لتجلو الأذى بعد عشاها ، والمشا ، مقصور : مصدر عَشَى ، بكسر الشين ،  
يَعْشَى ؛ فهو عَشٍ ، إذا أبصر نهاراً ولم يبصر ليلاً .  
والأشلاء : جمع شَلَو ، وهو المصو .

فإن قلت : فأى معنى فى قوله : أعضاء تجمع أعضاءها ؟ وكيف يجمع  
الشيء نفسه ؟ قلت : أراد عليه السلام بالأشلاء ها هنا الأعضاء الظاهرة ، وبالأعضاء الجوارح  
الباطنة ؛ ولا ريب أن الأعضاء الظاهرة تجمع الأعضاء الباطنة وتضمها . والملائمة :  
الموافقة . والأحشاء : الجوانب والجهات . ووجه الموافقة والملائمة أن كون اليد فى الجانب  
أولى من كونها فى الرأس أو فى أسفل القدم ؛ لأنها إذا كانت فى الجانب كان البطش  
وتناول ما يراد ودفع ما يؤذى أسهل ؛ وكذلك القول فى جعل العين فى الموضع الذى  
جعلت به ، لأنها كدَيْدَبَانِ السفينة البحرية ، ولو جعلت فى أمّ الرأس لم ينفع بها هذا  
الحذ من الانتفاع الآن ؛ وإذا تأملت سائر أدوات الجسد وأعضائه وجدتها كذلك .

(١) لعارت بن عباد ؟ وأوله :

• قَرَّبَا مَرْبُطَ النِّعَمَةِ مِنِّي •



ثم قال: «في تركيب صورها»، كأنه قال: مركبة أو مصورة، فأتى بلفظة «في» كاتقول: ركب بسلاحه وفي سلاحه، أي منسلحاً.

وقوله: «بأزاقها»، أي بمنافعها جمع رفق، بكسر الراء، مثل رجل وأحبال، وأرقت فلاناً، أي نفقته، والرفق من الأمر: ما ارتفعت به واشتغمت، ويروى: «بأزاقها»، والرفق: بقية الروح.

ورائدة: طالبة. ومجملات النعم، مجمل الناس، أي نعمهم؛ من قولهم: «عقاب مجمل» أي يطبق الأرض، وهذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، كقولك: أنا في سابع ظلك وعميم فضلك، كأنه قال: في نعمه المجملّة؛ وكذلك القول في موجبات منته، أي في منته التي توجب الشكر.

وفيها هنا متعلقة بمحذوف، والموضع نصب على الحال.

ثم قال: «وحواجز عافيته»، الحواجز: اللوائح، أي في عافية تعجز وتمنع عنكم المضار. ويروى «وحواجز بليّته»، وقد فسر قوله: «حواجز عافيته»؛ على أن يراد به ما يحجز العافية ويمنعها عن الزوال والعدم.

قوله عليه السلام: «من مستمتع بخلاقهم»، الخلاق: النصيب؛ قال تعالى: ﴿وَمَالَهُ فِي الْأَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَائِقِكُمْ كَمَا أَسْتَمْتَعُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَائِقِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وتقدير الكلام: خلف لكم عبراً من القرون السابقة، منها تمنعهم بنصيبهم من الدنيا ثم فناؤهم، ومنها فسحة خناقهم<sup>(٣)</sup> وطول إسهالهم، ثم كانت طاقبتهم الملّكة.

وأرهمتهم النايا: أدركتهم مسرعة.

(٢) سورة التوبة ٦٩

(١) سورة البقرة ٢٠٠

(٣) الخناق، بالفتح: حبل يحنق به.



والمرق : الذى أدرك ليقتل . وشذبهم عنها : قطعهم وفرقهم ؛ من تشذيب الشجرة ؛ وهو تقشيرها .

ونخرمت زيدا المنية : استأصلته واقطعته .

ثم قال : « لم يهدوا فى سلامة الأبدان » ، أى لم يهدوا لأنفسهم ؛ من تهديد الأمور وهو تسويتها وإصلاحها .

وانف الأوان : أوله ، يقال : روضة أنف لم ترع قبل ، وكأس أنف : لم يشرب بها قبل .

\*\*\*



الأصل :

فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَايَةِ الشَّيَابِ إِلَّا حَوَائِيَّ الْهَرَمِ ، وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصُّحَّةِ  
إِلَّا نَوَازِلَ السَّعْمِ ، وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةَ الْفَنَاءِ ، مَعَ قُرْبِ الزَّيَالِ ، وَأَزُوفِ  
الْإِنْقَالِ ، وَعَلَزِ الْقَلْقِ ، وَالْمِ التَّمَضُّضِ ، وَعُصَصِ الْجَرَضِ ، وَتَلَفَّتِ الْإِسْتِغَاثَةُ بِنُصْرَةِ  
الْحَفْدَةِ وَالْأَقْرِبَاءِ ، وَالْأَعِزَّةِ وَالْقُرُنَاءِ ، فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ ، أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ ،  
وَقَدْ غَوِىَ فِي سَحَابَةِ الْأَمْوَاتِ رَهِينًا ، وَفِي ضَيْقِ الْمَضْجَعِ وَحِيدًا ، قَدْ هَمَّتْ أَلْهُوَامُ  
جِلْدَتِهِ ، وَأَبْلَتِ النَّوَاحِيكُ جِدَّتَهُ ، وَعَفَّتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ ، وَحَا الْخَدَّانُ مَعَالِمَهُ ،  
وَصَارَتِ الْأَجْسَادُ شَجَبَةً بَعْدَ بَضْيِهَا ، وَالْعِظَامُ نَخْرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا ، وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً  
بِثَقْلِ أَعْيَانِهَا ، مُوقِنَةً بِفَيْبِ أَنْبِيَائِهَا ، لَا تُسْتَرَادُّ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا ، وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ  
سَيِّئِ زَلِيلِهَا .

\*\*\*



## البِنْجُ :

البَضَاضة : مصدر ، من بَضَضْتُ يَـبْضِضُ ، بالفتح والكسر بَضَاضةً وبَضُوضَةً ،  
ورجل بَضْ ، أى ممتلئ البدن رقيق الجلد ، وامرأة بَضَّة .

وحوانى الهرم : جمع حانية ؛ وهى العلة التى تَحْنِي شِطَاطُ<sup>(١)</sup> الجسد ، وتميله عن  
الاستقامة .

والهرَم : الكِبَر . والفضارة : طيب العيش ، ومنه المثل : أباد الله غصراءهم ، أى  
خيرهم وخيضمهم .

وآونة القناء جمع أَوَان ؛ وهو الحَيْن ، كزمان وأزمنة ، وفلان يصنع ذلك الأمر  
آونة كقولك : تارات ، أى يصنعه مراراً ويُدَّعِه مراراً .

والزَّيَال : مصدر زايله مزايلاً وزيالاً ، أى فارقه  
والأزوف : مصدر أَرِف ، أى دنا .

والعَلَز : قلق وخِفة وهلع يصيب الإنسان ، وقد عَلَزَ بالكسر ، وبات عَلِزاً ،  
أى وجعا قلقا . والمَضَض : الوجع ، أَمْضَيْ الجرح وَمَضْنَى ؛ لغتان ، وقد مَضِضْتُ  
يارجل ، بالكسر .

والفُصَص : جمع غُصَّة ، وهى الشجرا ، والفَصَص بالفتح : مصدر قولك غَصِصْتُ  
يارجل تَفَصَّ بالطعام ، فأنت غاصٌّ وغَصَّان ، وأغصصته أنا .

والجَرِيض : الرقيق بفس به ؛ جَرَضَ بريقه بالفتح ، يَجْرِض بالكسر ، مثل كَسَر  
بكسير ؛ وهو أن يبلغ ريقه على همٍ وحزن بالجهد . والجريض : الفُصَّة ، وفى المثل : « حال

(١) الشطاط ، بالفتح والكسر : العلول واعتدال القوام .



الجربىض دون القربىض « ؛ وفلان يجربض بنفسه إذا كان يموت ، وأجرضه الله بريقه أغصه .

والحفدة : الأعوان والخدم ، وقيل : ولد الولد ، واحدهم حافد ؛ والباء في « بنصرة الحفدة » متعلق بالاستعانة ؛ يقول : إن الميت عند نزول الأمر به بقلقت مستغيثا بنصرة أهله وولده ، أى يستنصر يستصرخ بهم .

والنواحب : جمع ناحية ، وهى الرافعة صوتها بالبكاء ، ويروى : « النوادب » .  
والهوام : جمع هامة ؛ وهى ما يخاف ضرره من الأحاش ؛ كالعقارب والمناكب ونحوها  
والنواهلك : جمع ناهكة وهى ما ينهك البدن ، أى يبليه .

وعقت : درست ، ويروى بالتشديد . وشعبة : هالكة ، والشعب : الهلاك ،  
شعب الرجل بالكسر ، يشعب ، وجاء شعب ، بالفتح يشعب بالضم ؛ أى هلك ؛  
وشعبه الله يشعبه ، يتعدى ولا يتعدى .  
وتخيرة : بالية . والأغباء : الأتقال ، واحدها عبء .

وقال : « موقنة بغيب أنبائها » ، لأن الميت يعلم بعد موته ما يصير إليه حاله من جنة أو نار .

ثم قال : إنها لا تكلف بعد ذلك زيادة فى العمل الصالح ، ولا يطلب منها التوبة من العمل القبيح ؛ لأن التكليف قد بطل .

\*\*\*

الأصل :

أولستم أبناء القويم والآباء ، وإخوانهم والأقرباء ، تحقدون أميكتهم ،  
وتركبون قديتهم وتطشون جادتهم ؛ فالقلوب قاسية عن حظها ، لاهية عن رُشدِها ،



سَالِكَةً فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا ، كَأَنَّ اللَّعْنَةَ سِوَاهَا ، وَكَأَنَّ الرَّشْدَ فِي إِخْرَازِ دُنْيَاهَا .

\*\*\*

## الْبِنْجُ :

القِدَّةُ ، بالذال المهملة وبكسر القاف : الطريقة ، ويقال لكل فرقة من الناس إذا كانت ذات هوى على حدة : قِدَّة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴾ <sup>(١)</sup> ، ومن رواه : « ويركبون قِدَّتَهُمْ » بالذال المعجمة . وضم القاف أراد الواحدة من قِدْدِ السهم ؛ وهي ريشه ، يقال : حذو القِدَّة بالقِدَّة ، ويكون معنى : « وتركبون قِدَّتَهُمْ » ؛ تقتفون آثارهم وتشابهون بهم في أفعالهم .

ثم قال : وتطئون جادتهم ؛ وهذه لفظة فصيحة جداً .

ثم ذكر قساوة القلوب وضلالها عن رشدها ، وقال : « كَأَنَّ اللَّعْنَةَ سِوَاهَا » ؛ هذا مثل قول النبي صلى الله عليه وآله : « كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كَيْتَبُ ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجِب » .

\*\*\*

## الأصل :

وَأَعْلَمُوا أَنَّ حِجَازَ كُمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَمَزَالِي دَسْخِصِهِ ، وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ ، وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ؛ نَقِيَّةَ ذِي لُبٍ شَمَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ ، وَأَنْصَبَ الْخُلُوفُ بَدَنَهُ ، وَأَشْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ ، وَأَعْظَمَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ ، وَخَلَّفَ الرَّهْدُ شَهَوَاتِهِ ،



وَأَوْجَفَ الذُّكْرُ بِلِسَانِهِ ، وَقَدَّمَ الْخُوفَ لِأَمَانِهِ ، وَتَنَسَّكَبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ  
السَّبِيلِ ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ السَّالِكِ إِلَى التَّهْنِجِ الْمَطْلُوبِ ؛ وَلَمْ تَغْفِلْهُ فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ ، وَلَمْ  
تَنْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ ؛ ظَافِرًا بِفَرَحَةِ الْبُشْرَى ، وَرَاحَةً النُّعْمَى ، فِي أَنْعَمِ نَوَافِدِ  
وَأَمَنِ يَوْمِهِ .

قَدْ عَبَّرَ مَعْبَرَةَ الْعَاجِلَةِ حَيِّدًا ، وَقَدَّمَ زَادَ الْآجِلَةِ سَعِيدًا ، وَبَادَرَ عَنْ وَجَلٍ ،  
وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ ، وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ ، وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ ، وَرُبَّمَا  
نَظَرَ قَدَمًا أَمَامَهُ .

فَكُنِّي بِالْجَنَّةِ ثَوَابًا وَنَوَالًا ، وَكُنِّي بِالنَّارِ عِقَابًا وَوَبَالًا ا وَكُنِّي بِاللَّهِ مُنْتَقِمًا  
وَنَصِيرًا ا وَكُنِّي بِالْكِتَابِ حَاجِبًا وَخَصِيمًا ا



مركز تحفة تكملة تكملة تكملة

### البُشْرَى :

وقال أصحابنا رحمهم الله تعالى : الصراط الوارد ذكره في الكتاب العزيز ؛ هو الطريق  
لأهل الجنة إلى الجنة ، ولأهل النار إلى النار بعد المحاسبة ، قالوا : لأن أهل الجنة ممرهم على  
باب النار ، فمن كان من أهل النار أُدِلَّ بِهِ إِلَيْهَا ، وقذف فيها ، ومن كان من أهل الجنة  
مَرَّ بِالنَّارِ مَرُورًا نَجَا مِنْهَا إِلَى الْجَنَّةِ ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ <sup>(١)</sup> ؛  
لأن ورودها هو القرب منها ، والدنو إليها ، وقد دل القرآن على سُورِ مَضْرُوبٍ بَيْنَ مَكَانِ  
النَّارِ وَبَيْنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي يُخْتَارُونَ مِنْهُ إِلَى الْجَنَّةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ بِسُورَةٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ  
فِيهِ الرِّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ <sup>(٢)</sup> .



قالوا: ولا يصح ما روى في بعض الأخبار أن الصراط أدق من الشعر وأحذ من السيف، وأن المؤمن يقطعه كمرور البرق الخاطف، والكافر يمشی عليه حبواً، وأنه ينتفض بالدين عليه حتى تنزایل مفاصلهم. قالوا: لأن مثل ذلك لا يكون طريقاً للعاشي، ولا يتمكن من المشي عليه؛ ولو أمكن لم يصح التكليف في الآخرة، ليؤمر العقلاء بالمرور عليه على وجه التعبد.

ثم سأل أصحابنا أنفسهم، فقالوا: أى فائدة في عمل هذا السور؟ وأى فائدة في كون الطريق الذي هو الصراط منتهياً إلى باب النار منفجاً منها إلى الجنة؟ ألسم تطلون أفعال الباري تعالى بالمصالح، والآخرة ليست دار تكليف ليفعل فيها هذه الأفعال للمصالح!

وأجابوا بأن شعور المكلفين في الدنيا بهذه الأشياء مصالح لهم، والاطاف في الواجبات العقلية، فإذا أعلم المكلفون بها وجب إيقاعها على حسب ما وعدوا وأخبروا به، لأن الله صادق لا يخلف في أخباره.

وعندى أنه لا يمتنع أن يكون الصراط على ما وردت به الأخبار، ولا مانع من ذلك قولهم: لا يكون طريقاً للعاشي، ولا يتمكن من المشي عليه مسلم، ولكن لم لا يجوز أن يكون في جملة على هذا الوجه والإخبار عن كيفيته هذه مصلحة المكلفين في الدنيا وليس عدم تمكن الإنسان من المشي عليه بمانع من إيقاعه على هذا الوجه، لأن المراد من هذا وأمثاله هو التخويف والزجر.

وأما قولهم: الآخرة ليست دار تكليف، فلنقاتل أن يقول لهم: لم قلتم: إنه تكليف؟ ولم لا يجوز أن يكون المكلفون مضطرين إلى سلوكه اضطراراً؟ فالؤمن يخلق الله فيه الثبات والسكينة، والحركة السريعة فينجو ويسلم، والكافر يخلق فيه ضد ذلك فيهبى ويمطب ولا مانع من ذلك.



يقال : مكان دَحَضَ ودَحَضَ ، بالتحريك ، أى زلق ، وأدحضته أنا أزلقته قدحَضَ هو .

والأهاويل : الأمور المفزعة . وتارات أهواله ، كقوله : دفعات أهواله ؛ وإنما جعل أهواله تارات ؛ لأن الأمور الهائلة إذا استمرت لم تكن فى الإزعاج والترويع ، كانتكون إذا طرأت تارة ، وسكنت تارة .

وأنصب الخوف بدنه : أنصب ؛ والنصب : النعب . والتهجد هنا : صلاة الليل ، وأصله : السهر ؛ وقد جاء التهجد بمعنى النوم أيضا ؛ وهو من الأضداد .

الغِرار : قلة النوم ؛ وأصله قلة ابن الناقة ؛ ويقال : غارت الناقة تغار غرارا قل كبها .

فإن قلت : كيف توصف قلة النوم بالسهر ؛ وإنما يوصف بالسهر الإنسان نفسه ؟ قلت : هذا من مجازات كلامهم ؛ كقولهم ليل ساهر ، وليل نائم .

والهواجر : جمع هاجرة ؛ وهى نصف النهار عند اشتداد الحر ، يقال : قد هَجَرَ النهار ، وأتبنا أهلنا مهَجَّرين ، أى سائرين فى الهجرة .

وظلَّف : منع ، وظلِّفت نفسُ فلان ، بالكسر عن كذا ؛ أى كفت .

وأوجِف : أسرع ، كأنه جعل الذِّكْرَ لشدة تحريكه اللسان مُوجِفا به ، كما توجِف الناقة براكبها ، والوجيف : ضرب من السَّيْرِ .

ثم قال : « وقدَّم الخوف لأمانه » ، اللام هاهنا لام التعليل ، أى قدَّم خوفه ليأمن . والحالج : الأمور المختلجة ، أى الجاذبة ، تخلَّجه واختلَّجه ، أى جذبته .

وأقصد المسالك : أقومها . وطريق قاصد ، أى مستقيم .

وفخه عن كذا ، أى رده وصرفه ، وهو قلب « لفت » .

وبروى : « قد عبَّرَ مَنبرُ الماجة حميدا ، وقدم زاد الأجلة سميدا » .



وأكش : أسرع ، ومثله انكش ورجل كيش أى سريع ، وقد كُش بالضم كاشة فهو كيش وكيش ، وكَشْتَه تكيشا : أجملته .

قوله : « ورغب فى طلب ، وذهب عن هرب » ، أى ورغب فيما يطلب مثله ، وفرَّها يهرب من مثله ، فأقام المصدر مقام ذى المصدر .

ونظر قُدْماً أمامه ، أى ونظر ما بين يديه مقدماً لم يَنْتَهِ ولم يعرَّج ، والدال مضمومة ها هنا .

قال الشاعر يذم امرأة :

تمضى إذا زُجِرَتْ عَنْ سِوَاةٍ قُدْماً كَانَهَا هَدَمٌ فى الجفر منقاض<sup>(١)</sup>  
ومن رواء بالنسكين ، جاز أن يعنى به هذا ويكون قد خفف ، كما قالوا : حُلْمٌ وحُلْمٌ .  
وجاز أن يجعله مصدراً ، من قَدَمَ الرجل بالفتح ، بقَدَمَ قَدْماً أى تقدم ، قال الله تعالى :  
(يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)<sup>(٢)</sup> ، أى يتقدمهم إلى ورودها ؛ كأنه قال : « ونظر بين يديه  
مقدماً لغيره وسابقاً إياه إلى ذلك » . والباء فى « بالجنة » و « بالنار » و « بالله »  
و « بالكتاب » زائدة ، والتقدير : كفى الله ، وكفى الكتاب ا

\*\*\*

(١) الهدم بالتحريك : ما تهدم من نواحى البئر فسقط فى جوفها . والجفر : البئر الواسعة لم تملأ .  
والبيت أنشده ابن السرياق عن ابن دريد مع أبيات هى :

قد رابى مِنْكَ يا أسماء إعراضُ فدام منا لكم مقت وإبناضُ  
إن تبغضينى فساأحييتُ غانيةً يروضها من لثام الناس رِواضُ  
تمضى إذا زُجِرَتْ عَنْ سِوَاةٍ قُدْماً كَانَهَا هَدَمٌ فى الجفر منقاضُ  
قلْ للنَّوْائى أما فيكن فاتكةً تملؤ اللثيم بضرب فيه إمحاضُ

وانظر المان ١٠ : ٣٧٠ .

(٢) سورة هود ٩٨ .



الأفضل:

أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أُنْذَرَ ، وَأَحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ ، وَحَذَرَ كَمَا عَدُوًّا  
تَفَذَّ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا ، وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا ؛ فَأَصْلُ وَأَرْذَى ، وَوَعْدَ قَمِيٍّ ، وَزَيْنَ  
سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ ، وَهَوْنَ مُوَبِقَاتِ الْعَظَائِمِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِيبَتَهُ ، وَاسْتَغْلَقَ  
رَهِيْنَتَهُ ؛ أَنْكَرَ مَا زَيْنَ ، وَاسْتَغْلَمَ مَا هَوْنَ ، وَحَذَرَ مَا أَمَّنَ .

\*\*\*

الْبَرْجُ

« أَعْذَرَ بِمَا أُنْذَرَ » ، مَا هَاهُنَا مُصَدِّرَةٌ ، أَيْ أَعْذَرَ بِإِنْذَارِهِ . وَبِحُوزَانِ تَكُونَ

بِمَعْنَى « الَّذِي » .

وَالْعَدُوُّ الْمَذْكُورُ : الشَّيْطَانُ .

وَقَوْلُهُ : « تَفَذَّ فِي الصُّدُورِ » وَ « نَفَثَ فِي الْأَذَانِ » كَلَامٌ صَحِيحٌ بِدِيْعٍ . وَفِي قَوْلِهِ : « تَفَذَّ

فِي الصُّدُورِ » ، مُنَاسِبَةٌ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « الشَّيْطَانُ يَجْرِي مِنْ بَنِي آدَمَ بِجَرَى الدَّمِ » ،

وَالنَّجَى : الَّذِي يَسَارُهُ ، وَالْجَمْعُ الْأَنْجِيَّةُ ، قَالَ .

« إِنِّي إِذَا مَا الْقَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَّةً »<sup>(١)</sup> .

وَقَدْ يَكُونُ النَّجَى جَمَاعَةً مِثْلَ الصَّدِيقِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾<sup>(٢)</sup> ،

أَيْ مُتَنَاجِينَ .

الْقَرِيبَةُ هَاهُنَا : الْإِنْسَانُ الَّذِي قَارَنَهُ الشَّيْطَانُ ، وَلَفْظُهُ لَفْظُ التَّائِيْتِ ؛ وَهُوَ مُذَكَّرٌ ، أَرَادَ

الْقَرِينَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ قَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وَبِحُوزَانِ يَكُونُ أَرَادَ بِالْقَرِيبَةِ النَّفْسَ ، وَيَكُونُ

(١) بَدَأَ :

وَاضْطَرَبَ الْقَوْمُ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَّةِ هُنَاكَ أَوْصِيَنِي وَلَا تُؤْمِيَنِي

وَالرَّبُّ لِحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ الْيَبُوعِيِّ . الْقِسْمَانِ ٢٠ : ١٧٩

(٢) سُورَةُ الزُّخْرَفِ ٢٨ .

(٣) سُورَةُ يُوسُفَ ٨٠



الضمير عائداً إلى غير مذكور لفظاً لما دلّ المعنى عليه ؛ لأن قوله : « فاضل وأردى ، ووعد فمتى » معناه أضلّ الإنسان وأردى ، ووعدته فمتى ، فالفعل محذوف لفظاً ؛ وإليه رجع الضمير على هذا الوجه ؛ ويقال : غلق الرهن إذا لم يفتكه الراهن في الوقت المشروط ، فاستحقه المرهن .

وهذا الكلام مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتم بِمُصْرِخِي ... ﴾ الآية <sup>(١)</sup> .



## الأصل

ومنها في صفة خلق الإنسان: تحت تكملة قوله تعالى

أَمْ هَذَا الَّذِي أُنشِأَ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْحَامِ ، وَشُعَفِ الْأَسْتَارِ ؛ نُطْقَةً دِهَاقًا ، وَعَلَقَةً حِقَاقًا ، وَجَنِينًا وَرَاضِعًا ، وَوَالِدًا وَبَاقِعًا ؛ ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا ، وَلِسَانًا لَافِظًا ، وَبَصَرًا لَاحِظًا ، لِيَفْهَمَ مُقْتَرًا ، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِرًا ؛ حَتَّى إِذَا قَامَ أُعْنِدَالُهُ ، وَأَسْتَوَى مِثَالُهُ ؛ نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا ، وَخَبَطَ سَادِرًا ؛ مَا نَحَا فِي غَرْبِ هَوَاهُ ، كَادِحًا سَمِيًا لِدُنْيَاهُ ؛ فِي لَذَاتِ طَرَبِهِ ، وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ ؛ ثُمَّ لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً ، وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً ؛ فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيرًا ، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ بَسِيرًا ، لَمْ يُفِدْ عِوَضًا ، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضًا .

دَهَمَتُهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَرِ جَاهِهِ ، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ ، فَظَلَّ سَادِرًا ، وَبَاتَ سَاهِرًا ، فِي غَمَرَاتِ الْآلَامِ ، وَطَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْغَامِ ؛ بَيْنَ أَخِي شَقِيقٍ ، وَوَالِدِ شَفِيقٍ ،



وَدَاعِيَةٍ بِالْوَبْلِ جَزَعًا ، وَلَا دِمَّةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقًا ؛ وَالْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهَثَةٍ ، وَعَمْرٍو  
كَارِثَةٌ ، وَأَنْتَ مُوجِعَةٌ ، وَجَذْبَةٌ مُكْرِبَةٌ ، وَسَوْقَةٌ مُثْمِنَةٌ .

ثُمَّ أَدْرِجْ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِسًا ، وَجَذِبْ مُنْقَادًا سَلِسًا ؛ ثُمَّ أَلْقِ عَلَى الْأَعْوَادِ ،  
رَجِيعَ وَصَبٍ ، وَنِضْوَ سَقَمٍ ، تَحْمِلُهُ حَفْدَةُ الْوِلْدَانِ ، وَحَشْدَةُ الْإِخْوَانِ ؛ إِلَى دَارِ  
غُرْبَتِهِ ، وَمُنْقَطَعِ زُورَتِهِ ؛ وَمُفْرَدٍ وَحْشَتِهِ ؛ حَتَّى إِذَا أَنْصَرَفَ الْمُشِيعُ ، وَرَجَعَ  
الْمُتَفَجِّعُ ، أَقْعِدْ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيًّا لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ ، وَعَمْرٍو الْإِمْتِحَانِ .

وَأَعْظَمُ مَا هُنَاكَ بَلِيَّةٌ نَزَلُ الْخَمِيمِ ، وَنَصْلِيَّةُ الْجَحِيمِ ، وَفُورَاتُ السَّعِيرِ ،  
وَسُورَاتُ الزَّفِيرِ ؛ لَا فَتْرَةَ مُرِيحَةٍ ، وَلَا دَعَاةَ مُزِيحَةٍ ، وَلَا قُوَّةَ حَاجِزَةٍ ، وَلَا مَوْتَةَ  
فَاجِرَةٍ ، وَلَا سِنَةَ مُسْلِيَةٍ ؛ بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوَانِتِ ؛ وَعَذَابِ السَّاعَاتِ ؛ إِنَّا بِاللهِ عَائِدُونَ !



### الْبَرْخُ :

أَمْ هُنَا إِمَّا اسْتِفْهَامِيَّةٌ عَلَى حَقِيقَتِهَا ؛ كَأَنَّهُ قَالَ : أَعْظَمُكُمْ وَأَذْكُرُكُمْ بِحَالِ الشَّيْطَانِ  
وِإِغْوَاثِهِ ، أَمْ بِحَالِ الْإِنْسَانِ مِنْذُ ابْتَدَأَ وَجُودَهُ إِلَى حِينِ مَمَاتِهِ ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مَنْقُطَعَةً  
بِمَعْنَى « بَل » كَأَنَّهُ قَالَ : عَادِلًا وَتَارِكًا لِمَا وَعَظَمَهُمْ بِهِ ؛ بَلْ أَتَوُا عَلَيْكُمْ نِيًّا هَذَا الْإِنْسَانُ  
الَّذِي حَالُهُ كَذَا .

الشُّغْفُ بِالْمَعْنَى الْمَعْجَمَةُ : جَمْعُ شَغَافٍ ، يَفْتَحُ الشَّيْنُ ، وَأَصْلُهُ غِلَافُ الْقَلْبِ ، يُقَالُ :  
شَغَفَهُ الْحُبُّ ، أَيْ بَلَغَ شَغَافَهُ ، وَقُرِئَ : « قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا » (١) .

وَالدَّهَاقُ : الْمَلُوءَةُ ، وَيُرْوَى « دَفَاقًا » مِنْ دَفَقَتِ الْمَاءُ أَيْ صَبَبَتْهُ .

قَالَ : « وَعَلَقَةٌ مُحَاقًا » ، الْحَاقُ : ثَلَاثُ لَيَالٍ مِنْ آخِرِ الشَّهْرِ ، وَسُمِّيَتْ مُحَاقًا لِأَنَّ  
الْقَمَرَ يَمْتَحِقُ فِيهَا ، أَيْ يَخْفَى وَتَبْطُلُ صُورَتُهُ ، وَإِنَّمَا جَعَلَ الْعَلَقَةَ مُحَاقًا هُنَا ، لِأَنَّهَا لَمْ  
تَحْصُلْ لَهَا الصُّورَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ بَعْدَ ؛ فَكَانَتْ مَحْوُوتَةً مَحْوُوتَةً .



واليافع : الغلام المرتفع ، أَيْفَع وهو يافع ؛ وهذا من الدواذر . وغلام يَفَع وَيَفَعَة  
وغلمان أبقاع وَيَفَعَة أيضا .

قوله : « وَخَبَطَ سَادِرًا » ؛ خَبَطَ البعير إذا ضرب يديه إلى الأرض ، ومشى لا يتوق شيئا .  
والسادر : المتخير ، والسادر أيضا : الذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع ، والموضع يحتمل كلا  
التفسيرين .

والماتح : الذي يستقي الماء من البئر وهو على رأسها . والماتح : الذي نزل البئر إذا قل  
ماؤها ، فيبلا الدلاء . وسُئِلَ بعض أئمة اللغة عن الفرق بين الماتح والماتح ، فقال : اعتبر  
تقطعي الإعجام ، فالأعلى للأعلى ، والأدنى للأدنى .

والغرب : الداء العظيمة . والكذح : شدة السمي والحركة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا  
الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ۖ ﴾ (١)

قوله : « وَبَدَوَات » ، أي ما يخطر له من آرائه التي تختلف فيها دواعيه ، فتقدم وتتحجم ،  
ومات غربا ، أي شابا ، ويمكن أن يراد به أنه غير مجرب للأمر .  
والهفوة : الزلة ، هفا يهفو . لم يُفِدْ عوضا ، أي لم يكتسب .  
وغُتِرَ جماحة : بقاياها ، قال أبو كبير الهذلي :

وَمُبَرِّإٍ مِنْ كُلِّ غُبْرٍ حَيْضَةٍ      وَفَسَادِ مَرْضَعَةٍ وَدَاءِ مُغِيلٍ (٢)

والجراح الشرة وارتكاب الهوى . وسَنَنَ مِرَاحَهُ ، السَنَن : الطريقة ، والمِرَاح :  
شدة الفرح والنشاط .

قوله : « فَظُلَّ سَادِرًا » ، السادر هاهنا غير السادر الأول ، لأنه هاهنا المنسب عليه كأنه

(١) سورة الانشقاق ٦

(٢) ديوان الحماسة - يصرح التبريزي ١ : ٨٤ والغبل ، من الغبل ؛ وهو أن تفضي المرأة وهي  
ترضع ؛ فذلك اللبن الغبل .



سكران ؛ وأصله من سدر البعير من شدة الحرّ وكثرة الطلّاء بالقطران ، فيكون كالنّائم لا يحسّ ، ومراده عليه السلام هاهنا أنّه بدأ به المرض . ولاديمة للصدر : ضاربة له ، والعدم النساء : ضربهنّ الصدور عند النياحة . سكرة مُلْهِيَة : تجعل الإنسان لاهثاً لشدّتها لهُتَ بَلْهَتْ لَهْثَاتًا وَلَهْثَاتًا ، ويروى « ملهية » بالياء ، أي تُلهي الإنسان وتشغله .  
والكارثة « فاعلة » من كثره الغم يكرّثه بالضمّ ، أي اشتدّ عليه وبلغ منه غاية المشقة .

الجدبة : جذب الملك الرّوح من الجسد أو جذب الإنسان إذا احتضر لِيَسْجَى .  
والسّوفة : من سياق الرّوح عند الموت . والمبليس : الذي يئس من رحمة الله ، ومنه سمّي إبليس . والإبلاس أيضاً : الانكسار والحزن . والسّيس : السهل المقادة . والأعواد خشب الجنّازة ، ورَجِيع وَصَب : الرّجيع المعنى الكال : والوصب : الوجع ، ووصب الرجل يَوْصَبُ ، فهو واصب ، وأوصبه الله فهو مَوْصَب . والموصب بالتشديد : الكثير الأوجاع . والنّضو : الهزبل . وحشدة الإخوان : جمع حاشد ؛ وهو المتأهب المستعدّ . ودار غربته : قبره . وكذلك منقطع زورته ، لأنّ الزيارة تنقطع عنده .

ومفرد وحشته نحو ذلك ، لانفراده بعمله ، واستيعاش الناس منه ؛ حتى إذا انصرف المشيّع وهو الخارج مع جنازته ، أقعد في حفرة . هذا تصريحٌ بعذاب القبر ، وسنذكر ما يصلح ذكره في هذا الموضع .

والنجى : الناجى . وتزول الحميم وتصلية الجحيم ، من الألفاظ الشريفة القرآنية<sup>(١)</sup> . ثم نفى عليه السلام أن يكون في العذاب فتور يجد الإنسان معه راحة ، أو سكون يزيج عنه الألم أي يزيله ، أو أن الإنسان يجد في نفسه قوة تحجز بينه وبين الألم ، أي تمنع ويموت موتاً ناجزاً معجلاً ، فيستريح ، أو ينام فيسلو وقت نومه عما أصابه من الألم في اليقظة كما في دار الدنيا .

(١) وهو قوله تعالى في سورة الواقعة : ﴿ فَزُلْ مِنْ جَحِيمٍ • وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ ﴾ .



ثم قال : « بين أطوار الموتات » ، وهذا في ظاهره متناقض ، لأنه نفى الموت مطلقاً ، ثم قال : « بين أطوار الموتات » ، والجواب أنه أراد بالموتات الآلام العظيمة ؛ فسمّاها موتات ؛ لأن العرب نسّى المشقة العظيمة موتاً ، كما قال :

• إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ (١) •

ويقولون : الفقر الموت الأحر ، واستعماله مثل ذلك كثير جداً .

ثم قال : « إنا بالله عائدون » ؛ عُدْتُ بفلان واستعدت به ؛ أى التجأت إليه .

\*\*\*

### [ فصل في ذكر القبر وسؤال منكر ونكير ]

واعلم أن لقاضي القضاة في كتاب " طبقات المعتزلة " في باب « القبر وسؤال منكر ونكير » ؛ كلاماً أنا أورد هاهنا بعضه ، قال رحمه الله تعالى :

إن عذاب القبر إنما أنكره ضرار بن عمرو ، ولما كان ضرار من أصحاب واصل بن عطاء ، ظن كثير من الناس أن ذلك إنما أنكره المعتزلة ؛ وليس الأمر كذلك ؛ بل المعتزلة رجلا ن : أحدهما يجوز عذاب القبر ، ولا يقطع به ؛ وهم الأقلون ، والآخر يقطع على ذلك ؛ وهم أكثر أصحابنا لظهور الأخبار الواردة فيه ؛ وإنما تنكر المعتزلة قول طائفة من الجهمية إنهم يعذبون وهم موتى ، لأن العقل يمنع من ذلك ؛ وإذا كان الإنسان مع قُرب العهد بموته ؛ ولما يدفن يعلمون أنه لا يسمع ولا يبصر ولا يدرك ، ولا يألم ولا يلتذ ، فكيف يجوز عليه ذلك وهو ميت في قبره ! وما روي من أن الموتى يسمعون لا يصح إلا أن يراد به أن الله تعالى أحياهم ، وقوى حاسة سمعهم ، فسمعوا وهم أحياء .

(١) صدره :

• لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيِّتٍ •

من أبيات نازك ابن الرعلاء الضبابي في يوم عين أبابغ . الكامل في التاريخ لابن الأثير ١ : ٣٢٦ ( ١٨ - نهج ٦ )



قال رحمه الله تعالى : وأنكر أيضاً مشايخنا أن يكون عذاب القبر دائماً في كل حال ، لأن الأخبار إنما وردت بذلك في الجملة ، فالذي يقال به هو قدر ما تقتضيه الأخبار دون ما زاد عليه مما لا دليل عليه ، ولذلك لسنا نوقت في التعذيب وقتاً ، وإن كان الأقرب في الأخبار أنها الأوقات المقارنة للدفن ، وإن كان لا نعيمها بأعيانها .

هكذا قال قاضي القضاة ، والذي أعرفه أنا من مذهب كثير من شيوخنا قبل قاضي القضاة أن الأغلب أن يكون عذاب القبر بين المنفختين .

ثم إن قاضي القضاة سأل نفسه ، فقال : إذا كانت الآخرة هي وقت المجازاة ، فكيف يعذب في القبر في أيام الدنيا ؟

وأجاب بأن القليل من العقاب المستحق قد يجوز أن يجعله الله في الدنيا لبعض المصالح ، كما فعل في تعجيل إقامة الحدود على من يستحقها ، فلا يمنع منه تعالى أن يفعل ذلك بالإنسان إذا كان من أهل النار .

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

ثم سأل نفسه ، فقال : إذا كان بالموت قد زال عنه التكليف ، فكيف يقولون يكون ذلك من مصالحه !

وأجاب بأننا لم نقل : إن ذلك من مصالحه وهو ميت ؛ وإنما نقول إنه مصلحة أن نعلم في الدنيا ذلك من حال الموتى ؛ لأنه إذا تصور أنه مات عوجل بضرب من العقاب في القبر ، كان أقرب إلى أن ينصرف عن كثير من المعاصي . وقد يجوز أن يكون ذلك لطفاً للملائكة الذين يتولون هذا التعذيب .

\*\*\*

فأما القول في منكر ونكير ، فإنه سأل نفسه رحمه الله تعالى ، وقال : كيف يجوز أن يسموا بأسماء الذم ، وعندكم أن الملائكة أفضل من الأنبياء ؟



وأجاب ، فقال : إن التسمية إذا كانت لقباً لم يقع بها ذم ، لأنّ الذم إنما يقع لفائدة الاسم ، والألقاب كالأشارات لا فائدة تحتها ؛ ولذا يلقب الرجل المسلم بظالم وقلب ونحو ذلك ؛ فيجوز أن يكون هذان الاسمان من باب الألقاب ، ويجوز أن يسميا بذلك من حيث بهجمان على الإنسان عند إكمال الله تعالى عقله على وجه يفكره ويرتاع منه ، فسميا منكرا ونكيرا .

قال : وقد روى في المسألة في القبر أخبار كثيرة وكل ذلك مما لا قبح فيه ، بل يجوز أن يكون من مصالح المكلفين فلا يصحّ للنعم عنه .  
وجملة الأمر أن كلّ ما ثبت من ذلك بالتواتر والإجماع ، وليس بمستحيل في القدرة ، ولا فيبيع في الحكمة يجب القول به ، وما عداه مما وردت به آثار وأخبار آحاد يجب أن يجوز ؛ ويقال : إنه مظهر ليس بمعلوم ، إذا لم يمنع منه الدليل .

مركز تحقيقات كميته طهران

الأصل :

عِبَادَ اللَّهِ ، أَيُّنَ الَّذِينَ عَمَرُوا فَتَعَمَّمُوا ، وَعَلَّمُوا فَفَقَّهُمُوا ، وَأَنْظَرُوا فَلَهَّوْا ، وَسَلَّمُوا  
فَلَسُّوا أُمَمَهُلُوا طَوِيلًا ، وَمُنِحُوا جَيِّلًا ، وَحَذَرُوا أَلِيمًا ، وَوَعِدُوا جَسِيمًا .  
أَحْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمَوْرُطَةَ ، وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ . أُولَى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ ، وَالْمَافِيَةِ  
وَاللَّيَاحِ ، هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ نَحَارٍ أَوْ قَاتٍ  
تَوَفَّكُونَ ، أَمْ أَبْنِ تَصَرَّفُونَ ، أَمْ يَمَازَا تَفْتَرُونَ !  
وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، ذَاتِ الطَّوْلِ وَالْعَرْضِ ، قَيْدُ قَدْوٍ ؛ مَنْعِفَرٍ  
عَلَى خَدْوٍ .

الآن عِبَادَ اللَّهِ ، وَأَخْلِقُوا مُهْتَلٍ ، وَالرُّوحُ مُرْمَلٍ ، فِي قَيْنَةِ الْإِرْشَادِ ، وَرَاحَةِ



الأجساد ، وبأحة الإخسَاد ، ومهل البقيّة ، وأنف الشّيعة ، وإنظار التّوبة ، وأنفساح  
الخطوبة ، قبل الضنك والمضيّق ، والرّويع والرّهوق ، وقبل قدوم الغائب المنتظر ،  
وأخذة العزيز المقتدر .

\*\*\*

قال الرضى رحمه الله :

وفي الخبر أنّه عليه السلام لما خطب بهذه الخطبة أقشعرت لها الجلود ، وبكت  
العيون ، ورّجفت القلوب ؛ ومن الناس من يسمّى هذه الخطبة الفراء .

\*\*\*

الشرح :

نعم الرجل بنعم ضدّ قولك : « بنس » وجاء شاذّا نيم بنيم بالكسر . وانظروا : أمهلوا .  
والذنوب المورطة : التي تُلقى أصحابها في الورطة ؛ وهي الهلاك ؛ قال رؤبة <sup>(١)</sup> :  
\* فاصبحوا في ورطة الأوراط <sup>(٢)</sup> \*

وأصله أرض مطمئنة لا طريق فيها ، وقد أورطت زيدا وورطته توريطا فتورط . ثمّ  
قال عليه السلام : « أولى الأبصار والأسماع » ، ناداه ثانيا بعد النداء الذي في أول الفصل ،  
وهو قوله : « عباد الله » ؛ فقال : يا مَنْ منحهم الله أبصارا وأسماعا ، وأعطاهم عافية ، ومتمهم  
متاعا هل من مناص ؛ وهو اللجأ والمفرّ ؛ يقال : ناص عن قرّنه مناصا ، أي قرّ وراوغ ،  
قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

(١) قبله :

\* نَحْنُ جَمَعْنَا النَّاسَ بِالْمَلَطِ \*

(٢) اللسان ١٠ : ٣٠٤

(٣) سورة ص ٣



والحار : المرجع ، من حَارَ يحور أى رجع ، قال نسائي : ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

ويؤفكون : يقلبون ، أفكهم يافسكهم عن كذا ، قلبه عنه إلى غيره ، ومثله « يضرّ فون » .  
وقيد قدّه : مقدار قدّه ، يقال : قرب منه قيد رمح وقاد رُمح ، والمراد هاهنا هو القبر ،  
لأنه بمقدار قامة الإنسان .

والتنعيرُ : الذى قد لاس المَعَر ، وهو التراب .

ثم قال عليه السلام : « الآن والخلق مُهَمَل » ؛ تقديره : اعملوا الآن وأنتم مخلون متمكنون  
لم بمقد الحبل فى أعناقكم ، ولم تقبض أرواحكم .

والروح يُذكر ويؤنث . والقينة : الوقت ، ويروى « وقينة الارتداد » ؛ وهو الطلب .  
وأنفُ المشية : أول أوقات الإرادة والاختيار .

قوله : « وانفساح الحوبة » ، أى سعة وقت الحاجة ، والحوبة : الحاجة والأرب ،  
قال الفرزدق :

فَهَبْ لِي خُنَيْسًا وَأَخِذْ فِيهِ مِثْنَةً لِحُوبَةِ أُمِّ مَا يَسُوعُ شَرَابُهَا <sup>(٢)</sup>

والغائب المتظفر ؛ هو الموت .

قال شيخنا أبو عثمان رحمه الله تعالى : حَدَّثَنِي ثُمَامَةُ ، قَالَ : سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى سَوَّكَانَ  
مَنْ أَبْلَغَ النَّاسَ وَأَفْصَحَهُمْ - يَقُولُ : الْكِتَابَةُ <sup>(٣)</sup> ضَمَّ اللَّفْظَةَ إِلَى اخْتِهَا ، أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ  
شَاعِرٍ لَشَاعِرٍ ؟ وَقَدْ تَفَاخَرَا : أَنَا أَشْمَرُ مِنْكَ لِأَنِّي أَقُولُ الْبَيْتَ وَأَخَاهُ ، وَأَنْتَ تَقُولُ الْبَيْتَ  
وَابْنَ صَاحِبِهِ ؟ أَنَا قُلْتُ : وَنَاهِيكَ حَسْبًا بِقَوْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « هَلْ مِنْ مَنَاصِ  
أَوْ خَلَاصٍ ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ ، أَوْ فَرَارٍ أَوْ مَحَارٍ » .

(١) سورة الانشقاق ١٤

(٢) ديوانه ١ : ٩٤ . الحوبة : الحاجة ، وخنيس : فنى كان بالجيش فى السند ، بحر - والتجدير : أن  
يتزل فى البعث ولا يرد - وكانت أمه امرأة من الشام ؛ تشفت بالفرزدق فى شأنه ، فكتب إلى العامل  
أحياناً ، ومنها هذا البيت ؛ والخبر مذكور فى الديوان .

(٣) ب : د بضم د ، وما أثبتته من أ .



قال أبو عثمان : وكان جعفر يُعجب أيضا بقول علي عليه السلام : أين من جدّ واجتهد ،  
وجمع واحتشد ، وبني فشيد ، وفرش فهد <sup>(١)</sup> ، وزخرف فجدّ ، قال : ألا ترى أن كل  
لفظة منها آخذة بعنق قريبتها ، جاذبة إياها إلى نفسها ، دالة عليها بذاتها !  
قال أبو عثمان : فكان جعفر يستيه فصيح قريش .

\*\*\*

واعلم أننا لا يتخالفنا الشك في أنه عليه السلام أفصح من كل ناطق بلسان العرب من  
الأولين والآخرين ، إلا من كلام الله سبحانه ، وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وذلك  
لأن فضيلة الخطيب والكاتب في خطابه وكتابه تعمد على أمرين ؛ هما : مفردات  
الألفاظ ومركباتها .

أما المفردات فإن تكون سهلة سلسة غير وحشية ولا معقّدة ، وألفاظه عليه السلام  
كلها كذلك ؛ فأما المركبات فعُسن المعنى ومبرحة وصوله إلى الأفهام ، واشتماله على الصفات  
التي باعتبارها أفضل بعض الكلام على بعض ، وتلك الصفات هي الصناعة التي سماها المتأخرون  
البديع ، من المقابلة ، والمطابقة ، وحسن التقسيم ، ورّد آخر الكلام على صدره ، والترصيع ،  
والتسيم ، والتوشيح ، والمائلة ، والاستعارة ، ولطافة استعمال المجاز ، والموازنة ، والتكافؤ ،  
والنسيط والمشاكلة .

ولا شبهة أن هذه الصفات كلها موجودة في خطبه وكتبه ، مبنوتة متفرقة في فرش  
كلامه عليه السلام ، وليس يوجد هذان الأمران في كلام أحد غيره فإن كان قد تعلمها  
وأفكر فيها ، وأعمل رويته في رصفها <sup>(٢)</sup> ونثرها ، فلقد أتى بالمعجب المعجّب ، ووجب

(١) ب : « ومهد » .

(٢) ب : « دل » منها .



أن يكون إمام الناس كلهم في ذلك ؛ لأنه ابتكره ولم يعرف من قبله وإن كان اقتضابها ابتداء ، وفاضت على لسانه من جملة ، وجاش بها طبعه بديهية ، من غير روية ولا اعتمال ، فاعجب واعجب !

وعلى كلا الأمرين فلقد جاء مجلياً والفصحاء تنقطع أنفاسهم على أثره . وبحق ما قال معاوية لمحقن الضبي ، لما قال له : جئتك من عند أعيان الناس : يا ابن اللخفاء ، ألعني<sup>(١)</sup> تقول هذا ؟ وهل سن الفصاحة لغريش غيره !

واعلم أن تكلف الاستدلال على أن الشمس مضيئة بقمب ، وصاحبه منسوب إلى السفة ، وليس بجاحد الأمور المعلومة علماً ضرورياً بأشدّ سفهاً ممن رام الاستدلال بالأدلة النظرية عليها .



مركز تحقيقات علوم و تاریخ اسلامی



(٨٣)

## الأصل :

ومن كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص :

حَجَبًا لِابْنِ النَّافِثَةِ ! بَزَعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِي دُعَابَةٍ ، وَأَنَّى أَمْرُؤُ تِلْعَابَةٍ ، أُعَافِسُ  
وَأُمَارِسُ لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا ، وَنَطَقَ آثَمًا . أَمَا - وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ - إِنَّهُ لَيَقُولُ  
فَيَكْذِبُ ، وَيَمِيدُ فَيُخْلِفُ ، وَيُسْأَلُ فَيَبْخُلُ ، وَيَسْأَلُ فَيُلْجِفُ ، وَيَحُونُ الْعَهْدَ ،  
وَيَقْطَعُ الْإِلَّ ؛ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَأَمِيرٍ هُوَ ! مَا لَهُ تَأْخُذُ السُّيُوفِ  
مَأْخِذَهَا ؛ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ كَيْدَيْهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَوْمَ سَبْتَهُ .  
أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ  
نِسْيَانُ الْآخِرَةِ . وَإِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أُتِيَّةً ، وَيَبْرُضَ  
لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً .

\*\*\*

## الشرح :

الدُّعَابَةُ : المزاح ، دَعَبَ الرجل ، بالفتح . وَرَجُلٌ تِلْعَابَةٌ ، بكسر التاء : كثير  
اللعب ، والتَّلْعَابُ ، بالفتح : مصدر « لعب » .  
وَالْمُاعِصَةُ : المعالجة والمصارعة ، ومنه الحديث : « عَافَسْنَا النِّسَاءَ »<sup>(١)</sup> . والممارسة نحوه .  
يقول عليه السلام : إنَّ عَمْرَأً يَفْدَحُ فِي عِنْدِ أَهْلِ الشَّامِ بِالْذُّعَابَةِ وَاللَّعِبِ ، وَأَنَّى كَثِيرُ

(١) النهاية لابن الأثير في حديث حفصة الأسدي وروايته : « فإذا رجسنا عافسنا الأزواج » ٣٠ : ١١٠



المازجة ، حتى أنى لاعب النساء وأغازلهن ، فعلَ للترف الفارغ القلب ، الذى تنقضى<sup>(١)</sup> أوقاته بملاذ نفسه .

وُبلِّغَ : يلج في السؤال ؛ قال تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْلَافًا ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ ومنه المثل : « ليس للملحيف مثل الرد » .

والإل : العهد ، ولما اختلف اللفظان حَسُنَ التقسيم بهما ، وإن كان المعنى واحداً . ومعنى قوله : « ما لم تأخذ السيوف مأخذها » ؛ أى ما لم تبلغ الحرب إلى أن تخالط الروس ، أى هو ملئ بالتعريض والإغراء قبل أن تلتجيم الحرب ، فإذا التجتم واشتدت فلا يكت ، وفعل فعملته التى فعل .

والسَّبة : الاست ، وسبه سَبُّهُ : طعنه في السَّبة .

ويحوز رفع « أ كبر » ونصبه ، فإن رفعت فهو الاسم ، وإن نصبت فهو الخبر . والأنية : المعلية ، والإبقاء : الإعطاء . ورشح له رشحاً : أعطاه عطاء بالكثير ، وهى الرضىخة ؛ لما يعطى .

• • •

### [ نسب عمرو بن العاص وطرف من أخباره ]

ونحن نذكر طرفاً من نسب عمرو بن العاص وأخباره إلى حين وفاته إن شاء الله . هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر . يكنى أبا عبد الله ، ويقال : أبو محمد .

(١) ب : « تنقضى » .

(٢) سورة البقرة ٢٢٣ .



أبو العاص بن وائل ، أحد المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وآله ، والمكاشفين له بالعداوة والأذى ، وفيه وفي أصحابه أنزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> .  
ويلقب العاص بن وائل في الإسلام بالأبتر ، لأنه قال لقريش : سيموت هذا الأبتر غداً ، فيقطع ذكره ، يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه لم يكن له صلى الله عليه وآله ولد ذكر يقب منه ، فأنزل الله سبحانه : ﴿ إِنْ شَاءَ نَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
وكان عمرو أحد من يؤذى رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة ، وبشتمه وبضع في طريقه الحجارة ؛ لأنه كان صلى الله عليه وآله يخرج من منزله ليلاً فيطوف بالكعبة ، وكان عمرو يحمل له الحجارة في مسلكه ليعثر بها . وهو أحد القوم الذين خرجوا إلى زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة ، فروعوها وقرعوا هودجها بكعوب الرماح ، حتى أجهضت جنيناً ميتاً من أبي العاص بن الربيع بطنها ، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، نال منه وشق عليه مشقة شديدة ولعنهم . روى ذلك الواقدي .

وروى الواقدي أيضاً وغيره من أهل الحديث ؛ أن عمرو بن العاص هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله هجاء كثيراً ، كان يملأه صبيان مكة ، فينشدون ويصيحون برسول الله إذا مر بهم ، رافعين أصواتهم بذلك الهجاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلي بالحجر : « اللهم إني عمرو بن العاص هجائي ، ولست بشاعر ؛ فالمنه بمدد ما هجاني » .  
وروى أهل الحديث أن النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص ، عهدوا إلى سلى <sup>(٣)</sup> فجعل يرفعوهم بينهم ووضعوه على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ساجد بفناء الكعبة ، فسأل عليه ، فصبر ولم يرفع رأسه ، وبكى في سجوده ودعا عليهم ،

(٢) سورة الكونر ٤ .

(١) سورة الحجر ٩٥ .

(٣) السلى : جلدة فيها الولد من الناس والواشي .



فجاءت ابنته فاطمة عليها السلام وهي باكية ، فاحتضنت ذلك السِّلا فرفقته عنه فألفقته  
وقامت على رأسه تبكي ، فرفع رأسه صلى الله عليه وآله ؛ وقال : « اللهم عليك بقريش » ،  
قالها ثلاثاً ؛ ثم قال رافعاً صوته : « إني مظلوم فانتصر » ؛ قالها ثلاثاً ، ثم قام فدخل منزله ؛  
وذلك بعد وفاة عمه أبي طالب بشهرين .

ولشدة عداوة عمرو بن العاص لرسول الله صلى الله عليه وآله ، أرسله أهل مكة إلى  
التجاشي ليزهده في الدين ، وليطرد عن بلاده مهاجرة الحبشة ، وليقتل جعفر بن أبي طالب  
عنده ، إن أمكنه قتله ، فكان منه في أمر جعفر هناك ما هو مذكور مشهور في السير ،  
وسنذكر بعضه .

فأما النابغة فقد ذكر الزمخشري في " كتاب ربيع الأبرار " قال : كانت النابغة  
أم عمرو بن العاص أمةً لرجل من عترة ، فسبيت ، فاشتراها عبد الله بن جُدعان التيمي  
بمكة ، فكانت بغيًا ، ثم أعتقها ، فوقع عليها أبو لُب بن عبد المطلب ، وأمّية بن خلف  
اللمحي ، وهشام بن المغيرة المخزومي ، وأبو سفيان بن حرب ، والعاص بن وائل السهمي ،  
في طهر واحد ؛ فولدت عمرًا ، فادّعاء كلهم ، فحكمت أمّ فيه ، فقالت : هو من العاص بن  
وائل ، وذلك لأن العاص بن وائل كان يُنفق عليها كثيرًا ، قالوا : وكان أشبه بأبي سفيان ؛  
وفي ذلك يقول أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب في عمرو بن العاص :  
أبوك أبو سفيان لاشك قد بدت لنا فيك منه يئونات الشائل

\*\*\*

وقال أبو عمرو بن عبد البر صاحب كتاب " الاستيعاب " (١) : كان اسمها سلمى -  
وتلقب بالنابغة - بنت حرملة (٢) من بني جِلان بن عترة بن أسد بن ربيعة بن نزار ،

(١) الاستيعاب ص ٢٤٤ .

(٢) الاستيعاب : « سبية بن جِلان » .



أصابها سياء ، فصارت إلى العاص بن وائل بعد جماعة من قريش ، فأولدها عمراً .  
قال أبو عمر : يقال إنه جُعِلَ لرجل ألف درهم على أن يسأل عمراً وهو على النهر : مَنْ  
أمه ؟ فسأله ، فقال : أمي سُلَى بنت حرملة ؛ ثَلَقَبَ بالنابغة ، من بني عَنَزَة ثم أحد بني جِلَان  
وأصابته أراح<sup>(١)</sup> العرب فبيعت بـمِكاظ ، فاشتراها الفاكه بن المفيرة ، ثم اشتراها منه عبد الله  
ابن جُدعان ، ثم صارت إلى العاص بن وائل ، فولدت فأنجبت ، فإن كان جُعِلَ لك شيء ، فقد

\*\*\*

وقال اللبّرد في كتاب " الكامل " ،<sup>(٢)</sup> : اسمُ أبي . وذكر هذا الخبر وقال : إنها  
لم تكن في موضع مَرَضِيٍّ ، قال اللبّرد : وقال النضر بن الجارود مرة لعمرو بن العاص : أي  
رجل أنت لولا أن أمك أمك ! فقال : إني أحمد الله إليك ، لقد فكَّرت البارحة<sup>(٣)</sup> فيها  
فأقبلت أُنْقِلها في قبائل العرب<sup>(٤)</sup> " ممن أحب أن تكون " منها ، فخطرت لي عبد القيس  
على بال !

وقال اللبّرد : ودخل عمرو بن العاص مكة ؛ فرأى قوماً من قريش قد جلسوا حلقة ،  
فلما رأوه رَمَقُوهُ بأبصارهم ، فمدل إليهم فقال : أحبيكم كنتم في شيء من ذكرى أقالوا :  
أجل ؛ كنا نمثل بينك وبين أخيك هشام بن العاص ، أيكما أفضل ؟ فقال عمرو : إن هشام  
على أربعة : أمه بنت هشام بن المفيرة ، وأمي مَنْ قد عرفتم ؛ وكان أحب إلى أبيه مني ،  
وقد علمت معرفة الوالد بولده ، وأسلمَ قبلي ، واستشهد وبقيت .

\*\*\*

وروى أبو عبيدة معمر بن النخعي في كتاب " الأنساب " أن عمراً اختصم فيه يوم

(١) الاستيعاب : رماح .

(٢) الكامل ٤ : ٧٩ .

(٣) الكامل : ٢ في هذا .

(٤) ( ٤ - ٤ ) ليس في نسخة الكامل المطبوعة .



ولادته رجلان : أبو سفيان بن حرب ، والعاص بن وائل ؛ فقيل : لِيَتَحَكَّمْ أُمُّهُ ؛  
فَقَالَتْ أُمُّهُ : إِنَّهُ مِنَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ ؛ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : أَمَا إِنِّي لَا أَشْكُ أَنِّي وَضَعْتُهُ فِي  
رَحِمِ أُمِّهِ ، فَأَبَتْ إِلَّا الْعَاصُ .

فقيل لها : أبو سفيان أشرف نسباً ؛ فقالت : إن العاص بن وائل كثير النفقة على  
وأبو سفيان شحيح .

ففي ذلك يقول حسان بن ثابت لعمر بن العاص حيث هجاه مكافئاً له عن هجاء  
رسول الله صلى الله عليه وآله :

أبوك أبو سفيان لاشك قد بدت لنا فيك منه بينات الدلائل  
ففاخر به إما فخرت ولا تكن تفاخر بالعاص المجين بن وائل  
وإن التي في ذاك يا عمرو حُكِّمَتْ فقالت رجاء عند ذاك لبائل  
من العاص عمرو وتخبر الناس كلما تجملت الأقوام عند الحافل

[ مفاخرة بين الحسن بن علي ورجال من قريش ]

وروى الزبير بن بكار في كتاب " المفاخرات " ؛ قال : اجتمع عند معاوية عمرو  
ابن العاص ، والوليد بن عتبة بن أبي مَظِيط ، وعُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، والمغيرة  
ابن شعبة ، وقد كان باعهم عن الحسن بن علي عليه السلام قوارص ، وبلغه عنهم مثل  
ذلك ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ إن الحسن قد أحيا أباه وذكره ، وقال فصديق ، وأمر  
فأطيع ، وخفقت له النعال ، وإن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه ، ولا يزال يلفنا  
عنه ما يسوءنا .

قال معاوية : فما تريدون ؟ قالوا : ابث عليه فليحضر لنسبه ونسب أباه ، ونعيه  
ونوحه ، ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرره بذلك ، ولا يستطيع أن يغير علينا  
شيئاً ، من ذلك .



قال معاوية : إني لا أرى ذلك ولا أفعله ؛ قالوا : عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن ؛ فقال : وبحكم لا تفعلوا ! فوالله ما رأيته قط جالسا عندي إلا خفت مقامه وعيبي لي ، قالوا : ابعث إليه على كل حال ؛ قال : إن بعثت إليه لأنصفته منكم .

فقال عمرو بن العاص : أتمشى أن يأتي باطله على حقنا ، أو يريني قوله على قولنا ! قال معاوية : أما إني إن بعثت إليه لأمرته أن يتكلم بلسانه كله ، قالوا : مره بذلك . قال : أما إذ عصيتوني ، وبعثتم إليه وأبينتم إلا ذلك فلا تخرضوا<sup>(١)</sup> له في القول ، واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب ، ولا يلصق بهم العار ؛ واسكن أقدفوه بحجره ؛ تقولون له : إن أباك قتل عثمان ، وكره خلافة الخلفاء من قبله . فبعث إليه معاوية ، فجاءه رسوله ، فقال : إن أمير المؤمنين يدعوك .

قال : من عنده ؟ فسامه له ؛ فقال الحسن عليه السلام : ما لم خر عليهم السقف من فوقهم ، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون . ثم قال : يا جارية ، ابغيني<sup>(٢)</sup> ثيابي ، اللهم إني أعوذ بك من شرورهم ، وأذرا بك في محورهم ، وأستعين بك عليهم ، فاكفينهم كيف شئت وأنى شئت ، بحول منك وقوة ، يا أرحم الراحمين ! ثم قام ، فلما دخل على معاوية ، أعظمه وأكرمه ، وأجلسه إلى جانبه ، وقد ارتاد القوم ، وخطروا خطران الفحول ، بغيا في أنفسهم وعُلوا ، ثم قال : يا أبا محمد ؛ إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني .

فقال الحسن عليه السلام : سبحان الله ! الدار دارك ، والإذن فيها إليك ، والله إن كنت أحبهم إلى ما أرادوا وما في أنفسهم إني لأستحي لك من الفحش ، وإن كانوا غلبوك على رأيك إني لأستحي لك من الضعف ؛ فأيهما تقرّر ، وأيهما تنكر ؟ أما إني

(١) فلا تخرضوا له ؛ أي لا تجعلوا قولكم مريضا .

(٢) ابغيني ثيابي ، أي أعينني على إحضارها .



لو علمتُ بمكانهم جئتُ معي بمثلهم من بني عبد المطلب ، ومالي أن أكون مستوحشا منك ولا منهم إِنْ وَلِيَّيَ اللَّهُ ، وهو يتولى الصالحين .

فقال معاوية : يا هذا ، إني كرهتُ أن أدعوك ، ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له ، وإِنْ لَكَ مِنْهُمْ النِّصْفُ وَمُنَى ، وَإِنَّمَا دَعَوْنَاكَ لِنَقْرُرَكَ أَنَّ عُمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا ، وَأَنَّ أَبَاكَ قَتَلَهُ ، فَاسْتَمِعْ مِنْهُمْ ثُمَّ أَجِبْهُمْ ، وَلَا تَمْنَعَكَ وَخَدَتُكَ واجتماعهم أن تتكلم بكلِّ لسانك .

فحكّم عمرو بن العاص ، فحيد الله وصلى على رسوله ، ثم ذكر علياً عليه السلام ، فلم يترك شيئاً يعيبه به إلا قاله ، وقال : إني شتم أنا بكر وكره خلافته ، وامتنع من بيعته ، ثم بايعه مكرهاً ، وشرك في دم عمر ، وقتل عثمان ظلماً . وادعى من الخلافة ما ليس له .

ثم ذكر الفتنة يميّز بها ، وأضاف إليه مساوي : وقال : إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليغطيكم الملك على قتلكم الخلفاء ، واستحلالكم ما حرم الله من الدماء ، وجرحكم على الملك ، وإتيانكم ما لا يحل . ثم إنك يا حسن ، تحدث نفسك أن الخلافة صائرة إليك ، وليس عندك عقلٌ ذلك ولا لُبُّه ، كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك ، وتركك أحقَّ قريش ، يُسخر منك ويهزأ بك ، وذلك لسوء عمل أبيك ! وإنما دعوناك لنسبك وأباك ، فأما أبوك فقد تفرّد الله به وكفانا أمره ، وأما أنت فإنك في أيدينا نختار فيك الخصال ، ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله ، ولا عيب من الناس ، فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبنا ؟ فإن كنت ترى أننا كذبنا في شيء فاردده علينا فيما قلنا ، وإلا فاعلم أنك وأباك ظالمان .

ثم تسكّم الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيْط ، فقال : يا بني هاشم ، إنكم كنتم أخوال عثمان ؛ فنعيم الولد كان لكم ؛ فمرف حقكم ، وكنتم أصهاره فنعيم الصهر كان لكم ، يكرمكم فكنتم



أول من حسده ، فقتله أبوك ظلما ، لا عذرَ له ولا حجة ، فكيف تروُن الله طلب بدمه ، وأنزلكم منزلَكم ! والله إن بنى أمية خيرَ لبنى هاشم من بنى هاشم لبنى أمية ، وإن معاوية خيرٌ لك من نفسك .

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان ، فقال : يا حسن ، كان أبوك شرًّا قريش لقريش ، أسفكها لدمائها ، وأفطمها لأرحامها ، طَوِيلَ السيف واللسان ، يقتل الحيَّ ويعيب الميت ، وإنك يَمُن قتل عثمان ، ونحن قاتلوك به ، وأما رجاؤك الخلافة فلست في زَنَدِها قادحا ، ولا في ميزانها راجعا ، وإنكم يا بنى هاشم قتلتم عثمان ، وإنَّ في الحق أن نقتلك وأخاك به ؛ فأما أبوك فقد كفانا الله أمره وأقادَ منه ، وأما أنت ، فوالله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم ولا عدوان .

ثم تكلم المغيرة بن شعبة ، فشتَم عليا ، وقال : والله ما أعيبه في قضية يحنون ، ولا في حكم يعيل ، ولكنه قتل عثمان . ثم سكتوا .

فتكلم الحسن بن علي عليه السلام ؛ فحَمِد الله وأثنى عليه ، وحلى على رسوله صلى الله عليه وآله ، ثم قال : أما بعد يا معاوية ، فما هؤلاء شتموني ولكنك شتمتني ، فحشا أَلَفْتَهُ ؛ وسوء رأي عُرِفْتَ به ، وخُلُقًا سيئا ثبت عليه ، وبغيا علينا ؛ عداوة منك لمحمد وأهله ، ولكن اسمع يا معاوية ، واسمعوا فلا تقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم .

أنشدكم الله أيها الرهط ، أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم ، صلى القبلتين كليهما وأنت يا معاوية بهما كافر ؛ تراها ضلالة ، وتعبد اللات والعزى غواية !

وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما : بيعة الفتح وبيعة الرضوان ، وأنت يا معاوية بإحداها كافر ، وبالأخرى ناكث !

وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أولُ الناس إيمانا ، وأنت يا معاوية وأباك



من المؤلفة قلوبهم تُسِرُّون الكفر ، وتُفَاهِرُونَ الإسلام ، وتُسَالُونَ بالأموال !  
 وأنشدكم الله ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ رَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَأَنَّ  
 رَايَةَ الْمُشْرِكِينَ كَانَتْ مَعَ مَعَاوِيَةَ وَمَعَ أَبِيهِ ، ثُمَّ لَقِيَكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ وَيَوْمَ الْأَحْزَابِ ، وَمَعَهُ رَايَةُ رَسُولِ  
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَمَعَكُمْ وَمَعَ أَبِيكُمْ رَايَةُ الشُّرْكِ ؛ وَفِي كُلِّ ذَلِكَ بِنْتِجِ اللَّهِ وَبِنْتِجِ  
 حُجَّتِهِ ، وَبِنْتِجِ دَعْوَتِهِ ، وَبِنْتِجِ حَدِيثِهِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ  
 كُلِّهَا عَنْهُ رَاضٍ ، وَعَلَيْكُمْ وَعَلَى أَيْبِكُمْ سَاخِطٌ ! وَأَنْشَدُكُمُ اللَّهُ يَا مَعَاوِيَةُ ، أَنْتَ كَرُّ يَوْمًا جَاءَ  
 أَبُوكَ عَلَى جَهْلٍ أَحْرَ ، وَأَنْتَ تَسُوقُهُ ، وَأَخُوكَ عَثْبَةٌ هَذَا يَقُودُهُ ، فَرَأَى كَرُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ الْعَنِ الرَّاكِبَ وَالْقَائِدَ وَالسَّائِقَ ! » .

أُنْسِيَ بِمَعَاوِيَةَ الشَّعْرَ الَّذِي كَتَبْتَهُ إِلَى أَبِيكَ لِمَا هُمْ أَنْ يُسَلِّمَ ، تَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ :  
 يَا صَخْرَ لَا تُسَلِّمَنَّ يَوْمًا فَتَفْضَحَنَّا بِمَدِّ الَّذِينَ يَبْذُرُ أَصْبَحُوهَا فِرْقًا  
 خَالِي وَحَمِي وَعَمِّ الْأُمِّ نَالَهُمْ وَحَنَظَلُّ الْخَيْرِ قَدْ أَهْدَى لَنَا الْأَرْقَا  
 لَا تَرَاكُنَّ إِلَى أَمْرِ نَكَاثِنَا وَالرَّاقِصَاتِ بِهِ فِي مَكَّةَ الْخُرْقَا  
 فَالْمُوتُ أَهْوَنُ مِنْ قَوْلِ الْعِدَاءِ ؛ لَقَدْ خَادَا بَنُ حَرْبٍ عَنِ الْعَزَى إِذَا فَرِقَا<sup>(١)</sup>  
 وَاللَّهُ لَمَّا أَخْفَيْتُ مِنْ أَمْرِكَ أَكْبَرُ مِمَّا أَبْدَيْتُ .

وَأَنْشَدُكُمْ اللَّهُ أَيُّهَا الرُّعْطُ ؛ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عَلِيًّا حَرَّمَ الشَّهَوَاتِ عَلَى نَفْسِهِ بَيْنَ أَصْحَابِ  
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَنْزَلَ فِيهِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرُّوا مَوَاطِئَاتٍ مَا أَحَلَّ  
 اللَّهُ لَكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعَثَ أَكْبَرَ أَصْحَابِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ  
 فَنَزَلُوا مِنْ حِضْنِهِمْ فَهَزَمُوا ، فَبَعَثَ عَلِيًّا بِالرَّايَةِ ، فَاسْتَنْزَلَهُمْ عَلَى حَكَمِ اللَّهِ وَحَكَمِ رَسُولِهِ ، وَفَعَلَ  
 فِي خَيْرٍ مِنْهَا !

(١) فَرَقَ ، كَفَرَحَ : فَرَعَ وَاضْطَرَبَ . (٢) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ٨٧ .



ثم قال : باسمارية أغلنك لاتعلم آنى أعلم مادعا به عليك رسول الله صلى الله عليه وآله لما أراد أن يكتب كتابا إلى بنى خزيمه ، فبعث إليك [ابن عباس ، فوجدك تأكل ، ثم بعث إليك مرة أخرى فوجدك تأكل ، فدعا عليك الرسول بجوعك] <sup>(١)</sup> ونهيك إلى أن تموت . وأنتم أيها الرهط : نشدتكم الله ، ألا تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لمن أبا سفيان في سبعة مواطن لا يستطيعون ردها :

أولها : يوم لقي رسول الله صلى الله عليه وآله خارجا من مكة إلى الطائف ، بدعوا ثقيفا إلى الدين ، فوقع به وسبه وسفه وشتمه وكذبه وتوعده ، وهم أن يبطش به ، فلمنه الله ورسوله وصرف عنه .

والثانية يوم المير ؛ إذ عرض لها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي جاثية من الشام ، فطردها أبو سفيان ، وساحل بها ، فلم يظفر المسلمون بها ، ولمنه رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا عليه ، فكانت وقعة بدر لأجلها .  
والثالثة يوم أحد ، حيث وقف تحت الجبل ، ورسول الله صلى الله عليه وآله في أعلاه ، وهو ينادى : اعل هبل ا مرارا ، فلمنه رسول الله صلى الله عليه وآله عشر مرات ، ولمنه المسلمون .

والرابعة يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود ، فلمنه رسول الله وابتهل .  
والخامسة يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسجد الحرام « والهدى معكوفان يبلغ محله » ذلك يوم الحديبية ، فلمنه رسول الله صلى الله عليه وآله وأله أبا سفيان ، ولعن القادة والأتباع ، وقال : « ملمونون كلهم ، وليس فيهم من يؤمن » ، فقيل : يا رسول الله ، أفما يرضى الإسلام لأحد منهم فكيف باللعنة ؟ فقال : « لا نصيب اللعنة أحدا من الأتباع ، وأما القادة فلا يفلح منهم أحد » .

(١) زيادة يقتضها السياق ، أخذت من قصة جاءت في ترجمة معاوية في أسد النابة ٤ : ٣٨٦ نقلها عن صحيح مسلم .



والسادسة يوم الجمل الأحمر .

والسابعة يوم وقفوا رسول الله صلى الله عليه وآله في المعبة ليستنفروا ناقته ، وكانوا اثني عشر رجلا ، منهم أبو سفيان .

فهذا لك يا معاوية ؛ وأما أنت يا ابن الناص ؛ فإن أمرك مشترك ، وضعتك أمك مجهولا ؛ من عهر وسفاح ، فيك أربعة من قريش ، فطلب عليك جزاءها ، الأئمة حسبا ، وأخبتهم منصبا ؛ ثم قام أبوك فقال : أنا شانيء محمد الأبر ، فأنزل الله فيه ما أنزل .

وقاتلت رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المشاهد ، وهجوت وأذيت بمكة وكنته كيدك كله ، وكنت من أشد الناس له تكذيبا وعداوة .

ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة ، لتأني بحمفر وأصحابه إلى أهل مكة ، فلما أخطأك مارجوت ورجعتك الله خائبا ، وأكذبك وإشيا ، جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الويلد ، فوشيت به إلى النجاشي ، حسدا لما ارتكب مع حليتك ، ففضحك الله وفضح صاحبك .

فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام . ثم إنك تعلم وكل هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين بيتا من الشعر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « اللهم إني لأقول الشعر ولا ينفعني ، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة » ؛ فعليك إذا من الله مالا يحصى من اللعن .

وأما ما ذكرت من أمر عثمان ، فأنت سمرت عليه الدنيا نارا ، ثم لحقت بفلسطين ، فلما أتاك قتله ، قلت : أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها . ثم حبست نفسك إلى معاوية ، وبعث دينك بدنياء ، فلسنا نلومك على بغض ، ولا نعاتبك على ود ، وبالله



مانصرت عثمان حياً ولا غضيت له مقتولا ، وبحك يابن العاص األت القاتل في بني  
هاشم لما خرجت من مكة إلى النجاشي :

تقول ابنتي أين هذا الرحيل وما السر مني بمسكرك  
قلت : فربني فإني امرؤ أريد النجاشي في جفرك  
لأكويه عنده كية أقيم بها نخوة الأصغر  
وشاني أحد من بينهم وأقولهم فيه بالنسك  
وأجري إلى عتبة جاهداً ولو كان كالدَّهَبِ الأحمر  
ولا أنثني عن بني هاشم وما انطعت في الغيب والمخبر  
فإن قيل العتب مني له وإلا لوئت له مشفري  
فهذا جوابك ، هل سمعته !

وأما أنت يا وليد ؛ فوالله ما ألومك على بغض علي ، وقد جلدك ثمانين في الحر ، وقتل  
أباك بين يدي رسول الله صبرا ، وأنت الذي ساء الله الفاسق ، وسمي عليا المؤمن ، حيث  
تفاخرتما قتلته : اسكت يا علي ، فأنا أشجع منك جنانا ، وأطول منك لسانا ، فقال لك  
علي : اسكت ، يا وليد فأنا مؤمن وأنت فاسق ؛ فأنزل الله تعالى في موافقة قوله : ﴿ أَفَمَنْ  
كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ثم أنزل فيك علي موافقة قوله أيضا :  
﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وبحك يا وليد ! منهما نسبت ، فلا تنس قول الشاعر فيك وفيه :  
أنزل الله والكتاب عزيز في علي وفي الوليد قرأنا

(١) سورة السجدة ١٨ .

(٢) سورة المجرات ٦ .



فتبوا الوليد إذ ذاك فينقا وعلى مبروا إيماناً  
ليس من كان مؤمناً - ثمرك الله - كمن كان فاسقاً خسواً  
سوف يدعى الوليد بعد قليل وعلى إلى الحساب عياناً  
فعلى يجزى بذاك جناناً ووليد يجزى بذاك هواناً  
رُبَّ جَدِّ لَعْنَةٍ بن أبان لابس في بلادنا ثباناً<sup>(١)</sup>

وما أنت وقريش ؟ إنما أنت عِجْج من أهل صفورية ، وأقسم بالله لانت أكبر في  
اليلاد ، وأسن ممن تدعى إليه .

وأما أنت يا عتبة ؛ فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك ، ولا عاقل فأحاورك وأعاتبك ،  
وما عندك خير برّجى ، ولا شرّ بئى ، وما عقلت وعقل أميتك إلا سواء ، وما يضرك علياً  
لو سببته على رموس الأشهاد !

وأما وعيدك إبانى بالقتل ، فهلا قُلت اللحيانى إذ وجدته على فراشك ! أما تنحى  
من قول نصر بن حجاج فيك :

يا للرجال وحادث الأزمان وأسبى نخزى أبا سفيان  
نبتت عتبة خانة في عرسه جيس لثيم الأصل من لحيان

وبعد هذا ، ما أربأ بنفسى عن ذكره لفحشه ؛ فكيف يخاف أحد سيفك ، ولم تقتل  
فاضحك ! وكيف ألومك على بنض على ، وقد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر ، وثمرتك  
حمزة في قتل جدك عتبة ، وأوحذك من أخيك حنظلة في مقام واحد !

وأما أنت يا منيرة ؛ فلم تكن بخلق أن تقع في هذا وشبهه ، وإنما مثلك مثل البعوضة  
إذ قالت للنخلة : استمسكى ؛ فإنى طائرة عنك ، فقالت النخلة : وهل علمت بك واقعة  
على فأعلم بك طائرة عفى !

(١) الثبان : سراويل صغيرة ( معرب : ثمان بالفارسية ) يكون للملاحين .



والله ما نشمر بعداوتك إيانا، ولا اغتممنا إذ علمنا بها، ولا يشق علينا كلامك، وإن  
 حدث الله في الزنا ثابت عليك، ولقد درأ عمرُ عنك حقا؛ الله سائله عنه !  
 ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله : هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن  
 يتزوجها ؟ فقال : « لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم يذو الزنا » ، لعلمه بأنك زان .  
 وأما نحركم علينا بالإمارة : فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا  
 مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝ ﴾ (١) .  
 ثم قام الحسن فنفض ثوبه، وانصرف ؛ فتعلق عمرو بن العاص بشوبه ، وقال : يا أمير  
 المؤمنين ، قد شهدت قوله في وقوفه أمي بالزنا ، وأنا مطالب له بحد الغذف .  
 فقال معاوية : خل عنه لا جزاك الله خيرا . فتركه .  
 فقال معاوية : قد أنبأتكم أنه ممن لا نطق عارضته ، ونهيتكم أن تسبوه فمصيبتموني ، والله  
 ما قام حتى أظلم على البيت ، قوموا عني ، فلقد فضحك الله وأخزاكم بترككم الحزم ، وعدوكم  
 عن رأي الناصح المشفق ؛ والله المستعان .

### [ عمرو بن العاص ومعاوية ]

وروى الشيخان ، قال : دخل عمرو بن العاص على معاوية يسأله حاجة ، وقد كان بلغ  
 معاوية عنه ما كثره ، فكره قضاءها وتشاغل ، فقال عمرو : يا معاوية ؛ إن السخاء  
 فطنة ، واللؤم تغافل ، والجفاء ليس من أخلاق المؤمنين . فقال معاوية : يا عمرو ؛ بماذا تستحق  
 منا قضاء الخواص المظالم ؟ فنضب عمرو وقال : بأعظم حق وأوجب ، إذ كنت في بحر  
 تبحر ، فلولا عمرو لفرقت في أقل مائه وأرقه ، ولكنك دفعتك فيه دفعة فصرت في وسطه ،  
 ثم دفعتك فيه أخرى فصرت في أعلى الموضع منه ، فغنى حكمتك ، ونفذ أمرتك ، وانطلق



لسانك بعد تلجلججه ، وأضاء وجهك بعد ظلمته ، وطمست لك الشمس بالعين المنفوش ، وأظلمت لك القمر باليلة المدهمة .

فتقاوم معاوية ، وأطبق جفنيه ملياً ، فخرج عمرو ، فاستوى معاوية جالساً وقال لجلسائه : أرايتم ماخرج من فم ذلك الرجل ؟ ما عليه لو عرض ؟ ففى التعريض ما يكفى ! ولكنه جبهنى <sup>(١)</sup> بكلامه ، ورماني بسوم سهامه .

فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين ؛ إن الحوائج تُتَقَضَى على ثلاث خصال : إيمان أن يكون السائل لقضاء الحاجة مستحقاً فتَقَضَى له بحقه ، وإيمان أن يكون السائل ثيماً فيصون الشريف نفسه عن لسانه فيَقَضَى حاجته ، وإيمان أن يكون المشول كريماً فيَقَضِيها لكرمه ؛ صغرت أو كبرت .

فقال معاوية : لله أبوك ! ما أحسن ما نطقت أوبعث إلى عمرو فأخبره ، وقضى حاجته ووصله بصلة جليلة ، فلما أخذهاولى منصرفاً . فقال معاوية : ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> فسميها عمرو ، قالت فت إليه مفضباً وقال : والله يا معاوية ، لا أزال آخذ منك قهراً ، ولا أطيع لك أمراً ، وأحفر لك بئراً عميقاً ، إذا وقعت فيه لم تدرك إلا رميماً <sup>(٣)</sup> . فضحك معاوية ، فقال : ما أريدك يا أبا عبد الله بالكلمة ، وإنما كانت آية تلوتها من كتاب الله عرَضْتُ بقلبي ، فاصنع ما شئت .

[ عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص في مجلس معاوية ]

وروى المدائني قال : بينا معاوية يوماً جالسا عنده عمرو بن العاص ، إذ قال الأذن : قد جاء عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فقال عمرو : والله لأسوءته اليوم ، فقال معاوية : لا تفعل يا أبا عبد الله ، فإنك لا تنصف منه ، ولعلك أن تُظَاهِرَنا من منقبته ما هو خفي عنا ، وما لا نحب أن نعلمه منه .

(١) جبهه : لقيه بما يكرهه من الكلام .

(٢) سورة التوبة ٥٨ .

(٣) الرميم : البالي من العظام .



وغشيهما عبد الله بن جعفر ؛ فأدناه معاوية وقرّبه ، فقال عمرو إلى بعض جلساء معاوية ،  
فقال من عليّ عليه السلام جِهاراً غير سائر له ، وثلبه ثلباً قبيحاً .  
فالتهم لونُ عبد الله بن جعفر واعتراه أفكَلُ حتى أرعدت خصائله <sup>(١)</sup> ، ثم نزل  
عن السرير كالْفَنِيْق <sup>(٢)</sup> ، فقال عمرو : مه يا أبا جعفر ! فقال له عبد الله : مه لا أم لك !  
ثم قال :

أظنّ الحسَنَ دَلَّ عليّ قومي وقد بُسِّجَهْلُ الرجلُ الحليمُ <sup>(٣)</sup>  
ثم حَسَرَ عن ذراعَيْهِ ، وقال : يا معاوية ، حَتَّامٌ تتجرع غِيظَكَ ؟ وإلى كم الصبرُ على  
مَكْرُومٍ قولك ، وسَيِّئُ أدبِكَ ، وذَمِيمُ أخلاقِكَ ! هَبْلَتِكَ الهَبُولُ <sup>(٤)</sup> ! أما يزجرك ذِمَامُ المَجَالِسَةِ  
عن القَذْعِ لجليسِكَ إذا لم تكن لك حُرْمَةٌ مِنْ دينِكَ تنهاك عما لا يجوز لك ! أما والله  
لو عَطَفْتُكَ أو أصرُّ الأرحام ، أو حَامَيْتُ على سهمِكَ من الإسلام ، ما أرعَيْتُ بني الإمامِ  
الْمُتَّكِ <sup>(٥)</sup> ، والعبيد الصُّكَّ أعراضُ قَوْمِكَ .  
وما يجهل موضع الصُّفْوَةِ <sup>(٦)</sup> إلا أهل الجفوة ، وإنك لتعرف وشائظ <sup>(٧)</sup> قرْبش وصَبْوَةٍ  
غرائزها ، فلا يدعونك تصوبُ ما فرط من خطئِكَ في سفك دماء المسلمين ، ومحاربة أميرِ  
المؤمنين ، إلى التماذِي فيما قد وضع لك الصواب في خلافه . فاقصِدْ لمنهج الحق ، فقد طال  
تعمُّك <sup>(٨)</sup> عن سبيل الرُّشْد ، وخبطُك في بحور ظلمة النقي .

(١) الأفكَل : الرعدة ، والمصائل : كل لحم فيها عصب .

(٢) الفَنِيْق : الفحل المسكر الذي لا يؤذي لسكراته .

(٣) من أبيات لقيس بن زهير ، وقوله : « يستجهل الرجل الحليم » أي إذا أخرج الحليم ، فقد يتكلف  
مألاً يكون مبهوداً في طبعه .

(٤) الهَبُول ، بالفتح : المرأة الكسول .

(٥) التَّك : جمع تَكَاء ؛ وهي الجارية البتراء وهو مما يسب به . والرجل الأسك : المضطرب  
الرجلين ، وجمع الأسك سك .

(٦) صفوة القوم : خيارهم .

(٧) يقال : هو وشيظ في قومه ، وجهه وشائظ ، أي حشوفهم . (٨) ب : د عماء .



فإن أبيت ألا تنابهننا في قبج اختيارك لنفسك ، فأعفينا من سوء القالة فينا إذا ضمنا وإياك الندى ، وشأنك وما تريد إذا خلوت ؛ والله حبيبك ، فوالله لولا ما جعل الله لنا في يدك لما أنيداك .

ثم قال : إنك إن كلفتنى ما لم أطق ساءك ما سرك متى من خلق .

فقال معاوية : يا أبا جعفر ، أقسمت عليك لتجلسن ، لعن الله من أخرج ضب صدرك من وجاره ؛ محمول لك ما قلت ، ولك عندنا ما أملت ، فلو لم يكن محمدك ومنصبك لكان خلقك وخلقك شافعين لك إلينا ، وأنت ابن ذى الجناحين وسيد بنى هاشم .

فقال عبد الله : كلاً ، بل سيد بنى هاشم حسن وحسين ، لا يناديهما في ذلك أحد . فقال : أبا جعفر ، أقسمت عليك لما ذكرت حاجة لك إلا قضيتها كأنه ما كانت ، ولو ذهبت بجميع ما أملاك ، فقال : أما في هذا المجلس فلا ، ثم انصرف . فأتبعه معاوية بصراً ، وقال : والله لسكانه رسول الله صلى الله عليه وآله ، مشيه وخلقاه وخلقاه ، وإنه لمن مشكاته ، ولوددت أنه أخى بنفيس ما أملاك .

ثم التفت إلى عمرو ، فقال : أبا عبد الله ، ما تراه منعه من الكلام معك ؟ قال : ما لا خفاء به عنك ، قال : أظنك تقول : إنه هاب جوابك ؛ لا والله ، ولكنه ازدراك واستحقرك ، ولم يرك للكلام أهلاً ، أما رأيت إقباله على دونك ذاهباً بنفسه عنك ؟ فقال عمرو : فهل لك أن تسمع ما أعددت له لجوابه ؟ قال معاوية : اذهب إليك أبا عبد الله ، فلات حين جواب سائر اليوم .

ونفض معاوية وتفرق الناس .



## [ عبد الله بن العباس ورجال قريش في مجلس معاوية ]

وروى اللدائني أيضاً قال : وقد عبد الله بن عباس على معاوية مرة ، فقال معاوية لابنه يزيد ، ولزياد بن سمية ، وعتبة بن أبي سفيان ، ومروان بن الحكم ، وعمرو بن العاص ، والغيرة بن شعبة ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن أم الحكم : إنه قد طال العهد بعبد الله بن عباس ، وما كان شجر بيتنا وبينه وبين ابن عمه ، واقد كان نصبه للتحكيم فدفع عنه ، فخر كوه على الكلام انبأ حقيقته صفته ، ونقف على كنه معرفته ، ونعرف ما صرف عنا من شبا حده ، وزوى عنا من دهاء رأيه ، فربما وصف المرء بغير ما هو فيه ، وأعطى من النعمت والاسم ما لا يستحقه .

ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس ، فلما دخل واستقر به المجلس ، ابتداء ابن أبي سفيان فقال : يا ابن عباس ، مامن عليك أن يوجه بك حكماً ؟ فقال : أما والله لو فعل لقرن عمرأ بصعفة من الإبل ، يوجع كفة<sup>(١)</sup> مرادها ، ولأذهلت عقله ، وأجرضته بريقه ، وقدحت في سويداء قلبه ، فلم يرم أمراً ، ولم يفتن تراباً ، إلا كنت منه بمرأى ومسمع ، فإن أنكأه أدميت قواه ، وإن أديمه فصمت عراه ، بفرب منقول لا يفل حده ، وأصالة رأى كتاح الأجل لا وزر منه ، أصدع به أديمه ، وأفل به شبا حده ، وأشجذ به عزائم المتقين ، وأزيج به شبه الشاكين .

فقال عمرو بن العاص : هذا والله يا أمير المؤمنين نجوم أول الشر ، وأقول آخر الخير ، وفي حسيه قطع مادته ، فبادره بالحلة ، وانتهز منه الفرصة ، وادع بالتنكيل به غيره ، وشرد به من خلفه .

فقال ابن عباس : يا بن النابغة ؛ ضل والله عقلك ، وسفه حلمك ، ونطق الشيطان على لسانك ؛ هلا توليت ذلك بنفسك يوم صفتين حين دُعيت نزال<sup>(٢)</sup> ، وتكافح الأبطال ،

(١) : كفه . (٢) نزال هنا بمعنى المنازلة .



وكثر الجراح ، وتقصفت الرماح ، وبرزت إلى أمير المؤمنين مصاولا ، فانكفا نحوك بالسيف حاملا ؛ فلما رأيت الكواشر من الموت ؛ أعددت حيلة السلامة قبل لقائه ، والانكفاء عنه بعد إجابة دعائه ، ففتحته بـرجاء النجاة - عورتك ، وكشفت له - خوف بأسه - سواتك ، حذراً أن يصطلك بسطوته ، ويلتهمك بحملته ، ثم أشرت على معاوية كالناصح له بمبارزته ، وحسنت له التعرض لمكائده ، رجاء أن تكفي مؤنته ، وتعدم صورته ، فلم غل صدرك ، وما انحنت عليه من النفاق أضللك ، وعرف مقرر سهمك في غرضك .

فاكفف غرب لسانك ، واقمع عوراء لفظك ؛ فإنك لمن أسد خادير<sup>(١)</sup> ، وبحر زاخر ، إن تبرزت للأسد افترسك ؛ وإن عمت في البحر قسك<sup>(٢)</sup> .

فقال مروان بن الحكم : يا بن عباس إنك لتصرف أنيابك ، وتورى نارك ، كأنك ترجو الغلبة وتؤمل المافية ، ولولا حلم أمير المؤمنين عنكم لتناولكم بأقصر أنامله ، فأوردكم منها بعمدا صدره ، ولمرى لئن سطا بكم لياخذن بعض حق منكم ، ولئن عفا عن جرائمكم فقدما ما نسب إلى ذلك .

فقال ابن عباس : وإنك لتقول ذلك يا عدو الله ، وطريد رسول الله ، والمباح دمه ، والله اخل بين عثمان ورعيته ، بما حلهم على قطع أوداجه ، وركوب أثباجه ؛ أما والله لو طلب معاوية ثأره لأخذك به ، ولو نظر في أمر عثمان لوجدك أوله وآخره .

وأما قولك لي : « إنك لتصرف أنيابك ، وتورى نارك » ؛ فسئل معاوية وعمرأ بخير الكيلة الحرير ، كيف ثباتنا للمثلات ، واستخفافنا بالمعضلات ، وصدق جلا دنا عند المصاولة ، وصبرنا

(١) أسد خادر : مقيم في خدره .

(٢) قسك : غمسك ، وفي : « غمسك » .



على اللأواء والمطلولة، ومصاحفتنا بجباهنا السيوف المرهقة؛ ومباشرتنا بنحورنا حدَّ الأسيئة، هل خفنا<sup>(١)</sup> عن كرائم تلك المواقف، أم لم لبذل مهجنا المتألف؟ وليس لك إذ ذاك فيها مقام محمود، ولا يوم مشهود، ولا أثر معدود، وإنيهما شهدا ما لو شهدت لأقلقتك؛ فاربّع على ظلمك، ولا تفرّض لما ليس لك، فإنك كالغروز في صفد، لا يهبط برجل، ولا يرقى بيد.

فقال زياد : يا ابن عباس، إني لأعلم مامنع حسنا وحسينا من الوفود معك على أمير المؤمنين إلا ماسوت لها أنفسهما، وغرهما به من هو عند البأساء سالمهما، وإيم الله لو وليتهما لأذأبا في الرحلة إلى أمير المؤمنين أنفسهما، ولقل بمكانهما لبيهما.

فقال ابن عباس : إذن والله يقصرُ دونهما باعك، وبضيق بهما ذراعك، ولو رمت ذلك لوجدت من دونهما فئة صدقا، صبرا على البلاء، لا يخيمون عن اللقاء، فلمركوك بكلا كلمهم، ووطئتوك بمناسمهم، وأوجرتك ميثاق رماحهم، وشيفار سيوفهم ووخر أسنتهم، حتى تشهد بسوء ما أتيت، وتنبئ ضياع الحزم فيما جنيت. فحذار حذار من سوء النية فتكافأ برد الأمانة، وتكون سببا لفساد هذين الحيين بعد صلاحهما، وسعيًا في اختلافهما بعد اتلافهما، حيث لا يضرهما إيساسك، ولا يفنى عنهما إيناسك.

فقال عبد الرحمن بن أم الحكم : لله درُّ ابن ملجم فقد بلغ الأمل، وأمين الوجل، وأحد الشفرة والأت المثرة، وأدرك الثار، ونفى العار، وفاز بالمنزلة العليا، وورق الدرجة القصوى.

فقال ابن عباس : أما والله : لقد كرع كأس حنقه بيده، وعجل الله إلى النار بروحه،



ولو أبدى لأمر المؤمنين صفحته لما أظلم الفحل القطم<sup>(١)</sup> والسيف الخديم<sup>(٢)</sup>، ولألمقه صابا، وسقاء سماً، وألحقه بالوليد وعتبة وحفظه، فكلهم كان أشد منه شكية، وأمضى عزيمة، فقرى بالسيف هامهم، ورملمهم<sup>(٣)</sup> بدمائهم؛ وقرى الذئاب أشلاءهم، وفرق بينهم وبين أحبائهم: ﴿أولئك حصبُ جهنم لما واردون﴾<sup>(٤)</sup>، و﴿هل نحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا﴾<sup>(٥)</sup>، ولا غزو إن ختل، ولا وصمة إن قتل؛ فإنا لكما قال دريد ابن الصمة:

فإنا للحمُ السيف غير مكرٍ • ونلحمه طوراً وليس بذى نكر<sup>(٦)</sup>  
يفار علينا واطر بن فيشتقى • بنا إن أصبنا، أو نغير على وثر

فقال المفيرة بن شعبة: أما والله لقد أشرت على علي بالنصيحة فأثر رأيه، ومضى على غلوائه، فكانت العاقبة عليه لاله، وإني لأحسب أن خلقه يقتدون بمنهجه.

فقال ابن عباس: كان والله أمير المؤمنين عليه السلام أعلم بوجوه الرأي، ومعاهد الحزم، ونصريف الأمور، من أن يقبل مشورتك فيما نهى الله عنه، وعنف عليه، قال سبحانه: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾<sup>(٧)</sup>؛ ولقد وقفك على ذكر مبین، وآية متلوة قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ

(١) القطم: الفحل المثلول.

(٢) الخديم: القاطم.

(٣) رملهم: لطمهم.

(٤) سورة الأنبياء ٩٨.

(٥) سورة مريم ٩٨.

(٦) من كلمة له في الأغاني ١٠: (طبعة الدار)، وفي الأغاني:

• غير نكيرة... ونلحمه حيناً •

ولحمه: أي أظلمه اللحم.

(٧) سورة المجادلة ٢٢.



عَضُدًا<sup>(١)</sup> ، وهل كان يسوغ له أن يحكم في دماء المسلمين وفي المؤمنين ، من ليس بآمون عنده ، ولا موثوق به في نفسه ؟ هيهات هيهات ! هو أعلم بفرض الله وسنة رسوله أن يبطن خلاف ما يظهر إلا للتقية ، ولات حين تقيّة ! مع وضوح الحق ، وثبوت الجنان ، وكثرة الأنصار ، يمضى كالسيف المصلت في أمر الله ، مؤثرا اطاعة ربه ، والتقوى على آراء أهل الدنيا .

فقال يزيد بن معاوية : يا بن عباس ، إنك لتتطلق بلسان طلق بذبي عن مكنون قلب حريق ، فاطور ما أنت عليه كسحا ، فقد محاضوه حقنا ظلمة باطلكم .

فقال ابن عباس : مهلا يزيد ، فوالله ما صفت القلوب لكم منذ تكذرت بالعداوة<sup>(٢)</sup> عليكم ، ولا دنت بالحببة إليكم مذنات بالبغضاء عنكم ، لا رضيت اليوم منكم ما سخطت بالأمس من أفعالكم ، وإن تدل<sup>(٣)</sup> الأيام نستقص ما سدت عنا ، ونسترجع ما ابتز منا ، كيلا بكيل ، ووزنا بوزن ، وإن تسكن الأخرى فكفى بالله وليا لنا ، ووكيلا على المعتدين علينا .

فقال معاوية : إن في نفسي منكم لحزازات يا بني هاشم ، وإني تخليق أن أدرك فيكم النار ، وأنفي العار ، فإن دماءنا قبلكم ، وظلامتنا فيكم .

فقال ابن عباس : والله إن رمت ذلك يا معاوية لتثيرن عليك أسدا مخدرة<sup>(٤)</sup> ، وأفاعى مطرقة ، لا يفتنوها كثرة السلاح ، ولا يعضها نكابة الجراح ، يضمون أسياقهم على عواتقهم ، يضربون قدما قدما من نأواهم ، يهون عليهم نباح الكلاب وعواء الذئاب ،

(١) سورة الكهف ٥١ .

(٢) ساقطة من ب .

(٣) يقال : دالت الأيام ، أى درت ، وهو من قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ .

(٤) الأسد الحادر والمخدر : القيم في الحذر ، وهو الغرين .



لا يُفَاتُونَ بَوْتَرًا ، وَلَا يُسَبِّقُونَ إِلَى كَرِيمٍ ذِكْرًا ، قَدْ وَطَّنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ ، وَتَحَمَّتْ بِهِمْ إِلَى الْعَلْيَاءِ هِمُّهُمْ ؛ كَمَا قَالَتِ الْأَزْدِيَّةُ :

قَوْمٌ إِذَا شَهِدُوا الْهَيَّاجَ فَلَا ضَرْبَ يُنْهِيهِمْ وَلَا زَجْرَ  
وَكَانَهُمْ آسَادُ غِيَمَةٍ قَدْ غَرِثَتْ وَبَلَّ مَتُونَهَا الْقَطَرُ<sup>(١)</sup>

فَلَتَكُونَنَّ مِنْهُمْ بِمِثْلِ لَيْلَةِ الْمَرِيرِ لِلْهَرَبِ فَرَسُكَ ، وَكَانَ أَكْبَرُ هَمِّكَ سَلَامَةَ  
حُشَاةِ نَفْسِكَ ، وَلَوْ لَا طِفَامٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَقَوْكَ بِأَنْفُسِهِمْ ، وَبَذَلُوا دُونَكَ مَهَجَهُمْ ،  
حَتَّى إِذَا ذَاقُوا وَخَزَ الشُّقَارَ ، وَأَيَقَنُوا بِمَحْلُولِ الدَّمَارِ ، رَفَعُوا لِلصَّاحِفِ مُسْتَجِيرِينَ بِهَا ، وَعَاثِلِينَ  
بِعَصَمَتِهَا - لَكُنْتَ شِلْوًا<sup>(٢)</sup> مَطْرُوحًا بِالْعَرَاءِ ، تَسْفِي عَلَيْكَ رِيَاحُهَا ، وَيَعْتَوِرُكَ ذُبَابُهَا .  
وَمَا أَقُولُ هَذَا أُرِيدُ مَرْفَكَ عَنْ عَزِيَّتِكَ ، وَلَا إِزَالَتَكَ عَنْ مَعْقُودِ نَيْتِكَ ، لَكِنَّ  
الرَّحِمَ الَّتِي تَعْطِفُ عَلَيْكَ ، وَالْأَوَامِرَ الَّتِي تَوْجِبُ صَرْفَ النَّصِيحَةِ إِلَيْكَ .

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : اللَّهُ دَرَكُ يَابْنَ عَبَّاسٍ ! مَا نَسِيكَ شَرُّ الْأَيَّامِ مِنْكَ إِلَّا عَنْ سَيْفِ صَقِيلٍ ،  
وَرَأَى أَحْمِلَ إِبْرَاهِيمَ لَوْ لَمْ يَلِدْ هَاشِمٌ غَيْرَكَ لَمَا نَقَصَ عَدَدُهُمْ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَأَهْلَكَ سِوَاكَ لَكَانَ  
اللَّهُ قَدْ كَثُرَ .

ثُمَّ نَهَضَ ، فَهَامَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَانْصَرَفَ .

\*\*\*

وَرَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبِيٌّ فِي أَمَالِيهِ ، أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ قَالَ لثَعْلَبَةَ  
ابْنِ أَبِي سَفْيَانَ يَوْمَ الْحَكَمَيْنِ : أَمَا تَرَى ابْنَ عَبَّاسٍ قَدْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ ، وَنَشَرَ أُذُنَيْهِ ، وَلَوْ قَدَّرَ  
أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا فَعَلَّ ، وَإِنْ غَفَلَتْ أَصْحَابُهُ لِمَجْبُورَةٍ بِفَطَلَتِهِ ، وَهِيَ سَاعَتُنَا الْعُلُولَى فَاكْفَيْهِ .  
قَالَ ثَعْلَبَةُ : بِجَهْدِي .

(١) الْغِيَمَةُ : الْأَشْجَارُ الْمُنْتَفِةُ فِي الْجِبَالِ وَفِي السَّهْلِ بِلَا مَاءٍ ؛ فَإِذَا كَانَتْ بِمَاءٍ فَهِيَ الْغَيْضَةُ . وَالْغِيَمَةُ أَيْضًا :  
مَوْضِعُ الْيَمِينِ . (٢) الشِّلْوُ : الْمَضُوعُ مِنْ أَعْضَاءِ الْهَيْمِ .



قال : ففقت ففعدت إلى جانبه ، فلما أخذ القوم في الكلام أقبلت عليه بالحديث ، ففرع يدي ، وقال : ليست ساعة حديث ؛ قال : فأظهرت غضبا ، وقلت : يا ابن عباس ، إن ثقك بأحلامنا أسرعت بك إلى أعراضنا ، وقد والله تقدم من قبل العذر ، وكثر منا الصبر ؛ ثم أفضعته فجاش لي مرجه وارتفعت أصواتنا ، فجاء القوم فأخذوا بأيدينا فنحوه عنى ونحوني عنه ، فبحثت ففرت من عمرو بن العاص ، فرماني بمؤخر عينيه وقال : ما صنعت ؟ فقلت : كفيتهك التثؤلة ، فمحم كما يحمهم الفرس للشعير . قال : وفات ابن عباس أول الكلام ، فكره أن يتكلم في آخره .

وقد ذكرنا نحن هذا الخبر فيما تقدم في أخبار صفيين على وجه آخر غير هذا الوجه .

### [ عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص في الحبشة ]

فأما خبر عمارة بن الوليد بن المغيرة الخزومي ، أخى خالد بن الوليد مع عمرو بن العاص فقد ذكره ابن إسحق في كتاب " المغازي " قال :

كان عمارة بن الوليد بن المغيرة وعمرو بن العاص بن وائل ، بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله ، خرجا إلى أرض الحبشة على شيركمها ، وكلاهما كان شاعرا عارما فاتكأ . وكان عمارة بن الوليد رجلا جميلا وسيما تهواه النساء ، صاحب محادثة لمن ؛ فركبا البحر ومع عمرو بن العاص امرأته ، حتى إذا صاروا في البحر ليالي ، أصابا من تخير معهما ، فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو بن العاص : قبليني ، فقال لها عمرو : قبلي ابن عمك ، فقبلته فمويها عمارة ، وجعل يرادها عن نفسها ، فامتعت منه . ثم إن عمرا جلس على منجاف<sup>(١)</sup>

(١) المنجاف : سكان السفينة .



السفينة يبول ، فدفعه عمارة في البحر فلما وقع عمرو سبّح ، حتى أخذ بمحجاف السفينة ، فقال له عمارة : أما والله لو علمت أنك صاحب ما طرحتك ، ولكنتي كنت أظن أنك لا تحسن السباحة ، فضغن عمرو عليه في نفسه ، وعلم أنه كان أراد قتله ؛ ومضيا على وجههما ذلك ؛ حتى قدما أرض الحبشة ؛ فلما نزلاها كتب عمرو إلى أبيه العاص بن وائل ؛ أن اخلعني وتبرأ من جريرتي إلى بني المنيرة وسائر بني مخزوم ، وخشي على أبيه أن يتبع بحريرته . فلما قدم الكتاب على العاص بن وائل ، مشى إلى رجال بني المنيرة وبني مخزوم ، فقال : إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم ، وكلاهما قاتلك صاحب شر ، غير مأمونين على أنفسهما ، ولا أدري ما يكون منهما ؛ وإني أبرأ إليكم من عمرو وجريرته ، فقد خلعتُ . فقال عند ذلك بنو المنيرة وبنو مخزوم : وأنت تخاف عمراً على عمارة ؛ ونحن قد خلعنا عمارة وتبرأنا إليك من جريرته ، نفل بين الرجلين . قال : قد فعلت ، فخلعوها وبرئ كل قوم من صاحبهم وما يجري منه .

قال : فلما اطمأننا بأرض الحبشة ؛ لم يلبث عمارة بن الوليد أن دبّ لامرأة النجاشي . وكان جيلاً صبيحاً وسيماً . فأدخلته ، فاختلف إليها ، وجعل إذا رجع من مدخله ذلك يخبر عمراً بما كان من أمره ، فيقول عمرو : لأصدقك أنك قدرت على هذا ، إن شأن هذه المرأة أرفع من ذلك ؛ فلما أكثر عليه عمارة بما كان يخبره . وكان عمرو قد علم صدقه ، وعرف أنه دخل عليها ، ورأى من حاله وهيئته وما تصنع المرأة به إذا كان معها ، ويتوتيه عندها ؛ حتى يأتي إليه مع السحر ما عرف به ذلك ، وكانا في منزل واحد ؛ ولكنه كان يريد أن يأتيه بشيء لا استطاع دفعه ، إن هو رفع شأنه إلى النجاشي . فقال له في بعض



مايتذاكران من أمرها : إن كنت صادقاً فقل لها : فلتدھنك بدهن النجاشي الذي لا يدھن به غيره ، فإني أعرفه ، واثنتي بشي . منه حتى أصدقك ، قال : أفعل .

فجاء في بعض مايدخل إليها ، فسألها ذلك ، فدھنته منه ، وأعطته شيئاً في قارورة ، فلما شمه عمرو عرّفه ، فقال : أشهد أنك قد صدقت ! لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحد من العرب مثله قط ، [ وثلث من ]<sup>(١)</sup> امرأة الملك [ شيئاً ]<sup>(٢)</sup> ما سمعنا بمثل هذا . وكانوا أهل جاهلية وشبانا ، وذلك في أنفسهم فضل لمن أصابه وقدر عليه .

ثم سكّت عنه<sup>(٣)</sup> حتى اطمأن ، ودخل على النجاشي<sup>(٤)</sup> ، فقال : أيها الملك ؛ إن معي سفيهاً من سفهاء قريش ، وقد خشيت أن يعرّني<sup>(٥)</sup> عندك أمره ، وأردت أن أعلّك بشأنه ، وألا أرفع ذلك إليك حتى أستثبت أنه قد دخل على بعض نساءك فأكثر . وهذا دھنك قد أعطته وأدھن به .

فلما شمّ النجاشي الدھن ، قال : صدقت ، هذا دھن الذي لا يكون إلا عند نساءي ، فلما أثبت أمره ، دعا بشارة ، ودعا نسوة أخريات ، فذكره من ثيابه ، ثم أمرهن أن ينفخن في إحليله ، ثم خلى سبيله .

فخرج هارباً في الوحش ، فلم يزل في أرض الحبشة ، حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ، فخرج إليه رجال من بني المنيرة ، منهم عبد الله بن أبي ربيعة بن المنيرة - وكان اسم عبد الله قبل أن يسلم بجبرا ، فلما أسلم ، سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الله - فرصدوه على ماء بأرض الحبشة ، كان يرده مع الوحش ، فزعموا أنه أقبل في حمر من حمر الوحش ليبرد معها ، فلما وجد ريح الإنس ، هرب منه ، حتى إذا أجهدته العطش ، ورد فشرب حتى تملأ ، وخرجوا في طلبه .

(١) تكله من الأغاني .

(٢-٣) الأغاني : هـ حتى إذا اطمأن دخل على النجاشي .

(٣) مره : لطفه بالميب ، وفي أ : هـ يفيرني ، هـ وما أثبتت عن الأغاني .



قال عبد الله بن أبي ربيعة : فسبقتُ إليه قائلزمته ، فجعل يقول : أرسِلْنِي ، إني أموت إن أسكنتني . قال عبد الله : فضبطته<sup>(١)</sup> فمات في يدي مكانه ، فواروه ثم انصرفوا .

وكان شعره - فيما يزعمون - قد غطى كل شيء منه ؛ فقال عمرو بن العاص ، يذكر ما كان صنع به وما أراد من امراته :

تَسَلَّمْتُ هُمَارًا أَنْ مِنْ شَرِّ سُنَّةٍ      عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يُدْعَى ابْنُ عَمٍّ لَهُ أَبْنًا  
أَنْ كُنْتُ ذَا بُرْدَيْنِ أَخَوِي مُرْجَلًا      فَلَسْتُ بِرَاجٍ لِابْنِ عَمِّكَ عَمْرَمًا  
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَسْتَطِعْ طَعَامًا يَحِبُّهُ      وَلَمْ يَنْفَسْ قَلْبًا غَاوِيًا حَيْثُ يَتِمَّا  
قَضَى وَطَرًا مِنْهُ بَسِيرًا وَأَصْبَحْتُ      إِذَا ذَكَرْتُ أَمْثَالَهَا تَمَلُّأُ الْقَمَّا<sup>(٢)</sup>

[أمر عمرو بن العاص مع جعفر بن أبي طالب في الحبشة]

وأما خبر عمرو بن العاص في شخوصه إلى الحبشة ، ليكيد جعفر بن أبي طالب والمهاجرين من المؤمنين عند النجاشي<sup>(٣)</sup> ، فقد رواه كل من صنف في السيرة ؛ قال محمد بن إسحاق في كتاب " المغازي " قال :

حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن ، ابن الحارث بن هشام المخزومي ، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن لغيرة المخزومية ، زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله ، قالت :

لما نزلنا بأرض الحبشة جاورنا بها خيرَ جارٍ ، النجاشي ، أمينا<sup>(٤)</sup> على ديننا ، وعبدا لله لا تؤذى كما كنا تؤذى بمكة ، ولا نسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا انحصروا

(١) في الأغاني : د فضبطته . (٢) المبر والشعر في الأغاني ٩ : ٥٧ - ٥٩ ( طبعة الدار )

(٣) النجاشي ، وبخفيها . (٤) في الأصول : أمينا ، وما أتجه من السيرة .



فيهم أن يبعثوا إلى النجاشي في أمرنا رجلين منهم جلدن ، وأن يهتدوا للنجاشي هدايا مما يُستطَرَف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منه الأدم ؛ فجمعوا أدما كثيرا ، ولم يتركوا من بطارقتهم بطريقا إلا أهتدوا إليه هدية . ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمر بن العاص بن وائل السهمي ، وأمرهما أمرهم ، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته ، قبل أن تُكَلِّما النجاشي فيهم .

ثم قديما إلى النجاشي ، ونحن عنده في خير دار عند خير جار ، فلم يبق من بطارقتهم بطريق إلا دفعا إليه هديته ، قبل أن يكَلِّما النجاشي ، ثم قالوا للبطارقة :

إنه قد فرَّ<sup>(١)</sup> إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاموا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك أشراف قومهم لتردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه أن يُسَلِّمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما طابوا عليهم . فقالوا لهما : نعم .

ثم إنهما قرَّبا<sup>(٢)</sup> هدايا الملك إليه فقبلها منهم ، ثم كلماه ، فقالا له :

أيها الملك ، قد فرَّ إلى بلادك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، جاموا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ؛ وقد بعثنا فيهم إليك أشراف قومنا من آبائهم وأعمامهم وعشائهم ، لتردهم عليهم ؛ فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما طابوا عليهم وعابثوه منهم .

قالت أم سلمة : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمر بن العاص ، من أن يسمع النجاشي كلامهم .

فكانت بطارقة الملك وخواصته حوله : صدقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم

(١) السيرة : دحوى ، أي أوى . (٢) السيرة : ه قلد .



بما عابوا عليهم فليستهم الملك إليهما ، ليردّاهم <sup>(۱)</sup> إلى بلادهم وقومهم .  
فغضب الملك وقال : لا ها الله ! إذا لا أسلمهم إليهما ، ولا أخير <sup>(۲)</sup> قوما جاوروني  
ونزلوا بلادى ، واختاروني على سواى ، حتى أدموهم وأسلمهم عما يقول هذان فى أمرهم ، فإن  
كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم ،  
وأحسنّت جوارهم ما جاوروني .

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله  
اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ماتقولون لرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمناه ،  
وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وآله كأننا [ فى ذلك ] <sup>(۳)</sup> ما هو كائن ، فلما جاءوه ، وقد  
دعا النجاشى أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سألم فقال لهم : ما هذا الدين الذى فارقتم  
فيه قومكم ، ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟ قالت أم سلمة : وكان الذى  
كناه جعفر بن أبى طالب فقال له : *مترجمة كوتيرى*  
أيها الملك إنا كنّا قوما فى جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ،  
ونقطع الأرحام ، ونسى الجوار ، وبأكل القوى منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث  
الله عز وجلّ علينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده  
ونعبده ، ونخلع ما كنا عليه نحن وآباؤنا من دونه ، من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق  
الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن التجاور ، والكف عن المحارم والدماء ،  
ونهاى عن سائر الفواحش ؛ وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد  
الله لا نشرك به شيئا ، وبالصلاة وبالزكاة والصيام .

(۱) السيرة : دليداهم .

(۲) فى السيرة : ولا يكاد قوم .

(۳) من السيرة .



قالت <sup>(١)</sup> : فعدّد عليه أمور الإسلام كلها ، فصدّقناه وآمنّا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحلّنا ما أحلّ لنا ، فعدّدنا علينا قومنا فعدّد بونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردّونا إلى عبادة الأصنام والأوثان عن عبادة الله ، وأن نستحلّ ما كُنّا نستحلّ من الخبائث ؛ فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلدك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك .

فقال النجاشي : فهل معك مما جاء به صاحبكم عن الله شيء ؟ فقال جعفر : نعم . فقال اقرأ عليّ ، فقرأ عليه صدرّاً من « كهيعص » ، فبكي حتى اخضلت لحيتّه ، وبكت أسافنته حتى أخضلوا لحام <sup>(٢)</sup> . ثم قال النجاشي : والله إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، والله لا أسلمكم إليهم .

قالت أمّ سلمة : فلما خرج القوم من عنده ، قال عمرو بن العاص <sup>(٣)</sup> : والله لأعييهم غداً عنده بما يستأصل به خضراءهم <sup>(٤)</sup> ؛ فقال له عبدالله بن أبي ربيعة - وكان أتى الرّجلين : لا تفعل ، فإنّ لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفوا ؛ قال : والله لأخبرته غداً أنهم يقولون في عيسى بن مريم إنه عبدٌ . ثم غداً عليه من الغد ، فقال : أيها الملك ، إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً ؛ فأرسل إليهم فسألهم عما يقولون فيه ؛ فأرسل إليهم . قالت أمّ سلمة : فما نزل بنا مثلاً . واجتمع المسلمون ، وقال بعضهم لبعض : ماتقولون في عيسى إذا سألكم عنه ؟ فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه والله ما قال عزّ وجلّ ، وما جاء به نبينا عليه السلام ، كائننا في ذلك ما هو كائن .

فلما دخلوا عليه قال لهم : ماتقولون في عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر : نقول إنه عبدالله

(١) في الأصول : « قال » ، وما أثبتته من السيرة .

(٢) السيرة : « أخضلوا مصاحفهم » .

(٣ - ٤) السيرة : « والله لأخبرته غداً بما استأصل به خضراءهم ، أي جاعلهم » .



ورسوله وروحہ وکلمته ألقاها إلى مريم العذراء بقول .

قالت : فضرب النجاشي يديه على الأرض ، وأخذ منها عوداً ، وقال : ماعدا عيسى

ابن مريم ما قال هذا العود .

قالت : فقد كانت بطارقه تناخرت حوله ، حين قال جعفر ما قال ، فقال لهم النجاشي :

وإن تناخرتم !

ثم قال للمسلمين : اذهبوا فأنتم « سيوم » بأرضي ، أي آمنون ، من سبكم غرم ، ثم من

سبكم غرم ، ثم من سبكم غرم ، ما أحب أن لي دبراً<sup>(١)</sup> ذهباً وأني آذيت رجلاً منكم .

والذير بلسان الحبشة : الجبل - ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي فيها ؛ فوالله ما أخذ الله

منى الرشوة حتى ردني إلى ملكي . فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في

أفأطعهم فيه !

قالت : فخرج الرجلان من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به ، وأقننا عنده

في خير<sup>(٢)</sup> دار مع خير جار ، فوالله إنا لعلی ذلك ؛ إذ نزل به رجل من الحبشة يتنازعه

في ملكه .

قالت أم سلمة : فوالله ما أصابنا خوفٌ وحزن قط كان أشد من خوف وحزن

نزل بنا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان

يعرف منه .

قالت : وسار إليه النجاشي وبينهما عرض النبل ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله

عليه وآله : من رجل يخرج حتى يحضر وقمة القوم ثم يأتي بنا بالخبر ؟ فقال الزبير بن العوام :

أنا - وكان من أحدث المسلمين<sup>(٣)</sup> سيفاً - فنفخوا له قرية فجعلناها تحت صدره ، ثم سبح

(١) في الأصول : « دينا » ، والصواب من السيرة .

(٢) السيرة : « بخير » .

(٣) السيرة : « القوم » .



عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها يلتقي القوم ، ثم انطلق حتى حضرم . قالت : ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمسكين له في بلاده ، فوالله إنا نأمل ذلك متوقعون لما هو كائن ، إذ طلع الزبير بسمي وبلوح بشوبه ويقول : ألا أبشروا ، فقد ظهر النجاشي وأهلك الله عدوه .

قالت : فوالله ما علمنا فرحنا فرحة مثلها قط ، ورجع النجاشي ، وقد أهلك الله عدوه وتمكن ومكن له في بلاده ، واستوثق له أمر الحبشة ، فكنا عنده في خير منزل ودار إلى أن رجعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة <sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وروى عن عبد الله بن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : لقد كاد عمرو بن العاص عمنا جعفرا بأرض الحبشة عند النجاشي ، وعند كثير من رعيته بأنواع السكيد ردها الله تعالى عنه بلطفه ، رماه بالقتل والسرقة والزنا فلم يلبث به شيء من تلك العيوب ، لما شاهدته القوم من طهارته وعبادته ، ونسبته ونسب النبوة عليه ، فلما نبأ معاوية عن صفاته ، هبأ له سمًا قذفه إليه في طعام ، فأرسل الله هرة كفأ تلك الصحفة ، وقد مدت يده نحوه ثم مات لوقت ، وقد أكل منها . فتمين لجعفر كيدوه وغائلته فلم يأكل بعدها عنده ، وما زال ابن الجزار عدوًا لنا أهل البيت .

\*\*\*

### [ أمر عمرو بن العاص في صفين ]

وأما خبر عمرو في صفين وانقائه حملة على عليه السلام ، بطرحه نفسه على الأرض وإبداء سوائه : فقد ذكره كل من صنف في السير كتابا ، وخصوصاً الكتب الموضوعة لصفين .

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ٢١١ - ٢١٣ (على هامش الروض الأثف) .



قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين ، قال :

حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عبدالله بن أبي عمرو ، وعن عبد الرحمن بن حاطب ، قال <sup>(١)</sup> : كان عمرو بن العاص عدوا للحارث بن نصر الخثعمي <sup>(٢)</sup> ، وكان من أصحاب علي عليه السلام ، وكان علي عليه السلام قد تهيبته فرسان الشام ، وملأ قلوبهم بشجاعته ، وامتنع كل منهم من الإقدام عليه . وكان عمرو قتما جلس مجلساً إلا ذكر فيه الحارث بن نصر الخثعمي وطابه ، قتال الحارث :

ليس عمرو بتارك ذكره الحارث بالسوء أو بلاق عليا <sup>(٣)</sup>

واضع السيف فوق منكبه الأبي من لا يحسب الفوارس شيئا

ليت عمرا يلقاه في حومة النخيل وقد أمست السيف عصيا <sup>(٤)</sup>

حيث يدعو للحرب حامية القوم إذا كان بالبراز مليا <sup>(٥)</sup>

فألقه إن أردت مكرمة النخيل أو الموت كل ذاك عليا

فشاعت هذه الأبيات حتى بلغت عمرا ، فأقسم بالله ليلقي عليا ولو مات ألف مائة.

فلما اختلطت الصفوف لقيه فحمل عليه برمحه ، فتقدم علي عليه السلام وهو مخترط سيفاً

(١) صفين ٤٨١ وما بعدها .

(٢) صفين : « الجشمي » .

(٣) صفين :

ليس عمرو بتارك ذكره الحارث بامدى الدهر أو بلاق عليا

(٤) صفين : « سارت السيوف » .

(٥) بعده في صفين :

فوق شهب مثل السحوق من النخل بنادى المبارزين إليا

ثم يا عمرو نستريح من الفخر وتلقى به فتى هاشميا

السحوق من النخل : الطويلة ؛ شبه بها الخيل .



معتقل<sup>١</sup> ربحاً ، فلما رفقته هز فرسه ليملؤ عليه ، فألقى عمرو نفسه عن فرسه إلى الأرض شاغراً  
برجليه ؛ كاشفا عورته ، فانصرف عنه لافتاً وجهه مستدير<sup>٢</sup> إليه ، فمد<sup>٣</sup> الناس ذلك من مكارمه  
وسؤدده ، وضرب بها المثل .

\*\*\*

قال نصر : وحدثني محمد بن إسحاق ، قال : اجتمع<sup>(١)</sup> عند معاوية في بعض ليالي صيفين  
عمرو بن العاص ، وعُتْبة بن أبي سفيان ، والوليد بن عُقْبة ، ومروان بن الحكم ، وعبدالله  
ابن عامر ، وابن طلحة الطَّلَحَاتِ الخُزَاعِيّ ، فقال عُتْبة : إن أمرنا وأمر علي بن أبي طالب  
كعجب ! ما فينا إلا موتور<sup>(٢)</sup> مُجْتَاح .

أما أنا فقتل جدّي عُتْبة بن ربيعة ، وأخي جَنْظَلَةَ ، وشرك في دم عتي شبيبة يوم بدر .  
وأما أنت يا وليد ، فقتل أباك صَبْرًا ، وأما أنت يا ابن عامر ، فصرع أباك وسلب عمك .  
وأما أنت يا ابن طلحة ، فقتل أباك يوم الحُلِ ، وأنتم إخوانك . وأما أنت يا مروان فكما  
قال الشاعر :

وَأَفْلَتَنَ عَابِلًا جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكْتَهُ صَفِيرَ الْوِطَابِ<sup>(٣)</sup>

فقال : معاوية هذا الإقرار فأين القير<sup>(٤)</sup> ؟ قال مروان : وأي غير تريد ؟ قال : أريد  
أن تشجروه بالرماح . قال : والله يا معاوية ما أراك إلا هاذبا أو هازئا ، وما أرانا إلا تفلنا عليك ،  
فقال ابن عُقْبة :

يَقُولُ لَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ      أَمَا فِيكُمْ لِيَوَاتِرَكُمْ طُلُوبُ  
يَشُدُّ عَلَى أَبِي حَسَنٍ عَلَى      بِأَثَمٍ لَا تَهْجُنُهُ الْكُعُوبُ

(١) صيفين ٢٧٥ وما بعدها .

(٢) صيفين : دجاج .

(٣) لامرئ القيس ، ديوانه ١٣٨ ، وعلباء قاتل والدمري القيس ، والجربش : القدي يؤخذ بريقه .

وصفر وطابه ، كناية عن القتل .

(٤) القير : جمع غيور ، والغيرة : الهبة .



فِيهِ نِكَ تَجْمَعُ اللَّبَّاتِ مِنْهُ      وَتَقَعُ الْحَرْبُ مَطْرِدُ يُوُوبُ  
قُلْتُ لَهُ : أَتَلْعَبُ يَا بْنَ هَنْدٍ      كَأَنَّكَ بَيْنَنَا رَجُلٌ غَرِيبُ  
أَتُقَرِّبُنَا بِحِمَّةٍ بَطْنِ وَادٍ      إِذَا نَهَشَتْ ، فَلَيْسَ لَهَا طَلِيبُ<sup>(١)</sup>  
وَمَا ضَبَعَ بِدِبِّ بَيْطُنِ وَادٍ      أَتَبِيعُ لَهُ بِهِ أَسَدُ مَهِيبُ  
بِأَضْعَفِ حِيلَةٍ مِنَّا إِذَا مَا      لَقِينَاهُ وَلَقِينَاهُ عَجِيبُ  
سَوَى عَمْرُو وَقَتَهُ خُصْبَاهُ      وَكَانَ لِقَابُهُ مِنْهُ وَجِيبُ  
كَأَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا عَابَنُوهُ      خِلَالَ النَّقْعِ ، لَيْسَ لَهُمْ قَلُوبُ  
لِعَمْرِ أَبِي مَعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ      وَمَا خَلَقَى سِتْلَحْقَهُ الْعُيُوبُ  
لَقَدْ نَادَاهُ فِي الْمُهَاجَا عَلَى      فَاسْمَعَهُ وَلَكِنْ لَا يَجِيبُ  
فَنَضِبَ عَمْرُو ، وَقَالَ : إِنَّ كَانَ الْوَلِيدُ صَادِقًا فَلْيَلِقُ عَلِيًّا ، أَوْ فَلْيَقِفْ حَيْثُ  
يَسْمَعُ صَوْتَهُ .  
وَقَالَ عَمْرُو :

يَذْكُرُنِي الْوَلِيدُ دُعَا عَلَى      وَنُطِقُ الْمَرْءَ بِمَلُوءِ الْوَعِيدُ  
مَتَى تَذْكُرْ مَشَاهِدَهُ قَرِيبُ      يَطْرُقُ مِنْ خَوْفِهِ الْقَلْبَ الشَّدِيدُ  
فَأَمَّا فِي الْقَسَاءِ فَأَيْنَ مِنْهُ      مَعَاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ وَالْوَلِيدُ  
وَعَيَّرَنِي الْوَلِيدُ لِقَاءِ أَيُّ      إِذَا مَا شَدَّ هَابَتَهُ الْأَسْوَدُ<sup>(٢)</sup>  
لَقِيتُ وَلَسْتُ أَجْهَلُهُ عَلِيًّا      وَقَدْ بَلَّتْ مِنَ الْعَلَقِ الْبُودُ  
فَأَطْمَنُهُ وَيَطْمَنُنِي خِلَاسًا      وَمَاذَا بَعْدَ طَمَنَّتِهِ أَرِيدُ  
فَرُمَهَا مِنْهُ يَا بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ      وَأَنْتَ الْفَارِسُ الْبَطْلُ النَّجِيدُ  
وَأُقْسِمُ لَوْ سَمِعْتَ نَدَا عَلَى      لَطَارَ الْقَلْبَ وَاتَّفَعَّ الْوَرِيدُ

(٢) صفين : « إذا ما زار » أي زار .

(١) صفين : « أتاونا » .



ولو لافيتته شفت جوب عليك ، ولطمت فيك الحدود

\*\*\*

وذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " في باب بُسر بن أرطاة قال <sup>(١)</sup> :

كان بُسر من الأبطال الطفاة ، وكان مع معاوية بصيفين ، فأمره أن يلقى علياً عليه السلام في القتال ، وقال له : إني سمعتك تمنى لقاءه ، فلو أخفرك الله به وصرعته حصلت على الدنيا والآخرة <sup>(٢)</sup> ، ولم يزل يشجعه ويمنيه حتى رأى علياً في الحرب ، فقصدته ، والتقى فصرعه على عليه السلام ، <sup>(٣)</sup> وعرض له معه مثل ما عرض له مع عمرو ابن العاص في كشف السواة <sup>(٤)</sup> .

قال أبو عمر : وذكر ابن الكلبي في كتابه في أخبار صفين ، أن بُسر بن أرطاة بارز علياً يوم صفين ، فطعنه على عليه السلام فصرعه ، فأنكشف له ، فكف عنه ، كما عرض له مثل <sup>(٥)</sup> ذلك مع عمرو بن العاص .

قال : وللشراء فيهما أعمار مذكورة في موضعها من ذلك الكتاب ؛ منها فيما ذكر ابن الكلبي والدائقي قول الحارث بن نصر الخثعمي <sup>(٦)</sup> - وكان عدواً لعمر بن العاص وبُسر بن أرطاة :

أفي كل يوم فارس لك ينهني وعورته وسط المعجاة بادية  
يكف لها عنه على سيفانه ويضعك منها في الخلاء معاوية

(١) الاستيعاب ١٦٤ وما بعدها .

(٢) الاستيعاب : « الدنيا وآخرة » .

(٣ - ٤) الاستيعاب : « وعرض على كرم الله وجهه مثل ما عرض فيما ذكر مع عمرو بن العاص » .

(٤) الاستيعاب : « فيها ذكر » .

(٥) الاستيعاب : « السهمي » .



بدت أمس من عمرو فقتع رأسه      وعورة بسر مثلها حذو حاذية  
فقال لعمر وثم بسر: ألا انظرا      لنفيسكا: لا تلقيا الليث ثانية  
ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكا      هما كاتعا والله للنفس واقية  
ولولاها لم تنجوا من سنانة      وتلك بما فيها إلى العود ناهية  
متى تلقيا الخيل المغيرة صبيحة      وفيها على فائر كا الخيل ناحية  
وكونا بعيدا حيث لا يبلغ القنا      نحوركا، إن التجارب كافية

\*\*\*

وروى الواقدي قال: قال معاوية يوما بعد استقرار الخلافة له عمرو بن العاص: يا أبا عبد الله، لا أراك إلا وبيلبني الضحك؛ قال: بماذا؟ قال: أذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفين، فأزريت نفسك فرقا من شبا سقانه، وكشفت سوانك له؛ فقال عمرو: أنا منك أشد ضحكا؛ إني لأذكر يوم دعاك إلى البراذ فانتفخ سحرُك، ورباً لسانك في فك، وغصصت بريقك، وارتعدت فرائصك، وبدأ منك ما أكره ذكرك؛ فقال معاوية: لم يكن هذا كله، وكيف يكون ودوني عك والأشعريون! قال: إنك لتعلم أن الذي وصفت دون ما أصابك، وقد نزل ذلك بك ودونك عك والأشعريون، فكيف كانت حالك لو جمعكما ما قُط<sup>(١)</sup> الحرب! فقال: يا أبا عبد الله، خض بنا الهزل إلى الجدة، إن الجبن والفرار من على لا عار على أحدٍ فيهما.

\*\*\*

(١) المأقط: موضع القتال.



## [ خبر إسلام عمرو بن العاص ]

فأما القول في إسلام عمرو بن العاص ، فقد ذكره محمد بن إسحاق في كتاب  
” المغازي “ قال :

حدثني زيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن حبيب  
ابن أبي أوس ، قال : حدثني عمرو بن العاص من فيه ، قال :

لما انصرفنا [ مع الأحزاب ] <sup>(١)</sup> من الخندق ، جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأبي ،  
ويسمون مني ، فقلت لهم : والله إنني لأرى أمر محمد بملأ الأمر علواً منكراً ، وإنني قد رأيت رأياً ،  
فأترون فيه ؟ فقالوا : ما رأيت ؟ فقلت : أرى أن نلحق بالنجاشي ، فنكون عنده ، فإن ظهر محمد  
على قومه أقمنا عند النجاشي ، فإن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت  
يدي محمد ، فإن ظهر قومنا فنحن من قريش ، [ فلن يأتنا منهم إلا خير ] <sup>(٢)</sup> . قالوا : إن  
هذا الرأي ، فقلت : فاجمعوا ما نهدي له - وكان أحب <sup>(٣)</sup> ما يأتينا من أرضنا الأدم <sup>(٤)</sup> -  
فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده ، إذ قدم عمرو بن أمية  
الضري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعثه إليه في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه .  
قال : فدخل عليه ، ثم خرج من عنده ، فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ، لو قد دخلت  
على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أني قد  
أجزأت <sup>(٥)</sup> عنها حين قتلت رسول محمد ، قال : فدخلت عليه فسجدت له فقال : مرحباً بصديق

(١) من سيرة ابن هشام .

(٢) السيرة : ما نهدي إليه .

(٣) الأدم : الجلود ، جمع أديم .

(٤) أجزأت عنها : قت مقامها .



أهديت إلى من بلادك شيئاً ؟ قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديت لك أدماً كثيراً ، ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له : أيها الملك ، إنى قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا فأعطينيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرفنا وخيارنا .

فغضب الملك ، ثم مدت يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلوانشقت إلى الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ، ثم قلت : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك ، فقال : أتأني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله ؟ قلت : أيها الملك ، أ كذلك هو ؟ فقال : إي ، والله ! أظنني وبحك واتبعه ، فإنه والله لعلّى حق ، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قلت : فبأي معنى له على الإسلام ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ، وخرجت حامداً الرسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما قدمت المدينة جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد أسلم خالد ابن الوليد ، وقد كان صحبني في الطريق إليه ، فقلت : يا رسول الله ، أبايعك على أن تنفرد لي ماتقدم من ذنبي ، ولم أذكر ما تأخر ، فقال : بايع باعروا ؛ فإن الإسلام يحب ما قبله ، وإن الهجرة تحب ما قبلها ، فبايعته وأسلمت <sup>(١)</sup> .

وذكر أبو عمر في " الاستيعاب " : أن إسلامه كان سنة ثمان ، وأنه قدِم وخالد ابن الوليد وعثمان بن طلحة المدينة ، فلما رآهم رسول الله ، قال : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها . قال : وقد قيل إنه أسلم بين الحديبية وخيبر ، والقول الأول أصح <sup>(٢)</sup> .

### [ بعث رسول الله عمراً إلى ذات السلاسل ]

قال أبو عمر : وبعث رسول الله عمراً إلى ذات السلاسل من بلاد قضاة في ثلثانة ، وكانت أم العاص بن وائل من بلي ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله عمراً إلى أرض بلي

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٣١٧ ( مطبعة حجازي ) . (٢) الاستيعاب ١١٨٥ وما بعدها .



وعُدْرَة ، يتألفهم بذلك ويدعُوم إلى الإسلام، فسارَ حتى إذا كان على ماء أرض جُذام ، يقال له : السلاسِل - وقد سمَّيت تلك الفزاة ذات السَّلاسل - خاف ، فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يستنجدُ ، فأمدّه بجيش فيه مائتا فارس ، فيه أهلُ الشرف والسوابق من المهاجرين والأنصار، فيهم أبو بكر وعمر، وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح ، فلما قدّموا على عمرو ، قال عمرو : أنا أميرُكم وإنما أنتم مددِي ، فقال أبو عبيدة : بل أنا أميرٌ من معي وأنت أمير من معك ، فأبى عمرو ذلك ، فقال أبو عبيدة : إن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلىّ فقال : إذا قدمت إلى عمرو فتطاوعا ولا تختلفا ، فإن خالفتني أطلعتك ، قال عمرو : فإني أخالفك ، فسلم إليه أبو عبيدة، وصلى خلفه في الجيش كله ، وكان أميرا عليهم، وكانوا خمسمائة .



### [ ولايات عمرو في عهد الرسول والخلفاء ]

قال أبو عمر : ثم ولاء رسول الله صلى الله عليه وآله عُمان ، فلم يزل عليها حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وعمل لعمر وعثمان ومعاوية ، وكان عمر بن الخطاب ولاء بعد موت يزيد بن أبي سفيان فِلَسطين والأردن ، وولى معاوية دمشق وبعابك والبلقاء ، وولى سعيد بن عامر بن خديم حمص . ثم جمع الشام كلها لمعاوية ، وكتب إلى عمرو ابن العاص أن يسيرَ إلى مصر، فسار إليها فافتتحها ، فلم يزل عليها واليا حتى مات عمر فأمره عثمان عليها أربع سنين ونحوها ، ثم عزلها عنها وولاهها عبد الله بن سعد العامري .

قال أبو عمر : ثم إن عمرو بن العاص ادّعى على أهل الإسكندرية أنهم قد نقضوا العهد الذي كان عاهدهم ، فعمد إليهم، فخارب أهلها وافتتحها ، وقتل المقاتلة وسبي الذرية ، فتم ذلك عليه عُمان ، ولم يصحّ عنده نقضهم العهد ، فأمر برد السبي الذي سُبوا من القرى إلى مواضعهم ، وعزل عمرا عن مصر ، وولى عبد الله بن سعد بن أبي مَرْح العامري .



مصر بذلك ؛ فكان ذلك بدؤ الشر بين عمرو بن العاص وعثمان بن عفان ، فلما بدا بينهما من الشر ما بدا ، اعتزل عمرو في ناحية فلسطين بأهله ، وكان يأتي المدينة أحيانا ، فلما استقر الأمر لمعاوية بالشام ، بعثه إلى مصر بعد تحكيم الحكمين فافتتحها ، فلم يزل بها إلى أن مات أميرا عليها ، في سنة ثلاث وأربعين ، وقيل سنة اثنتين وأربعين ، وقيل سنة ثمان وأربعين ، وقيل سنة إحدى وخمسين .

قال أبو عمر : والصحيح أنه مات في سنة ثلاث وأربعين ، ومات يوم عيد الفطر من هذه السنة وعمره تسعون سنة ، ودفن بالمقطم من ناحية السفح ، وصلى عليه ابنه عبد الله ، ثم رجع فصلى بالناس صلاة العيد ، فولاه معاوية مكانه ، ثم عزله وولى مكانه أخاه عتبة ابن أبي سفيان .

قال أبو عمر : وكان عمرو بن العاص من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية ، مذكورا فيهم بذلك ، وكان شاعرا حسن الشعر ، وأحد الدهاة المتقدمين في الرأي والذكاء ، وكان عمر بن الخطاب إذا استضعف رجلا في رأيه وعقله ، قال : أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد ؛ يريد خالق الأضداد <sup>(١)</sup> .

\*\*\*

### [ نُبذ من كلام عمرو بن العاص ]

ونقلت أنا من كتب متفرقة كلمات حكيمة تُنسب إلى عمرو بن العاص ، استحسنتها وأوردتها ، لأني لا - جد أفاضل فضله ، وإن كان دينه عندي غير مرضي .  
 فمن كلامه : ثلاث لا آمنن : جليسي ما قوم عني ، وثوبي ما سترني ، ودابتي ما حملت رجلي .

(١) انظر أخبار عمرو بن العاص في الاستيعاب ص ١١٨٤ وما بعدها .



وقال لعبد الله بن عباس بصيفين : إن هذا الأمر الذي نحن وأنتم<sup>(١)</sup> فيه ، ليس بأول أمر قاده البلاء ، وقد بلغ الأمر منا ومنكم ما ترى ، وما أبقت لنا هذه الحرب حياة ولا صبرا ، ولستنا نقول : ليت الحرب عادت ؛ ولستنا نقول : ليتها لم تكن كانت ؛ فافصل فيما بقي بغير ماضى ، فإنك رأس هذا الأمر بعد علي ، وإنما هو أمر مطاع ، ومأمور مطيع ، ومبارز مأمون ، وأنت هو .

ولما نصب معاوية قبيصَ عثمان على المنبر ، وبكى أهل الشام حوله ، قال : قد همت أن أدعه على المنبر ، فقال له عمرو : إنه ليس بقبيص يوسف ، إنه إن طال نظرهم إليه ، وبجثوا عن السبب وقفوا على مالا تحب أن يقفوا عليه ، ولكن لدعهم بالنظر إليه في الأوقات . وقال : ما وضعت سرى عند أحد فأفشاه فدمته ، لأنى أحق باللوم منه إذ كنت أضيق به صدرا منه .

وقال : ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ، ليس العاقل من يعرف خير الشرين . وقال عمر بن الخطاب لجلسائه يوما وعمر فيهم : ما أحسن الأشياء ؟ فقال كل منهم ما عنده ؟ فقال : ما تقول أنت يا عمرو ؟ فقال :

• الغمرات ثم ينجلينا<sup>(٢)</sup> •

وقال لمائشة : لوددت أنك قتلت يوم الجمل ، قالت : ولم لأبالك ؟ قال : كنت تموتين بأجلك ، وتدخلين الجنة ، ونجملك أكبر التشيع على علي بن أبي طالب عليه السلام . وقال لبنيه ، يابقي ، اطلبوا العلم ، فإن استغنيتم كان جمالا ، وإن افتقرتم كان مالا . ومن كلامه : أمير عادل خير من مطر وابل ، وأسد حطوم خير من سلطان ظلوم ، وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم ، وزلة الرجل عظم يحبر ، وزلة اللسان لا تبقى ولا تذر . واستراح من لا عقل له .

(١-١) ساقط من ب ، ج ، وأثبتته من ا .

(٢) البيت من رجز للأغلب المجلى ؛ جهرة الأمثال ١٠٠



وكتب إليه عمر يسأله عن البحر ، فكتب إليه : خَلَقَ عَظِيمٌ بِرَكْبِهِ خَلْقَ ضَعِيفٍ .  
دُودٌ عَلَى عَوْدٍ ، بَيْنَ غَرَقٍ وَنَزَقٍ .

وقال لعمان وهو يخطب على المنبر : يا عثمان ، إنك قد ركبت بهذه الأمة نهاية من  
الأمر ، وزغت فزاغوا ، فاعتدل أو اعتزل .

ومن كلامه : استوحش من الكريم الجائع ، ومن اللئيم الشبعان ؛ فإن الكريم  
يصول إذا جاع ، واللئيم يصول إذا شبع .

وقال : يُجَمَّعُ الْعَجَزُ إِلَى التَّوَانِي فَتَنْتَجِ بَيْنَهُمَا النَّدَامَةُ ، وَجُمِعَ الْجَبَنُ إِلَى الْكَسَلِ فَتَنْتَجِ  
بَيْنَهُمَا الْحَرَمَانُ .

\*\*\*

وروى عبدالله بن عباس ، قال : دخلتُ على عمرو بن العاص وقد احتضر ، فقلت :  
يا أبا عبدالله ؟ كنت تقول : أشتهي أني أرى عاقلاً يموت حتى أسأله كيف تجدد ، فإذا تجدد ؟ قال :  
أجد السماء كأنها مطبقة على الأرض وأنا بينهما ، وأراي كأنما أتنفس من خرق إمرة ، ثم قال :  
اللهم خذْ مِنِّي حَتَّى تَرْضَى ، ثم رفع يده ، فقال : اللهم أمرتَ فمصيئنا ، ونهييتَ فركبتنا ؛ فلا  
بري ، فأعذر ، ولا قوَى فانتصر ، ولكن لا إله إلا الله ؛ فجعل يرددها حتى فاض .

وقد روى أبو عمر بن عبد البر هذا الخبر في كتاب " الاستيعاب " ، قال : لما حضرت  
عمرو بن العاص الوفاة ، قال : اللهم أمرتني فلم أثمر ، وزجرتني فلم أنزجر . ووضع يده في موضع  
القل ، ثم قال : اللهم لا قوَى فانتصر ؛ ولا بري ، فأعذر ، ولا مستكبرٌ بل مستغفر ، لا إله  
إلا أنت ؛ فلم يزل يرددها حتى مات .

قال أبو عمر : وحدثني خلف بن قاسم ، قال : حدثني الحسن بن رشيق ، قال : حدثنا  
الطحاوي ، قال : حدثنا المزني ، قال : سمعت الشافعي يقول : دخل ابن عباس على عمرو  
ابن العاص في مرضه ، فسلم عليه ، فقال : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ قال : أصبحتُ وقد  
أصلحت من دنياي قليلاً ، وأفسدت من ديني كثيراً ؛ فلو كان الذي أصلحتُ هو الذي



أفسدت ، والذي أفسدت هو الذي أصاحته ، لَفَزْتُ . ولو كان ينبغي أن أطلب طلبت ، ولو كان ينبغي أن أهرب ، هربت فقد صرت كالمختنق بين السماء والأرض ، لا أرق يدي ، ولا أهبط برجلي ، فمظني بمظلة ألتجئ بها يا ابن أخي ، فقال ابن عباس : هيهات أبا عبد الله ، صار ابن أخيك أخاك ، ولا نشاء أن تبلى إلا بليت<sup>(١)</sup> ، كيف يؤمر برحيل من هو مقيم ؟ فقال عمرو على حينها : من حين ابن بضع وثمانين تقنطن من رحمة ربى ! اللهم إن ابن عباس يقنطن من رحمتك ، فخدمنى حتى ترضى ؛ فقال ابن عباس : هيهات أبا عبد الله ! أخذت جديدا وتعطى خلقا ؛ قال عمرو : مالى ولك يا ابن عباس ! ما أرسل كلمة إلا أرسلت قبضها<sup>(٢)</sup> .



وروى أبو عمر في كتاب "الاستيعاب" ، أيضا عن رجال قد ذكروهم وعددهم أن عمرا لما حضرته الوفاة ، قال له ابنة عبد الله وقد آه بيبكى ؛ لِمَ تبكى ؟ أجزعا من الموت ؟ قال : لا والله ، ولكن لما بعده . فقال له : لقد كنت على خير ، فجعل يذكره محبة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفتوحه بالشام ، فقال له عمرو : تركت أفضل من ذلك شهادة أن لا إله إلا الله ، إني كنت على ثلاثة أطباق ، ليس منها طبق إلا عرفت نفسى فيه ، كنت أول أمرى كافرا ، فكنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلو مت حينئذ وجبت لى النار ، فلما بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله ، كنت أشد الناس حياء منه ، فاملأت منه عيني قطا ، فلو مت يومئذ قال الناس : هنيئا لعمرو ! أسلم وكان على خير ، ومات على خيرا حواله ، فسر حواله بالجنة ؛ ثم تلبثت بعد ذلك بالسلطان وبأشياء ، فلا أدري

(١) الاستيعاب : • أن تبكى إلا بليت .

(٢) الاستيعاب ١١٨٩ .



أعلى أم لي ؟ فإذا مت فلا تبكين عليّ بأكية ، ولا يتبمنى نأح ، ولا تقرّبوا من قبري نار ، وشّدّوا عليّ إزارى ، فإني مخاصم ، وشنّوا عليّ التراب شنّاً ؛ فإنّ جنبى الأيمن ليس بأحقّ من جنبى الأيسر ، ولا تجعلوا في قبري خشبة ولا حجرا ، وإذا واريثموني فاقعدوا عندى قدّر نحر جزور وتقطيعها ؛ استأنس بكم<sup>(١)</sup>

\*\*\*

فإن قلت : فما الذى يقوله أصحابك المعتزلة في عمرو بن العاص ؟ قلت : إنهم يحكمون على كلّ من شهد صفيّين ، بما يحكم به على الباغي الخارج على الإمام العادل ، ومذهبهم في صاحب الكبيرة إذا لم يتب معلوم .

فإن قلت : أليس في هذه الأخبار ما يدلّ على توبته ؛ نحو قوله : « ولا يستكبر بل مستغفر » وقوله : « اللهم خذنى حتى رضى » ، وقوله : « أمرت فعصيت ، ونهيت فركبت » . وهذا اعتراف وتذم ، وهو معنى التوبة ؟ قلت : إن قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾<sup>(٢)</sup> يمنع من كون هذا توبة ، وشروط التوبة وأركانها معلومة ، وليس هذا الاعتراف والتأسف منها في شيء .

وقال شيخنا أبو عبد الله : أوّل مَنْ قال بالإرجاء الخضر معاوية وعمرو بن العاص ، كانا يزعمان أنه لا يضرّ مع الإيمان معصية ، ولذلك قال معاوية لمن قال له : حاربت من نعلم ، وارتكبت ما نعلم ، فقال : وثقتُ بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) الاستيعاب ١١٩٠

(٢) سورة النساء ١٨ .

(٣) سورة الزمر ٥٣ .



وإلى هذا المعنى أشار عمرو بقوله لابنه : تركت أفضل من ذلك ؛ شهادة أن لا إله إلا الله .

\*\*\*

### [ فصل في شرح ما نسب إلى عليّ من الدعابة ]

فأما ما كان يقوله عمرو بن العاص في عليّ عليه السلام لأهل الشام : « إن فيه دعابة » ، يروم أن يعيبه بذلك عندهم ؛ فأصل ذلك كلمة قالها عمر فتلقفها ، حتى جعلها أعداؤه عيبا له وطعننا عليه

قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في كتاب " الأملأى " :

كان عبدالله بن عباس عند عمر ، فتنفس عمر نفساً عاليا ، قال ابن عباس : حتى ظننت أن أضلعه قد انخرجت ، فقنت له : ما أخرج هذا النفس منك يا أمير المؤمنين إلا هم شديداً . قال : إي والله يا ابن عباس ، إني فكرت فلم أذكر فيمن أجعل هذا الأمر بعدى . ثم قال : لعلك ترى صاحبك لما أهلا ؟ قلت : وما يمنع من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه ! قال : صدقت ، ولكنه امرؤ فيه دعابة ؛ قلت : فأين أنت من طلحة ؟ قال : هو ذو البأو<sup>(١)</sup> بإصبعه المقطوعة . قلت : فعبدا الرحمن ؟ قال : رجل ضعيف لو صار الأمر إليه لوضع خاتمه في يدا امرأته . قلت : فالزبير ؟ قال شكس أقيس<sup>(٢)</sup> ، يلاطم في البقيع في صاع من بر . قلت : فسعد بن أبي وقاص ؟ قال : صاحب مقنبر<sup>(٣)</sup> وسلاح ؛ قلت : فعمان ، قال : أوه أوه ؛ مرارا . ثم قال : والله لئن وليها ليحملن بنى أبي معيط على رقاب الناس ، ثم لنهضن إليه العرب فتقتله . ثم قال : يا ابن عباس ، إنه لا يصلح لهذا الأمر إلا حصيف العقدة ، قليل الغرّة ، لا تأخذه في الله لومة لائم ؛ يكون شديدا من غير عنف ، ليثا من

(١) البأو : الكبر والفخر ؛ وفي اللسان : روى الفقهاء : « في طلحة بأواء » .

(٢) الشكس : الصعب الخلق ، والنفس المسر .

(٣) المقنبر : جماعة الخيل .



غير ضعف ، جوادا من غير سرف ، ممسكا من غير وكف<sup>(١)</sup> . قال ابن عباس : وكانت هذه صفات عمر ، ثم أقبل على فقال : إن أحرأهم أن يحملهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم لصاحبك ، والله إن وليها ليحملتهم على الحجّة البيضاء والصراط المستقيم .

\*\*\*

واعلم أن الرجل ذا الخلق الخصوص لا يرى الفضيلة إلا في ذلك الخلق ، ألا ترى أن الرجل يبخل فيعتقد أن الفضيلة في الإمساك والبخل يعيب أهل السماح والجود ، وينسبهم إلى التبذير وإضاعة الحزم ، وكذلك الرجل الجواد يعيب البخلاء وينسبهم إلى ضيق النفس وسوء الظن وحب المال ، والجبان يعتقد أن الفضيلة في الجبن ويعيب الشجاعة ويعتقد كونها خرقا وتغريرا بالنفس ، كما قال المتنبي :

• يرى الجبناء أن الجبن حزم •  
• يرى الحكمة أن الجبن حزم •

والشجاع يعيب الجبان وينسبه إلى الضعف ، ويعتقد أن الجبن ذل ومهانة وهكذا القول في جميع الأخلاق والسجايا المقنسة بين نوع الإنسان . ولما كان عمر شديد الغلظة وعمر الجبان ، خشن للمس دائم العيوس ، كان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة وأن خلافه نقص ، ولو كان سهلا طلقا مطبوعا على البشاشة وسماحة الخلق ، لكان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة وأن خلافه نقص ، حتى لو قدرنا أن خلقه حاصل لمع عليه السلام ، وخلق على حاصل له ، لقال في علي : « لولا شراسة فيه » .

فمؤ غير ملوم عندي فيما قاله ، ولا منسوب إلى أنه أراد الفض من علي ، والقدح

(١) الوكف : العيب .

(٢) ديوانه ٢٣٩ وبقية .

• وتلك خديمة الطبع اللئيم •



فيه ، واسكنه أخير عن خلقه ، غافلاً أن الخلافة لا تصلح إلا لشديد الشكيمة ، العظيم الوعورة .  
ويعتضى ما كان يظنه من هذا المعنى ، تتم خلافة أبي بكر بمشاركتة إياه في جميع تدابيراته  
وسياسته وسائر أحواله ، لرفق وسهولة كانت في أخلاق أبي بكر ، ويعتضى هذا الخلق  
المتسكن عنده ، كان بشير على رسول الله صلى الله عليه وآله في مقامات كثيرة ، وخطوب  
ممتدة ، يقتل قوم كان يرى قتلهم ، وكانت النبي صلى الله عليه وآله يرى استبقاءهم  
واستصلاحهم ، فلم يقبل عليه السلام مشورته على هذا الخلق .

وأما إشارته عليه يوم بدر يقتل الأسرى حيث أشار أبو بكر بالقيداء ، فكان  
الصواب مع عمر ونزل القرآن بموافقته ، فلما كان في اليوم الثاني وهو يوم الحديبية أشار بالحرب ،  
وكره الصلح ، فنزل القرآن بضد ذلك ، فليس كل وقت يصلح تجريد السيف ، ولا كل  
وقت يصلح إغماذه ، والسياسة لا تجري على منهاج واحد ولا تلزم نظاماً واحداً .

وجلة الأمر أنه رضى الله عنه لم يقصد عيب على عليه السلام ، ولا كان عنده معيباً ،  
ولامنعوا ؛ ألا ترى أنه قال في آخر الخبر : « إن أحرأهم إن وليها أن يحملهم على كتاب الله  
وسنة رسوله لصاحبك » ، ثم أكد ذلك بأن قال : « إن وليهم ليحمتهم على الحجة <sup>(١)</sup> البيضاء  
والعراط المستقيم » ، فلو كان أطلق تلك اللفظة ، وعنى بها ما حاربها عليه الخصوم ، لم يقل في خاتمة  
كلامه ما قاله .

وأنت إذا تأملت حال علي عليه السلام في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله ، وجدته  
بعيداً عن أن ينسب إلى الذعابة والمزاح ، لأنه لم ينقل عنه شيء من ذلك أصلاً ؛ لافي كتب الشيعة  
ولا في كتب المحدثين ، وكذلك إذا تأملت حاله <sup>(٢)</sup> في أيام الخلفيتين أبي بكر وعمر ، لم تجد  
في كتب السيرة حديثاً واحداً يمكن أن يتعلق به متعلق في ذعابته ومزاحه ، فكيف يُظن

(١) الحجة : الطريق ؛ والطريق تذكر وتؤنث . (٢) ج : « حاله » .



بصر أنه نسبته إلى أمر لم ينقله عنه ناقل ، ولا ندّد به صديق ولا عدوّ ؛ وإنما أراد سهولة خلقه لا غير ، وظنّ أن ذلك مما يفضى به إلى ضعف إن وليّ الأمر ، لا اعتقاده أن قوام هذا الأمر إنما هو بالوعورة ، بناء على ما قد ألقته نفسه ، وطبعت عليه سجيته ، والحال في أيام عثمان ، وأيام ولايته عليه السلام الأمر كالحال فيما تقدم ، في أنه لم يظهر منه دُعاة ، ولا مُزاح يستمى الإنسان لأجله ذا دُعاة ولعب . ومن تأمل كتب السير عرف صدق هذا القول ، وعرف أن عمرو بن العاص أخذ كلمة عمر إذ لم يقصد بها العيب فجعلها عيباً ، وزاد عليها أنه كثير اللعب ، بما في النساء ويمارسهن ، وأنه صاحب هزل .

ولعمرك الله لقد كان أبعد الناس من ذلك ، وأتى وقت كان يتسع لعلّ عليه السلام حتى يكون فيه على هذه الصفات ؟ فإن أزمانه كلها في العبادة والصلاة ، والذكر والفتاوى والعلم ، واختلاف الناس إليه في الأحكام وتفسير القرآن ، ونهاره كله أو معظمه مشغول بالصوم ، وليله كله أو معظمه مشغول بالصلاة . هذا في أيام سيّده ، فأما أيام حربه فبالسيف الشهير ، والسنان الطرير<sup>(١)</sup> ، وركوب الخيل ، وقود الجيش ، ومباشرة الحروب .

ولقد صدق عليه السلام في قوله : « إنني ليمنى من اللعب ذكر الموت » ، ولكن الرجل الشريف النبيل ، الذي لا يستطيع أعداؤه أن يذكروا له عيباً أو يمدّوا عليه وصمة ، لا بدّ أن يحتالوا ويبدّلوا جهدهم في تحصيل أمر ما وإن ضعف ، يجعلونه عذراً لأنفسهم في ذمه ، ويتوسّلون به إلى أنباعهم في تحسينهم لم مفارقتهم ، والانحراف عنه ، وما زال المشركون والمنافقون يصنّعون لرسول الله صلى الله عليه وآله الموضوعات ، ينسجون إليه ما قد برأه الله عنه من الميوب والمطاعن ، في حياته وبعد وفاته إلى زماننا هذا ، وما يزيد الله سبحانه إلا رفعة وعلواً ، فغير منكر أن يعيب علينا عليه السلام عمرو بن العاص وأمثاله من أعدائه ، بما إذا تأمله المتأمل ، علم أنهم باعتمادهم عليه وتعلقهم به ، قد اجتهدوا

(١) سنان طرير : أى محدد .



في مدحه والثناء عليه ، لأنهم لو وجدوا عيباً غير ذلك لذكروه ، ولو بالغ أمير المؤمنين وبذل جهده في أن يُنتفى أعداؤه وشائثوه عليه من حيث لا يعلمون ، لم يستطع إلى أن يجد إلى ذلك طريقاً لطف من هذه الطريق التي أسلكهم الله تعالى فيها ، وهداهم إلى منهاجها ، فظنوا أنهم يفضون منه ؛ وإنما أعلوا شأنه ، ويضعون من قدره ، وإنما رفعوا منزلته ومكانه .

\*\*\*

### [ أقوال وحكايات في المزاح ]

ونحن نذكر من بعد ، ما جاء في الأحاديث الصحاح والآثار المستفيضة ، المتفق على نقلها مزاح رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومزاح الأشراف والأفاضل والأكابر من أصحابه والتابعين له ، ليعلم أن المزاح إذا لم يخرج عن القاعدة الشرعية لم يكن قبيحاً . فأقول ذلك مارواه الناس قاطبة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « إني أمزح ، ولا أقول إلا حقاً »

وقيل لسفيان الثوري : المزاح هُجْنَةٌ ؟ فقال : بل هو سنة ، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله : « إني أمزح ولا أقول إلا الحق »

وجاء في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لامرأة من الأنصار : « الحق زوجك فإن في عينه بياضاً » ، فسعت نحوه مرعوبة ، فقال لها : ما دهاك ؟ فأخبرته ، فقال : نعم إن في عيني بياضاً لا لسوء ، فخفض عليك . فهذا من مزاح رسول الله صلى الله عليه وآله .

وأنت مجوز من الأنصار إليه عليه السلام ، فسألته أن يدعوا الله تعالى لها بالجنة ، فقال : « إن الجنة لا تدخلها المجر » فصاحت ، فتبسم عليه السلام ، فقال : « إنا أنشأناهن إنشاءً ، فجعلناهن أبكاراً »<sup>(١)</sup> .



وفي الخبر أيضا : أن امرأة استعملته ، فقال : « إنا حاملوك إن شاء الله تعالى على ولد الناقة » ، فجعلت تقول : يا رسول الله : وما أصنع بولد الناقة ؟ وهل يستطيع أن يحملي ؟ وهو يبتسم ويقول : « لا أحملك إلا عليه » ، حتى قال لها خيرا : « وهل يلد إلا بل إلا النوق » ! وفي الخبر أنه عليه السلام مرّ ببلال وهو نائم فضربه برجله ، وقال : أنا نائمة أم عرو ؟ فقام بلال مرعوبا ، فضرب بيده إلى مذاكيره ، فقال له : ما بالك ؟ قال : خلنت أني تموت امرأة . قيل : فلم يمزح رسول الله بعد هذه .

وفي الخبر أيضا أن نَفَرًا <sup>(١)</sup> كان لصبي من صبيان الأنصار ، فطار من يده ، فبكى الفلام ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمرّ به فيقول : « يا أبا عمير ، ما فعل الثغير ؟ » والفلام يبكي .

وكان يمازح ابني بنته مزاها مشهورا ، وكان يأخذ الحسين عليه السلام ، فيجعله على بطنه ، وهو عليه السلام نائم على ظهره ويقول له : حُرْقَةُ حُرْقَةٍ ، تَرَقَّى عَيْن بَقَّةٍ <sup>(٢)</sup> . وفي الحديث الصحيح المتفق عليه : أنه مرّ على أصحاب الدُرَّكَةِ وهم يلعبون ويرقصون ، فقال : جِدُّوا يا بني أَرْقَدَةَ ، حتى يعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فُسْحَةٌ . قال أهل اللغة : الدُرَّكَةُ ، بكسر الدال والكاف : لعبة للعبش فيها رقص . وبنو أَرْقَدَةَ : جنس من الحبش يرقصون .

وجاء في الخبر أنه سابق عائشة فسبقتها ، ثم سابها فسبقتها فقال : هذه بتلك . وفي الخبر أيضا أن أصحاب الزقافة وهم الراقصون ، كانوا يقيمون <sup>(٣)</sup> باب حجرة عائشة ، فتخرج إليهم مستمعة ومبصرة ، فيخرج هو عليه السلام من ورائها مستترا بها . وكان نعيان <sup>(٤)</sup> ، وهو من أهل بدر ، أزلع الناس بالزواج عند رسول الله صلى الله عليه

(١) نفر : صغار المصافير . وانظر اللسان .

(٢) الحُرْقَةُ : الضعيف الذي يقارب خطوه من ضعف . وعين بقة كناية عن صغار العين وانظر اللسان ١١ : ٣٣٠ .

(٣) يقيمون : يضربون . (٤) هو نعيان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث ؟ كذا نيب وترجم له

وذكر طائفة من أخباره في الإصابة ٤ : ٤٤٠ .



وكان يكثر الضحك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « يدخل الجنة وهو يضحك » .

وخرج نعيمان هو وسويبط بن عبد المزي<sup>(١)</sup> وأبو بكر الصديق ، في تجارة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بعامين ، وكان سويبط على الزاد ، فكان نعيمان يستطعمه فيقول : حتى يمسي . أبو بكر : فترى بركب من نجران ، فباعه نعيمان منهم على أنه عبد له بعشر قلائص ، وقال لهم : إنه ذولسان ولحجة ، وعساء يقول لكم : أنا حر ؛ فقالوا : لا عليك . وجاءوا إليه فوضعوا أعمارهم في عنقه ، وذهبوا به ، فلما جاء أبو بكر أخبر بذلك ، فردّه وأعاد القلائص إليهم . فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه من ذلك سنة<sup>(٢)</sup> .

وروى أن أعرابياً باع نعيمان عكة<sup>(٣)</sup> عسل ، فاشتراها منه ، فجاء بها إلى بيت عائشة في يومها وقال : خذوها ، فظن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه أهداها إليه ، ومضى نعيمان ، فنزل الأعرابي على الباب ، فلما طال قعوده نادى : يا هؤلاء ، إما أن تعطوننا من العسل أو تردّوه علينا ، فلم رسول الله صلى الله عليه وآله بالقصة ، وأعطى الأعرابي الثمن ، وقال لنعيمان : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : رأيتك يا رسول الله ؛ تحب العسل ، ورأيت العكة مع الأعرابي . فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله ولم ينكر عليه .

وسئل النخعي : هل كان أصحاب رسول الله يضحكون ويمزحون ؟ فقال : نعم والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي .

وجاء في الخبر أن يحيى عليه السلام لقي عيسى عليه السلام ، وعيسى متبسّم ، فقال يحيى عليه السلام : مالي أراك لا هيأ كأنك آمن ؟ فقال عليه السلام : مالي أراك غاباً

(١) في الإصابة ٢ : ٩٦ ، ٩٧ : « سويبط بن حرمة ، قال : ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق وعروة فيمن هاجر إلى الحبشة » .  
(٢) الخبر في الإصابة ٢ : ٩٧ .  
(٣) العكة : زق السمن أو العسل .



كأنك آيس ؟ فقالا : لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي ، فأوحى الله إليهما : أحبكما إلى الطلق البسام ، أحسنكما ظناً بي .

وروى عن كبراء الصحابة رضى الله تعالى عنهم أنهم كانوا يمازحون ويتناشدون الأشعار ، فإذا خاضوا في الدين ، انقلبت حاليتهم ، وصاروا في صور أخرى .

وروى أن عبد الله بن عمر قال لجارية : خلقني خالق الخير ، وخلقك خالق الشر . فبكت ، فقال : لا عليك ، فإن الله تعالى هو خالق الخير وهو خالق الشر . قلت : يعني بالشر المرض والغلاء ونحوهما .

وكان ابن سيرين ينشد :

نَبَيْتُ أَنْ فَتَاةً كُنْتُ أُخْطِبُهَا غُرُوبُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطَّوْلِ<sup>(١)</sup>  
ثُمَّ يَضْحَكُ حَتَّى يَسِيلَ لَمَابِهِ .

وجاء عبد الرحمن بن عوف إلى باب عمر بن الخطاب ، فوجداه مستلقياً على مِرْفَقَيْهِ ، رافعاً إحدى رجليه على الأخرى ، منشداً بصوت عال :

وَكَيْفَ تَوَائِي بِالْمَدِينَةِ بَعْدَمَا قَضَى وَطَرًا مِنْهَا جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ  
فَلَمَّا دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَجَلَسَ ، قَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، إِنَّا إِذَا خَلَوْنَا قَلْنَا كَمَا يَقُولُ النَّاسُ .  
وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ يَنْشُدُ :

لَقَدْ أَصْبَحْتُ عَرْسَ الْفَرَزْدَقِ جَامِحًا وَلَوْ رَضِيتُ رَمَحَ امْتِهَ لَا سْتَفَرَّتِ<sup>(٢)</sup>  
وَيَضْحَكُ حَتَّى يَسْتَفْرِقَ .

وكان يقال : لا بأس بقليل المزاح يخرج منه الرجل عن حدِّ العيوس .

(١) زهر الآداب ١٦٥ ، من غير نسبة .

(٢) التحرير ، ديوانه ٨٨



ومن كلام بعض الأدباء : ونحن نحمد الله إليك ، فإن عقدة الإسلام في قلوبنا صحيحة ، وأواخيه عندنا ثابتة ، وقد اجتهد قوم أن يدخلوا قلوبنا من مرض قلوبهم ، وأن يشوبوا يقيننا بشكهم ، فمصم الله منهم ، وحال توفيقهم دونهم ، ولنا بعد مذهب في الدعاة جميل ، لا يشوبه أذى ولا قذى ، يخرج بنا إلى الأنس من العُيُوس ، وإلى الاسترسال من القُطُوب ، ويحققنا بأحرار الناس الذين ارتفعوا عن لبسة الرياء ، وأنفوا من التشوف بالتصنع .

وقال ابن جرير : سألت عطاء عن القراءة على ألحان الغناء والحمداء ، فقال لي : لا بأس بذلك ؛ حدثني عبيد الله بن عمر البني ، أنه كان لداود النبي عليه السلام معزقة ، قد يضرب بها إذا قرأ الزبور ، فتجتمع إليه الطير والوحش ، فيبكي ويبكي من حوله .  
وقال جابر بن عبد الله الجعفي : رأيت الشعبي يقول نخطيط بمارحه : عندنا حب مكسور وأحب أن نخطيطه ؛ فقال الخياط : أحضر لي خيوطاً من ربح لأخططه لك .  
وسئل الشعبي : هل يجوز أن يؤكل الحنظل لو ظفربه ؟ فقال : ليقنا نخرج منه كغافاً<sup>(١)</sup> لا لنا ولا علينا .

وسأل إنسان محمد بن سيرين عن هشام بن حسان ، فقال : توفي البارحة ، أما شمرت ؟ فخرج يسترجع ، فلما رأى ابن سيرين جزعته ، قرأ : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾<sup>(٢)</sup> .

وكان زيد بن ثابت من أفكهِ الناس في بيته وأرقهم ، وقد أباح الله تعالى الرِّفَثَ إلى النساء ، فقال : ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ آيَةَ الْعِيَامِ الرِّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ

(١) الكفاف : المثل .

(٢) سورة الزمر ٤٢ .



وَأَنْتُمْ لِبَاسُ لَهِنَّ»<sup>(١)</sup>. وقال أهل اللغة : الرقش : القول الفاحش تخاطب به المرأة حال الجماع .

ومر بالشعبي فقال على ظهره دَنَ خَلْ ، فوضع الدَن وقال له : ما كان اسم امرأة إبليس ؟ فقال الشعبي : ذلك نكاح ما شهدناه .

وقال عكرمة : خَتَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ بَيْنَهُ فَأَرْسَلَنِي ، فدعوت اللعابين فليعبوا ، فأعطاهم أربعة دراهم .

وتقدم رجلان إلى شريح في خصومة ، فأقر أحدهما بما ادَّعى عليه وهو لا يدري ، فقضى شريح عليه ، فقال : أصلحك الله ! أتقضى عليّ بتغير بينة ؟ قال : بلى ، شهد عندي ثقة . قال : ومن هو ؟ قال : ابنُ أخت خالتك .

وجاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وآله مرَّ بصُبيب وهو أرمد يأكل تمرًا ، فقهاه ، فقال : إنما آكله عن جانب العين الصحيحة يا رسول الله ، فضحك منه ولم يذكر عليه . وفي الخبر أنه صلى الله عليه وآله مرَّ بحسان بن ثابت ، وقد رش<sup>(٢)</sup> أطماره ، وعنده جارية تغنيه :

هل عليّ وبحكما إن لغوتُ من حرج

فقال صلى الله عليه وآله : « لا حرج إن شاء الله » .

وقيل : إن عبد الله بن جعفر قال لحسان بن ثابت في أيام معاوية : لو غنتك فلانة جاريتي صوت كذا لم تدرِ ركابك ، فقال : يا أبا جعفر ، ﴿ فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة البقرة ١٨٧ .

(٢) رش أطماره : غلبها .

(٣) سورة الحج .



وقال أسلم مولى عمر بن الخطاب : مرّ بي عمر وأنا وعاصم نفّتي غناء النّصب<sup>(١)</sup> ، فوقف وقال : أعيذا عليّ ، فأعدنا عليه ، وقلنا : أينما أحسن صنعة بأمير المؤمنين ؟ فقال : مثلكما كعجاري العبادي ، قيل له : أيّ حاريك شرّ ؟ فقال : هذا ثمّ هذا . فقلت : بأمير المؤمنين ، أنا الأول من الحارين ؛ فقال : أنت الثاني منهما .

ومرّ نعيان وهو بذريّ بمخرمة بن نوفل في خلافة عثمان ، وقد كنت بصره ، فقال : ألا يقودني رجل حتّى أبول ؟ فأخذ نعيان بيده حتّى صار به إلى مؤخر المسجد ، وقال : ها هنا قبيل ، فبال ، فصاح به الناس ، فقال : منّ قادني ؟ قيل : نعيان ، قال : لله عليّ أن أضربه بمصاى هذه . فبالغ نعيان فأثاء ، فقال : بلغني أنك أقسمت لتضربن نعيان فهل لك فيه ! قال : نعم . قال : قم ، فقام معه حتّى واثق به عثمان بن عفان وهو يصلي ، فقال : دونك الرجل ، فجمع محرمة يديه في المصا وضرب بها ، فصاح الناس : ويلك ، أمير المؤمنين ! قال : من قادني ! قالوا : نعيان ، قال : ومالي ولنعيان ! لا أعرض له أبدا ! وكان طوبس يتفّتي في عرس ، فدخل النعمان بن بشير الأنصاري العرس وطوبس بغنيهم :

أجدّ بعثرة هجرانها وتسخط أم شائنا شائها<sup>(٢)</sup>

فأشاروا إليه بالسكوت ، فقال النعمان : دعوه إنه لم يقل بأسا ، إنما قال : وعثرة من سروات النّساء . تفنّح بالمسك أرضائها وعثرة هذه أمّ النعمان ؛ وفيها قيل هذا النسيب .

وقد روى عن جماعة من الصحابة والتابعين العرب بأنزاد والشطرنج ، ومنهم من روى عنهم شرب النبيذ وسماع الغناء المطرب .

(١) النصب : غناء يشبه الهداء ؛ إلا أنه أرقى .

(٢) البيتان لقيس بن الخطيم ، ديوانه ٧ ، ٨ .



فأما أمير المؤمنين علي عليه السلام ، فإذا نظرت إلى كتب الحديث والسيرة ، لم تجد أحداً من خلق الله عدواً ولا صديقاً ، روى عنه شيئاً من هذا الفن ؛ لا قولاً ولا فعلاً ، ولم يكن جِدّاً أعظم من جِدِّه ، ولا وقاراً أتم من وقاره ، وما هزل قط ولا لعب ، ولا فارق الحق والناموس الديني سرّاً ولا جهرّاً ؛ وكيف يكون هازلاً ومن كلامه للشهور عنه : « مامزح امرؤ ومزحة إلا وجم معهما من عقله حجة » ! ولكنه خلق على سجية لطيفة ، وأخلاق سهلة ، ووجه مطلق ، وقول حسن ، وبشر ظاهر ، وذلك من فضائله عليه السلام ، وخصائصه التي منحه الله بشرفها ، واختصه بمزيتها ، وإنما كانت غلظته وفضاضته فعلاً لا قولاً ، وضرباً بالسيف لا جَبّاً بالقول ، وطعننا باللسان لا عَضّاً باللسان <sup>(١)</sup> ؛ كما قال الشاعر :

ونسفَ أيدينا ويحلم رأينا ونشمُ بالأفعال ، لا بالتكلم



### [ نبذ وأقوال في حسن الخلق ومدحه ]

فأما سوء الخلق فلم يكن من سجاياء ، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله : « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن : البخلُ وسوء الخلق » . وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقال أيضاً : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله : ما الشؤم ! فقال : سوء الخلق . وصحب جابر رجلاً في طريق مكة ، فأذاه سوء خلقه ، فقال جابر : إني لأرجه ، نحن نفارقه ويبقى معه سوء خلقه !

(١) يقال : جبهت فلاناً ؛ إذا خاطبته بما يكره . والعصه : الرمي بالكذب والبهتان

(٢) سورة القلم ٤

(٣) سورة آل عمران ١٥٩



وقيل لعبد الله بن جعفر : كيف مجاور بني زهرة وفي أخلاقهم زعارة <sup>(١)</sup> ؟ قال : لا يكون لي قبلهم شيء ، إلا تركته ، ولا يطلبون مني شيئاً إلا أعطيتهم .  
وفي الحديث المرفوع أنه صلى الله عليه وآله قال : « ألا أنبئكم بشر الناس ؟ » قالوا : بلى .  
يا رسول الله ، قال : « مَنْ نَزَلَ وَحْدَهُ ، وَمَنَعَ رِفْدَهُ ، وَضَرَبَ عَبْدَهُ » ، ثم قال : « ألا أنبئكم بشر من ذلك ؟ » قالوا : بلى ، قال : « مَنْ لَمْ يُقِلْ عَثْرَةً ، وَلَا يَقْبَلْ مَعْذِرَةً » .  
وقال إبراهيم بن عباس الصولي : لو وزنت كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله بمحاسن الخلق كلها لرجحت ، قوله : « إنا لكم لن نسمعوا <sup>(٢)</sup> الناس بأموالكم فسمعهم بأخلاقكم » .  
وفي الخبر المرفوع : « حَسَنَ الْخَلْقِ زَمَامٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي أَنْفِ صَاحِبِهِ ، وَالزَّمَامُ بِيَدِ الْمَلِكِ ، وَالْمَلِكُ يَجْرُهُ إِلَى الْخَيْرِ ، وَالْخَيْرُ يَجْرُهُ إِلَى الْجَنَّةِ ؛ وَسُوءُ الْخَلْقِ زَمَامٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي أَنْفِ صَاحِبِهِ ، وَالزَّمَامُ بِيَدِ الشَّيْطَانِ ، وَالشَّيْطَانُ يَجْرُهُ إِلَى الشَّرِّ ، وَالشَّرُّ يَجْرُهُ إِلَى النَّارِ » .  
وروى الحسن بن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله : « إِنْ الرَّجُلُ يَدْرِكُ بِحَسَنِ خَلْقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ، وَإِنَّهُ لَيَكْتُبُ جَبَّارًا وَلَا يَمْلِكُ إِلَّا أَهْلَهُ » .  
وروى أبو موسى الأشعري ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي وامرأة بين يديه ، فقلت : الطريق لرسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقالت : « الطريق معروض ؛ إِنْ شَاءَ أَخَذَ يَمِينًا وَإِنْ شَاءَ أَخَذَ شِمَالًا » . فقال صلى الله عليه وآله : « دَعُوهَا فَإِنَّهَا جَبَّارَةٌ <sup>(٣)</sup> » .  
وقال بعض السلف : الحسن الخلق ذو قرابة عند الأجانب ، والسيئ الخلق أجنبي عند أهله .

ومن كلام الأحنف : ألا أخبركم بالحكمة بلا مذمة ؟ الخلق السجيع ، والكفة عن القبيح . ألا أخبركم بأدواء الداء ؟ الخلق الدنيء واللسان البذيء .

(١) الزعارة ، وتشدد الراء : شراسة الخلق .

(٢) في الأصول : « لَنْ تَسْمَعُوا » تصحيف ؛ ولفظ الحديث في الجامع الصغير ١ : ١٧٥ : « إنا لكم لا نسمعون الناس بأموالكم ، ولكن ليسمعهم منك بسط الوجه وحسن الخلق » .

(٣) جبارة ، أي مستكبرة عاتية . وانظر النهاية ١ : ١٤٢ .



وفي الحديث المرفوع : « أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن » .  
وجاء مرفوعاً أيضاً : « المؤمن هين ثين كالجل الأنف<sup>(١)</sup> ؛ إن قيد انقاد ، وإن أنيخ  
على ضخرة استناخ » .

وجاء مرفوعاً أيضاً : « ألا أخبركم بأحبكم إلى وأقربكم مني مجالس يوم القيامة ؟  
أحاسنكم أخلاقاً ، الموطئون أكنافاً ، الذين يلقون ويؤلقون . ألا أخبركم بأبغضكم إلى  
وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة : الثرثارون المتفيهقون » .

أبو رجاء العطاردي : من سره أن يكون مؤمناً حقاً ، فليكن أذل من قعود ؛ كل  
من مر به ادعاه .

فضيل بن عياض : لأن بصحبتي فاجر حسن الخلق ، أحب إلي من أن بصحبتي  
عابد سيئ الخلق ، لأن الفاسق إذا حسن خلقه خف على الناس وأحبوه ، والعابد إذا ساء  
خلقته ، ثقل على الناس ومقتوه .

دخل فرقد ومحمد بن واسع على رجل يهودانه ، فجرى ذكر العنف والرفق ، فروى  
فرقد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قيل له : طي من حرمت النار يا رسول الله ؟  
قال : « على الهين اللين السهل القريب » ؛ فلم يجد محمد بن واسع بياضاً يكتب ذلك فيه ،  
فكتبه على ساقه .

عبد الله بن الداراني : ما ضرب عبد بمقوبة أعظم من قسوة القلب .  
عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل  
عليهم باب رفق » .

وعنها ، عنه صلى الله عليه وآله : « من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من خير  
الدنيا والآخرة » .

(١) يريد سهل المقادة ؛ وأصله أن البعير إذا اشتكى من البرة توضع في أنفه يقال له : بمر أنف .



جرير بن عبد الله البجلي رفعه « إِنَّ اللَّهَ لِيُعْطِيَ عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطَى عَلَى الْخُرْقِ ،  
فَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ الرِّفْقَ » . وكان يقال : « مَا دَخَلَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ » .  
أبو عَوْنُ الْأَنْصَارِيِّ : مَا تَكَلَّمَ الْإِنْسَانُ بِكَلِمَةٍ عَنِيفَةٍ إِلَّا وَابَى جَانِبَهَا كَلِمَةُ الْإِنِّ  
مِنْهَا تَجْرَى مَجْرَاهَا .

سئلت عائشة عن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ ، قَالَتْ : كَانَ خُلُقُهُ  
الْقُرْآنَ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ <sup>(١)</sup> ﴾ .  
وسئل ابنُ المبارك عن حُسْنِ الْخُلُقِ ، فَقَالَ : بِسَطِّ الْوَجْهِ ، وَكَفِّ الْأَذَى ،  
وَبَذْلُ النَّدَى .

ابن عباس : إِنْ أُلْخِقَ الْحَسَنُ بِذِيْبِ الْخَطَايَا كَمَا تُذِيْبُ الشَّمْسُ الْجَلِيدَ ، وَإِنْ أُلْخِقَ  
السَّيِّئُ بِفَسْدِ الْعَمَلِ ، كَمَا يَفْسِدُ الْخَلْقُ الْعَمَلُ .  
على عليه السلام : مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلَ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ .  
وعنه عليه السلام : عُنْوَانُ حَقِيقَةِ الْمُؤْمِنِ حُسْنُ خُلُقِهِ .  
وعنه عليه السلام مرفوعاً : عَلَيْكُمْ بِحُسْنِ الْخُلُقِ ؛ فَإِنَّهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِلَّا كُمْ وَسُوءُ الْخُلُقِ  
فَإِنَّهُ فِي النَّارِ .

قال المنصور لأخيه أبي العباس في بني حسن لما أزمعوا الخروج عليه : آتَسْهُمْ  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِحْسَانِ ، فَإِنْ اسْتَوْحِشُوا فَالْشَّرُّ يَصْلِحُ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ الْخَيْرُ ، وَلَا تَدْعُ  
مَعْدًا يَمْرَحُ فِي أَعْتَةِ الْعَفْوِ . فقال أبو العباس : يَا أَبَا جَمْفَرٍ ! إِنَّهُ مِنْ شِدَّةِ نَفَرٍ ، وَمِنْ  
لَانَ أَنْفٍ ، وَالتَّغافل من سجايا الكرام .

### [ فصل في ذكر أسباب النظرة والفضاظة ]

ونحن نذكر بعد كلاماً كلياً في سبب النظرة والفضاظة ، وهو الخلق المنافي للخلق  
الذي كان عليه أمير المؤمنين ، فنقول :



إنه قد يكون لأمر عائد إلى المزاج الجسماني ، وقد يكون لأمر راجع إلى النفس :  
 فأما الأول ؛ فإنما يكون من غلبة الأخلاط السوداء وترتددها ، وعدم صفاء الدم وكثرة  
 كدرته وعكره ، فإذا غلظ الدم وتخن غلظ الروح النفساني ونحن أيضا ، لأنه متولدة  
 من الدم ، فيحدث منه نوع مما يحدث لأصحاب الفطرة ، من الاستيحاش والتبوء عن الناس  
 وعدم الاستئناس والبشاشة ، وصار صاحبه ذاجفء وأخلاق غليظة ، ويشبه أن يكون هذا  
 سببا ماديا ، فإن الذي يقوى في نفس أن النفوس إن صحت وثبتت مختلفة بالذات .  
 وأما الراجع إلى النفس فإن يجتمع عندها أسقاط وأنصاء من قوى مختلفة مذمومة ،  
 نحو أن تكون القوة الغضبية عندها متوافرة ، وينضاف إليها تصوؤ الكمال في ذاتها وتوهم  
 النقصان في غيرها ، فيعتقد أن حركات غير واقعة على غير الصواب ، وأن الصواب ماتوهم .  
 وينضاف إلى ذلك قلة أدب النفس وعدم الضبط لها واستحقارها للغير ؛ وبقل التوقير له ،  
 وينضاف إلى ذلك لجأج ، وضيق في النفس ، وحدة واستشاعة وقلة صبر عليه ، فيتولد من  
 مجموع هذه الأمور خلق دني ؛ وهو الغلظة والفظاظة ، والرورة والبادرة المكروهة ، وعدم  
 حبة الناس ، ولقاؤهم بالأذى ، وقلة المراقبة لهم ، واستعمال القهر في جميع الأمور ، وتناول الأمر  
 من السماء ؛ وهو قادر على أن يتناوله من الأرض .

وهذا الخلق خارج عن الاعتدال ، وداخل في حيز الجور ؛ ولا ينبغي أن يسمى بأسماء  
 المدح ، وأعني بذلك أن قوماً يستون هذا النوع من العنف والخلق الوعر رجولية ، وشدة  
 وشكيمة ، وبذهبون به مذهب قوة النفس وشجاعتهما ؛ الذي هو بالحقيقة مدح . وشتان بين  
 الخلقين ، فإن صاحب هذا الخلق الذي ذمناه تصدر عنه أعمال كثيرة يحور فيها على نفسه ثم  
 على إخوانه ؛ على الأقرب فالأقرب من معامليه ، حتى ينتهي إلى عبده وحرمة ؛ فيكون عليهم  
 سوط عذاب ، لا يقبلهم عثرة ، ولا يرحم لهم عثرة ، وإن كانوا برآء الذنوب ، غير  
 مجرمين ولا مكشبي سوء ، بل يجرم عليهم ، ويهيج من أدنى سبب يجد به طريقا إليهم ،



حتى يبسط يده واسانه ، وهم لا يمتنعون منه ، ولا يتجاسرون على رده عن أنفسهم ، بل يذعنون له ويقرؤون بذنوب لم يقرئوها ؛ استكفاً لعادته وتسكيناً لغضبه ، وهو في ذلك يستمر على طريقته لا يكفّ بدا ولا اسانا .

وأصل هذا الخلق الذي ذكرناه أنه مركب من قوى مختلفة من شدة القوة الغضبية ، فهي الحاملة لصاحب هذا الحق على ما يصدر عنه من البادرة المكروهة والجبه والقحة ؛ وقد رأينا وشاهدنا من تشدد القوة الغضبية فيه ، فيتجاوز الغضب على نوع الإنسان إلى البهائم التي لا تعقل ، وإلى الأواني التي لا تحس ، وربما قام إلى الحجار وإلى البرذون فصرهما ولكمهما ، وربما كسر الآنية لشدة غضبه ، وربما عَضَّ القفل إذا تعسر عليه ، وربما كسر القلم إذا تعلقت به شعرة من الدواة واجتهد في إزالتها فلم تزل .

ويحكى عن بعض ملوك اليونان المتقدمين ؛ أنه كان يغضب على البحر إذا هاج واضطرب ، وتأخرت سفنه عن النفوذ فيه ؛ فيقسم بمبوده ليطمئه ويطرحن الجبال فيه حتى يصير أرضاً ، ويقف بنفسه على البحر ، ويهدده بذلك ، ويؤجره زجراً عنيفاً ، حتى تدر أوداجه ويشتد احمرار وجهه ؛ ومنهم من لا يسكن غضبه حتى يصب عليه ماء بارد أو حتى يبول ؛ ولهذا ورد في الشريعة ، الأمر لمن اشتد غضبه أن يتوضأ للصلاة ويصل .

وكان عمر بن الخطاب إذا غضب على واحد من أهله لا يسكن غضبه ؛ حتى يعض يده عضاً شديداً حتى يدميها .

\*\*\*

وذكر الزبير بن بكار في " اللوقيات " أن سرية جاءت لعبد الرحمن أو لعبد الله



ابن عمر بن الخطاب إليه تشكوه فقالت : يا أمير المؤمنين ، ألا تعذرنى من أبى عيسى ؛ قال : ومن أبو عيسى ؟ قالت : ابنك عبيد الله ، قال : ويحك ! وقد تكفى بأبى عيسى ! ثم دعاه فقال : إيهما اكتنيت بأبى عيسى ! فغذر وفزع ، وأخذ يده فعضها ؛ ثم ضربه ، وقال : ويلك ! وهل أميسى أب ؟ أندرى ما كفى العرب ! أبوسلعة ، أبوحنظلة ، أبوعرفطة أبو مرة ...

قال الزبير : وكان عمر إذا غضب على بعض أهله لم يكن غضبه حتى يعض يده عضاً شديداً . وكان عبد الله بن الزبير كذلك ، ولقوة هذا الخلق عنده أضمر عبد الله بن عباس في خلافته إبطال القول بالمول<sup>(١)</sup> وأظهره بعده ، ف قيل له : هلا قلت هذا في أيام عمر ! فقال : هبته ، وكان أميراً مهيباً .

ولذلك قال أيضاً أبو سفيان في استلحاق زياد : أخاف من هذا العير الجالس أن يخرج على إهابي ؛ فإذا هابه أبو سفيان ، وهو من بني عبد مناف في المنزلة التي تعلم ، وحوله بنو عبد شمس ، وهم جرة قریش ، فما ظنك بمن هو دونه !

وقد علت حال جيلة بن الأيهم وارتداداه عن الإسلام لتهذده له ووعيده إياه أن يضربه بالدرّة ، وفساد الحال بينه وبين خالد بن الوليد بعد أن كان ولياً مصافياً ، ومنحرفاً عن غيره قالوا ، والشأن الذي كان بينه وبين طلحة حتى هم أن يوقع به ، وحتى هم طلحة أن يجاهره ، وطلحة هو الذي قال لأبى بكر عند موته : ماذا تقول لربك وقد وليت فينا فظاً غليظاً ! وهو القائل له : يا خليفة رسول الله ؛ إنا كنا لانتحل شراسته وأنت حتى تأخذ على يديه ، فكيف يكون حالنا معه وأنت ميت وهو الخليفة !

واعلم أنا لا أريد بهذا القول ذمّ رضى الله عنه ؛ وكيف نذمه وهو أولى الناس بالمدح

(١) العول : ارتفاع الحساب في الفرائض . انظر اللسان .



والتعظيم ؛ ليؤمن بقيمته وبركة خلافة ، وكثرة الفتوح في أيامه ، وانتظام أمور الإسلام على يده أولكتنا أردنا أن نشرح حال العنف والرفق ، وحال سعة الخلق وضيقه ، وحال البشاشة والمبوس ، وحال الطلاقة والوعورة ، فنذكر كل واحد منها ذكرًا كليًا ، لأنخص به إنسانا بعينه . فأما عمر فإنه وإن كان وعرا شديدا خشنا ، فقد رزق من التوفيق والعناية الإلهية ونجح المساعي ، وطاعة الرعية ونفوذ الحكم ، وقوة الدين وحسن النية وصحة الرأي ، ما برى محاسنه ومحامده على ما في ذلك الخلق من نقص ، وليس الكامل المطلق إلا الله تعالى وحده .  
فأما حديث الرضيخة وما جعل معاوية لعمر بن العاص من جمالة على مبايعته ونصرته ، فقد تقدم ذكره في أخبار صفين المشروحة في هذا الكتاب من قبل .



مركز تقيت كچو پيترين سدي



( ٨٤ )

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ ، لَا تَقَعُ الْأَرْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ ، وَلَا تُعَقَّدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ ؛ وَلَا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْطِيقُ ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ .

الشرح



في هذا الفصل على قصره ثمانى مسائل من مسائل التوحيد :  
الأولى : أنه لاثنائى له سبحانه فى الإلهية .

والثانية : أنه قديم لا أول له . فإن قلت : ليس يدلُّ كلامه على القدم ، لأنه قال : «الأوّل لاشيء قبله» فيوهم كونه غير قديم بأن يكون محدثا وليس قبله شيء ، لأنه محدث عن عدم والعدم ليس بشيء ، قلت : إذا كان محدثا كان له محدث ؛ فكان ذلك الحدث قبله ، فثبت أنه متى صدق أنه ليس شيء قبله صدق كونه قديما .

والثالثة : أنه أبدى لا انتهاء ولا انقضاء لذاته .

والرابعة : نفي الصفات عنه - أعنى المعانى .

والخامسة : نفي كونه مكيفا ؛ لأن كيف إنما يُسأل بها عن ذوى الهيئات والأشكال وهو منزّه عنها .

والسادسة : أنه غير متبعض لأنه ليس بجسم ولا عرض .



والسابعة : أنه لا يرى ولا يدرك .

والثامنة : أن ماهيته غير معلومة ، وهو مذهب الحكماء وكثير من المتكلمين من أصعابنا وغيرهم .

وأدلة هذه المسائل مشروحة في كتبنا الكلامية .

واعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الإلهية ، ما عرفت إلا من كلام هذا الرجل ، وأن كلام غيره من أكابر الصعابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلاً ؛ ولا كانوا يتصورونه ، ولو تصوروه لذكروه . وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله عليه السلام .

\*\*\*



مركز تحقيقات علوم و کتب اسلامی

الأصل :

ومنها :

فَاتَمَّظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعَمْرِ النَّوَافِيعِ ، وَأَعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِيعِ ، وَأَزِدَّجُرُوا بِالنُّذُرِ  
الْبَوَالِغِ ، وَأَنْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ ، فَكَأَنَّ <sup>(١)</sup> قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ التَّنْيَةِ ،  
وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عِلَاقَتُ الْأَمْنِيَةِ ، وَدَهَمَتْكُمْ مُنْظِمَاتُ الْأُمُورِ ، وَالسَّيَافَةُ إِلَى الْوُرُودِ  
الْمُورُودِ ، فَكُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ؛ سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى تَحْشَرِهَا ؛ وَشَهِيدٌ يَشْهَدُ  
عَلَيْهَا بِمَعْلَمِهَا .

\*\*\*

البنخ

العبر : جمع عبرة ، وهي ما يعتبر به أى ينمظ . والآي : جمع آية ، ويجوز أن يريد

(١) مخطوطة النهج « وكان » .



بها آى القرآن ، ويجوز أن يريد بها آيات الله فى خلقه ، وفى غرائب الحوادث فى العالم .  
والسواطع : المشرقة النيرة .

والنذر : جمع نذير ؛ وهو الخوف ، والأحسن أن يكون النذر ها هنا هى  
الإنذرات نفسها ، لأنه قد وصف ذلك بالبوالغ ، وفواعل لا تكون فى الأكثر إلا  
صفة المؤنث .

ومُفْطَحاتِ الأمور : شدائدُها الشنيعة ، أفْطَحَ الأمرُ فهو مُفْطِحٌ ، ويجوز فُطِحَ الأمرُ  
بالضم فطاعة فهو فطِيع ، وأفْطَحَ الرجل على ما لم يسم فاعله ، أى نزل به ذلك .

وقوله : « والسياسة إلى الورد المورود » ؛ يعنى الموت . وقوله : « سائق وشهيد » ؛  
وقد فسر عليه السلام ذلك وقال : « سائق يسوقها إلى محشرها ، وشاهد يشهد عليها  
بصلها » ؛ وقد قال بعض المفسرين : إن الآية لا تقتضى كونها اثنين ، بل من الجائز أن  
يكون ملكاً واحداً جامعاً بين الأمرين ، كأنه قال : « وجاءت كل نفس معها ملك  
يسوقها ويشهد عليها » . وكلام أمير المؤمنين يحتمل ذلك أيضاً ، لأنه لم يقل أحدهما ؛ لكن  
الأظهر فى الأخبار والآثار أنهما ملكان .

فإن قلت : إذا كان تعالى عالماً بكل شىء فأى حاجة إلى الملائكة التى تكتب  
الأعمال ، كما قال سبحانه : ﴿ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ وإذا كان تعالى  
أعدل العادلين فأى حاجة إلى ملك يشهد على المكلف يوم القيامة ؟ وإذا كان قادر الذات ،  
فأى حاجة إلى ملك يسوق المكلف إلى المحشر ؟ قلت : يجوز أن يكون فى تقرير مثل  
ذلك فى أنفس المكلفين فى الدنيا ألطاف ومصالح لهم فى أديانهم ، فيخاطبهم الله تعالى به



لوجوب اللطف في حكمته ، وإذا خاطبهم به وجب فعله في الآخرة ؛ لأن خبره سبحانه لا يجوز الخلف عليه .

\*\*\*

### الأصل :

ومنها في صفة الجنة :

دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا ، وَلَا يَطْمَنُ مُقِيمُهَا ، وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا ، وَلَا يَبْئَسُ سَاكِنُهَا .

\*\*\*

### الشرح :

الدَّرَجَاتُ : جمع درجة ، وهي الطبقات والراتب ، ويقال لها : درجات في الجنة ودَرَكَات في النار ، وإنما تفاضلت وتفاوتت بحسب الأعمال ، ولا يجوز أن يقع ذلك تفضلاً ؛ لأن التفضل بالثواب قبيح .

فإن قلت : فما قولك في الحور والولدان والأطفال والمجانين ؟ قلت : يكون الواصل إليهم نعيماً ولذة لا شبهة في ذلك ، ولكن لا ثواب لهم ولا ينالونه ، والثواب أمرٌ أخص من المنافع والنعم ، لأنه منافع يقترن بها التعظيم والتبجيل ، وهذا الأمرُ الأخص لا يحسن إيصاله إلا إلى أرباب العمل .

وقوله : « لا ينقطع نعيمها ولا يطمئن مقيمها » قولٌ متفق عليه بين أهل اللغة ، إلا ما يحكى عن أبي الهذيل ؛ أن حركات أهل الجنة تنهى إلى سكون دائم . وقد نزهه قوم من أصحابنا عن هذا القول وأكذبوا روايته ، ومن أثبتته منهم عنه زعم أنه لم يقل بانقطاع النعيم ، لكن بانقطاع الحركة مع دوام النعيم ، وإنما حمله على ذلك أنه لما استدلل على أن



الحركة الماضية يستحيل ألا يكون لها أول ، عورض بالحركات المستقبلية لأهل الجنة والنار ،  
فالزم أنها متناهية ، وإنما استبعد هذا عنه ؛ لأنه كان أجلاً قدراً من أن يذهب عليه الفرق  
بين الصورتين .

ويأس : مضارع يئس ، وجاء فيه « يئس » بالكسر ، وهو شاذ كشذوذ « يحسب »  
و بنيم ، ومعنى « يأس » : يصيبه اليأس وهو الشقاء .



مركز تحقيقات علوم و ادب اسلامی



(٨٥)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ ، وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ ، لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْغَلْبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَوْلَاهُ ، قَبْلَ إِزْهَاقِ أَجَلِهِ ، وَفِي فَرَاحِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ ، وَفِي مُتَنَفِّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ ؛ وَلِيَتَمَهَّدَ لِنَفْسِهِ وَقَدَمِهِ ، وَلِيَتَزَوَّدَ مِنْ دَارِ ظَمْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ .

فَاللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ ، وَاسْتَوَدَّكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَذَرِكُمْ سُدًى ؛ وَلَمْ يَدْعُكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمَى ، قَدْ عَمِيَ آثَارُكُمْ ، وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ نَبِيَانَا لِكُلِّ شَيْءٍ ؛ وَعَمَرَ فِيكُمْ نَبِيَّةً أَرْمَانَا ؛ حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ ؛ وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ عَابَهُ مِنْ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِهِ ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ ، وَأَلْقَى إِلَيْكُمْ الْمَعْدِرَةَ ، وَأَتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ بَدَنِي عَذَابٍ شَدِيدٍ .

\*\*\*

الشرح :

السرائر : جمع سريرة ، وهو ما يكتم من السر .

وخبر الضمائر ، بفتح الباء : امتحنها وابتلاها ، ومن رواه بكسر الباء أراد « علم » ، والاسم



الخبير ، بضم الخاء وهو العلم . والغبائر : جمع ضمير ، وهو ما تضرره وتسكته في نفسك .  
وفي قوله : « له الإحاطة بكل شيء » ؛ وقد بينها ثلاث مسائل في التوحيد :  
إحداهن : أنه تعالى عالم بكل العلوم .

والثانية : أنه لا شريك له ، وإذا ثبت كونه عالماً بكل شيء كان في ضمن ذلك نفي  
الشريك ، لأن الشريك لا يكون مغلوباً .

والثالثة : أنه قادر على كل ما يصح تعلق قديرته تعالى به .

وأدلة هذه المسائل مذكورة في الكتب الكلامية .

وقوله : « فليعمل العامل منكم إلى قوله » : « وليتزوّد من دار ظمته لدار إقامته »  
مأخوذ من قول رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبته المشهورة وهي : « أيها الناس ؛  
إن لكم معالماً فانتبهوا إلى معالكم وإن لكم غاية فانتبهوا إلى غايتكم . إن المؤمن بين محافتين :  
بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به ، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه ،  
فليأخذ المبدأ من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبهة قبل الحرم ، ومن الحياة  
قبل الموت ؛ فوالذي نفس محمد بيده ؛ ما بعد الموت من مستعقب ، وما بعد الدنيا من  
دار إلا الجنة أو النار . »

وللمهل : المهلة والتؤدة . والإرهاق : مصدر أرهاق ، تقول : أرهاقه قرنه في الحرب  
إرهاقاً إذا غشيّه ليقته ، وزيد مرهق ؛ قال الشاعر :

تَنذَى أَكْفَهُمْ وَفِي آيَاتِهِمْ ثِقَّةُ الْجَاوِرِ وَالْمُضَافِ الْمَرْهَقِ<sup>(١)</sup>

وفي متنفسه ، أى في سعة وقته ؛ يقال : أنت في نفس من أمرك ، أى في سعة .

(١) للكعبية ؛ اللسان ٣ : ٤٢١ .



وَالْكَلَمُ بفتحهما : مخرج النفس ، والجمع أكلام . ويجوز ظلمته وظلمته ، بتعريفك العين وتسكينها ، وفريئ بهما : ﴿ يَوْمَ ظَلَمْتُمْ <sup>(١)</sup> ﴾ ﴿ وظلمكم ﴾ .

ونصب « الله الله » على الإغراء ، وهو أن تقدر فعلا ينصب المفعول به ؛ أي اتقوا الله ، وجعل تكرير اللفظ نائبا عن الفعل المقدر ودليلا عليه .  
استحفظكم من كتابه : جعلكم حَفَظَةً له ؛ جمع حافظ .

السُّدَى : الممَل ، ويجوز سُدَى بالفتح ، أسدبت الإبل : أهملتها . وقوله : « قد سئى آثاركم » يفسر بفسيرين : أحدهما : قد بين لكم أعمالكم خيرها وشرها ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ <sup>(٢)</sup> ﴾ ؛ والثاني : قد أعلى مآثركم ، أي رفع منازلكم إن أطعتم ، ويكون سئى بمعنى أسئى ، كما كان في الوجه الأول بمعنى أبان وأوضح .

والتَّثْبِيَانِ ، بكسر التاء : مصدر ، وهو شاذ ؛ لأن المصادر إنما تسمى على « التَّفْعَالِ » بفتحها مثل التَّذْكَارِ والتَّكْرَارِ ، ولم يأت بالكسر إلا حرفان وهما : التَّثْبِيَانِ والتَّثْلُقَاءُ .  
وقوله : « حتى أكمل له ولكم دينه » من قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي <sup>(٣)</sup> ﴾ .

وقوله : « الذي رضى لنفسه » من قوله تعالى : ﴿ وَلَيَمَسَّ كُنْزَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ <sup>(٤)</sup> ﴾ ؛ لأنه إذا ارتضى لهم فقد ارتضاه لنفسه ، أي ارتضى أن ينسب إليه ، فيقال : هذا دين الحق . « وأنهى إليكم » : عرفكم وأعلمكم .

ومحابة : جمع محبة ، ومكارهه : جمع مكرهه ، وهي ما تكره ، وفي هذا دلالة أن الله تعالى يحب الطاعة ويكره المعصية ، وهو خلاف قول المجبرة .

(١) سورة النحل ٨٠ .

(٢) سورة البلد ١٠ .

(٣) سورة المائدة ٣ .

(٤) سورة النور ٥٥ .



والأوامر : جمع أمر ، وأنكره قوم وقالوا : ها هنا جمع « أمر » ، كالأحوص جمع أخوص ،  
والأحامر جمع أحر . بمعنى الكلام الأمر لم بالطاعات وهو القرآن .  
والنواهي : جمع ناهية ، كالتواري جمع سارية ، والنوادي جمع غادية ، بمعنى الآيات  
الناهية لم عن المعاصي ، ويضمف أن يكون الأوامر والنواهي جمع أمر ونهي ، لأن « فعلاً »  
لا يجمع على فاعل وفواعل ، وإن كان قال ذلك بعض الشواذ من أهل الأدب .  
وقوله : « وأتقوا إليكم المذرة » كلام فصيح ، وهو من قوله تعالى : ﴿ اتَّقُوا إِلَيْكُمْ  
السَّلَامَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وقدم إليكم بالوعيد ، وأنذركم بين يدي عذاب شديد ، أي أمامه وقبله ، مأخوذ  
أيضاً من القرآن . ومعنى قوله : « بين يدي عذاب شديد » ، أي أمامه وقبله ؛ لأن ما بين  
يديك متقدم لك .

مركز تحقيق التراث

## الأصل :

فَاسْتَذِرُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ ، وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ ؛ فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ  
الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ ، وَالنَّشَاطُ عَنْ الْمَوْعِظَةِ ، وَلَا تُرَخِّصُوا أَنْفُسَكُمْ ؛  
فَتَذْهَبَ بِكُمْ الرُّخَصُ مَذَاهِبَ الظَّالِمَةِ ، وَلَا تُدَاهِنُوا قَبِيحُكُمْ بِكُمْ الْإِذْهَانُ  
عَلَى الْعَصِيَّةِ .

عِبَادَ اللَّهِ : إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ ، وَإِنْ اغْتَنَمُوا لِنَفْسِهِ أَغْصَاهُمْ  
لِرَبِّهِ ؛ وَالْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ ، وَالْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بِنَفْسِهِ ،  
وَالشَّقِيُّ مَنْ أَخَذَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ .

(١) - سورة النساء ٩٠ .



وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ يَسِيرُ الرِّيَاءُ شِرْكٌ ، وَبُجَائِصَةُ أَهْلِ الْهَوَى مَنَسَاةٌ لِلْإِيمَانِ ؛  
وَتَحْفَرَةُ الشَّيْطَانِ .

جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ . الصَّادِقُ عَلَى شَفَا مَنَجَاةٍ وَكَرَامَةٍ ،  
وَالْكَاذِبُ عَلَى شَرْفٍ مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ .

وَلَا تَحَاسَدُوا ؛ فَإِنَّ الْحَسَدَ بَأْسٌ كُلُّ الْإِيمَانِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْخُطْبَةَ ،  
وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ ؛ وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْبِي الْعَقْلَ ، وَيُنْسِي الذِّكْرَ .  
فَأَكْذِبُوا الْأَمَلَ ؛ فَإِنَّهُ غَرُورٌ ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ .

\*\*\*

### الْبَرْخُ

قوله : « فاستدركوا ببقية أيامكم » ؛ يقال : « استدركت مافات وتداركت مافات » ،  
بمعنى « واصبروا لما أنفكم » ؛ مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ  
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ يقال : « صبر فلان نفسه على كذا » ، أى حبسها  
عليه . يتعدى فينصب ؛ قال عنتره :

فصبرتُ عارفةً لذلك حرّةً ترسو إذا نفس الجبان تطلّعتُ <sup>(٢)</sup>

أى حبست نفسا عارفة . وفي الحديث النبويّ في رجل أمسك رجلا وقتله الآخر ، فقال  
عليه السلام : « اقتلوا القاتل واصبروا الصابر » ، أى احبسوا الذى أمسكه حتى يموت .  
والضمير في « فإنها قليل » عائد إلى الأيام التى أمرم باستدراكها . يقول : إن هذه  
الأيام التى قد بقيت من أعماركم قليلة ، بالنسبة والإضافة إلى الأيام التى تفتلون فيها  
عن الموعدة .

(١) سورة الأنعام ٥٢ .

(٢) يذكر حرباً كان فيها . اللسان ٦ : ١٠٧ .



وقوله : « فإنها قليل » فأخبر عن اللؤث بصيغة للذكر ، إنما معناه فإنها شيء قليل  
بحذف الموصوف ؛ كقوله : ﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ <sup>(١)</sup> أى قبيلا رفيقا .

ثم قال : « ولا ترخصوا » ؛ نهى عن الأخذ برخص المذاهب ؛ وذلك لأنه لا يجوز  
للواحد من العامة أن يقلد كلاً من أئمة الاجتهاد فيما خفّ وسهل من الأحكام الشرعية .  
أولا تساهلوا أنفُسكم في ترك تشديد المصية ، ولا تساهلوا وترخصوا إليها في ارتكاب  
الصغائر والمحقرات من الذنوب ، فهجم بكم على الكبار ، لأن من مَرَن على أمرٍ تدرج  
من صغيره إلى كبيره .

والمداينة : النفاق والمصانعة ، والإدهان مثله ؛ قال تعالى : ﴿ وَذُوقُوا تَذْوِينَ  
فَيَذَّهَبُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

قوله : « إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه » ، لأنه قد صانها عن العقاب ، وأوجب  
لها الثواب ؛ وذلك غاية ما يمكن من نصيحتها ونفعها .  
قوله : « وإن أغش الناس لنفسه أعصام لربه » ؛ لأنه ألقاها في الهلاك الدائم ، وذلك أقصى  
ما يمكن من غشها والإضرار بها .

ثم قال : « والمغبون من غبن نفسه » ، أى أحق الناس أن يسمى مغبونا من غبن  
نفسه ، يقال : غبنته في البيع غبنا ، بالتسكين ، أى خدعته ، وقد غبن فهو مغبون ، وغبن  
الرجل رأيه بالكسر غبنا بالتحريك فهو غبين ، أى ضعيف الرأي ، وفيه غبانة . ولفظ  
الغبن يدل على أنه من باب غبن البيع والشراء ، لأنه قال : « والمغبون » ولم يقل :  
« والغبن » .

والمغبوط : الذى يُتمنى مثل حاله ، والذى يتمنى زوال حاله وانتقالها هو الحاسد ،

(١) سورة النساء ٦٩ .

(٢) سورة القلم ٩ .



والحسد مذموم ، والغبطة غير مذمومة ، يقال : غبَطته بما نال ، أغبطه غبطا وغبطة فاعتبط هو ؛ كقولك منعتك فامتنع ، وحبسته فاحتبس ، قال الشاعر :

وبينا المرء في الأحياء منتبِطٌ إذ صار في الرُّمُس تعفُوهُ الأعاصير<sup>(١)</sup>  
هكذا أنشدوه بكسر الباء ، وقالوا فيه : منتبِط ، أى منبوط .  
قوله : « والسعيد من وعظ بغيره » مثل من الأمثال النبوية .  
وقد ذكرنا فيما تقدم ، ما جاء في ذم الرياء وتفسير كونه شرا .  
وقوله عليه السلام : « مَنْسَأَةٌ للإيمان » ؛ أى داعية إلى نسيان الإيمان وإيمانه ، والإيمان الاعتقاد والعمل .

ومحضرة للشيطان : موضع حضوره ، كقولك : مَسْبَعَةٌ ، أى موضع السباع .  
ومَقْعَةٌ ، أى موضع الأفاعي .

ثم نهى عن الكذب وقال : « إنه عجائب للإيمان » وكذا ورد في الخبر المرفوع .  
وشفا منجاة ؛ أى حرّف نجاة وخلّص ؛ وشفا الشيء حرفه ، قال تعالى : ﴿ وَكَنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ وأشنى على الشيء وأشرف عليه بمعنى ؛ وأكثر ما يقال ذلك في المكروه ، يقال : أشنى المريض على الموت ، وقد استغمله هاهنا في غير المكروه .  
والشَرْف : المكان العالي ، بفتح الشين ، وأشرفت عليه ، أى اطلّمت من فوق .  
والمَهْوَاة : موضع السقوط . والمهانة : الحقارة .

ثم نهى عن الحسد وقال : « إنه يأكل الإيمان كما تأكل النار الخشب » ، وقد ورد هذا الكلام في الأخبار المرفوعة ؛ وقد تقدّم منا كلام في الحسد ، وذكرنا كثيرا مما جاء فيه .

(١) من أبيات في اللسان ( دمر ) ، ونسبها إلى عثيرة بن ليلى العذري ، وانظر نزهة الألباس ٢٧

(٢) سورة آل عمران ١٠٣ .



ثم نهى عن المباغضة وقال : « إنها الحالقة » ، أى المأساة التى تأتى على القوم ، كالحلق للشعر .

ثم نهى عن الأمل وطوله وقال : « إنه يورث العقل سهوا ، وينسى الذكر » . ثم أمر  
بإكذاب الأمل ، ونهى عن الاعتماد عليه ، والسكون إليه ، فإنه من باب الفرور .  
وقد ذكرنا فى الأمل وطوله نكتة نافعة فيما تقدم ، ويجب أن نذكر ما جاء فى النهى  
عن الكذب .

\*\*\*

### [ فصل فى ذم الكذب وحقارة الكذابين ]

جاء فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا كذب العبد كذبة تباعد الملاك  
منه مسيرة ميل ، من ثلث ما جاء به » .  
وعنه عليه السلام : « إياكم والكذب ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدى  
إلى النار ، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب ، فيكتب عند الله كاذبا ؛ وعليكم  
بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق  
ويتحرى الصدق ، فيكتب عند الله صادقا » .

وروى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله : أنا بارسول الله أستسير بحلال أربع :  
الزنا ، وشرب الخمر ، والسرقة ، والكذب ، فأتيتهن شئت تركتها لك ؛ قال دع الكذب ؛  
فلما ولّى هم بالزنا ، فقال : يسألني فإن جعلت تقضت ما جعلت له ، وإن أقررت حُدوت ،  
ثم هم بالسرقة ، ثم بشرب الخمر ، فتكر في مثل ذلك ، فرجع إليه فقال : قد أخذت على  
السبيل كله ، فقد تركتهن أجمع .

قال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله : يا بني أنت أقمه منى ، وأنا أحقل منك ،



وإن هذا الرجل بُذِنِيكَ - بمعنى عمر بن الخطاب - فاحفظ عني ثلاثاً : لا تُفْشِيَنَّ له سرّاً ، ولا تفتأَنَّ عنده أحداً ، ولا بطلِمَنَّ منك على كذبةٍ . قال عبد الله : فكانت هذه الثلاث أحبَّ إليَّ من ثلاث بدّرات ياقوتاً .

قال الواثق لأحمد بن أبي دُوَادٍ رحمه الله تعالى : كان ابنُ الزُّبَيَاتِ عندي ، فذكركَ بكلِّ قبيح ، قال : الحمد لله الذي أحوجّه إلى الكذب هلى ، ونزّهني عن الصدق في أمره .

وكان يقال : أمرات لا يكاد أحدهما يتفكّ من الكذب : كثرةُ المواعيد وشدةُ الاعتذار .

ومن الحكَم القديمة : إنّما فضلُ الناطقِ على الأخرس بالنطق ، وزَيْنُ النطقِ الصدق ، فالكاذبُ شرٌّ من الأخرس .

قال الرشيد للفضل بن الربيع في كلام جرى بينهما : كذبت ، فقال : يا أمير المؤمنين ! وجهُ الكذوب لا يقابلُك ، ولسانه لا يحاورُك .  
قيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ الْوَيْلُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> : هي في الكذابين ، فالويل لكلّ كاذب إلى يوم القيامة .

ومن كلام بعض الصالحين : لو لم أترك الكذب تأثماً لتركته تَكْرُماً .  
أبو حيان : الكذبُ شعارُ خلق ، وموردُ رَنَقٍ <sup>(٢)</sup> ، وأدب سَيِّئٌ ، وعادة فاحشة ، وقلّ مَنْ استرسل معه إلا أُلْفَه ، وقلّ مَنْ أُلْفَه إلا أُلْفَه ، والصدق ملبس بهي ، ومنهل غذى ، وشُعاع منبث ، وقلّ مَنْ اعتاده ومرن عليه إلا صحبته السكينة ، وأيده التوفيق ، وخدمته القلوب بالحبّة ، ولحظته العيون بالمهابة .

(١) سورة الأنبياء ١٨ .

(٢) الرنق ، يفتح النون وإسكانها وكسرهما : الكدر .



ابن السَّامِك : لَا أَذْرِي ، أَوْ جَرَّ عَلَى تَرْكِ الْكَذْبِ أَمْ لَا ! لِأَنِّي أَتْرَكُهُ أَتَّفَقَ .

يحيى بن خالد : رَأَيْتُ شَرِيبَ خَمْرِ تَزَع ، وَلَعْنًا أَفْلَح ، وَصَاحِبَ فَوَاحِشٍ ارْتَدَعَ ،  
وَلَمْ أَرَ كَاذِبًا رَجَعَ .

قَالُوا فِي تَفْسِيرِ هَذَا : إِنْ الْمَوْلَعُ بِالْكَذْبِ لَا يَكَادُ يَصْبِرُ عَنْهُ ، فَقَدْ عَوَّتَبَ إِنْسَانٌ عَلَيْهِ ،  
فَقَالَ لِمُعَاتِبِهِ : يَا بْنَ أَخِي ، لَوْ تَفَرَّغْتَ بِهِ لَمَا صَبَرْتَ عَنْهُ .

وَقِيلَ لِكَاذِبٍ مَعْرُوفٍ بِالْكَذْبِ : أَصَدَقْتَ قَطُّ ؟ قَالَ : لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ أَصْدُقَ  
لَقُلْتُ : لَا !

وَجَاءَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ الْمَرْفُوعَةِ : قِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَبِكُونُ الْمُؤْمِنَ جَبَانًا ؟ قَالَ :  
نَعَمْ ، قِيلَ : أَفَبِكُونُ بَخِيلًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ أَفَبِكُونُ كَاذِبًا ؟ قَالَ : لَا .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَخَذْتُ حَدَّثَانِ : حَدَّثَ مِنْ فَيْكِ ، وَحَدَّثَ مِنْ فَرَجِكَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ عَمَّا يَكْرَهُونَ ، قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ ؛ أَخَذَهُ  
شَاهِرٌ فَقَالَ :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ<sup>(١)</sup>

وَكَانَ يُقَالُ : خَذُوا عَنْ أَهْلِ الشَّرَفِ ، فَإِنَّهُمْ قَلْبًا يَكْذِبُونَ .

وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ : لَوْ صَحِبْتَنِي رَجُلٌ ، فَقَالَ لِي : اشْتَرِ عَلَيَّ خَصْلَةً وَاحِدَةً لَا تَزِيدُ  
عَلَيْهَا ، لَقُلْتُ : لَا تَكْذِبْ .

وَكَانَ يُقَالُ : خَصَلْتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ : الْكَذْبُ وَالرَّوَّةُ .

كَانَ يُقَالُ : مِنْ شَرَفِ الصَّدَقِ أَنْ صَاحِبَهُ يُصَدِّقُ عَلَى عَدُوِّهِ ، وَمِنْ دَنَاءَةِ الْكَذْبِ  
أَنْ صَاحِبَهُ يَكْذِبُ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا .

(١) المقدم ٢ : ٤٤٤ من غير نسبة ، وبعده :

مَقَالَةُ الشُّوْءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنْهَدَرٍ إِلَى سَائِلٍ



ومثل هذا قولهم : مَنْ عُرِفَ بالصدق جاز كَذِبُهُ ، وَمَنْ عُرِفَ بالكذب لم يَجُزْ صدقه .

وجاء في الخبر المرفوع : « إن في المعارض لمندوحة عن الكذب » .

وقال ابن سيرين : الكلام أوسع من أن يكذب ظريفٌ .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ لَا تَوَاعِظِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ لم ينسَ ، ولكنه من معارضض

الكلام ، وكذلك قالوا في قول إبراهيم : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقال العتيبي : إني لأصدق في صفار ما يضرني ، فكيف لأصدق في كبار ما ينفعني !

وقال بعض الشعراء :

لا يكذبُ المرءُ إلّا من مهالكته أو عاديةِ الشؤ أو من قلةِ الأدبِ

لعمري جيفةٌ كذبٍ خيرٌ راحيةً من كذبةِ المرءِ في جِدِّ وفي لعبٍ

شهد أعرابيٌّ عند معاوية بشهادة ، فقال له : كذبت ، فقال : الكاذب والله التزمل

في ثيابك ؛ فقال معاوية : هذا جزاء من عجل .

وقال معاوية يوماً للأحنف - وحديثه حديثنا ، أتكذب ؟ فقال له الأحنف : والله

ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين أهله .

ودخل عبدُ الله بن الزُّبير يوماً على معاوية فقال له : اسمع أبياتاً قلتها - وكان واجداً

على معاوية - فقال : هات ، فأنشده :

إذا أنت لم تُنصِفْ أخاك وجَسَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ المِجْرَانِ إن كان يَسْأَلُ

وبركبَ حَدَّ السيفِ من أن تُضَيِّمَهُ إذا لم يكن عن شفرةِ السيفِ مِرْجَلُ

فقال معاوية : لقد شعرت بعدنا يا أبا بكر ؛ ثم لم يلبث معاوية أن دخل عليه معنٌ

(١) سورة الكهف ٧٣ .

(٢) سورة الصافات ٨٩ .



ابن أوس المزني ، فقال : أقلت بعدنا شيئاً ؟ قال نعم ، وأنشده :

لَعَمْرُكَ لَا أُدْرِى وَإِنِّي لَاؤَجَلُ قَلَى أَبْنَاءَ تَعْدُو النَّيْثَةَ أَوَّلُ<sup>(١)</sup>

حتى صار إلى الأبيات التي أنشدها ابن الزبير ، فقال معاوية : يا أبا بكر ، أما ذكرت

أنفا أن هذا الشعر لك ؟ فقال : أنا أصلحت المعاني وهو ألف [ الشعر ]<sup>(٢)</sup> . وبعد ، فهو ظنري<sup>(٣)</sup> وما قال من شيء فهو لي .

وكان عبداً لله بن الزبير مسترضعاً في مَرْبِئَةَ<sup>(٤)</sup> .

وروى أبو العباس المبرّد في " الكامل " ، أن عمرو بن عبد العزيز كتب في إشخاص

إياس بن معاوية المزني ، وعدى بن أرطاة الفزاري أمير البصرة وقاضياً إليه ، فصار عدى إلى إياس ، وقد رآه يمزّنه<sup>(٥)</sup> عند عمرو بن عبد العزيز ويُبْنِي عليه ، فقال له : يا أبا وائلة ، إن لنا حقاً ورحماً ، فقال إياس : أقلّي الكذب تريدني ! والله ما يسرفني أن كذبت كذبة ؟ يغفرها الله لي ، ولا يطلع عليها هذا . وأوماً إلى ابنه - ولي ما طلعت عليه الشمس<sup>(٦)</sup> !

مركز تحقيقات تكملة تاريخ طبرستان

وروى أبو العباس أيضاً : أن عمرو بن معديكرب الزبيدي كان معروفاً بالكذب .

وقيل لخلف الأحمر - وكان مولى لهم وشديد التعصب لليمن : أكان عمرو بن معديكرب يكذب ؟ قال : يكذب في المقال ويصدق في الفعل<sup>(٧)</sup> .

(١) ديوانه ٥٧ .

(٢) من الكامل .

(٣) الكامل « وهو بعد ظنري » .

(٤) الخبر في الكامل ٢ : ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٥) في الأصول : « يقرظه » ، وما أثبتته من الكامل . وفي زيادات أبي الحسن الأخفش : التزوين . المدح ، ولم أسمع هذه اللفظة إلا من أبي العباس ، وهي عندي مشتقة من المازن . وهو يبيض النمل ؛ وبهذا سميت مازن ؟ كأنه أراد منه أن يكبره . وروى : « يكثره » . وفي زيادات الكامل أيضاً : قال الشيخ : قوله : « أن يمزّنه عند المديفة ؟ أي كأنه يجعله سيد مزينة ؛ لأنه كان مزينياً » .

(٦) الكامل ٢ : ٢٩٢ .

(٧) الكامل ٢ : ٢٠٨ .



قال أبو العباس : فروي لنا أن أهل الكوفة الأشراف ، كانوا يظهرون بالكُنَاسة<sup>(١)</sup> فيركبون على دوابهم حتى تطردهم<sup>(٢)</sup> الشمس ، فوقف عمرو بن معديكرب الزبيدي ، وخالد بن الصقعب النهدي - وعمرولا يعرفه ، إنما يسمع باسمه - فأقبل عمرو يحدثه ، فقال : أغرنا مرة على بني نهد ، فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصقعب ، فحملت عليه ، فطعنته فأذريته<sup>(٣)</sup> ثم ملت عليه بالصمصامة<sup>(٤)</sup> ، فأخذت رأسه ، فقال خالد بن الصقعب : حلاً أبا ثور ، إن قتيلك هو المحدث ؛ فقال عمرو : يا هذا إذا حدثت فاستمع ، فإنما نتحدث بمثل ما نستمع لنُرهب به هذه المديّة .

قوله : « مسترعفين » أي مقدمين له . وقوله : « حلاً أبا ثور » أي استثنى ، يقال : حلف ولم يتعطل ، أي لم يستثن . والمديّة : مضرٌ وربيعه وإباد ، بنو معدّ بن عدنان ، وهم أعداء اليمن في المفاخرة والتكائر .



مركز تحقيقات علوم و تاريخ اسلامي

(١) الكُنَاسة : حلة بالكوفة .

(٢) الكامل : « إلى أن يطردهم حر الشمس » .

(٣) أذريته : صرعه وألقته عن فرسه .

(٤) الصمصامة : السيف الصارم لا يثنى ؛ وهو اسم عمرو بن معديكرب .



(٨٦)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

عِبَادَ اللَّهِ ! إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ ، وَتَجَلَّبَبَ الْخُوفَ ؛ فَرَزَّهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ ، وَأَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ ، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ .

أَنْظَرَ فَأَبْصَرَ ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ ، وَأَرْتَوَى مِنْ عَذَابِ فُرَاتٍ ، سَهَّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ ، فَشَرِبَ نَهْلًا ، وَسَلَكَ سَبِيلًا جَدْدًا .  
قَدْ خَلَعَ سَرَائِيلَ الشَّهَوَاتِ ، وَتَخَلَّى عَنِ الْهَوْمِ ، إِلَّا هُمَا وَاحِدًا أَنْفَرَدَ بِهِ ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى ، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى ، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى ، وَمَفَالِقِ أَبْوَابِ الرَّدَى .

قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ ، وَأَسْتَمْسَكَ مِنَ الْعَمَاءِ بِأَوْثَقِهَا ، وَمِنَ الْجِبَالِ بِأَمْتِهَا ، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ فِي سُبْحَانَتِهِ فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ ؛ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ ، وَنَصِيرِ كُلِّ فَرَجٍ إِلَى أَصْلِهِ .

مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ ، كَشَافُ عَشَوَاتٍ ، مِفْتَاحُ مُبْهِمَاتٍ ، دَفَاعُ مُضِلَّاتٍ ، دَلِيلُ قَلَوَاتٍ ؛ يَقُولُ قِيَمُهُمْ ، وَيَسْكُتُ فَيَسْتَمُ .  
قَدْ أَخْلَصَ فِيهِ فَاسْتَخْلَصَهُ ، فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ ، وَأَوْثَادِ أَرْضِهِ ، قَدْ أَلْزَمَ



نَفْسُهُ الْمَدْلُ ، فَكَانَ أَوَّلَ عَذْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ .  
يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ ، لَا يَدْعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا ، وَلَا مَظْنَةَ إِلَّا قَصَدَهَا ،  
قَدْ أَمَكَّنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ ، فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ نَقْلُهُ ، وَيَنْزِلُ  
حَيْثُ كَانَ مَنَزِلُهُ .

\*\*\*

### الْبُخ :

استشعر الحزن : جمعه كالشعار ، وهو ما يلي الجسد من الثياب . وتجلَّب الخوف :  
جمعه جلباباً ، أى ثوباً .

زهر مصباح الهدى : أضاء . وأعدَّ القرى ليومه ، أى أعدَّ ما قدمه من الطاعات  
قرى لضيء اللوت النازل به . والفُرات : العذب .  
وقوله : « فشرب نهلاً » ؛ يجوز أن يكون أراد بقوله : « نهلاً » المصدر ، من نهَلَ  
يَنْهَلُ نَهْلًا ، أى شرب حتى روى ، ويجوز أن يريد بالنهل الشرب الأول خاصة ،  
ويريد أنه اكتفى بما شربه أولاً ، فلم يحتاج إلى العلل .

وطريق جدِّ : لا عثار فيه لقوة أرضه . وقطع غيَّاره ؛ يقال : بحر غمَّر ، أى كثير  
الماء ، وبحار غيار . واستمسك من العرا بأوتقها ؛ أى من العقود الوثيقة ، قال تعالى :  
( فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى )<sup>(١)</sup> .

ونصب نفسه لله ، أى أقامها .

كشاف عشوات : جمع عُشْوَة وعُشْوَة وعُشْوَة ، بالحركات الثلاث ، وهى الأمر  
الملتبس ؛ يقال : أوطأنى عُشْوَة .



والمعضلات : جمع معضلة وهي الشدائد والأمور التي لا يهتدى لوجهها .  
دليل فلو ان ، أى يَهْتَدَى به كما يَهْتَدَى الركب في القلابة بدليلهم .  
أَمَّا : قصدها . ومظنة الشيء : حيث يُظَنّ وجوده . والنَّظْل : متاع المسافر وحشمه .

### [فصل في العباد والزهاد والعارفين وأحوالهم]

واعلم : أن هذا الكلام منه أخذ أصحاب علم الطريقة والحقيقة علمهم ، وهو تصريح بحال العارف ومكانته من الله تعالى .  
والعرفان درجة حال رفيعة شريفة جداً ، مناسبة للنبوّة ، ويختص الله تعالى بها مَنْ يقرُّ به إليه من خلقه .

والأولياء على طبقات ثلاث :

الطبقة الأولى : حال العابد ، وهو صاحب الصلاة الكثيرة ، والصوم الدائم ،  
والحج والصدقة .

والطبقة الثانية : حال الزاهد ، وهو المعرض عن ملاذ الدنيا وطيباتها ؛ تقنعه الكسرة ، ونسأله انحرقة ، لا مال ولا زوجة ولا ولد .

والطبقة الثالثة : حال العارف ، وهو الواصل إلى الله سبحانه بنفسه لا بيدٍ له ،  
والبارى سبحانه متمثلٌ في نفسه تمثلَ المعشوق في ذات العاشق ؛ وهو أرفع الطبقات ،  
وبعد الزاهد .

وأما العابد فهو أدونها ، وذلك لأنَّ العابد مُعامل كالتاجر ، يعبد ليثاب ، ويُعيب  
نفسه ليرتاح ؛ فهو يعلى من نفسه شيئاً ويطلب ثمنه وعوضه ، وقد يكون العابد غنياً  
موسراً ، كثير المال والولد ، فليست حاله من أحوال الكمال .

وأما الزاهد ، فإنه احتقر الدنيا وعروضها وقيناتها ، فخلعت نفسه من دناءة المطامع



وصار عزيزاً مَلِكاً ، لا سلطان عليه لنفسه ولا لغيره ، فاستراح من الذلّ والهوان ، ولم يبق لنفسه شيء تشاقق إليه بعد الموت ، فكان أقرب إلى السلامة والنجاة من العابد الغفّ الموسر .

وأما العارف فإنه بالحال التي وصفناها ، ويستلزم مع وجودها أن يكون زاهداً ، لأنه لا يتصور العرفان مع تعلق النفس بملاذ الدنيا وشهواتها . نعم قد يحصل بعض العرفان لبعض العلماء الفضلاء ، مع تعلقهم بشهوات الدنيا ، ولكنهم لا يكونون كاملين في أحوالهم ، وإنما تحصل الحالة الكاملة لمن رَفَضَ الدنيا ونَحَلَ عنها ، وتستلزم الحالة المذكورة أيضاً أن يكون عابداً عبادةً ما ، وليس يشترط في حصول حال العرفان أن يكون على قدم عظيمة من العبادة ، بل الإكثار من العبادة حجاب كافي ؛ ولكن لا بد من القيام بالقرائن وشيء يسير من التواضع .

مركز تحقيق التراث  
بمكتبة جامعة القاهرة

واعلم : أن العارف هو العارف بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله وكتبه ، وبالحكمة المودعة في نظام العالم ، لاسيما الأفلاك والكواكب ، وتركيب طبقات العناصر ، والأحكام وفي تركيب الأبدان الإنسانية .

فمن حصل له ذلك ، فهو العارف ؛ وإن <sup>(١)</sup> لم يحصل له ذلك ، فهو ناقص العرفان ، وإن انضم إلى ذلك استنساؤه جلال الله تعالى وعظمته ، ورياضة النفس والمجاهدة ، والصبر والرضا والتوكل ، فقد ارتفع طبقة أخرى ، فإن حصل له بعد ذلك الحب والوجد ، فقد ارتفع طبقة أخرى ، فإن حصل له بعد ذلك الإعراض عن كل شيء سوى الله ، وأن يصير مسلوباً عن الموجودات كلها ، فلا يشعر إلا بنفسه وبالله تعالى ، فقد ارتفع طبقة أخرى ، وهي أرفع الطبقات .



وهناك طبقة أخرى يذكرونها ، وهي أن يسلب عن نفسه أيضا ، فلا يكون له شعور بها أصلا ، وإنما يكون شاعرا بالقيوم الأول سبحانه لاغير ، وهذه درجة الاتحاد ، بأن تصوير الذاتان ذاتا واحدة .

وهذا قول قوم من الأوائل ومن المتأخرين أيضا ، وهو مقام صعب ، لا تثبت العقول لتصوّره واكتناحه .

\*\*\*

واعلم أن هذه الصفات والشروط والنعوت التي ذكرها في شرح حال العارف ، إنما يعنى بها نفسه عليه السلام ؛ وهو من الكلام الذي له ظاهر وباطن ؛ فظاهره أن يشرح حال العارف المطلق ، وباطنه أن يشرح حال عارف معين ، وهو نفسه عليه السلام . وسيأتى في آخر الخطبة ما يبدل على ذلك .

ونحن نذكر الصفات التي أشار عليه السلام إليها واحدة واحدة :

فأولها : أن يكون عبدا أعانه الله على نفسه ، ومعنى ذلك أن يخصه بالطف ، يختار عندها الحسن ويتجنب القبيح ، فكأنه أقام النفس في مقام المدوّ ، وأقام الألفاف مقام للمونة التي يمده الله سبحانه بها ، فيكسر عادة المدوّ المذكور ؛ وبهذا الاعتبار سمى قوم من المتكلمين اللطف عونا .

وثانيها : أن يستشعر الحزن ، أي يحزن على الأيام الماضية ، إن لم يكن اكتسب فيها من موجبات الاختصاص أضعاف ما اكتسبه .

وثالثها : أن يتجلبب الخوف ، أي يخاف من الإعراض عنه ، بأن يصدر عنه ما يحجوه من جريدة المخلصين .

ورابعها : أن يبدد القرى لضيء النية ، وذلك بإقامة وظائف العبادة .



وخامسها : أن يقرب على نفسه البعيد ، وذلك بأن يمثل الموت بين عينيه صباحا ومساء ، وألا يطيل الأمل .

وسادسها : أن يهون عليه الشدائد ؛ وذلك باحتمال كُلف المجاهدة ورياضة النفس على عمل الشاق .

وسابعها : أن يكون قد نظر فأبصر ، وذلك بترتيب المقدمات المطابقة لمراحلها ترتيبا صحيحا ، لتنتج العلم اليقيني .

وثامنها : أن يذكر الله تعالى فيستكثر من ذكره ، لأن ذكره سبحانه والإكثار منه ، يقتضى سكون النفس وطمأنينتها ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وتاسعها : أن يرتوي من حب الله تعالى ، وهو العذب الفُرات ، الذى سهل موارده على من انتخبه الله ، وجعله أهلا للوصول إليه ، فشرب منه ونهل ، وسلك طريقا لا عثار فيه ولا وُعْث .

وعاشرها : أن يخلع سراويل الشهوات ، لأن الشهوات تصدى مرآة العقل ، فلا تنطبع العقولات فيها كما ينبغي ، وكذلك الغضب .

وحادى عشرها : أن يتخلى من المصوم كلها ، لأنها تزيد وقواطع عن المطلوب ، إلا هماً واحداً وهو همة بولاء ، الذى لذته وسروره الاهتمام به ، والتفرد بمناجاته ومطالعة أنوار عزته ، فعينئذ يخرج عن صفة أهل العمى ، ومن مشاركة أهل الهوى ، لأنه قد امتاز عنهم بهذه المرتبة والخاصية التى حصلت له فصار مفتاحاً لباب الهدى ، ومخلّقا لباب الضلال والردى ، قد أبصر طريق الهدى ، وسلك سبيله ، وعرف مناره ، وقطع غماره .



وثاني عشرها : أن ينصب نفسه لله في أرفع الأمور ، وهو الخلوة به ، ومقابلة أنوار  
جلاله بمرآة فكره ، حتى تتكيف نفسه بتلك الكيفية العظيمة الإشراف ، فهذا أرفع  
الأمور وأجتها وأعظمها ، وقد رمز في هذا الفصل ، ورمزه بكلام خرج به إلى أمر آخر ،  
وهو فقه النفس في الدين ، والأمور الشرعية النافعة للناس في دنياهم وأخراهم ؛ أما في دنياهم  
فلردع النفس وكف الظالم ، وأما في أخراهم فللغور بالسعادة باعتبار امثال الأوامر الإلهية .  
فقال : « في إصدار كلِّ وارد عليه » ؛ أي في فتيا كلِّ مستفتٍ له ، وهداية كلِّ مسترشده  
في الدين ؛ ثم قال : « وتعبير كلِّ فرع إلى أصله » . ويمكن أن يحتاج بهذا من قل بالقياس ،  
ويمكن أن يقال : إنه لم يرد ذلك ، بل أراد تخرج الفروع العقلية ، وردّها إلى أصولها ؛ كما  
بشكل أصحابنا القول في بيان حكمة القديم تعالى ، في الآلام وذبح الحيوانات ، ردّها إلى  
أصل العدل ، وهو كونه تعالى لا يفعل القبيح .  
وثالث عشرها : أن يكون مصباحا لظلمات الضلال ، كشفا لعشوات الشبه ، مفتاحا  
لبهمات الشكوك المستغلقة ، دقا لمعضلات الاحتجاجات العقلية الدقيقة الغامضة ، دليلا  
في فلول الأنظار الصعبة المشبهة ، ولم يكن في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أحد بهذه الصفة  
الاهو .

ورابع عشرها : أن يقول مخاطبا لغيره فيفهمه ما خاطبه به ، وأن يسكت فيسلم ، وذلك  
لأنه ليس كل قائل مفهما ، ولا كل سائل سالما .

وخامس عشرها : أن يكون قد أخلص لله فاستخلصه الله ، والإخلاص لله مقام عظيم  
جدا ، وهو ينزه الأفعال عن الرّياء ، والآيمازج العبادة أمر لا يكون لله سبحانه ؛ ولهذا  
كان بعض الصالحين يصيح من طول العبادة نصيبا قشفا ، فيكتحل ويذهن ؛ ليذهب  
بذلك أثر العبادة عنه .



وقوله : « فهم من معادن دينه وأوتاد أرضه » ، معادن دينه : الدين يُقْبَس الدين منهم ،  
كمعادن الذهب والفضة ، وهي الأرضون التي يلتقط ذلك منها ، وأوتاد أرضه : هم الدين  
لولا هم لادّت الأرض وارتجّت بأهلها ، وهذا من باب الاستعارة الفصيحة ، وأهل هذا العلم  
يقولون : أوتاد الأرض جماعة من الصالحين ، ولهم في الأوتاد والأبدال والأقطاب كلامٌ  
مشهور في كتبهم .

وسادس عشرها : أن يكون قد ألزم نفسه العدل ، والعدالة : مَلَكه تصدر بها عن  
النفس الأفعال الفاضلة خلقا لا تمثّلًا .

وأقسام العدالة ثلاثة ، هي الأصول وما عداها من الفضائل فروع عليها :  
الأولى الشجاعة ، ويدخل فيها السخاء لأنه شجاعة وتهوين للمال ، كما أن الشجاعة الأصلية  
تهوين للنفس ، فالشجاع في الحرب جواد بنفسه ، والجواد بالمال شجاع في إنفاقه ، ولهذا قال الطائي :  
أبقيتُ أن من الدّماح شجاعةٌ تديمي ، وأن من الشجاعة جوداً<sup>(١)</sup>  
والثانية : الفقه ، ويدخل فيها القناعة والزهد والعزلة .

والثالثة : الحكمة ، وهي أشرفها .

ولم تحصل العدالة الكاملة لأحدٍ من البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله  
إلا لهذا الرجل ، ومن أنصف عَلم صحة ذلك ، فإن شجاعته وجوده ، وعفته وقناعته  
وزهده ، يُضرب بها الأمثال .

وأما الحكمة والبحث في الأمور الإلهية ، فلم يكن من فنّ أحد من العرب ، ولا نقل  
في جهادٍ أكابرهم وأصاغرهم شيء من ذلك أصلاً ، وهذا فنّ كانت اليونان وأوائل الحكماء  
وأساطين الحكمة ينفردون به ؛ وأول من خاض فيه من العرب عليّ عليه السلام ، ولهذا

(١) أبو تمام ، ديوانه ١ : ٤٢٣ .



تجدد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل مبنوثة عنه في فرش كلامه وخطبه ، ولا تجد في كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك ، ولا يتصورونه ، ولو فهموه لم يفهموه ، وأنى للعرب ذلك !

ولهذا انتسب المتكلمون الذين تلججوا في بحار العقولات إليه خاصة دون غيره ، وسمّوه أستاذهم ورئيسهم ، واجتذبتهم كل فرقة من الفرق إلى نفسها ؛ ألا ترى أن أصحابنا ينتمون إلى واصل بن عطاء ، وواصل تلميذ أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ، وأبو هاشم تلميذ أبيه محمد ، ومحمد تلميذ أبيه علي عليه السلام !

فأما الشيعة من الإمامية والزيدية والكيسانية ، فانتأؤهم إليه ظاهراً .

وأما الأشعرية فإنهم بأخرة ينتمون إليه أيضاً ، لأن أبا الحسن الأشعري تلميذ شيخنا أبي علي رحمه الله تعالى ، وأبو علي تلميذ أبي يعقوب الشحام ، وأبو يعقوب تلميذ أبي الهذيل ، وأبو الهذيل تلميذ أبي عثمان الطويل ، وأبو عثمان الطويل تلميذ واصل بن عطاء ، فعاد الأمر إلى انتهاء الأشعرية إلى علي عليه السلام .

وأما الكرامية فإن ابن الميهم ذكر في كتاب " المقالات " أن أصل مقالهم وعقيدتهم تنهى إلى علي عليه السلام من طريقتين :

أحدهما : بأنهم يسندون اعتقادهم عن شيخ بعد شيخ ، إلى أن ينتهي إلى سفيان الثوري ، ثم قال : وسفيان الثوري من الزيدية ، ثم سأل نفسه فقال : إذا كان شيخكم الأكبر الذي تنتمون إليه كان زيدياً ، فإياكم لا تكونون زيدية ؟ وأجاب بأن سفيان الثوري رحمه الله تعالى ، وإن اشتهر عنه الزيدية ، إلا أن زيداً إنما كان عبارة عن موالاة أهل البيت ، وإنكار ما كان بنو أمية عليه من الظلم ، وإجلال زيد بن علي وتمظيمه ، وتصويره في أحكامه وأحواله ، ولم ينقل عن سفيان الثوري أنه طعن في أحد من الصحابة .



الطريق الثاني : أنه عدّ مشايخهم واحداً فواحداً ، حتى انتهى إلى علماء الكوفة من أصحاب عليّ ، كسدة بن كهيل ، وحبّة العرّانيّ ، وسالم بن الجعد ، والفضل بن دكين ، وشعبة ، والأعمش ، وعلفمة وهيرة بن مريم ، وأبي إسحاق الشّميّ ، وغيرهم ، ثم قال : وهؤلاء أخذوا العلم من عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فهو رئيس الجماعة - بمعنى أصحابه - وأقوالهم متقوّة عنه وماخوذة منه .

وأما الخوارج فالتأوّه إلى ظاهر أيضاً ، مع طعنهم فيه ، لأنهم كانوا أصحابه ، وعنه مرقوا ، بعد أن تعلّموا عنه واقتبسوا منه ، وهم شيعة وأنصاره بالجل وصيفين ، ولكن الشيطان ران على قلوبهم ، وأعمى بصائرهم .

ثم إنه عليه السلام ذكر حال هذا العارف العادل فقال : « أول عدله نقي الهوى عن نفسه » ، وذلك لأن من يأمر ولا يأتمر ، وينهى ولا يتهى ، لا تؤثر عظمته ، ولا ينفع لإرشاده . ثم شرح ذلك فقال : « يصف الحق ويعمل به » . ثم قال : « لا بدع للخير غاية إلا أمها ، ولا مظنة إلا قصدها » ؛ وذلك لأن الخير قدته وسروره وراحته ، فحق وجد إليه طريقاً سلكها ، ثم قال : « قد أمكن الكتاب - يعني القرآن - من زمانه » ، أي قد أطاع الأوامر الإلهية ، فالقرآن قائده وإمامه ، يحمل حيث حلّ ، وينزل حيث نزل .

• • •

### الأصل :

وَأَخْرُقَ قَدْ نَسَى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ ، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَالٍ ، وَأَضَالِيلَ مِنْ ضَلَالٍ ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكَ مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ وَقَوْلٍ زُورٍ ، قَدْ حَلَّ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ ، وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ ، يُوْمِنُ النَّاسُ مِنَ الْعَظَائِمِ ، وَيُهَوُّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ ، يَقُولُ : أَقِفْ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ - وَفِيهَا وَقَعَ - وَيَقُولُ : اُعْتَرِلْ الْبِدَعَ - وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ - فَالضُّوْرَةُ



صُورَةُ إِنْسَانٍ ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى قَيْتَبِعُهُ ، وَلَا بَابَ  
الْمَعَى فَيَصُدُّ عَنْهُ ، وَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ .

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ أَوَّيْتُمْ نَوْفَكُونَ ، وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ ، وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ ؛ وَالْمَنَارُ  
مَنْصُوبَةٌ ! فَأَيْنَ بَنَاءُ بَيْتِكُمْ ! وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِزَّةُ تَبَيُّكُمْ ؛ وَهُمْ أَزِمَّةُ  
الْحَقِّ ، وَأَعْلَامُ اللَّهِ بَيْنَ ، وَالسِّنَّةُ الصَّدَقِ ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ ، وَرِدُّهُمْ  
وَرُودَ إِلَيْهِمُ الْعِطَاشِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ خُذُوهَا عَنْ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ  
مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ ، وَيَبْلَى مَنْ بَلَى مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ ، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا نَعْرِفُونَ ، فَإِنَّ  
أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ ، وَأَعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ . وَهُوَ أَنَا . أَلَا أَعْمَلُ  
فِيكُمْ بِالْقَلْبِ الْأَكْبَرِ ، وَأَتْرُكُ فِيكُمْ الثَّقَلَ الْأَضْعَفَ أَقْدَرَكُزْتُ فِيكُمْ  
رَايَةَ الْإِيمَانِ ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَالْبَشْتُكُمْ الْعَاقِبَةَ  
مِنْ عَذَابِي ، وَفَرَشْتُكُمْ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي ، وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ  
مِنْ نَفْسِي .

فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ ، وَلَا تَتَغَنَّلُوا إِلَيْهِ الْفِكَرُ .

\*\*\*

## الْبَرْخُ :

الجهائل : جمع جهالة ؛ كما قالوا : علاقة وعلائق . والأضاليل : الضلال ، جمع لا واحد  
له من لفظه .

وقوله : « وقد حمل الكتاب على آرائه » ، بمعنى قد فسر الكتاب وتأوله على  
مقتضى هواه وقد أوضح ذلك بقوله : « وعطف الحق على أهوائه » .



وقوله : « يؤمن الناس من العظام » ، فيه تأكيد لمذهب أصحابنا في الوعيد ، وتضعيف لمذهب المرجئة الذين يؤمنون الناس من عظام الذنوب ، ويمتنونهم المفو ؛ مع الإصرار وترك التوبة . وجاء في الخبر المرفوع المشهور : « الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والأحق من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله » .

وقوله : « يقول أقف عند الشبهات » ؛ يعني أن هذا المدعى للعلم يقول لنفسه وللناس : أنا واقف عند أدنى شبهة تخرجني وتورث عا ؛ كما قال صلى الله عليه وآله : « دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ » .

ثم قال : « وفي الشبهات وقع » ، أى بجهل ؛ لأن من لا يعلم الشبهة ما هي ، كيف يقف عندها ، ويخرج من الورطة فيها ، وهو لا يأمن من كونها غير شبهة على الحقيقة ! وقوله : « اعتزل البدع » ، وبينها اضطجع ؛ إشارة إلى تضعيف مذاهب العامة والخشوية الذين رفضوا النظر العقلي ، وقالوا : نعتزل البدع .

وقوله : « فالمصورة صورة إنسان ... » وما بعده ، فراه بالحيوان ها هنا الحيوان الأخرس كالجمار والثور ، وليس يريد العموم ، لأن الإنسان داخل في الحيوان ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا <sup>(١)</sup> ﴾ .

وقال الشاعر :

وَكَأَنَّ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجَبٍ      زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ <sup>(٢)</sup>  
لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فَوَادُهُ      فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْهِمِ

(١) سورة الفرقان ٤٤ .

(٢) البيتان ينسبان إلى زهير ، ملحق ديوانه من ١٩٢ ( من مجموعة العقد الثمين ) .



قوله : « وذلك مَيِّتُ الأحياء » كلمة فصيحَة ، وقد أخذها شاعر فقال :

أَلَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَّاحَ بِمَيِّتٍ      إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ <sup>(١)</sup>

إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام أراد بجهله ، والشاعر أراد لبؤسه .

وتوَفَّكُون : تَقْلِبُون ونَصْرَفُون .

والأعلام : المعجزات هاهنا ؛ جمع عَلم ، وأصله الجبل أو الرابية والمنازة ، تنصَّب في الفلاة ليَهْتَدَى بها .

وقوله : « فَأَبْنِ بُنَاءَ بَكَمِ ا » أى ابن يذهب بكم في التيه ا ويقال : أرضٌ تَبْهَاءُ بِتَعْيَرٍ سَالِكِهَا . وَتَعْمَرُونَ : تَتَجَبَّرُونَ وَتَضِلُّون .

وعِترَة رسول الله صلى الله عليه وآله : أهله الأذَنُون ونسله ؛ وليس بصحيح قول مَنْ قَالَ : إِنَّهُمْ رَحِطُهُ وَإِنْ بَعْدُوا ؛ وإنما قال أبو بكر يوم السقيفة أو بعده : « نحن عِترَة رسول الله صلى الله عليه وبيضته التي فَقَدْتُ عنه » ؛ على طريق المجاز ؛ لأنهم بالنسبة إلى الأمصار عِترَة له لافي الحقيقة ؛ ألا تَرَى أَنَّ العِدْنَانِيَّ يَفَاخِرُ القَحْطَانِيَّ ؛ فيقول له : أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ ليس بمعنى أَنَّهُ ابْنُ عَمِّهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، بل هو بالإضافة إلى القَحْطَانِيَّ كَأَنَّهُ ابْنُ عَمِّهِ ؛ وإنما استعمل ذلك ونطق به مجازاً . فَإِنْ قَدَّرَ مَقْدَرَانَهُ عَلَى طَرِيقِ حَذْفِ الْمِضَافَاتِ ؛ أى ابن ابن عم أب الأب ؛ إلى عدد كثير في البنين والآباء ، فكذلك أراد أبو بكر أَنَّهُمْ عِترَة أجداده ، على طريق حذف المضاف . وقد يَبَيِّنُ رسول الله صلى الله عليه وآله عِترَتَهُ مَنْ هِيَ ، لما قال : « إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ » ، فقال : « عِترَتِي أَهْلُ بَيْتِي » ، وَيَبَيِّنُ فِي مَقَامِ آخَرٍ مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ حَيْثُ طَرَحَ عَلَيْهِمْ كَسَاءُ . وقال حين نزلت : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ



لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ»<sup>(١)</sup> : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم ».

فإن قلت : فمن هي العِترَةُ التي عنها أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الكلام ؟

قلت : نفسه وولده ؛ والأصل في الحقيقة نفسه ، لأن ولديه تابعان له ؛ ونسبتهما إليه مع وجوده كذنبه الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة ، وقد نبّه النبي صلى الله عليه وآله على ذلك بقوله : « وأبو كما خير منكما » .

وقوله : « وهم أئمة الحق » : جمع زمام ؛ كأنه جعل الحق دأراً معهم حيثما داروا ، وذاهباً معهم حيثما ذهبوا ، كما أن الناقة طوّع زمامها ، وقد نبّه الرسول الله صلى الله عليه وآله على صدق هذه القضية بقوله : « وأدير الحق معه حيث دار » .

وقوله : « وأئمة الصدق » من الألفاظ الشريفة القرآنية ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، لما كان لا يصدر عنهم حكم ولا قول إلا وهو موافق للحق ؛ والصواب جعلهم كأئمة السِنة صِدْقٍ لا يصدر عنها قول كاذب أصلاً ؛ بل هي كالمنطبعة على الصدق .

وقوله : « فأنزلوهم منازل القرآن » تحته سرٌّ عظيم ؛ وذلك أنه أمر المكلفين بأن يُجْزُوا العِترَةَ في إجلالها وإعظامها والافتقار لها والطاعة لأوامرها بتجزي القرآن .

فإن قلت : فهذا القول منه يُشعرُ بأن العِترَةَ معصومة ، فما قول أصحابكم في ذلك ؟  
قلت : نصّ أبو محمد بن متّويه رحمه الله تعالى في كتاب " الكفاية " على أن علياً عليه السلام معصوم ، وإن لم يكن واجب العصمة ، ولا العصمة شرط في الإمامة ؛ لكن أدلة النصوص قد دلت على عصمته ؛ والقطع على باطنه ومنهيه ، وأن ذلك أمرٌ اختصّ

(١) سورة الأحزاب ٣٣ .

(٢) سورة الشعراء ٨٤ .



هو به دون غيره من الصحابة ؛ والفرق ظاهر بين قولنا : « زيد معصوم ، وبين قولنا : « زيد واجب العصمة » ، لأنه إمام ؛ ومن شرط الإمام أن يكون معصوماً ، فلا اعتبار الأول مذهبنا ، والاعتبار الثاني مذهب الإمامية .

ثم قال : « وردوم ورد الهم المطاش » ، أي كونوا ذوي حِرص وانكشاش على أخذ العلم والدين منهم ، كحِرص الهم الظاء على ورود الماء .

ثم قال : « أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين » إلى قوله : « وليس ببال » هذا للوضع يحتاج إلى تلطّف في الشرح ، لأنّ اِقْنَلِ أَنْ يَقُولَ : ظاهر هذا الكلام متناقض ، لأنه قال : « يموت مَنْ مات منا وليس بميت » ، وهذا كما تقول : يتحرك المتحرك وليس يتحرك ، وكذلك قوله : ويبي مَنْ بَلَى مِنَّا ، وليس ببال » ، ألا ترى أنّه سلب وإيجاب لشيء واحد فإن قلتم : أراد بقاء النفس بعد موت الجسد ، كما قاله الأوائل وقوم من المتكلمين ، فيل لكم : فلا اختصاص للنبي ولا لعلّي بذلك ؛ بل هذه قضية عامة في جميع البشر ، والكلام خرج مخرج التمدّح والفخر .

فتقول في الجواب :

إنّ هذا يمكن أن يحل على وجهين :

أحدهما : أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وعلى مَنْ يتلوها من أطايب المِيزة أحياء بأبدانهم التي كانت في الدنيا بأعيانها ؛ قدّ رفّعهم الله تعالى إلى ملكوت سماواته ؛ وعلى هذا لو قدرنا أن محتفراً احتفرت تلك الأجداث الطاهرة عقب دفنهم لم يجد الأبدان في الأرض ؛ وقدرنا في الخبر النبوي صلى الله عليه وآله مثل ذلك ؛ وهو قوله : « إنّ الأرض لم تُسَلَطْ على ، وأنها لا تأكل لي لحماً ولا تشرب لي دماً » نعم يبقى الإشكال في قوله : « ويبي مَنْ بَلَى مِنَّا وليس ببال » ؛ فإنه إن صحّ هذا التفسير في الكلام الأول ؛ وهو قوله : « يموت



مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ ؛ فليس يصحّ في القضية الثانية ، وهي حديث البلاء ، لأنها تقتضى أن الأبدان تبلى وذلك الإنسان لم يبلّ ، فأحوَج هذا الإشكال إلى تقدير فاعل محذوف ؛ فيكون تقدير الكلام : يموت مَنْ مَاتَ حال موته وليس بمَيِّتٍ فيما بعد ذلك من الأحوال والأوقات ، وَيَبْلَى كَفَنَ مَنْ بَلَى مِنَّا وليس هو يبال ؛ فحذف المضاف كقوله : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، أى وإلى أهل مدين ؛ ولما كان الكَفَنُ كالجزء من الميت لاشتماله عليه عبّر بأحدهما عن الآخر للمجاورة والاشتغال ، كما عبّروا عن المطر بالسما ، وعن الخارج المخصوص بالمائط ، وعن الحر بالكأْس . ويجوز أن يحذف الفاعل كقوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ؛ و ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾ <sup>(٣)</sup> . وقول حاتم : « إِذَا حَشَرَ جَتَّ » <sup>(٤)</sup> وحذف الفاعل كثير .

والوجه الثانى أن أكثر المتكلمين ذهبوا إلى أن للإنسان الحى الفعّال أجزاء أصلية في هذه البنية المشاهدة ؛ وهى أقل ما يمكن أن تأتلف منه البنية التى معها يصحّ كون الحى حياً ، وجعلوا الخطاب متوجّهاً نحوها ، والتكليف وارداً عليها ، وما عداها من الأجزاء ؛ فهى فاضلة ليست داخلة في حقيقة الإنسان ؛ وإذا صحّ ذلك جاز أن ينزع الله تلك الأجزاء الأصلية من أبدان الأنبياء والأوصياء ، فيرفعها إليه بعد أن يخلق لها من الأجزاء الفاضلة عنها نظير ما كان لها في الدار الأولى ؛ كما قاله مَنْ ذهب إلى قيامة الأنفس والأبدان معاً ، فنعم عنده وتلتذ بضروب اللذات الجسمانية ، ويكون هذا مخصوصاً بهذه الشجرة

(١) سورة الأعراف ٨٥

(٢) سورة من ٤٢ .

(٣) سورة الواقعة ٨٣ .

(٤) من قول حاتم :

لَعَمْرُكَ مَا يُفْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْفَقْرِ إِذَا حَشَرَ جَتَّ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

ديوانه ١١٨ ( من مجموعة غنة دواوين ) .



المباركة دين غيرها ؛ ولا عجب فقد ورد في حق الشهداء نحو ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَا عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١) .

وعلى الوجه الأول لو أن محققاً احتقر أجدانهم لوجد الأبدان فيها ؛ وإن لم يعلم أن أصول تلك البنى قد انتزعت منها ونقلت إلى الرفيق الأعلى ؛ وهذا الوجه لا يحتاج إلى تقدير ما قدرناه أولاً من الحذف ؛ لأن الجسد بئى في القبر لا قدر ما انتزع منه ونقل إلى محل القدس ؛ وكذلك أيضاً بصدق على الجسد أنه ميت ؛ وإن كان أصل بنيته لم يمُت ؛ وقد ورد في الخبر الصحيح : « أن أرواح الشهداء من المؤمنين في حواصل طيور خضر تدور في أفناء الجنان ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش » ، فإذا جاء هذا في الشهداء فما ظنك بموالى الشهداء وساداتهم !

فإن قلت : فهل يجوز أن يتأول كلامه ، فيقال : لعله أراد بقاء الذِّكْر والصيت ؟ قلت إنه بعيد ، لأن غيرهم يشرِّكهم في ذلك ؛ ولأنه أخرج الكلام مخرج المستغرب المستعظم له .

فإن قلت : فهل يمكن أن يقال : إن الضمير يعود إلى النبي صلى الله عليه وآله ؛ لأنه قد ذكره في قوله : « خاتم النبيين » فيكون التقدير : أنه يموت مَنْ مات مع النبي صلى الله عليه وآله ليس بميت ، ويبلى مَنْ بلى مع النبي ليس ببالي .

قلت : هذا أبعد من الأول ، لأنه لو أراد ذلك لقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله لا تبليه الأرض ، وإنه الآن حي ؛ ولم يأت بهذا الكلام الموه ؛ ولأنه في سياق تمظيم العِترَة وتبجيل أمرها ؛ ونفخه بنفسه وتمدحه بخصائصه ومزاياه ؛ فلا يجوز أن يدخل في غضون ذلك ما ليس منه .



فإن قلت : فهل هذا الكلام منه أم قاله مرفوعاً ؟ قلت : بل ذكره مرفوعاً ، ألا تراه قال : « خذوها عن خاتم النبيين » . ثم انمود إلى التفسير فنقول : إنه لما قال لم ذلك علم أنه قال قولاً عجيباً ؛ وذكر أمراً غريباً ، وعلم أنهم ينكرون ذلك ويعجبون منه ، فقال لم : فلا تقولوا مالا تعرفون ؛ أي لا تكذبوا أخباري ؛ ولا تكذبوا أخبار رسول الله لكم بهذا فتقولون مالا تعلمون صحته ، ثم قال : فإن أكثر الحق في الأمور العجيبة التي تنكرونها كاحياء الموتى في القيامة ، وكالصراط واليزان والنار والجنة وسائر أحوال الآخرة ؛ هذا إن كان خاطب من لا يعتقد الإسلام ؛ فإن كان الخطاب لمن يعتقد الإسلام فإنه يعني بذلك أن أكثرهم كانوا مرجئة ومشبهة ومجبرة ؛ ومن يعتقد أفضلية غيره عليه ، ومن يعتقد أنه شرك في دم عثمان ، ومن يعتقد أن معاوية صاحب حجة في حربه ؛ أو شبهة يمكن أن يتعلق بها متعلق ؛ ومن يعتقد أنه أخطأ في التحكيم ؛ إلى غير ذلك من ضروب الخطأ التي كان أكثرهم عليها .

ثم قال : « واعذروا من لا حجة لكم عليه وهو أنا » ، يقول : قد عدلت فيكم ، وأحسن السيرة وأقمتم على المحجة البيضاء ، حتى لم يبق لأحد منكم حجة يحتج بها علي ، ثم شرح ذلك ، فقال : « عملت فيكم بالثقل الأكبر » ، يعني الكتاب و « خلقت فيكم الأصغر » يعني ولديه ؛ لأنهما بقية الثقل الأصغر ؛ فجاز أن يطلق عليهما بعد ذهاب من ذهب منه أنهما الثقل الأصغر ؛ وإنما سمى النبي صلى الله عليه وآله الكتاب ، والعِترَةُ الثقلين لأن الثقل في اللغة منافع المسافر وحشمة ؛ فكأنه صلى الله عليه وآله لما شارف الانتقال إلى جوار ربه تعالى جعل نفسه كالسافر الذي ينتقل من منزل إلى منزل ؛ وجعل الكتاب والعِترَةُ كتاعه وحشمة ؛ لأنهما أخص الأشياء به .

قوله : « وركزت فيكم راية الإيمان » ، أي غرزتها وأثبتها ؛ وهذا من باب

الاستعارة . .



وكذلك قوله : « ووقفتم على حدود الحلال والحرام » من باب الاستعارة أيضاً ، مأخوذ من حدود الدار وهي الجهات الفاصلة بينها وبين غيرها .

قوله : « وألبستم العافية من عدلي » استعارة فصيحة ، وأفصح منها قوله : « وفرشتكم المعروف من قولي وفعلی » ، أي جعلته لكم فراشا ، وفرش ها هنا : متدبر إلى مفعولين ، يقال : فرشته كذا ، أي أوسعه إياه .

ثم نهاهم أن يستعملوا الرأي فيما ذكره لهم من خصائص العترة وعجائب ما منحها الله تعالى ، فقال : إن أمرنا أمر صعب لا تهتدي إليه العقول ، ولا تدرك الأبصار قمره ، ولا تغفل الأفكار إليه . والتغافل : الدخول ، من تغفل الماء بين الشجر ، إذا تحللها ودخل بين أصولها .



مركز بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية

الأصل :

ومنها :

حَتَّى يَظُنُّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمِّيَّةٍ ؛ تَمْنَحُهُمْ دَرَاهِمًا ؛ وَتُورِدُهُمْ صَفْوَاهَا ؛ وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا . وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ ؛ بَلْ هِيَ نَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا رُحَةً ، ثُمَّ يُلْفِظُونَهَا جُحَلَةً .

\*\*\*

المنح :

معقولة : محبوسة بمقال كما تمقل الناقة . وتمنحهم : تعطيهم ، والمنح : العطاء ، منح يمنح بالفتح ، والاسم المنحة بالكسر ، واستمنعت زيدا : طلبت بمنحته . والدَّرَفُ في الأصل : اللّين ، جعل الدنيا كذاقة معقولة عليهم تمنحهم لينها ، ثم استعمل



الدَّرَّ في كل خير ونفع ، قليل : لا دَرَّ دَرَّة ! أى لا كثر خيره ، ويقال في المدح : لله دَرَّة ! أى عمله .

وحجّة من لذيد العيش ، مصدر مَجَّ الشراب مِنْ فيه ، أى رَمَى به وقَذَفَه ، ويقال : انمَجَّتْ نقطة من القلم ، أى ترشَّشت ، وشبَّخَ ما جَ ، أى كبر مَجَّ الريق ، ولا يستطيع حبسه لكبره .

ويطمئنونها ؛ أى يذوقونها . وبرُّعة ، أى مدّة من الزمان فيها طول . وانفطت الشيء من فمى ، انفطه لفظاً : رميته ، وذلك الشيء الأفاظة والأفاظ ؛ أى بانفطونها كلها لا يبقى منها شيء معهم .



وهذه الخطبة طويلة ، وقد حذف الرضى رحمه الله تعالى منها كثيراً ، ومن جعلها : أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسيئة ، لا يرون الذى ينتظرون حتى يهلك المتمدنون . ويضمحلّ الخلقون ، وينتثبت المؤمنون ، وقليل ما يكون ؛ والله والله لا ترون الذى تنتظرون حتى لا تدعون الله إلا إشارةً بأيديكم وإعاضاً بحواجيبكم ، وحتى لا تملكون من الأرض إلا مواضع أقدامكم ، وحتى يكون موضع سلاحكم على ظهوركم ؛ فيومئذ لا ينصرون إلا الله بملائكته ، ومن كتب قلبه الإيمان ، والذي نفس على يديه لا تقوم عصابة تطلب لي أولفيرى حقاً ، أو تدفع عنا ضيماً إلا صرعتهم البلية ، حتى تقوم عصابة شهدت مع محمد صلى الله عليه وآله بدرأ ، لا يودى قتلهم ، ولا يداوى جريحهم ، ولا ينعش صريعهم . قال المفسرون : هم الملائكة .

ومنها :

لقد دعوتكم إلى الحق وتوأنيتكم ، وضربتكم بالدرة فما استقمتم ، وستأيسكم



بِعَدِي وَلَاةٌ يَمْدُبُونَكُمْ بِالسَّيَاطِ وَالْحَدِيدِ ، وَسَيَاتِيكُمْ غُلَامًا تَقِيْفٍ : أَخْفَشَ وَجُمُوبُ ؛  
يَقْتَلَانِ وَيُظْلِمَانِ ، وَقَلِيلٌ مَا يَمَكَّنَانِ .

قلت : الأَخْفَشُ : الضَّعِيفُ الْبَصَرِ خِلْقَةً ، وَالْجُمُوبُ : الْقَصِيرُ الدَّمِيمُ ، وَهِيَ الْحِجَاجُ  
وَيُوسُفُ بْنُ عَمْرِ . وَفِي كِتَابِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْحِجَاجِ : قَاتَلَكَ اللَّهُ أَخْفَشَ الْعَيْنِينَ ،  
أَصْلُكَ الْجَاعِرَتَيْنِ<sup>(١)</sup> !

وَمِنْ كَلَامِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذِكْرِ فِيهِ الْحِجَاجِ : أَنَا نَا أَعْيَشَ أَخْيَشَ  
يَعْدِي يَدِي قَصِيرَةُ الْبَنَانِ ، مَا عَرِقَ فِيهَا عَنَانٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَكَانَ الْمَثَلُ يُضْرَبُ بِقَصْرِ يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِ ، وَكَانَ يَفْضُضُ إِذَا قِيلَ لَهُ قَصِيرٌ ، فَصَلَّ  
لَهُ الْخِيَّاطُ ثَوْبًا ، فَأَبْقَى مِنْهُ فَضْلَةً كَثِيرَةً ، فَقَالَ لَهُ : مَا هَذِهِ ؟ قَالَ : فَضَلْتُ مِنْ قَبِيصِ  
الْأَمِيرِ ، فَضَرَبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ ، فَكَانَ الْخِيَّاطُونَ يَعْدُونَ ذَلِكَ يَفْضُلُونَ لَهُ الْيَسِيرَ مِنَ الثَّوْبِ ،  
وَيَأْخُذُونَ الْبَاقِيَ لِأَنْفُسِهِمْ .

مركز تحقيق التراث  
بمكتبة جامعة القاهرة

(١) الْجَاعِرَتَانِ : حِرَا الْوَرَكَيْنِ الْمُشْرِفَيْنِ عَنِ الْفَخْذَيْنِ . وَالْأَصْلُ : الَّذِي تَصَكَّرَ كِتَابُهُ وَعَرَفُوهُ بِهِ عَنِ الْمَثَى



(٨٧)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ لَمْ يَفْهِمَ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ ؛ وَلَمْ يَحْزَنْهُ  
عَظَمُ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلِ وَبَلَاءٍ ؛ وَفِي دُونِ مَا اسْتَفْبَلْتُمْ مِنْ غُصْبٍ وَمَا اسْتَدْبَرْتُمْ  
مِنْ خَطْبٍ مُتَعَيِّرٍ . وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَيِّبٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ ؛ وَلَا كُلُّ  
ذِي نَظَرٍ بِبَصِيرٍ .

فَيَا عَجَبًا ! وَمَا لِي لَا أُعْجَبُ مِنْ خَطْبٍ هَذِهِ الْفِرْقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا ؛  
لَا يَقْتَضُونَ أَثَرَ نَبِيٍّ ، وَلَا يَقْتَضُونَ بَعْلًا وَصِيٍّ ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ ، وَلَا يَعْقُونَ  
عَنْ غَيْبٍ ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ ، الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا ،  
وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا ، مَفْزَعُهُمْ فِي الْمَعْضَلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَتَعَوُّبُهُمْ فِي الْمِهْمَاتِ  
عَلَى آرَائِهِمْ ؛ كَأَنَّ كُلَّ أَمْرٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ نَفْسِهِ ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا بَرَى بِمَرَاتِقَاتٍ ،  
وَأَسْبَابِ مُحْكَمَاتٍ .

\*\*\*

الفتح :

القسم ، بالقاف والصاد المهملة : الكسر ، فصته فانضم ، وقصته فتقسم ، ورجل  
انضم الثنية ؛ أى مكسورها ، بين القسم ، بفتح الصاد .  
والتمهيل : التأخير . ويروى « رجاء » وهو التأخير أيضا ؛ والرواية المشهورة  
« ورخاء » ، أى بعد إعطائهم من سعة العيش وخصب الحال ما اقتضته المصاحبة .



والأزل ، بفتح الهذلة : الضيق . ويقتضون : يتبعون ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِاخْتِ قُصْبِي ﴾ <sup>(١)</sup> .

ويعقون ، بكسر العين ؛ عَفَّتْ عن كذا ، اعِفْ عَفًّا وَعِفَّةً وَعِفَاقَةً ، أى كفت ، فأنا عف وعفيف ، وامرأة عَفَّة وعفيفة ، وقد أعفاه الله ، واستعف عن المسألة ، أى عف . وتعفف الرجل ، أى تكلف العفة ، وروى : « ولا يعقون عن عيب » ، أى لا يصفحون . ومفرعهم : ملجؤهم . وفيما يرى ، أى فيما يظن ، وبرى بفتح الياء ؛ أى فيما يراه هو . وروى : « بمرأ وثيقات » .

يقول إن عادة الله تعالى ألا يعصم الجبارة إلا بعد الإمهال والاستدراج ؛ بإضافة التعم عليهم ، وألا يجير أوليائه وينصرم إلا بعد بؤس وبلاء يمتحنهم به ، ثم قال لأصحابه : إن في دون ما استقبلتم من عتب لمعتبر ، أى من مشقة <sup>(٢)</sup> ، يعنى بما استقبلوه مالا قوة <sup>(٣)</sup> في مستقبل زمانهم من الشيب ، وولاء السوء ، وتسكر الوقت ؛ وسُمي المشقة عتبا ، لأن العتب مصدر عتب عليه ، أى وجد عليه ، فجعل الزمان كالواجد عليهم ، القائم في إنزال مشاقه بهم مقام الإنسان ذي الموجدة يمتب على صاحبه . وروى « من عتب » ، بفتح التاء جمع عتبة ؛ يقال : اتقدح فلان على عتبة ، أى أمر كربه من البلاء ؛ وفي المثل : « ما في هذا الأمر رتب ولا عتب » ، أى شدة . وروى أيضا « من عنت » وهو الأمر الشاق . وما استدبروه من خطب ؛ يعنى به ما نصرتم عنهم من الحروب والوقائع التي قضوها ونضوها واستدبروها . وروى : « واستدبرتم من خصب » ؛ وهو رخاء العيش ؛ وهذا يقتضى المعنى الأول ، أى وما خلقتكم وراءكم من الشباب والصحة وصفو العيشة .

ثم قال : « وما كل ذي قلب باييب ... » الكلام إلى آخره ، وهو مأخوذ من قول الله

(١) سورة القصص ١١ .

(٢-٣) ج : « يعنى ما استقبلوه ، أى مالا قوة » .



تعالى : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ <sup>(١)</sup>.

ثم تعجب من اختلاف حجج الفرق في الدين وخطئهم وكونهم لا يتبعون أقوال الأنبياء ، ولا أقوال الأوصياء ، ثم نعى عليهم أحوالهم القبيحة ، فقال : إنهم لا يؤمنون بالغيب ، أى لا يصدقون بما لم يشاهدوه ، ولا يكفون عن الأمور القبيحة ، لكنهم يعملون في الشبهات ، أى يعملون أعمالا داخلية في الشبهات متوسطة لها . ويسرون في الشهوات ، جعل الشهوات كالطريق التي يسير فيها الإنسان .

ثم قال : المعروف فيهم ما عرفوه ، أى ليس المعروف عندهم ما دلّ الدليل على كونه معروفا وصوابا وحقا ، بل المعروف عندهم ما ذهبوا إلى أنه حق ، سواء كان حقا في نفس الأمر أو لم يكن ، والمنكر عندهم ما أنكروه كما شرحناه في المعروف .

ثم قال : إنهم لا يستشيرون بعالم ، ولا يستفتون فقيها فاضلا ، بل مفزعهم في الأمور المشككة إلى أنفسهم وآرائهم ، ولقد صدق عليه السلام ، فإن هذه صفات من يدعى العلم والفضل في زماننا قبله بدهر طويل ، وذلك أنهم يأفون من التعلم والاسترشاد ، فالبادئ منهم يعتقد في نفسه أنه أفضل من البارع المنتهى ، ومتى ظفر الواحد منهم بمبادئ علم وحله ، شرع في التدريس والتصنيف ، فمنعه التزامه بذلك من التردد إلى أبواب العلماء ، وأنف من سؤالهم عن الأمور المشككة ، فدام جهله إلى أن يموت .

ثم قال : « كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِمَامَ نَفْسِهِ » ، ويرى بحذف « كَانَ » وإسقاطها ، وهو أحسن .



## الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطَوَّلَ هَجْرَهُ مِنَ الْأُمَمِ، وَأَعْتَزَّاهُ <sup>(١)</sup> مِنَ الْفِتَنِ؛  
وَأَنْذَشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَنَاطَلَ مِنَ الْحُرُوبِ، وَالْأُنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ؛  
عَلَى حِينِ أَصْفَرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَإِبَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَإِغْوَارٍ <sup>(٢)</sup> مِنْ مَائِهَا. قَدْ دَرَسَتْ  
مَنَارُ الْمَدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى؛ فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا، تَمْرُهَا  
الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِلْفَةُ، وَشِعَارُهَا الْخُلُوفُ، وَدِثَارُهَا السَّيْفُ.

فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ، وَأَذْكُرُوا تَيْكَ السَّيِّئَاتِ أَيْبَاؤَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ،  
وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ. وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا يَهْمُ الْيَهُودُ، وَلَا خَلَّتْ فِيمَا  
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ وَالْقُرُونُ، وَمَا أَنْتُمْ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمِ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ  
بِعَبِيدٍ.

وَاللَّهُ مَا أَسْمَعَكُمْ الرُّسُولُ شَيْئًا إِلَّا وَهِيَ أَفَا ذَا الْيَوْمِ مُسْمِعُكُمْوه، وَمَا أَسْمَعَكُمْ  
الْيَوْمَ يَدُونَ أَسْمَاعَكُمْ بِالْأُمْسِ، وَلَا شَقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْئِدَةُ  
فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؛ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَوَاللَّهِ مَا بَعَثْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئًا  
جَهْلُوه، وَلَا أَصْفَيْتُمْ بِهِ وَحُرْمُوه، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمْ الْبَلِيَّةُ جَائِلًا خِطَامُهَا، رِخْوًا  
بَطَانُهَا؛ فَلَا يَفْرُقُكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى  
أَجَلٍ مَمْدُودٍ.

\*\*\*



## الْبَيْتُ :

الفترة بين الرسل : انقطاع الرسالة والوحي ؛ وكذلك كان إرسال محمد صلى الله عليه وآله ، لأن بين محمد وبين عهد المسيح عليه السلام عهداً طويلاً ، أكثر الناس على أنه ستمائة سنة ، ولم يرسل في تلك المدة رسول ، اللهم إلا ما يقال عن خالد بن سنان العبسي ، ولم يكن نبياً ولا مشهوراً .

والهجرة : النومة ليلاً ، والمجوع مثله ، وكذلك التهجاع ، بفتح التاء ، فأما الهجرة بكسر الهاء ؛ فهي الهيئة كالجليسة من الجلوس .

قوله : « واعتزام من الفتن » ، كأنه جعل الفتن معتزلة ، أي مريدة مصمتة للشغب والمرج . وروى : « واعتراض » ، وروى : « واعتزام » بالراء المهملة من العزام ، وهي الشرة . والتلظى : التلهب .

وكاسفة النور : قد ذهب ضوؤها ، كان كسف الشمس . ثم وصفها بالتنوير وذبول الحال ، فجعلها كالشجرة التي اصفر ورقها وبيس ثمرها . وأعور ماؤها ، والإعوار : ذهاب الماء ، فلاة عوراء : لا ماء بها . ومن رواء : « وإغوار من ماها ، بالغين للمعجمة ، جعله من غار الماء ، أي ذهب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ <sup>(١)</sup> .

ومتجتمة لأهلها : كالحلة في وجوههم .

ثم قال : « ثمرها الفتنة » أي نتيجتها وما يتولد عنها . وطعامها الخيفة ، يعني أكل الجاهلية الميتة ، أو يكون على وجه الاستعارة ، أي أكلها خبيث . وروى « الخيفة » أي الخوف ، ثم جعل الخوف والسيوف شعارها ودثارها ، فالشعار ما يلي الجسد ، والدثار فوق



الشعار ، وهذا من بدیع الكلام ومن جید الصناعة ، لأنه لما كان الخوف يتقدّم السيف والسيف يتلوّه ، جعل الخوف شعاراً لأنه الأقرب إلى الجسد ؛ وجعل الله ثار تالياله .

ثم قال : « واذكروا نيك » كلمة إشارة إلى المؤنثة الغائبة ، فيمكن أن يعنى بها الدنيا التي تقدّم ذكرها ، وقد جعل آباءهم وإخوانهم مرتين بها ومحاسين عليها ، والارتهان : الاحتباس ، ويمكن أن يعنى بها الأمانة التي عرضت على الإنسان فحملها ، والمراد بالأمانة الطاعة والعبادة وفعل الواجب وتجنب القبيح . وقال : « نيك » ولم يجر ذكرها ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾<sup>(١)</sup> ولم يجر ذكره ؛ لأن الإشارة إلى مثل هذا أعظم وأهيب وأشدّ روعة في صدر المخاطب من التصريح .

قوله : « ولا خلت فيما بينكم وبينهم الأحقاب » ، أي لم يطل العهد ؛ والأحقاب : المدة المتطاولة ، والقرون : الأمم من الناس .

وقوله : « من يوم كنتم » ؛ يروى بفتح الهم من « يوم » على أنه مبني ؛ إذ هو مضاف إليه الفعل المبني ؛ ويروى بجرّها بالإضافة ؛ على اختلاف القولين في علم العربية . ثم اختلفت الرواية في قوله : « والله ما أسمعكم » فروى بالكاف وروى « أسمعهم » ، وكذلك اختلفت الرواية في قوله : « وما أسمعكم اليوم بدون أسمعكم بالأمس » ، فروى هكذا ، وروى « بدون أسمعهم » ، فمن رواه بهاء النبية في الموضعين فالكلام منتظم ، لا يحتاج إلى تأويل ، ومن رواه بكاف الخطاب ، قال : إنه خاطب به من صحب النبي صلى الله عليه وآله وشاهده وسمع خطابه ؛ لأن أصحاب علي عليه السلام كانوا فرقتين : صحابة وتابعين ، وبعض الرواية الأولى سياق الكلام .

وقوله : « ولا شئت لم الأبصار ... إلا وقد أعطيت مثلها<sup>(٢)</sup> » .



وأصفيتم به : منحتموه ، من الصفى وهو ما يصطفيه الرئيس من الممنع لنفسه قبل  
القسمة ، يقال : صفى وصفيّة .

وخلاصة هذا الكلام أن جميع ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله قاله لأصحابه  
قد قلتُ مثله لكم ، فأطاع أولئك وعصيتم أنتم ، وحالكم مساوية لحالهم .

قلت : لو أن محبيهم منهم يحبه لأمكن أن يقول له : المحاطبون وإن كانوا نوعا  
واحدا متساويا ؛ إلا أن المحاطب مختلف الحال ؛ وذلك لأنك وإن كنت ابن عمه في  
النسب وأخاه ولحمه ودمه ؛ وفضائلك مشتقة من فضائله ، وأنت قبس من نوره وثانيه  
على الحقيقة ، ولا ثالث لهما ؛ إلا أنك لم ترزق القبول الذي رزقه ؛ ولا انفعلت نفوس  
الناس لك حسب انفعالها له ؛ وتلك خاصية النبوة التي امتاز بها عنك ؛ فإنه كان لا يسمع  
أحد كلامه إلا أحبه ومال إليه ؛ ولذلك كانت قريش تسمى المسلمين قبل الهجرة الصباة ،  
ويقولون : نخاف أن يصبو الوليد بن المغيرة إلى دين محمد صلى الله عليه وآله ؛ ولئن صبا  
الوليد وهو ربحانة قريش لتصبون قريش بأجمعها . وقالوا فيه : ما كلامه إلا السحر ؛  
وإنه ليفعل بالأبواب فوق ما تفعل الخمر . ونهوا صبيانهم عن الجلوس إليه لئلا يستميلهم  
بكلامه وشمائله ؛ وكان إذا صلى في الحجير وجهر يحملون أصابعهم في آذانهم خوفا أن  
يسحروهم ويستميلهم بقراءته وبوعظه وتذكيره ، هذا هو معنى قوله تعالى : ﴿ جَمَلُوا  
أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup>

ومعنى قوله : ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّاعِلَىٰ أَذْيَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ <sup>(٢)</sup>  
لأنهم كانوا يهربون إذا سمعوه يتلو القرآن ، خوفا أن يغير عقائدهم في أصنامهم ، ولهذا

(١) سورة نوح .

(٢) سورة الإسراء ٤٦ .



أسلم أكثر الناس بمجرد سماع كلامه ورؤيته ومشاهدة رُؤاته ومنظره، وماذا قوه من حلاوة لفظه وسريّ كلامه في آذانهم، ومَلَك قلوبهم وعقولهم، حتى بذلوا السَّج في نصرته؛ وهذا من أعظم معجزاته عليه السلام، وهو القبول الذي منحه الله تعالى، والطاعة التي جعلها في قلوب الناس له، وذلك على الحقيقة سِر النبوة، الذي تفرّد به صلوات الله عليه، فكيف يروم أمير المؤمنين من الناس أن يكونوا معه كما كان آباؤهم وإخوانهم مع النبي صلى الله عليه وآله؛ مع اختلاف حال الرئيسين ونسأوى الأثرين كما يعتبر في تحقّقه تساوى حال المحلين، يعتبر في حقيقته أيضا تساوى حال الملتين.

ثم نعود إلى التفسير، قال: «ولقد نزلت بكم البلية»، أي المحنة العظيمة، بمعنى فتنة معاوية وبني أمية.

وقال: «جائلا خطامها»، لأن الناقة إذا اضطرب زمامها استصعبت على راكبها، ويسمى الزمام خطاما لكونه في مقدّم الأنف، والخطم من كل دابة: مقدّم أنفها وفمها<sup>(١)</sup>، وإنما جعلها رخوا بطنها، لتكون أصعب على راكبها، لأنه إذا استرخى البطن كان الراكب في معرض السقوط عنها، وبطانت القتب هو الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير.

ثم نهاهم عن الاغترار بالدنيا ومتاعها، وقال: إنها ظلّ ممدود إلى أجل معدود، وإنما جعلها كالظلّ لأنه ساكن في رأى العين، وهو متحرك في الحقيقة، لا يزال يتقلّص، كما قال تعالى: «ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا»<sup>(٢)</sup> وهو أشبه شيء بأحوال الدنيا.

وقال بعض الحكماء: أهل الدنيا كركب سير بهم وهم نيام.

(١) ج: «أنفه وفه».

(٢) سورة الفرقان ٥٦.



( ٨٩ )

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَالْخَلْقِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، الَّذِي لَمْ يَزَلْ  
قَائِمًا دَائِمًا ؛ إِذْ لَا سَمَاءَ ذَاتُ أَهْرَاجٍ ، وَلَا حُجُبٌ ذَاتُ إِزْتَاكِجٍ ، وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ ، وَلَا  
بَحْرٌ سَاجٍ ، وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ ، وَلَا فَجٌّ ذُو أَعْوِجَاجٍ ، وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ ،  
وَلَا خَلْقٌ ذُو أَعْيَادٍ ، وَذَلِكَ مُبْقِدِعُ الْخَلْقِ وَوَارِثُهُ ، وَإِلَهُ الْخَلْقِ وَوَارِثُهُ ، وَالشَّمْسُ  
وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرَضَاتِهِ ، يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ ، وَيُقَرَّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ .

مرکز تحقیقات اسلامی

الشرح :

الروية : الفكرة وأصلها الهمز ، رَوَاتُ في الأمر ، وقد جاء مثلها كلمات بسيرة شاذة ،  
نحو البرية ، من برا ، أى خلق ، والدربة من ذرأ أى خلق أيضا ، والدربة وهى ما يستتر به  
الصائد ، أصله من درأت أى دفعت ، وفلان برى أصله برى ، وصف الله تعالى بأنه يعرف  
من غير أن تتعلق الأبصار بذاته ، ويخلق من غير تفكر وتروق فيما يخلقه .

لم يزل قائما ، القائم والقيوم بمعنى ، وهو الثابت الذى لا يزول ، ويعبر عنه فى الاصطلاح  
النظري بالواجب الوجود ، وقد يفسر القائم على معنى قولهم : فلان قائم بأمر كذا ، أى وال  
ومسك له أن يضطرب .

ثم قال : هو موصوف بأنه قائم دائم من قبل أن يخلق العالم ، وهذا يؤكده التفسير



الأول ؛ لأنه إذا لم يكن العالم مخلوقا بعد لم يصدق عليه أنه قائم بأمره إلا بالقوة لا بالفعل ؛ كما يصدق عليه أنه سميع بصير في الأزل ، أى إذا وجدت المسوعات والمبصرات سمعها وأبصرها ، ولو سمى قبل خلق الكلام متكلما على هذا التفسير لم أستبده ؛ وإن كان أصحابنا يابونه .

والأبراج : الأركان في اللغة العربية .

فإن قلت : فهل يطابق هذا التفسير ما يعتقد أصحاب الهيئة وكثير من الحكماء والمتكلمين أن السماء كرة لازاوية فيها ولا ضلع ؟

قلت : نعم لامناضة بين القولين ، لأن الفلك وإن كان كرة لكن فيه من التتمات ما يجرى مجرى أركان الحصن أو السور ، فصح إطلاق لفظ الأبراج عليه ، والتتمات أجسام في حشو الفلك تحف في موضع ؛ والناس كلهم أثبتوها .

فإن قلت : فهل يجوز أن يحمل لفظ الأبراج على ما يعتقد النجومون وأهل الهيئة ، وكثير من الحكماء والمتكلمين من كون الفلك مقسوما بأثنى عشر قسما ، كل قسم منها يسمى برجاً ؟

قلت : لا مانع من ذلك ، لأن هذا المسمى كان معلوما متصوّرا قبل نزول القرآن ، وكان أهل الاصطلاح قد وضعوا هذا اللفظ بإزائه ، فجاز أن ينزل القرآن بموجبه ؛ قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وأخذها على عليه السلام منه ، فقال : « إذ لاسماء ذات أبراج » ، وارتفع « سماء » لأنه مبتدأ وخبره محذوف ؛ وتقديره « في الوجود » . ثم قال : « ولا حُجُب ذات إرتاج » والإرتاج مصدر أرتج أى أغلق ، أى ذات إغلاق ، ومن رواه « ذات إرتاج » على « فِعال » ، فالرتاج الباب المغلق ، ويبعد رواية من رواه

(١) سورة البروج . ١



« ذات أرتاج » لأن « فعلا » قل أن يجمع على « أفعال » ؛ ويعنى بالحجب ذات الإرتاج حجب  
النور المضروبة بين عرشه العظيم وبين ملائكته . ويجوز أن يريد بالحجب السموات  
أنفسها ، لأنها حجبت الشياطين عن أن تعلم ما للملائكة فيه .

والليل الداجي : المظلم ، والبحر الساجي : الساكن . والفجاج : جمع فج ، وهو الطريق  
الواسع بين جبلين . والمهاد : الفراش .

قوله : « ولا خلق ذوا اعتماد » ؛ أى ولا مخلوق يسعى برجلين فيعتمد عليهما ، أو يطير  
بجناحيه فيعتمد عليهما ؛ ويجوز أن يريد بالاعتماد هنا : البطش والتصرف . مبتدع الخلق : مخرجه  
من العدم المحض ، كقوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ <sup>(١)</sup> . ودائبان : تثنية دائب ؛  
وهو الجاد المجتهد المتعب ، دأب في عمله أى جد وتعب دأبا ودموا فهو دائب ، ودأبته أنا .  
وسمى الشمس والقمر دائبين لتعاقبهما على حال واحدة دائما لا يفتران ولا يسكنان ، وروى  
« دائبين » بالنصب على الحال ويكون خبرا للبتداء « بيليان » وهذه من الألفاظ القرآنية <sup>(٢)</sup> .

مركز تحقيقات مكتب تراث اسلامی

### الأصل :

قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَأَخْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ وَعَدَّدَ أَنْفُسَهُمْ وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ ،  
وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ ، وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ ،  
إِلَى أَنْ تَنْتَاقِيَ يَوْمَ الْقَائِمَاتِ .

\*\*\*

### التبويب

آثارهم ، يمكن أن يُعنى به آثار وطئهم في الأرض إيدانا بأنه تعالى عالم بكل معلوم

(١) سورة الأنعام ١٠١ .

(٢) من قوله تعالى في سورة إبراهيم : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴾



كما آذن قوله سبحانه : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا بِعِلْمِهَا ﴾ <sup>(١)</sup> بذلك . ويمكن أن يعنى به حركاتهم ونهركاتهم .

وروى : « وعدد أنفاسهم » على الإضافة .

وخاتمة الأعين : ما يرمى به مسارقة وخفية . ومستقرهم ، أى فى الأرحام . ومستودعهم ، أى فى الأصلاب ، وقد فسر ذلك فتكون « من » متعلقة بمستودعهم ومستقرهم على إرادة تكررها ، ويمكن أن يقال : أراد مستقرهم ومأواهم على ظهر الأرض ومستودعهم فى بطنها بعد الموت ، وتكون « من » ها هنا بمعنى « مذ » أى مذكمان كونهم فى الأرحام والظهور إلى أن تنقضى بهم الغايات ، أى إلى أن يحشروا فى القيامة . وعلى التأويل الأول يكون تنقضى الغايات بهم عبارة عن كونهم أحياء فى الدنيا .



### الأصل :

هُوَ الَّذِى أَشَدَّتْ نِعْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَأَنْسَمَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِعْمَتِهِ . قَاهِرٌ مَنْ عَازَاهُ ، وَمُدَمِّرٌ مَنْ شَاقَّاهُ ، وَمُذِلٌّ مَنْ نَاوَاهُ ، وَغَالِبٌ مَنْ عَادَاهُ ، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ، وَمَنْ سَأَلَهُ أُعْطَاهُ ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ .

عِبَادَ اللَّهِ ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا ، وَحَاسِبُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَتَنْفُسُوا قَبْلَ ضَيْقِ الْخُلَاقِ ، وَأَنْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السَّيَاقِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ لَمْ يُمْسِكْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَسْكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظَ وَزَاجِرٌ ، لَمْ يَسْكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لَازِجٌ وَلَا وَاعِظٌ .

\*\*\*



## البُزْجُ :

يجوز نَقْمَةُ نَقْمَةٍ ، مثل كَلِمَةٍ وَكَلِمَةٍ ، وَلَبَنَةٍ وَلَبَنَةٍ ، ومعنى الكلام أنه مع كونه واسع الرحمة في نفس الأمر ، وأنه أرحم الراحمين ؛ فإنه شديد النقمة على أعدائه ؛ ومع كونه عظيم النقمة في نفس الأمر وكونه شديد العقاب فإنه واسع الرحمة لأوليائه . وعَزَّاهُ ، أى غلبه ، وعَزَّاهُ أى غلبه ، ومنه ﴿ وَعَزَّيْنِي فِي الْخَطَابِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وفي المثل « مَنْ عَزَّ بَزَّ » ، أى مَنْ غَلَبَ سَلَبَ . والمدمر : المهلك ، دَمَرَهُ وَدَمَّرَ عَلَيْهِ بِمَعْنَى ، أى أَهْلَكَهُ . وشاقه : عاداه ، قيل إن أصله من الشَّقِّ وهو النُّصْفُ ، لأن المعادى يأخذ في شِقِّ والمعادى في شِقِّ يقابله . وناواه ، أى عاداه ، واللفظة مهموزة ، وإنما لئِنْهَا لأجل القرينة السَّجْعِيَّةُ ، وأصلها ناوأتُ الرجل مناوأة ونِواء ؛ ويقال في المثل : « إذا ناوأت الرجل فاصبر » .

قوله : « زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا » من الكلام الفصيح النادر اللطيف ، يقول : اعتبروا أعمالكم وأنتم مختارون قادرون على استدراك الفارط ، قبل أن يكون هذا الاعتبار فعل غيركم وأنتم لا تقتدرون على استدراك الفارط ، ومثله قوله : « وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا » .

ثم قال : « وتنفسوا قبل ضيق الخناق » ، أى انتهزوا الفرصة ، واعملوا قبل أن يفوتكم الأمر ، ويحد بكم الرحيل ويقع القدم ، قال الشاعر :

اخْتِمْْ وَطِينُكَ رَطْبٌ إِنْ قَدَرْتَ فَسَكْمٌ      قَدْ أَمَكْنَ الْخَتْمُ أَقْوَامًا فَمَا خَتَمُوا

ثم قال : « واتقادوا قبل عُنف السياق » ، هو العُنف بالضم ، وهو ضد الرفق ، يقال عُنف عليه وعُنف به أيضا ، والعَنِيف : الذى لا رفق له بركوب الخيل ، والجمع عُنف . واعتفتُ الأمر ، أى أخذته بعنف ، يقول : اتقادوا أنتم من أنفسكم قبل أن تقادوا ونساقوا



بغير اختياركم سوقاً عنيفا . ثم قال « مَنْ لَمْ يُعِثْهُ اللهُ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَجْعَلَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظًا  
وَزَاجِرًا لَمْ يَنْفَعِهِ الزَّجَرُ وَالْوَعْظُ مِنْ غَيْرِهَا » أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى شَاعِرٌ قَالُ :

وَأَقْصَرْتُ عَمَّا تَهْدِيَنِ وَزَاجِرٌ      مِنْ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ عِتَابِ الْعَوَازِلِ

فَإِنْ قُلْتَ : أَلَيْسَ فِي هَذَا الْكَلَامِ إِشْعَارٌ مَا بِالْجَبْرِ ؟

قُلْتُ : إِنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ أَصْحَابِنَا فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَلطَافًا يَفْعَلُهَا بِعِبَادِهِ ، فَيَقْتَرِبُهُمْ مِنَ  
الْوَاجِبِ ، وَيُبْعِدُهُمْ مِنَ الْقَبِيحِ ؛ وَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ لَا لَطْفَ لَهُ لِأَنَّ كُلَّ  
مَا يَمْرُضُ لَطْفًا لَهُ فَإِنَّهُ لَا يُوَثِّرُ فِي حَالِهِ وَلَا يَزِدُّهُ بِهِ إِلَّا إِصْرًا وَأَهْلِي الْقَبِيحِ وَالْبَاطِلِ ؛ فَهُوَ الَّذِي  
عَنَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ : « مَنْ لَمْ يَمُنْ عَلَى نَفْسِهِ » ، لِأَنَّهُ مَاقِبِلُ الْمَعُونَةِ وَلَا انْقَادَ  
إِلَى مَقْتَضَاهَا ، وَقَدْ رَوَى : « وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَمُنْ عَلَى نَفْسِهِ » بِكَسْرِ الْمِيمِ أَيْ مَنْ لَمْ  
يَمُنْ بِالْوَاعِظِينَ لَهُ وَالنَّذِيرِينَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ إِلَهًا عَلَيْهَا وَقَاهِرًا لَهَا ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْوَعْظِ  
وَالزَّجْرِ ، لِأَنَّ هَوَى نَفْسِهِ يَغْلِبُ وَعَظَ كُلِّ وَاعِظٍ وَزَجَرَ كُلِّ زَاجِرٍ .



(٩٠)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الأشباح ، وهي من جلائل خطبه عليه السلام  
 روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام ، أنه قال :  
 خطب أمير المؤمنين بهذه الخطبة على منبر الكوفة ؛ وذلك أن رجلاً أتاه ، فقال :  
 يا أمير المؤمنين ، صِفْ لنا ربنا<sup>(١)</sup> مثل ما نراه عياناً<sup>(٢)</sup> ، لنزداد له حباً ، وبه معرفة ؛ فغضب  
 ونادى : الصلاة جامعة ، فاجتمع إليه الناس حتى غصّ للمسجد بأهله ؛ فصعد المنبر وهو  
 منضبط متغير اللون ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ، ثم قال :  
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُّهُ الْمَنُوعُ وَالْجَمُودُ ، وَلَا يُكْذِبُهُ الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ ؛ إِذْ كُلُّ  
 مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَا<sup>(٣)</sup> ؛ وَهُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ ، وَعَوَائِدِ  
 اللَّزْبِ وَالْقَسَمِ ، عِيَالُهُ الْخَلَائِقُ ، ضَمِينُ أَرْزَاقِهِمْ ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ  
 إِلَيْهِ ، وَالطَّالِبِينَ مَالِدِيهِ ، وَآيَسَ بِنَا سَائِلٍ بِأَجْوَدَ مِنْهُ ؛ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ ، الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ  
 يَكُنْ لَهُ قَبْلُ قَيْكُونَ شَيْءٌ ، وَقَبْلَهُ ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ<sup>(٤)</sup> بَعْدُ قَيْكُونَ شَيْءٌ ؛ بَعْدَهُ ،  
 وَالرَّادِعُ أَنَا مِى الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَبْنَاهُ أَوْ تُذَرِكَهُ ، مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفُ مِنْهُ  
 الْحَالُ ، وَلَا كَانَ فِي مَسْكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالُ .

\*\*\*

الشرح :

الأشباح : الأشخاص ، والمراد بهم هنا الملائكة ، لأن الخطبة تتضمن  
 ذِكْرَ الملائكة .



وقوله : « الصلاة جامعة » منصوب بفعل مقدر ، أى احضروا الصلاة ، وأقيموا الصلاة ، و « جامعة » منصوب على الحال من الصلاة .  
وغص المسجد ، بفتح الغين ، أى امتلاً ، والمسجد خاص بأهله . ويقال : رجل مغضب ، بفتح الضاد ، أى قد أغضب ، أى فعل به ما يوجب غضبه .  
ويقره المنع : يزيد فى ماله ، والموفور التام ، وفرت الشيء وفراً وفّر الشيء نفسه وفوراً ، يتعدى ولا يتعدى . وفى أمثالهم : « يوفّر ويحمد » هو من قولك وفرت عرصة ووفرت ماله .

وقوله : « ولا يكديه الإعطاء » ، أى لا يفقره ولا ينفد خزائنه ، يقال : « كدت الأرض » تكيد وفهى كادية ، إذا أبطأ نباتها ، وقل خيرها ، فهذا لازم ، فإذا عديته أثبت بالهمزة قلت : أ كدبت الأرض ، أى جعلتها كادية ، وتقول : أ كدى الرجل إذا قلّ خبره ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى <sup>(١)</sup> ﴾ ، أى قطع القليل ، يقول : إنه سبحانه قادر على المقدورات ، وليس كالمملوك من البشر الذين إذا أعطوا نقصت خزائهم وإن منعوا زادت ، وقد شرح ذلك وقال : « إذ كل معطٍ متقص » أى منقوص ، ويحىء « انتقص » لازماً ومتعدياً ، تقول : انتقص الشيء نفسه ، وانتقصت الشيء ، أى نقصته وكذلك « نقص » يحىء لازماً ومتعدياً .

ثم قال : « وكل مانع مذموم غيره » ، وذلك لأنه تعالى إنما يمنع من تنقضى الحكمة والصلحة منه ، وليس كما يمنع البشر . وسأل رجل على بن موسى الرضا عن الجواد ، فقال : إن لكلامك وجهين ، فإن كنت تسأل عن المخلوق ، فإن الجواد هو الذى يؤدى ما افترض الله عليه ، والبخل هو الذى يبخل بما افترض الله عليه ، وإن كنت تعنى الخالق ،



فهو الجواد إن أعطى؛ وهو الجواد إن منَعَ ، لأنه إن أعطى عبداً أعطاه ما ليس له ، وإن منعه منعه ما ليس له .

قوله : « وليس بما سُئِلَ بأجود منه بما لم يُسأل » فيه معنى لطيف ، وذلك لأن هذا المعنى مما يختص بالبشر ، لأنهم يتحركون بالسؤال وتهزهم الطلبات ، فيكونون بما سألم السائل أجود منهم بما لم يسألم إياه ، وأما الهارئ سبحانه فإن جوده ليس على هذا المنهاج لأن جوده عام في جميع الأحوال .

ثم ذكر أن وجوده تعالى ليس بزمان ، فلا يطلق عليه البعدية والقبلية ، كما يطلق على الزمانيات ، وإنما لم يكن وجوده زمانياً لأنه لا يقبل الحركة ، والزمان من لواحق الحركة ، وإنما لم تطلق عليه البعدية والقبلية إذ لم يكن زمانياً ، لأن قولنا في الشيء : إنه بعد الشيء الفلاني ، أي للوجود في زمان حضر بعد تقضي زمان ذلك الشيء الفلاني ، وقولنا في الشيء : إنه قبل الشيء الفلاني ، أي إنه موجود في زمان حضر ولم يحضر زمان ذلك الشيء الفلاني بعد ، فلا ليس في الزمان ليس يصدق عليه القبل والبعد الزمانيان ، فيكون تقدير الكلام على هذا : الأول الذي لا يصدق عليه القبلية الزمانية ، لم يكن أن يكون شيء ما قبله ، والآخر الذي لا يصدق عليه البعدية الزمانية ، لم يكن أن يكون شيء ما بعده .

وقد يحمل الكلام على وجه آخر أقرب مُتَنَاولاً من هذا الوجه ، وهو أن يكون أراد : الذي لم يكن محدثاً ، أي موجوداً قد سبقه عدم ، فيقال إنه مسبوق بشيء من الأشياء إما المؤثر فيه أو الزمان المقدم عليه ، وأنه ليس بذات يمكن فناؤها وعدمها فيما لا يزال ، فيقال : إنه ينقضي وينصرم ، ويكون بعده شيء من الأشياء ، إما الزمان أو غيره ، والوجه الأول أدق وألطف ، ويؤكد كونه مراداً قوله عتيبه : « ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال » ، وذلك لأن واجب الوجود أعلى من الدهر والزمان ، فنسبة ذاته إلى الدهر والزمان بحملته وتفصيل أجزائه نسبة متعددة .



فإن قلت : إذا لم يكن قبل الأشياء بالزمان ولا بعدها بالزمان ؛ فهو معها بالزمان ، لأنه لا يبقى بعد نفي القبلية والبعدية إلا المعية !

قلت : إنما يلزم ذلك فيما وجوده زمني ، وأما ما ليس زمانيا لا يلزم من نفي القبلية والبعدية إثبات المعية ، كما أنه مالم يكن وجوده مكانيا لم يلزم من نفي كونه فوق العالم أو تحت العالم بالمكان ، أن يكون مع العالم بالمكان .

ثم قال : « الرادع أناسي الأبصار عن أن تناله أو تدركه » ، الأناسي : جمع إنسان ؛ وهو المثال الذي يرى في السواد ؛ وهذا اللفظ بظاهره يشعر بمذهب الأشعرية ، وهو قوهم ؛ إن الله تعالى خالق في الأبصار مانعا عن إدراكه ؛ إلا أن الأدلة العقلية من جانبنا اقتضت تأويل هذا اللفظ ، كما تأول شيوخنا قوله تعالى : ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ <sup>(١)</sup> ؛ فقالوا : إلى جنة ربها ؛ فنقول : تقديره الرادع أناسي الأبصار أن تنال أنوار جلالته .

فإن قلت : أثبتون له تعالى أنوارا يمكن أن تدركها الأبصار ، وهل هذا إلا قول بالندجيم !

قلت : كلاً لا ندجيم في ذلك ؛ فكما أن له عرشاً وكرسيًا وليس بجسم ؛ فكذلك أنوار عظيمة فوق العرش ، وليس بجسم ، فكيف تنكر الأنوار ، وقد نطق الكتاب العزيز بها في غير موضع ، كقوله : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وكقوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ .

\*\*\*

(١) سورة القيامة ٢٥ .

(٢) سورة الزمر ٦٩ .



الأضد :

وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ ؛ وَضَحِكْتُ عَنْهُ أَصْدَافُ  
الْبَحَارِ ؛ مِنْ فِلِزِّ اللَّجَيْنِ وَالْعِقْيَانِ ، وَنُشَارَةِ الدُّرِّ وَحَصِيدِ الرَّجَانِ ، مَا أَثَرُ ذَلِكَ  
فِي جُودِهِ ، وَلَا أَنْفَذَ سَمَةٍ مَا عِنْدَهُ ، وَلَسَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَنْهَامِ ، مَا لَا تُنْفِذُهُ  
مَطَالِبُ الْأَنْهَامِ ، لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَنْفِضُهُ <sup>(١)</sup> سُؤَالُ السَّائِلِينَ ، وَلَا يَبْغِلُهُ  
إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ .

\*\*\*

الْبَسْرُخُ

هذا الكلام من تسمية الكلام الأول ، وهو قوله : « لَا يَفْرُهُ الْمَنَعُ ، وَلَا يَكْدِيهِ  
الإِعْطَاءُ وَالْجُودُ » . وَتَنَفَّسَتْ عَنْهُ الْمَعَادِنُ : اسْتَمَارَةُ ، كُنْهًا لِمَا أَخْرَجَتْهُ وَوَلَدَتْهُ كَانَتْ كَالْحَيَوَانِ  
يَنْتَفِسُ فَيَخْرُجُ مِنْ صَدْرِهِ وَرُفْقَهُ الْهَوَاءُ .  
وَضَحِكْتُ عَنْهُ الْأَصْدَافُ ، أَيْ تَفَتَّحَتْ عَنْهُ وَانْشَقَّتْ ، يُقَالُ لِلطَّلْعِ حِينَ يَنْشَقُّ :  
الضَّحْكُ ، يَنْتَحِ الضَّادُ ، وَإِنَّمَا سَمِيَ الضَّاحِكُ ضَاحِكًا ، لِأَنَّهُ يَفْتَحُ فَاهَهُ . وَالْفِلِزُّ : اسْمُ الْأَجْسَامِ  
الذَّائِبَةِ كَالذَّهَبِ وَالْبَقْضَةِ وَالرَّصَاصِ وَنَحْوِهَا . وَاللَّجَيْنِ : اسْمُ الْفِضَّةِ جَاءَ مُصَفَّرًا ، كَالْكُمَيْتِ  
وَالزَّرِيَا . وَالْعِقْيَانِ : الذَّهَبُ الْخَالِصُ ، وَيُقَالُ : هُوَ مَا يَنْبِتُ نَبَاتًا وَلَيْسَ بِمَا يَحْصُلُ مِنَ الْحَجَارَةِ .  
وَنُشَارَةُ الدُّرِّ : مَا تَنَاقَرُ مِنْهُ ، كَالسَّقَاطَةِ وَالذُّخَالَةِ ، وَتَأْتِي « فُعَالَةٌ » تَارَةً لِلْجَيْدِ الْخِتَارِ ، وَتَارَةً  
لِلسَّقَاطِ الْمَتْرُوكِ ، فَالْأَوَّلُ نَحْوُ الْخِلَاصَةِ ، وَالثَّانِي نَحْوُ الْقَلَامَةِ .

وَحَصِيدِ الرَّجَانِ : كَأَنَّهُ أَرَادَ التَّبَذُّدَ مِنْهُ كَمَا يَتَبَذَّدُ الْحَبُّ الْمَحْصُودُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يُعْنَى بِهِ  
الْعُصْبُ الْمَحْكَمُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : « شَيْءٌ مُسْتَحْصَدٌ » ، أَيْ مُسْتَحْصَفٌ مُسْتَحْكَمٌ ، يُعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ  
بِرَخْوٍ وَلَا هَشٍّ ، وَيُرْوَى : « وَحَصْبَاءُ الرَّجَانِ » ، وَالْحَصْبَاءُ : الْحُمَى . وَأَرْضٌ حَصْبِيَّةٌ وَمَحْصَبَةٌ ،  
<sup>(١)</sup> غَطُوطَةُ التَّهَجِّ : « يَنْبِظُهُ »



بالفتح : ذات حصباء . والمرجان : صغار الأولو ؛ وقد قيل إنه هذا الحجر ، واستعمله  
بعض المتأخرين فقال :

أذمى لما المرجان صَفْعَةً خَذَهُ وبكى عليها الأولو الكدون  
وتنفذه : تنفيه ، نفذ الشيء أى قَنِى ، وأنفذته أنا . ومطالب الأنام : جمع مطلب ، وهو  
الصدر ، من طلبت الشيء طلباً ومطلباً .

ويَنفِضُهُ ، بفتح حرف المضارعة : ينقصه ؛ ويقال : غاض الماء ، فهذا لازم ، وغاض  
الله الماء ، فهذا متمدة ؛ وجاء : أغاض الله الماء .

والإلحاق : مصدر ألح على الأمر ، أى أقام عليه دائماً ، من ألح السحاب ؛ إذا دام  
مطره ، وألح البعير : حَرَنَ ، كما تقول : خَلَّتِ الناقة ، وروى « ولا يُبْخِلُهُ » بالتخفيف ؛  
تقول : أبخلت زيدا ، أى صادفته بخيلاً ؛ وأجنته : وجدته جباناً .

وفى هذا الفصل من حسن الاستمارة وبديع الصبغة مالا خفاء به .

\*\*\*

### الأصل :

فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَانْتَمِ بِهٖ ، وَأَسْتَفْضِ بِنُورِ  
هُدَايَتِهِ ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ ، يَمَا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ ، وَلَا فِي  
سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ ، فَكِلَ عَلَيْهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَإِنَّ  
ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ الشَّدِيدِ الْمَضْرُوبَةِ  
دُونَ الْغُيُوبِ الْإِفْرَارُ بِحِمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ ، فَمَدَحَ اللَّهُ



أَعْتَرَفْتُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا ، وَاسْمَى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ  
يُكَلِّفُهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوحًا ، فَاقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا تَقْدَرُ عَظَمَةُ اللَّهِ  
مُجَاجَاةُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ .

\*\*\*

### الشيخ :

تقول : اثم فلان بفلان ؛ أى جملة إماما واقضى به . فكل علمه ؛ من وكله إلى كذا  
وكلا وو كولا ؛ وهذا الأمر موكول إلى رأيك . والافتحام : المجهود والدخول مغالبة .  
والشدد للضروبة : جمع سدة ؛ وهى الرتاج .

وأعلم أن هذا الفصل يمكن أن تتعلق به الحشوية للنامون من تأويل الآيات الواردة  
في الصفات ، القائلين بالجود على الظواهر ، ويمكن أيضا أن يتعلق به من نفي النظر وخرمه  
أصلا ؛ ونحن قبل أن نحققه ونتكلم فيه نبدأ بتفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا  
اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾<sup>(١)</sup> ؛ فنقول :

إن من الناس من وقف على قوله : ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، ومنهم من لم يقف على ذلك ، وهذا  
القول أقوى من الأول ؛ لأنه إذا كان لا يعلم تأويل التشابه إلا الله لم يكن في إنزاله  
ومخاطبة المكلفين به فائدة ، بل يكون كخطاب العربي بالزنجية ، ومعلوم أن ذلك  
عيب قبيح .

فإن قلت : فما الذى يكون موضع ﴿ يَقُولُونَ ﴾ من الإعراب ؟

قلت : يمكن أن يكون نصبا على أنه حال من الراسخين ، ويمكن أن يكون كلاما  
مستأنفا ، أى هؤلاء العالمون بالتأويل ، يقولون : آمنا به .

(١) سورة آل عمران ٧ .



وقد روى عن ابن عباس أنه تأول آية ، فقال قائل من الصحابة : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، فقال ابن عباس : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ ، وأنا من جملة الراسخين .

ثم نعود إلى تفسير كلام المؤمنين عليه السلام فنقول :

إنه غضب وتمييز وجهه لقول السائل : صِفْ لَنَا رَبَّنَا مثل ما نراه عيانا ، وإذا هذا المعنى ينصرف وصية له بما أوصاه به من اتباع ما جاء في القرآن والسنة ، وذلك لأن العلم الحاصل من رؤية الشيء عيانا ، عِلْمٌ لا يمكن أن يتعمق مثله بالله سبحانه ، لأن ذاته تعالى لا يمكن أن تُعْلَمَ من حيث هي هي ، كما تعلم المحسوسات ، ألا ترى أننا إذا علمنا أنه صانع العالم ، وأنه قادر على كل شيء سمع بصير مريد ، وأنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ، وعلمنا جميع الأمور السلبية والإيجابية المتعلقة به ، فإنما علمنا سُلُوبا وإضافات ، ولا شك أن ماهية الموصوف مغايرة لماهية الصفات ، والذوات المحسوسة بخلاف ذلك ، لأننا إذا رأينا السواد ، فقد علمنا نفس حقيقة السواد لاصفة من صفات السواد ؛ وأبضا فإننا لو قدرنا أن العلم بوجوده وصفاته السلبية والإيجابية ، يستلزم العلم بذاته ، من حيث هي هي لم يكن عالما بذاته علما جزئيا ، لأنه يمكن أن يصدق هذا العلم على كثيرين ، على سبيل البذل ، وإذا ثبت أنه يستحيل أن يصدق على كثيرين على سبيل البذل ، ثبت أنه يستحيل أن يصدق على كثيرين على سبيل الجمع ، والعلم بالمحسوس يستحيل أن يصدق على كثيرين لا على سبيل الجمع ، ولا على سبيل البذل ، فقد بان أنه يستحيل أن يعلم الله تعالى كما يعلم الشيء المرئي عيانا ، فأمر المؤمنين عليه السلام أنكر هذا السؤال كما أنكره الله تعالى على بني إسرائيل لما طلبوا الرؤية ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ (١) .



ثم قال للسائل بعد غضبه واستحالة لونه وظهور أثر الإنكار عليه: مادلك القرآن عليه من صفته فخذ به ، فإن لم تجده في الكتاب فاطلبه من السنة ومن مذاهب أئمة الحق ، فإن لم تجد ذلك ، فاعلم أن الشيطان حينئذ قد كلفك علم ما لم يكلفك الله علمه ؛ وهذا حق ؛ لأن الكتاب والسنة قد نطقا بصفات الله من كونه عالما قادراً حياً مريداً سمياً بصيراً ، ونطقا أيضاً بتزييه عن سمات الحدوث كالجسمية والحلول والجهة ؛ وما استلزم الجهة كالرؤية فلا إنكار على من طلب في مدارك العقول وجوه تنضد ما جاء به القرآن والسنة ، وتوفق بين بعض الآيات وبعض ؛ وتحمل أحد اللفظين على الآخر إذا تناقضا في الظاهر ، صيانة لكلام الحكيم عن التهاوت والتعارض . وأما ما لم يأت الكتاب والسنة فيه بشيء فهو الذي حرّم وحظّر على المكلفين الفكر فيه ؛ كالكلام في الماهية التي يذهب ضرار التكلم إليها ، وكأثبت صفات زائدة على الصفات المقولة لذات الباري سبحانه ، وهي على قسمين : أحدهما : ما لم يرّذ فيه نص ؛ كإثبات طائفة تعرف بالما تريدية صفة سموها التكوين زائدة على القدرة والإرادة .

والثاني : ما ورد فيه لفظ فأخطأ بعض أهل النظر ، فأثبت لأجل ذلك اللفظة صفة غير مقولة للباري سبحانه ، نحو قول الأشعرين : إنّ اليمين صفة من صفات الله ، والاستواء على المرش صفة من صفات الله ، وإنّ وجه الله صفة من صفاته أيضاً ، ثم قال : إن الراسخين في العلم الذين غنوا بالإقرار بما عرفوه عن الولوج والتفحّم فيما لم يعرفوه ، وهؤلاء هم أصحابنا المعترلة لاشبهة في ذلك ، ألا ترى أنهم يعللون أفعال الله تعالى بالحكم والمصالح ، فإذا ضاق عليهم الأمر في تفصيل بعض المصالح في بعض المواضع ، قالوا : نعلم على الجملة أن لهذا وجه حكمة ومصلحة ، وإن كنا لانعرف تفصيل تلك المصلحة ، كما يقولون في تكليف من يعلم الله تعالى منه أنه يكفر ، وكما يقولون في اختصاص الحال التي حدث فيها العالم بحدوثه دون ما قبلها وما بعدها .



وقد تناول القطب الراوندى كلام أمير المؤمنين في هذا الفصل ، فقال : إنما أنكر  
على من يقول : لم تعبّد الله المكلفين بإقامة خمس صلوات ؛ وهلا كانت ستاً أو أربعاً ؟  
ولم جعل الظهر أربع ركعات ، والصبح ركعتين ؟ وهلا عكس الحال ؟ وهذا التأويل غير  
صحيح ، لأنه عليه السلام إنما أخرج هذا الكلام مخرج المنكر على من سأل أن يصف له  
البارئ سبحانه ، ولم يكن السائل قد سأل عن العلة في أعداد الصلاة وكمية أجزاء العبادات .  
ثم إنه عليه السلام قد صرح في غصون الكلام بذلك ؛ فقال : فانظر أيها السائل ،  
فما ذلك القرآن عليه من صفته ؟ ثم به ، وما لم يدلك عليه فليس عليك أن تخوض فيه ، وهذا  
الكلام نصريح بأن البحث إنما هو في النظر العقلي في فن الكلام ، فلا يجوز أن يحمل  
على ما هو بمنزلة عنه .

واعلم أننا نتساهل في الفاظ المتكلمين ، فنورد بها عباراتهم ، كقولهم في « المحسوسات »  
والصواب « المحسّات » ؛ لأنه لفظ المفعول من « أحس » الرابعى ، لكننا لما رأينا العدول عن  
الفاظهم إذا خضنا في مباحثهم مستهجنات غيرنا بعبارتهم على علم منا أن العربية لا تسوغها .

\*\*\*

### الأصل :

هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا أَرْتَمْتَ الْأَوْهَامَ لِتُذْرِكَ مُنْقَطَعُ قُدْرَتِهِ ، وَحَاوَلَ الْفِكَرُ  
الْمُبْرَأَ مِنْ خَطَرِ الْوَسْوَاسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ ، وَتَوَلَّاهُ  
الْقُلُوبُ إِلَيْهِ ، لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ ، وَتَحْمَضَتْ مَدَاخِلُ الْقُلُوبِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ  
الْصِّفَاتُ لِتَتَاوَلَ عِلْمُ ذَاتِهِ - رَدْعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِي سُدْفِ الْغُيُوبِ ، مُتَخَاصَّةٌ  
إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ ؛ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِيتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُبَالُ بِحُجُورِ الْإِعْسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ ،  
وَلَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولَى الرُّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ .

\*\*\*



## البُخ :

ارتمت الأوهام ، أى ترامت ؛ يقال : ارتمى القوم بالنبل ؛ أى تراموا ، فشبه جَوْلان الأوهام والأفكار وتعارضها بالترامى .

وخطَر الوسوس ، بتسكين الطاء ؛ مصدر خطَر له خاطر ، أى عرض في قلبه ، وروى « من خطرات الوسوس » .

وتولت القوب إليه : اشتدَّ عشقها حتى أصابها الوَلَه وهو الحيرة .

وقوله : « لتجرى في كيفية صفاته » ، أى انصاف مجرى ومسلكا في ذلك ؛ وغمضت مداخل العقول ، أى غمض دخولها ، ودق في الأنظار العميقة التي لا تبلغ الصفات كنهها لدقها وغموضها طالبة أن تنال معرفته تعالى .

ولفظه « ذات » لفظة قد طال فيها كلام كثير من أهل العربية ، فأنكر قوم إطلاقها على الله تعالى وإضافتها إليه ، أما إطلاقها فلائها لفظتانيت ؛ والبارى سبحانه منزّه عن الأسماء والصفات المؤنثة ؛ وأما إضافتها فلائها عين الشيء ؛ والشيء لا يضاف إلى نفسه . وأجاز آخرون إطلاقها في البارى تعالى وإضافتها إليه ، أما استعمالها فلوجهين :

أحدهما أنها قد جاءت في الشعر القديم ، قال خبيب الصحابيّ عند صلبه :

وذلك في ذاتِ الإله وإن يشأ      ببارك على أوصال شلّو موزّع<sup>(١)</sup>

ويروى « ممزّع<sup>(٢)</sup> » ، وقال النابغة :

محلّهم ذاتُ الإله ودينهم      قديمٌ فما يخشون غير المواقب<sup>(٣)</sup>

والوجه الثاني أنها لفظة اصطلاحية ، فجاز استعمالها لا على أنها مؤنث « ذو » بل تستعمل

(١) هو خبيب بن عدى الأنصارى ، من قصيدة أوردها ابن عبد البر في الاستيعاب ٤١١ .

(٢) هي رواية الاستيعاب . (٣) ديوانه ٨ .



أرتجالاً في مسماها الذي عُبِّرَ عنه بها أرباب النظر الإلهي ، كما استعملوا لفظ الجوهر والعرض وغيرها في غير ما كان أهل العربية واللفظ يستعملونها فيه .

وأما منهم إضافتها إليه تعالى ، وأنه لا يقال : « ذاته » ؛ لأنَّ الشيء لا يضاف إلى نفسه فباطل بقولهم : أخذته نفسه وأخذته عينه ؛ فإنه بالاتفاق جائز ، وفيه إضافة الشيء إلى نفسه .

ثم نعود إلى التفسير :

قوله عليه السلام : « ردعها » ، أي كَفَّها . وتَجَوَّب ، أي تَقَطَّع . والمهاوى : المهالك ، الواحدة مَهْوَاة بالفتح ، وهي ما بين جبلين أو حائطين ونحو ذلك . والسُدْف : جمع سُدْفَة ، وهي القطعة من الليل المظلم . وجِبَّت ، أي رُدَّت ، وأصله مِنْ جَبَّهَتْ ، أي صَكَّكَتْ جِبَّتَه . والجَوْر : المدول عن الطريق . والاعتساف : قَطْع المسافة على غير جادة معلومة .

وخُلَاصَةُ هذا الفصل أنَّ العقول إذا حاولت أن تدرك متى ينقطع اقتداره على المقدرات تكسب عن ذلك ، لأنه قادر أبداً دائماً على ما لا ينهاى ؛ وإذا حاول الفكر الذي قد صفا وخلا عن الوسوس والعوائق أن يدرك مغيباتِ عِلْمِهِ تعالى كلَّ وحسَّر ورجع ناقصاً أيضاً ؛ وإذا اشتدَّ عشق النفوس له ، وتولَّت نحوه لتسلك مسلكاً تقف منه على كيفية صفاته هجرت عن ذلك ؛ وإذا تغلغلَّت العقول ، وتعمَّضت مداخلها في دقائق العلوم النظرية الإلهية التي لا توصف لدقتها طالبة أن تعلم حقيقة ذاته تعالى ، انقطعت وأُعييت ، وردَّها سبحانه وتعالى وهي تجول وتقطع ظلمات الغيب لتخلص إليه ، فارتدتْ حيث جَبَّهها وردعها ، مُقِرَّةً معترِفةً بأن إدراكه ومعرفة لا تُنالُ باعتساف المسافات التي بينها وبينه ؛ وإن أرباب الأفكار والرويات يتعذَّر عليهم أن يخطر لهم خاطر يطابق ما في الخارج من تقدير جلال عزته ؛ ولا بدَّ من أخذ هذا القيد في الكلام ؛ لأنَّ أرباب الأنظار



لا بد أن تخاطر لهم الخواطر في تقدير جلال عزته ؛ ولكن تلك الخواطر لا تكون مطابقة لها في الخارج ؛ لأنها خواطر مستندة إلى الوهم لا العقل الصريح ؛ وذلك لأن الوهم قد ألف الحسيات والمحسوسات ، فهو يعقل خواطر بحسب ما ألقه من ذلك ؛ وجلال واجب الوجود أعلى وأعظم من أن يتطرق الوهم نحوه ؛ لأنه يرى من المحسوسات سبحانه ؛ وأما العقل الصريح فلا يدرك خصوصية ذاته لما تقدم .

واعلم أن قوله تعالى : ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ۚ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾<sup>(١)</sup> فيه إشارة إلى هذا المعنى ، وكذلك قوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ﴾<sup>(٢)</sup> .



### الأصل :

الَّذِي أبتدع الخلق على غير مثال أمثله ، ولا مقدارٍ أخذى عليه من خالقٍ معبود كان قبله ، وأرانا من ملكوت قدرته ، وعجائب ما أنعمت به آثار حكمته ، وأعترف الحاجة من الخلق إلى أن يقيها عيساك قوته ؛ ماد لنا بأضطرار قيام الحاجة له على معرفته ، فظهرت في البدائع التي أحدثها آثار صنمته ، وأعلام حكمته ، فصار كل ما خلق حجة له ، ودليلاً عليه ؛ وإن كان خلقاً صامتاً ؛ فعجبه بالتدبير ناطقة ، ودلالته على المبدع قائمة .

\*\*\*

(١) سورة الملك ٣ ، ٤ .

(٢) سورة البقرة ٢٥٥ .



## الْبَيِّنَةُ :

المالك ، بكسر الميم : ما يملك ويصمم به .

وقوله : « ابتدع الخلق على غير مثل امتثله » يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يريد بـ « امتثله » مثله ، كما تقول : صنعت واصطنعت بمعنى ، فيكون التقدير أنه لم يمثل لنفسه مثالا قبل شروعه في خلق العالم ؛ ثم احتذى ذلك المثال ؛ وركب العالم على حسب ترتيبه ، كالصانع الذي يصوغ حلقة من رصاص مثالا ، ثم يصوغ حلقة من ذهب عليها ، وكالبناء يقدر ويفرض رسوماً وتقديرات في الأرض وخطوطاً ، ثم يبنى بحسبها .

والوجه الثاني : أنه يريد بامتثله احتذاءه وتقليده واتبعه ، والأصل فيه امتثال الأمر في القول ، فنقل إلى احتذاءه الترتيب العقلي ، فيكون التقدير أنه لم يمثل له فاعل آخر قبله مثالا اتبعه واحتذاءه وفعل نظيره ، كما يفعل التلميذ في الصباغة والتجارة شيئاً قد مثل له أستاذه صورته وهيئته .

واعلم أن هذا أحد الأسئلة التي يذكرها أصحابنا في باب كونه عالماً ، لأنهم لما استدلوا على كونه تعالى عالماً بطريق إحكام العلم وإتقانه ، سألوا أنفسهم فقالوا : لم لا يجوز أن يكون القديم سبحانه أحدث العالم محتذياً لمثال مثله ، وهيئة اقتضاها ، والمحتذى لا يجب كونه عالماً بما يفعله ، ألا ترى أن من لا يحسن الكتابة قد يحتذى خطاً مخصوصاً ، فيكتب قريباً منه ، وكذلك من يطبع الشمع بالخاتم ثم يطبع فيه مثال الخاتم ، فهو فعل الطابع ، ولا يجب كونه عالماً .

وأجاب أصحابنا عن ذلك فقالوا : إن أول فعل محكم وقع منه ، ثم احتذى عليه ، يكفي في ثبوت كونه عالماً ، وأيضاً فإن المحتذى ليست العالمية بمسلوبة عنه ، بل موصوف بها ،



الآ ترى أنه متصور صورة ما يحتذيه ، ثم يوقع الفعل مشابهاً له ، فالحثذى عالم في الجملة ، ولكن عليه يحدث شيئاً فشيئاً .

فأما معنى الفصل فظاهر ، يقول عليه السلام : إنه ابتدع الخلق على غير مثال قدمه لنفسه ولا قدم له غيره . ليحتذى عليه ، وأرانا من عجائب صنمته ومن اعتراف الموجودات كلها ، بأنها فقيرة محتاجة إلى أن يمكها بقوته ، مادلتنا على معرفته ضرورة ، وفي هذا إشارة إلى أن كل ممكن مفتقر إلى المؤثر ، ولما كانت الموجودات كلها غيره سبحانه ممكنة لم تكن غنيّة عنه سبحانه ، بل كانت فقيرة إليه ، لأنها لولاه ما بقيت ، فهو سبحانه غنيّ عن كل شيء ، ولا شيء من الأشياء مطلقاً بغنى عنه سبحانه ، وهذه من خصوصية الإلهية ، وأجل ما تدركه العقول من الأنظار المتعلقة بها .

فإن قلت : في هذا الكلام إشعار بذهب شيخكم أبي عثمان ، في أن معرفته تعالى ضرورية .

مركز تحقيقات كميّة علوم إسلاميّة

قلت : يكاد أن يكون الكلام مشيراً بذلك ؛ إلا أنه غير دالّ عليه ، لأنه لم يقل ما دلنا على معرفته باضطرار ، ولكن قال ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته ، فالاضطرار راجع إلى قيام الحجة ، لا إلى المعرفة .

ثم قال عليه السلام : وظهرت آثار صنمته ، ودلائل حكته في مخلوقاته فكانت وهي صامتة في الصورة ناطقة في المعنى بوجوده وربوبيته سبحانه ، وإلى هذا المعنى نظر الشاعر فقال :

فَوَهَّجًا كَيْفَ يُعْنَى الْإِلَهُ      أَمْ كَيْفَ يَمُجِّدُهُ الْجَاهِدُ (١)  
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ آيَةٌ      تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

(١) لأبي العتاهية ، ديوانه ٦٩ ، ٧٠



وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَآسِكِينَ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> : إنه عبارة عن هذا المعنى .

\*\*\*

### الأصل :

فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ ، وَتَلَاَحُمِ حَقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَاجَةِ لِتَدْيِيرِ حِكْمَتِكَ ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينَ بِأَنَّهُ لَا يَدَّ لَكَ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّائِبِينَ عَنِ الْمَشْبُوعِينَ ؛ إِذْ يَقُولُونَ : ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَأَنَّى ضَالِّينَ مُبِينِينَ ؛ إِذْ نُسَوِّبُكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ ، إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَانِهِمْ ، وَتَحَلَّوْكَ حِلْيَةِ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ ، وَجَزَّوْكَ تَجْزِئَةَ الْجِسْمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ ، وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخَلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقِرَاحِ عُقُولِهِمْ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ ، وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ ، وَأَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَنْتَاهَ فِي الْعُقُولِ ؛ فَتَكُونُ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيِّفًا ، وَلَا فِي رَوِيَاتِ خَوَاطِرِهَا تَحْدُودًا مُصَرِّفًا .

\*\*\*

### الشرح :

حقاق المفاصل جمع حقة؛ وجاء في جمها حقاق وحق وحق؛ ولما قال : « بتباين أعضاء خلقك ، وتلاحم حقاق مفاصلهم » ؛ فأوقع التلاحم في مقابلة التباين صناعة وبديما. وروى



« المحتجة » ، فمن قال : « المحتجة » ، أراد أنها بما فيها من لطيف الصنعة كالمحتجة المستدلة على التدبير الحكيم من لدنه سبحانه ، ومن قال : « المحتجة » أراد المستترة ، لأن تركيبها الباطن خفي محجوب .

والنِد : المثل . والعادلون بك : الذين جعلوا لك عديلاً ونظيراً . ونحلوك : أعطوك ؛ وهي النحلة ، وروى : « لم يُعقد » على ما لم يسم فاعله .  
وغيب ضميره ، بالرفع . والقرايح : جمع قريحة ، وهي القوة التي تستنبط بها العقولات وأصله من قريحة البئر ، وهو أول ما منها .

ومعنى هذا الفصل أنه عليه السلام شهيد بأن الجسم كافر ، وأنه لا يعرف الله ، وأن من شبه الله بالخلق ذوى الأعضاء المتباينة ، والمفاصل المتلاحمة ، لم يعرفه ولم يباشر قلبه اليقين ، فإنه لا ند له ولا مثل ، ثم أكد ذلك بآيات من كتاب الله تعالى ، وهي قوله تعالى : ﴿ فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالنَّاوِيُونَ • وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَتَمُّونَ • قَالُوا وَمَنْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ • تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • إِذْ نُسَوِّبُكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ <sup>(١)</sup> ﴾ . حكى سبحانه حكاية قول الكفار في النار ؛ وهم القابضون للذين أغوهم من الشياطين وهم المتبوعون . لقد كنا ضالين إذ سويبناكم بالله تعالى ، وجعلناكم مثله ، ووجه الحجة أنه تعالى حكى ذلك حكاية منكير على مَنْ زعم أن شيئاً من الأشياء يجوز تسويقه بالبارى سبحانه ، فلو كان البارى سبحانه جتما مصوراً ، لكان مشابهاً لسائر الأجسام المصورة ، فلم يكن لإنكاره على من سواه بالخلق معنى .

ثم زاد عليه السلام في تأكيد هذا المعنى ، فقال : كذب العادلون بك ، المذبتون لك نظيراً وشبيهاً ، يعنى المشبهة والجسم ، إذ قالوا : إنك على صورة آدم ، فشبهوك بالأصنام التي



كانت الجاهلية تمبدها ، وأعطوك حلية المخلوقين لما اقتضت أوهامهم ذلك ، من حيث لم يأنقوا أن يكون القادر الفاعل العالم إلا جسما ، وجعلوك مركبا ومتجزئا ، كما تنجزا الأجسام ، وقدرتكم على هذه الخلقة ، بمعنى خلقة البشر المختلفة القوى ، لأنها مركبة من عناصر مختلفة الطباع . ثم كرر الشهادة فقال : أشهد أن من ساواك بفكر ، وأثبت أنك جوهر أو جسم فهو عادل بك كافر . وقالت تلك الخارجية للحجاج : « أشهد أنك قاسط عادل » ، فلم يفهم أهل الشام حوله ما قالت ، حتى فسره لهم ، قال عليه السلام فمن يذهب إلى هذا المذهب فهو كافر بالكتاب ، وبما دأت عليه حجج العقول . ثم قال : وإنك أنت الله ، أى وأشهد أنك أنت الله الذى لم تحيط العقول بك ، كإحاطتها بالأشياء المتناهية ، فتسكون ذا كيفية .

وقوله : « فى مهب فكرها » استمارة حسنة ، ثم قال : « ولا فى رويات خواطرها » ، أى فى أفكارها . محدودا ، ذا حد مضاف ، أى قابلا للحركة والتغير . وقد استدل بعض المتكلمين على نفي كون البارى جسما - سبحانه - بما هو مأخوذ من هذا الكلام ، فقال : لو جاز أن يكون البارى جسما ، لجاز أن يكون القمر هو إله العالم ، لكن لا يجوز أن يكون القمر إله العالم ، فلا يجوز أن يكون البارى جسما ، ببيان الملازمة أنه لو جاز أن يكون البارى سبحانه جسما ، لما كان بين الإلهية وبين الجسمية منافاة عقلية ، وإذا لم يكن بينهما منافاة عقلية أمكن اجتماعهما ، وإذا أمكن اجتماعهما جاز أن يكون القمر هو إله العالم ، لأنه لا مانع من كونه إله العالم إلا كونه جسما يجوز عليه الحركة ، والأقول ، ونقصان ضوئه تارة ، وامتلاؤه أخرى ، فإذا لم يكن ذلك منافيا للإلهية ، جاز أن يكون القمر إله العالم ، وبيان الثانى إجماع المسلمين على كفر من أجاز كون القمر إله العالم ، وإذا ثبتت الملازمة وثبتت المقدمة الثانية فقد تمت الدلالة .



الأصل :

ومنها :

قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ ، وَوَجَّهَهُ لِرُوحِهِ فَلَمْ  
يَقْعُدْ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ ، وَلَمْ يَسْتَصْمِبْ إِذَا أَمَرَ  
بِالْمَعْصِيَةِ عَلَى إِرَادَتِهِ ، فَكَثِفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتْ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ ! الْمُنْشَى أَصْنَافُ  
الْأَشْيَاءِ بِلَا رُوبَةَ فِكْرِ آلِ إِبْنِهَا ، وَلَا قَرِيبَةَ غَرِيزَةِ أَضْمَرَ عَلَيْهَا ، وَلَا تَجَرِبَةَ  
أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ ، وَلَا شَرِيكَ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاجِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ ،  
فَقَمَّ خَلْقَهُ بِأَمْرِهِ وَأَذَنَ لِبَطَاعَتِهِ ، وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ ، لَمْ يَغْتَرِضْ دُونَهُ رَبِّثُ  
لِلْبَطَلِ ، وَلَا أَنَاةُ الْمُتَلَكِّي ، فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوْدَهَا ، وَنَهَجَ حُدُودَهَا ، وَلَا مَ  
يَقْدُرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا ، وَوَصَلَ أَشْبَابَ قَرَائِنِهَا ، وَفَرَّقَهَا أَجْنَاسًا ، مُخْتَلِفَاتٍ فِي  
الْحُدُودِ وَالْأَقْدَارِ ، وَالْفَرَائِزِ وَالْهَيْئَاتِ ، بِدَايَا خَلَائِقِ أَحْكَمَ صُنْعَهَا ، وَفَطَرَهَا عَلَى  
مَا أَرَادَ وَأَبْتَدَعَهَا .

\*\*\*

الشرح :

الوجهة ، بالكسر : الجهة التي يتوجه نحوها ، قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ  
مُؤْتِيهَا ﴾ <sup>(١)</sup> .

والربث : البطء والتلكؤ . التأخر . والأود : الأعوجاج . ولا م بين كذا  
وكذا ، أى جمع ، والفرائن هنا : الأنفس ، واحداً قرونة وقربة ، يقال : سمحت  
قربنته وقرونته ؛ أى أطاعته نفسه وذلت ، وتابعت على الأمر . وبدايا . ها هنا : جمع بديّة ،



وهي الحالة المَجْبِيَّة ، أبدأ الرجل إذا جاء بالأمر البدئ ، أى المَجِب ، والبدئية أيضاً : الحالة المبتدأة المبتكرة ، ومنه قولهم : فَعَلَهُ بَادِئٌ ذِي بَدْيٍ . على وزن « فَعِيل » ، أى أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ . ويمكن أن يَحْمَلَ كلامه أيضاً على هذا الوجه .

وأما خلائق ؛ فيجوز أن يكون أضاف « بدايا » إليها ؛ ويجوز ألا يكون أضافه إليها ، بل جعلها <sup>(١)</sup> بدلاً من « أجناسا » . ويروى « برايا » جمع بريّة . يقول عليه السلام : إنّه تعالى قَدَّرَ الأشياءَ التي خلقها ، فخلقها بحكمة على حَسَبِ ما قَدَّرَ . وألطف تديرها ، أى جملة لطيفا ، وأبغى الأمور إلى غاياتها وحدودها المقدرة لها ، فهي الصَّغْرَةُ للاصطياد ، والخيل للمركوب والطَّارِدُ ، والسيف للقطع ، والقلم للكتابة ، والفلك للدوران ونحو ذلك ، وفي هذا إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وآله : « كُلُّ شَيْءٍ مَبْسُورٌ لما خُلِقَ له » ؛ فلم تمتد هذه المخلوقات حدود منزلتها التي جعلت غايتها ، ولا قصرت دون الانتهاء إليها ، يقول : لم تقف على الناية ولا تتجاوزتها . ثم قال : ولا استصعبت وامتنعت إذا أمرها بالمضي إلى تلك الناية بمقتضى الإرادة الإلهية ، وهذا كله من باب المجاز ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اانْتَبِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ <sup>(٢)</sup> ﴾ .

وخلاصة ذلك ، الإبانة عن نفوذ إرادته ومشيته .

ثم علّل نفي الاستصعاب فقال : وكيف يستصعب ، وإنما صدرت عن مشيئته ! يقول : إذا كانت مشيئته هي المنتضية لوجود هذه المخلوقات ، فكيف يستصعب عليه بلوغها إلى غاياتها التي جعلت لأجلها ، وأصل وجودها إنما هو مشيئته ، فإذا كان أصل وجودها بمشيئته ، فكيف يستصعب عليه توجيهها لوجهها ، وهو فرع من فروع وجودها وتابع له !

(٢) سورة فصلت ١١ .

(١) : « يجعلها » .



ثم أعاد معاني القول الأول ، فقال : إنه أنشأ الأشياء بنير روية ولا فكرة ولا غريزة أضمر عليها خلق ما خلق عليها . ولا تجربة أقادها ، أى استفادها من حوادث مرت عليه من قبل ، كما تكسب التجارب علوماً لم تكن ، ولا بمساعدة شريك أعانه عليها . فتم خلقه بأمره إشارة إلى قوله : « ولم يستصعب إذ أمر بالمضى » ؛ فلما أثبت هناك كونها أمرت أعاد لفظ الأمر ها هنا ، والكلمة مجاز ، ومعناه تفوذ إرادته ، وأنه إذا شاء أمراً استحال ألا يقع ، وهذا المجاز هو المجاز المستعمل في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ تعبيراً بهذا اللفظ عن سرعة موافاة الأمور له ، وانقيادها تحت قدرته .

ثم قال : ليس كالأول منا يعترض دون مراده ريث وبطء ، وتأخير والتواء . ثم قال : وأقام الموج وأوضح الطريق ، وجمع بين الأمور المتضادة ، ألا ترى أنه جمع في بَدَنَ الحيوانات والنبات بين الكيفيات المتباينة المتنافرة ، من الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليوسة ، ووصل أسباب أنفسها بتعديل أمرجتها ، لأن اعتدال المزاج أو القرب من الاعتدال سبب بقاء الروح ، وفترقها أجناساً مختلفات الحدود والأقدار ، والخلق والأخلق والأشكال . أمورٌ عجيبية بديمة مبتكرة الصنعة ، غير محذرة بها حذو صانع سابق ، بل مخلوقة على غير مثال ، قد أحكم سبحانه صنعها ، وخلقها على موجب ما أراد ، وأخرجها من العدم المحض إلى الوجود ، وهو معنى الإبداع ، فإن الخلق في الاصطلاح النظري على قسمين : أحدهما صورة تخلق في مادة ، والثاني ما لا مادة له ، بل يكون وجود الثاني من الأول فقط ، من غير توسط المادة ، فالأول يسمى التكوين ، والثاني يسمى الإبداع ، ومرتبة الإبداع أعلى من مرتبة التكوين .

\*\*\*



## الأجنال :

ومنها في صفة السماء :

وَنَظَّمَ بِلاَ تَعْلِيْقٍ رَهَوَاتٍ فُرَجِيهَا ، وَلَاحَمَ صُدُوعَ أَفْرَاجِيهَا ، وَوَشَّجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ  
أَزْوَاجِيهَا ، وَذَلَّلَ لِلَهَا بَطِينَ بِأَمْرِهِ ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونََةَ مِعْرَاجِيهَا ، وَنَادَاهَا  
بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ ، فَالْتَحَمَتْ عُرَا أَفْرَاجِيهَا ، وَفَتَّقَ بَعْدَ الْإِرْتِقَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا ،  
وَأَقَامَ رَحْصَدًا مِنَ الشَّهْبِ الثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا ، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ  
بِأَيْدِيهِ ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ ، وَجَعَلَ تَحْتَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا ،  
وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوءَةً مِنْ لَيْلِهَا ، وَأَجْرَاهَا فِي مَنَاقِلِ تَجْرَاهَا ، وَقَدَّرَ سَيْرَهَا <sup>(١)</sup> فِي مَدَارِجِ  
دَرَجِيهَا ، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِيهَا ، وَلِيَعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحَسَابِ بِمَقَادِيرِهَا ،  
ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوْهَا فَلَسَكَهَا ، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا ، مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيهَا ، وَمَصَاصِيحِ  
كَوَاكِبِهَا ، وَرَمَى مُسْتَرَقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا ، وَأَجْرَاهَا عَلَى أَذْلالِ تَشْخِيرِهَا ،  
مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا ، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا ، وَهَبُوطِهَا وَصُعُودِهَا ، وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا .

• • •

## الشنج :

الرَّهَوَات : جمع رهوة ، وهي المكان المرتفع والمنخفض أيضا ، يجمع فيه ماء المطر ،  
وهو من الأضداد . والفُرَج : جمع فُرْجة ، وهي المكان الخالي . ولاحم : الصق . والصَّدْع :  
الشق . ووَشَّجَ ، بالشدديد ، أى شبك . ووشجت المروق والأغصان ، بالتخفيف : اشتبكت ،  
وبيننا رحم واشبعة ، أى مشتبكة .

وأزواجها : أقرانها وأشباهها ، قال تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أى أصنافا ثلاثة .

(١) مخطوطة النهج : « سيرها » .

(٢) سورة الواقعة ٧ .



والخزونة : ضدّ التسهوة . وأشراجها : جمع شَرَج ؛ وهو عَمْرَا العَيْبَة ؛ وأشرجتُ العيبة ، أى أفضلت أشراجها ، ونسى بجرة السماء شَرَجاً ؛ تشبيهاً بشَرَج العيبة ؛ وأشراج الوادى : ما انفسح منه واتسع .

والارتناق : الارتجاج . والنقاب : جمع نَقَب ؛ وهو الطريق فى الجبل . وتمور : تتحرك وتذهب ونجىء ؛ قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾ <sup>(١)</sup> والأيدُ : القوة . وناطَ بها : عَنَق . والدَّرارى : الكواكب المضيئة ، نسبت إلى الدَّر لبياضها ؛ واحدها دَرَرى ، ويموز كسر الهمزة ، مثل بحر لجى وليجى .

والنواقب : المضيئات . وتقول : أقبل ما أمرتك على أدلاله ، أى على وجهه ؛ ودعته فى أدلاله ؛ أى على حاله ، وأمور الله جارية على أدلالها ؛ أى على مجاريها وطرقها . يقول عليه السلام : كانت السماء أول ما خلقت غير منتظمة الأجزاء ، بل بعضها أرفع وبعضها أخفض ، فنظمها سبحانه ، فجعلها بسيطاً واحداً ، نظماً اقتضته القدرة الإلهية ؛ من غير تعليق ، أى لا كما ينظم الإنسان ثوباً مع ثوب ، أو عقداً مع عقد ، بالتمليق والتحيطة ، وألصق تلك الفروج والشقوق ، فجعلها جسماً متصلاً ، وسطحاً أملس لا تتوات فيه ولا فرج ولا صدوع ، بل جعل كل جزء منها ملتصقاً بمثله ، وذلك لللائكة المهابطين بأمره ، والصاعدين بأعمال خلقه . لأنهم الكعبة الحافظون لها . حُزونة المروج إليها ، وهو الصعود ثم قال : « ونادأها بعد إذ هي » روى بإضافة « بعد » إلى « إذ » وروى بضم « بعد » ، أى ونادأها بعد ذلك إذ هي دخان ؛ والأول أحسن وأصوب ، لأنها على الضم تكون دُخَاناً بعد نظامه رَهَوَات فروعها وملاحة صدوعها ؛ والحال تقتضى أن دخانها قبل ذلك لا يبدء .



فإن قلت: ما هذا النداء؟ قلت: هو قوله: ﴿أَنْتَبِهًا طَوَّعًا أَوْ كَرْهًا﴾<sup>(١)</sup>، فهو أمر في اللفظ ونداء في المعنى، وهو على الحقيقة كناية عن سرعة الإبداع. ثم قال: وفتق بعد الارتفاق صوامت أبوابها، هذا صريح في أن السماء أبوابا، وكذلك قوله: «على قبابها»، وهو مطابق لقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾<sup>(٢)</sup> والقرآن العظيم وكلام هذا الإمام العظيم أولى بالاتباع من كلام الفلاسفة، الذين أحالوا الخرق على الفلك. وأما إقامة الرصد من الشهب الثواقب، فهو نص القرآن العزيز: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرًّا شَدِيدًا وَضُحُبًا﴾<sup>(٣)</sup> وأنا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَيْهَابًا رَصَدًا<sup>(٤)</sup>: والقول بإحراق الشهب للشياطين اتباعا لنص الكتاب أولى من قول الفلاسفة الذين أحالوا الانقراض على الكواكب.

ثم قال: وأمسكها على الحركة بقوة، وأمرها بالوقوف فاستمسكت ووقفت. ثم ذكر الشمس والقمر تذكرة مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾<sup>(٥)</sup>.

ثم ذكر الحكم في جريان الشمس والقمر في مجراها تذكرة مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله: ﴿وَالْقَمَرَ قَدْرُ نَاهٍ مَنَازِلَ﴾<sup>(٧)</sup>، وقوله: ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْجُمُاعِ﴾<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) سورة فصلت ١١.
  - (٢) سورة الأعراف ٤٠.
  - (٣) سورة الجن ٩، ٨.
  - (٤) سورة الإسراء ١٢.
  - (٥) سورة يس ٢٨، ٢٩.
  - (٦) سورة يونس ٥.



ثم قال : « ثم خلق في جَوْهَا فَلَكُمَا » ، وهذا يقتضي أن الفلك غير السماء ، وهو خلاف قول الجمهور ، وقد قال به قائلون ، ويمكن أن تفسر ذلك إذا أردنا موافقة قول الجمهور بأنه أراد بالفلك دائرة معدل النهار ، فإنها الدائرة العظمى في الفلك الأعظم ، وهي في الاصطلاح النظرية تسمى قَلَكًا .

ثم ذكر أنه زين السماء الدنيا بالكواكب ، وأنها رجوم مستترقي السمع ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ • وَحِفْظًا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ • لَا يَسْمُومُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ • دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝ <sup>(١)</sup> ۝

ثم شرح حال الدنيا فقال : « من ثبات ثابتها » ، يعني الكواكب التي في كُرَّة البروج و « مسير سائرها » ، يعني النجمة والنيرين لأنها سائرة دائماً

ثم قال : « وصعودها وهبوطها » ، وذلك أن الكواكب السيارة صعوداً في الأوج ، وهبوطاً في الحضيض ، فالأول هو البعد الأبعد عن المركز ، والثاني البعد الأقرب .

فإن قلت : ما باله عليه السلام قال : « ونحوسها وسعودها » ، وهو الفائل لمن أشار عليه ألا يحارب في يوم مخصوص : « المنجم كالسكاهن ، والسكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار » ؟

قلت : إنه عليه السلام إنما أنكر في ذلك القول على من يزعم أن النجوم مؤثرة في الأمور الجزئية ، كالذين يحكمون لأرباب المواليد وعليهم ، وكن يحكم في حرب أو سلم ، أو سفر أو مقام ، بأنه للسعد أو النحس ، وأنه لم ينكر على من قال : إن النجوم تؤثر صعوداً ونحوساً في الأمور الكلية ، نحو أن تقتضي حرّاً أو برداً ، أو تدلّ على مرض عام



أو قحط عام ، أو مطر دائم ، ونحو ذلك من الأمور التي لا تخص إنسانا بعينه ، وقد قدمنا في ذلك الفصل ما يدل على تصويب هذا الرأي ، وإفساد ما عدها .

\*\*\*

الأفضل :

ومنها في صفة الملائكة :

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَوَاتِهِ ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، خَلْقًا بَدِيدًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، وَمَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا ، وَحَشَى بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَانِهَا ، وَبَيْنَ فِجَواتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ رَجُلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَفَازَةِ الْقُدُسِ ، وَسُتْرَاتِ الْحُجُبِ وَسُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيحِ الَّذِي تَسْتَكُ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبْحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا .

وَأَنشَأَهُمْ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ ، وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ ، أُولَى أَجْنِحَةٍ تَسْبِيحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ ، لَا يَذْنَحُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ ، وَلَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئًا مَعَهُ ، مِمَّا أَنْفَرَدَ بِهِ ؛ (بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ \* لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) <sup>(١)</sup> جَمَلَهُمْ اللَّهُ فِيهَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَهَصَّتَهُمْ مِنْ رَبِّ الشُّبُهَاتِ ، فَمَا مِنْهُمْ زَانِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ .

وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ ، وَأَشْمَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضَعِ إِخْبَاتِ السُّكِينَةِ ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابًا ذُلًّا إِلَى تَمَاجِيدِهِ ، وَنَعَسَ لَهُمْ مَنَارًا وَاضِحَةً عَلَى أَغْلَامِ تَوْحِيدِهِ ، لَمْ تُنْقَلِمُهُمْ مُوَاصِرَاتُ الْآثَامِ ، وَلَمْ تَرْتَحِمْنَاهُمْ عَقَبُ اللَّيَالِي وَالْأَبْيَامِ ، وَلَمْ تَزِمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ ، وَلَمْ تَمْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاوِدِ يَقِينِهِمْ ، وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِلْحَنِ فِيهَا بَيْدَهُمْ ، وَلَا سَلَبَتْهُمْ الْخَيْرَةُ مَا لَاقَتْ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ ، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ



وَهَيْبَةٍ جَلَالَةٍ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَفْتَرِعَ بِرَبِّهَا عَلَى فِكْرِهِمْ .

وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْأَعْيَانِ الدَّلُحِ ، وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّنْخِ ، وَفِي قُوَّةِ الظَّلَامِ الْأَيْهَمِ . وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَفْدَانُهُمْ نُحُومَ الْأَرْضِ الشُّغْلَى ؛ فَهِيَ كَرَابَاتٍ بَيْضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي تَحَارِقِ الْهَوَاءِ ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ ؛ قَدْ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ ، وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، وَقَطَعَتْهُمْ الْإِيمَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَةِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغْبَتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ .

قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ ، وَشَرِبُوا بِالسَّكَنِ الرَّوْبَةَ مِنْ مَحَبَّتِهِ ، وَتَمَسَّكَتْ مِنْ سُوْبِدَاوَاتِ قُلُوبِهِمْ وَشَيْبَعَةُ خَبِيقَتِهِ ، فَحَنُّوا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ ، وَلَمْ يُنْفِذْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَفَرُّعِهِمْ ، وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الرَّأْفَةِ رِبْقَ خُشُوعِهِمْ ، وَلَمْ يَتَوَلَّاهُمْ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ ، وَلَا تَرَكَتْ لَهُمْ أَسْكَاةُ الْإِجْلَالِ نَصِيبًا فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ . وَلَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُهُورِهِمْ ، وَلَمْ تَغِيضْ رَغْبَتُهُمْ فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسْلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ ، وَلَا مَلَكَتْهُمْ الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهِمْ الْجَوَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاسِكُهُمْ ، وَلَمْ يَذْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَتُهُمْ .

وَلَا تَعْدُو عَلَى عَزِيمَةِ جِدَّتِهِمْ بِلَادَةُ الْغَفَلَاتِ ، وَلَا تَلْتَخِضُ فِي هَمِيمِهِمْ خَدَائِعُ الشُّهَوَاتِ .

قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقِهِمْ ، وَيَمُوءُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْخُلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ ، لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ ، وَلَا يَرْجِعُ يَوْمَ الْإِسْتِمَارِ



يَلْزُومَ طَاعَتِهِ ، إِلَّا إِلَى مَوَادِّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرُ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَخَفَاتِهِ ، لَمْ تَنْقَطِعْ  
 أَسْبَابُ الشَّقَقَةِ مِنْهُمْ فَيَنْتَوُوا فِي جِدِّهِمْ ، وَلَمْ تَأْخِزْهُمْ الْأَطْمَاعُ فَيُؤْتِرُوا وَشَيْكَ السَّعْيِ  
 عَلَى أَجْتِهَادِهِمْ<sup>(١)</sup> . لَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَاضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ اسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ  
 أَرْجَاءَهُ مِنْهُمْ شَفَقَاتٍ وَجَلِيلِهِمْ ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ .  
 وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوهُ التَّقَاطُعِ ، وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ ، وَلَا تَشَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ  
 الرِّيبِ ، وَلَا أَقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْإِهْمِ ، فَهَمُّ أَسْرَاهُ إِيْمَانٍ لَمْ يَفْكَهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ  
 زَبْنٌ وَلَا عُذُولٌ ، وَلَا وَتَى وَلَا فُتُورٌ ، وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعٌ إِهَابٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ  
 مَلَكٌ سَاجِدٌ ، أَوْ سَاجِدٌ حَافِدٌ ، يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْمًا ، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ  
 رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَمًا .



مركز تحقيقات علوم و تاریخ اسلامی

الْبَرْخُ :

هذا موضع المثل : « إِذَا جَاءَ نَهْرُ اللَّهِ بَطَلَ نَهْرُ مَعْقِلٍ »<sup>(٢)</sup> ! إِذَا جَاءَ هَذَا الْكَلَامُ  
 الرَّبَّانِيَّ ، وَاللَّفْظُ الْقُدْسِيُّ ، بَطَلَتْ فَصَاحَةُ الْعَرَبِ ، وَكَانَتْ نِسْبَةُ الْفَصِيحِ مِنْ كَلَامِهَا إِلَيْهِ ،  
 نِسْبَةُ التَّرَابِ إِلَى النُّصَارِ الْخَالِصِ ؛ وَلَوْ فَرَضْنَا أَنَّ الْعَرَبَ تَقْدِرُ عَلَى الْأَلْفَاظِ الْفَصِيحَةِ الْمُنَاسِبَةِ ،  
 أَوْ الْقَارِبَةِ لِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ ، مِنْ أَيْنَ لَمْ يَلْمِ الْمَادَّةُ الَّتِي عَبَّرَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ عَنْهَا ؟ وَمِنْ أَيْنَ نَعْرِفُ  
 الْجَاهِلِيَّةَ بَلِ الصَّعَابَةِ الْمَعَاصِرُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَذِهِ لِلْمَعْنَى الْغَامِضَةِ السَّمَانِيَّةِ ؛  
 لِيَتَبَيَّنَ لَهَا التَّعْبِيرُ عَنْهَا ! أَمَّا الْجَاهِلِيَّةُ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا كَانَتْ تَظْهَرُ فَصَاحَتَهُمْ فِي صِفَةِ بَعِيرٍ أَوْ فَرَسٍ  
 أَوْ حِمَارٍ وَحَشٍّ ، أَوْ نَوْرٍ فَلَاةٍ ، أَوْ صِفَةِ جِبَالٍ أَوْ فُلُوتٍ ؛ وَنَحْوَ ذَلِكَ . وَأَمَّا الصَّعَابَةُ

(١) ج : في اجتهادهم .

(٢) نهر معقل : مضاف إلى معقل بن يسار بن عبد الله المزني ؛ ذكر ياقوت عن الواقدي أن عمر أمر  
 أبا موسى الأشعري أن يحفر نهراً بالبصرة وأن يجريه على يد معقل بن يسار ، فنسب إليه .



فالذكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة ، إنما في موعظة تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا ، أو ما يتعلق بحرب و قتال ؛ من ترغيب أو ترهيب ؛ فأما الكلام في اللائكة وصفاتها ، وصورها وعبادتها ، وتسبيحها ومعرفتها مخالفتها وحبها له ، وولمها إليه ، وما جرى مجرى ذلك مما تضمنه هذا الفصل على طوله ، فإنه لم يكن معروفًا عندهم على هذا التفصيل ؛ نعم ربما علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم ، ولا مرتبة هذا الترتيب ؛ بما سمعوه من ذكر اللائكة في القرآن العظيم ؛ وأما من عنده علم من هذه المادة ، كعبد الله بن سلام وأمية بن أبي الصلت وغيرهم ؛ فلم تكن لهم هذه العبارة ، ولا قدروا على هذه الفصاحة ، فثبت أن هذه الأمور الدقيقة في مثل هذه العبارة الفصيحة ، لم تحصل إلا لعلی وحده ؛ وأقسم أن هذا الكلام إذا تأمله اللبيب اقشعر جلده ، ورجف قلبه ، واستشعر عظمة الله العظيم في روعه وخلده ، وهام نحوه وغلب الوجد عليه ؛ وكاد أن يخرج من مُسْكِكِه شوقاً ؛ وأن يفارق هيكله صبايةً ووجداً .

ثم نعود إلى التفسير فنقول : *بمركزية تكوينا*

الصفیح الأعلی : صاح الفلک الأعظم ؛ ويقال لوجه كل شيء عريض : صفیح وصفحة .

والفروج : الأماكن الخالية والفجاج : جمع فجج ، والفجج : الطريق الواسع بين جبليْن أو حائطين وأجواثها : جمع جَوء ، وهو ما اتسع من الأودية ، ويقال لما بين السماء والأرض جَوء ، ويروى : « أجواها » ، جمع جَوءة ، وهي الفرجة في السحاب وغيره . ويروى : « أجوازاها » جمع جَوَز ، وهو وسط الشيء . والفجوات : جمع فجوة ، وهي الفرجة بين الشبثين ؛ تقول منه : تفاجى الشيء ، إذا صار له فجوة ، ومنه الفجاء ؛ وهو تباعد ما بين عُرْقَوَيْ البئر .

والزجل : الصوت . وحظائر القدس : لفظة وردت في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأصل « الحظيرة » ما يعمل شبه البيت للإبل من الشجر ليقى بها البرد ؛ فسمي عليه



السلام تلك المواطن الشريفة المقدسة العالية التي فوق الفلك حَظَائِرُ القدس ، والقدُسُ  
بنسكين الدال وضمها : الطهر ، والتقديس : التطهير ، وتقْدُس : تطهر . والأرض المقدسة  
المطهرة ، وبيت المقدس أيضا ، والنسبة إليه قُدْسِي ومقدسي . والسترات : جمع سترة .  
والرجيج : الزلزلة والاضطراب ؛ ومنه ارتج البحر . ونستك الأسماك : تنسذ ، قال النابغة :  
وَنُبُتْ خَيْرَ النَّاسِ أَنَّكَ لُمْتَنِي      وَتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُ مِنْهَا الْمَسَامُحُ <sup>(١)</sup>

سُبُحات النور ، بضم السين والباء : عبارة عن جلالة الله تعالى وعظمته . وترَدَع  
الأبصار تكفها . وخاسئة ، أى سادرة ، ومنه : ﴿ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ  
حَسِيرٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وخَسًا بصره ، خَسًا وخُسُوءًا ، أى سَدِر <sup>(٣)</sup> .

وقوله : « على حدودها » أى تقف حيث تنتهى قوتها ، لأن قوتها متناهية ؛ فإذا  
بلغت حدّها وقفت . وقوله : « أُولَى أُجْنَحَةٍ » من الألفاظ القرآنية <sup>(٤)</sup> .

وقوله : « لا ينتحلون مآظهم في الخلق من صنعه » ، أى لا يدعون الإلهية لأنفسهم ،  
وإن كان قوم من البشر يدعونها لهم . وقوله : « لا يدعون أنهم مخلوقون شيئاً معه مما انفرد به » ،  
فيه إشارة إلى مذهب أصحابنا فى أن أفعال المباد مخلوقة لهم ، لأن فائدة هذا التمسيد ، وهو  
قوله : « انفرد به » إنما تظهر بذلك .

وأما الآيات المقدسة ، فالرواية المشهورة « مُكْرَمُونَ » وقرئ : « مُكْرَمُونَ »  
بالتشديد ، وقرئ « لا يسبقونه » بالضم ، والمشهور القراءة بالكسر ، والمعنى أنهم يتبعون  
قوله ، ولا يقولون شيئاً حتى يقوله ، فلا يسبق قولهم قوله ، وأراد أن يقول : « لا يسبقونه  
بقولهم » ، فحذف الضمير المصاف إليه ، وأتاب اللام منابه

(١) دبراته ٥٢ ، وروايته : « أَنَانِي أَيْتُ الْعَيْنِ » .

(٢) سورة الملك ٤ . (٣) سدر : أى كل وأعابا .

(٤) من قوله تعالى فى سورة فالر : ﴿ جَاعِلِ الْعَلَانِيَةِ رَسُولًا أُولَى أُجْنَحَةٍ ﴾



ثم قال : « وهم بأمره يعملون » ؛ أى كما أن قولهم تابع لقوله ؛ فعملهم أيضا كذلك فَرَعٌ على أمره ، لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به ؛ وجاء فى الخبر المرفوع عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « أنه رأى جبرائيل ليلة المعراج ساقطا كالجلس من خشية الله » . والجلس : الكساء الخفيف .

والزائغ : العادل عن الطريق ، والإخبات : التذلل والاستكانة . وأبوأبا ذؤلا ، أى سهلة وطيئة ، ومنه : ذائبة ذؤل ؛ وتماجيده : الثناء عليه بالمجد . والمؤصيرات : المثقلات والإصر : الثقل .

وتقول : « ارتحلت » البعير ، أى ركبته ، والعقبة : التوبة ، والجمع عُقْب . ومعنى قوله : « ولم ترتحلهم عُقْب الليالى والأيام » . أى لم تؤثر فيهم نوبات الليالى والأيام وكروورها ، كما يؤثر ارتحال الإنسان البعير فى ظهره . ونوازعها : شهواتها النازعة الحركة ، وروى : « نوازعها » بالعين المعجمة ، من نَزَعَ بينهم ، أى أفسد . ولم تترك الظنون ، أى لم تزدحم الظنون على بقيتهم الذى عقدوه .

والإحن : جمع إحنة ، وهى الحقد ، يقول : لم تقطع قوادح الحقد فى ضائرهم . وملاق ، أى ما التصق ، وأثناء صدورهم : جمع رُئى وهى التضاعيف . والرئين : الدئس والغلبة ، قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وتفتزع ، من الاقتراع بالسهم ، بأن يتناوب كل من الوسوس عليها . ويروى : « فيفتزع » بالفاء ، أى تملو برئنها ، فَرَعَه ، أى علاه .

والغمام : جمع غمامة ، وهى السحابة . والدُّلَح : الثقال ، جاء يذُلح بجملة ، أى جاء مثقلًا به . والجبال الشُّمَخ : العالية الشاهقة .

وقوله : « فى فترة الظلام » ، أى سواده . والأيهم : لا يهتدى فيه ، ومنه

(١) سورة الطغين ٨٢ .



قَلَاةٌ يَهْمَاءُ . وَالتَّخُومُ ، بضم التاء : جمع تَحْمٌ وهو منتهى الأرض أو القرية ، مثل فُلُس وفُلوس ، ويروى : « تَخُوم » بفتح التاء على أنها واحد ، والجمع تَحْمٌ مثل صُبُور وصُبُر . وريح هَفَافَةٌ ؛ أى ساكنة طيبة ؛ يقول : كَانَ أَقْدَامُهُمُ الَّتِي خَرَقَتْ الْهَوَاءَ إِلَى حَضِيضِ الْأَرْضِ رَايَاتٍ بَيِضَ تَحْتِهَا رِيحٌ سَاكِنَةٌ لَيْسَتْ مُضْطَرِبَةٌ ؛ فتموج تلك الرايات ؛ بل هى ساكنة تحبسها حيث انتهت ، وجاء فى الخبر أن لإسرافيل جناحين أحدهما فى أقصى المشرق والآخر فى أقصى المغرب ، وأن العرش على كاهله ، وإنه ليتضاءل أحيانا لمظلة الله ، حتى يعود مثل الوضع وهو المصفور .

ثم ، قال : « قَدْ اسْتَغْرَقَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ تَعَالَى » أى جمعتهم فارغين إلا منها . ويروى : « وَوَسَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ » ، بالسین الشديدة ، يقال : وَسَّلَ فُلَانٌ إِلَى رَبِّهِ وَسِيلَةً ، والوسيلة ما يقترب به ؛ والجمع وسيل ووسائل ؛ ويقال : وَسَلْتُ إِلَيْهِ وَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ بِمَعْنَى .

مَرْكَزُ تَحْقِيقِ تَكْوِينِ طَرِيقِ سِيدِي

وسويداءات القلوب : جمع سويداء ؛ وهى حَبَّةُ الْقَلْبِ . والشجعة فى الأصل : عرق الشجرة ، وهى هنا استعارة . وَحَنَنْتُ ضَلْنِي ، أى عوجتها . وَالرَّبَقُ : جمع رِبْقَةٍ ؛ وهى الحبل .

قوله : « وَلَمْ يَتَوَلَّمُوا الْإِعْجَابَ » ؛ أى لم يستول عليهم . والدُّوب : الجذَّ والاجتهاد . وَالْأَسَلَاتُ : جمع أسلة ؛ وهى طرف اللسان ومستدقه ، والجوار : الصَّوْتُ المرتفع ، والهمس : الصوت الخفى ، يقول : أَيْسَتْ لَمْ أَشْغَالُ خَارِجَةً عَنِ الْعِبَادَةِ ، فَيَكُونُ لِأَجْلِهَا أَصْوَانُهُمُ الْمَرْتَقِعَةُ خَافِيَةً سَاكِنَةً . لَا تَعْدُو ، من كَدَا عَلَيْهِ ، إِذَا قَهَرَهُ وَظَلَمَهُ ، وَهُوَ هَاهُنَا اسْتِعَارَةٌ . وَلَا تَنْتَضِلُ الْخِدَائِعُ فِي هَمَمِهِمْ ؛ استعارة أيضا من النَّضَالِ ؛ وهو المراماة بالسهم . وَذُو الْعَرْشِ : هُوَ اللَّهُ تَعَالَى ؛ وَهَذِهِ لَفْظَةٌ قُرْآنِيَّةٌ ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِذَا لَا يَتَذَكَّرُونَ إِلَّا إِلَى ذِي الْعَرْشِ ﴾



سَبِيلًا» (١) . بمعنى لا تبغوا إلى الله تعالى سبيلا . وقال تعالى : ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۖ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ ﴾ (٢) ، والاستهتار : مصدر استهتر فلان بكذا ، أى لازمه وأولع به .

وقوله : « فَيَتَوَا » أى فيضعفوا ؛ ونى : ينى . والجدة : الاجتهاد والانكماش . ثم قال : إنهم لا يستعظمون عبادتهم ، ولو أن أحداً منهم استعظم عبادته لأذهب خوفه رجاءه الذى يتولد من استعظام تلك العباداة ؛ بصفتهم بعظم التقوى .

والاستحواذ : الغلبة ، والفيل : الحقد ، وتشعبتهم : تقسمتهم وفرقتهم ؛ ومئة قيل للمنية شعوب ، أى مفرقة . وأخياف الهم ، أى الهم المختلفة ؛ وأصله من الخيف ؛ وهو كعمل إحدى العينين دون الأخرى ؛ ومنه المثل : الناس أخياف ؛ أى مختلفون ، والإهاب : الجلد . والخافد : الممرع ؛ ومنه الدعاء : اللهم إليك أسعى ونحيد .

واعلم أنه عليه السلام إنما كثر وأكث صفاتهم بما وصفهم به ؛ ليكون ذلك مثالا يحتذى عليه أهل العرفان من البشر ؛ فإن أعلى درجات البشر أن يشبه بالملك ، وخلاصة ذلك أمور :

منها العبادة القائمة .

ومنها ألا يدعى أحد لنفسه الحول والقوة ، بل لاحول ولا قوة .

ومنها أن يكون متواضعا ذا سكون ووقار .

ومنها أن يكون ذا يقين لا تقدح فيه الشكوك والشبهات .

ومنها ألا يكون فى صدره إحنة على أحد من الناس .

ومنها شدة التظيم والهيبة لخلاق الخلق ، تبارك اسمه .

ومنها أن تستفرغه أشغال العبادة له عن غيرها من الأشغال .

(١) سورة الإسراء ٢٢ .

(٢) سورة البروج ١٥ ، ١٦ .



ومنها أنه لا تتجاوز رغبته مما عند الله تعالى إلى ما عند غيره سبحانه .  
ومنها أن يعقد ضميره وقلبه على محبة الله تعالى ، ويشرب بالكأس الروية من حبه .  
ومنها عظم التقوى بحيث يأمن كل شيء عدا الله ، ولا يهاب أحداً إلا الله .  
ومنها الخشوع والخضوع والإخبات والذل لجلال عزته سبحانه .  
ومنها ألا يستكثر الطاعة والعمل ، وإن جَلَّ وعَظُم .  
ومنها عظم الرجاء الواقع في مقابلة عظم الخوف ؛ فإن الله تعالى يحب أن يُرجى ،  
كما يحب أن يخاف .

\*\*\*

### [ أبحاث تتعلق بالملائكة ]

واعلم أنه يجب أن تعلم أبحاث متعددة تتعلق بالملائكة ويقصد فيها قصد حكاية  
المذهب خاصة ، ونكل الاحتجاج والنظر إلى ما هو مذكور في كتبنا الكلامية .  
البحث الأول في وجود الملائكة ، قال قوم من الباطنية : السبيل إلى إثبات الملائكة  
هو الحسن والمشاهدة ؛ وذلك أن الملائكة عند أهل الباطن .

وقالت الفلاسفة : هي العقول المفارقة ؛ وهي جواهر مجردة عن المادة لا تعلق لها  
بالأجسام تدبرها ، واحترزوا بذلك عن النفوس ؛ لأنها جواهر مفارقة إلا أنها تدبر  
الأبدان ، وزعموا أنهم أثبتوها نظرا .

وقال أصحابنا المتكلمون : الطريق إلى إثبات الملائكة الخبر الصادق المدلول على  
صدقه ؛ وفي المتكلمين من زعم أنه أثبت الملائكة بطريق نظري ؛ وهو أنه لما وجد  
خلقاً من طين وجب في العقل أن يكون في المخلوقات خلق من الهواء وخلق من النار  
فالخلق من الهواء هو الملك ، والخلق من النار الشيطان .



البحث الثاني في بنية الملائكة ، وهيئة تركيبهم ، قال أصحابنا المتكلمون : إن الملائكة أجسامٌ لطاف ، وليسوا من لحم ودم وعظام ، كما خلق البشر من هذه الأشياء . وقال أبو حفص العمود القرينسي من أصحابنا : إن الملائكة من أجسام من لحم وعظم : إنه لا فرق بينهم وبين البشر ؛ وإنما لم يروا لبعده المسافة بيننا وبينهم .

وقد تبينه على هذا القول جماعة من معتزلة ما وراء النهر ، وهي مقالة ضعيفة لأن القرآن يشهد بخلافه في قوله : ﴿ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ <sup>(١)</sup> ﴾ ، وقوله : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ <sup>(٢)</sup> ﴾ ؛ فلو كانوا أجساما كثيفة كأجسامنا لرايناهم .

\*\*\*

البحث الثالث في تكليف الملائكة ، حكى عن قوم من الحشوية أنهم يقولون : إن الملائكة مضطرون إلى الله جميع أفعالهم ، وليسوا مكلفين .

وقال جمهور أهل النظر : إنهم مكلفون .

وحكى عن أبي إسحاق النظام ، أنه قال : إن قوماً من المعتزلة قالوا : إنهم جبروا على الطاعة لخالفه خلقهم حلقة المكلفين ، وأنهم قالوا : لو كانوا مكلفين لم يؤمن أن يعصوا فيما أمروا به ، وقد قال تعالى : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ <sup>(٣)</sup> ﴾ .

وقال قوم : إن أكثر الملائكة مكلفون ، وأن فيهم من ليس بمكلف بل هو مستخر للملائكة المكلفين ، كما أن في الحيوانات ما هو غير مكلف ، بل هو مستخر للبشر ومخلوق لمصالحهم .

قالوا : ولا ننكر أن يكون الملائكة الذين ذكر منهم أنهم غاظ الأجسام وعظم الخلق والتركيب بحيث تبلغ أقدامهم إلى قرار الأرض ؛ قد جعلوا عمداً للسموات والأرض ؛ فهم

(٢) سورة الزخرف ٨٠ .

(١) سورة النجم ٦ .

(٣) سورة في ١٧ .



يحملونها بمنزلة الأساطين التي تحمل السقوف العالية ولم يرشحوا لأمر من الأمور سوى ذلك .

\*\*\*

البحث الرابع : فيما يجوز من الملائكة وما لا يجوز ؛ قال شيخنا أبو القاسم : حكى أبو الحسن الخياط عن قدماء المعتزلة ، أنه لا يجوز أن يعصى أحد من الملائكة ؛ ولم يذكر عنهم علة في ذلك .

وقال قوم : إنهم لا يعصون ، ولا يجوز أن يعصوا ؛ لأنهم غير مطيعين الشهوة والغضب ، فلا داعي لهم إلى المعصية ؛ والفاعل لا يفعل إلا بداعٍ إلى الفعل .

وقال قوم : إنهم لا يعصون ، لأنهم يشاهدون من عجائب صنع الله وآثار هيئته ما يهرمهم عن فعل المعصية والقصد إليها ، وكذلك قال تعالى : ﴿ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وقال قوم : إنما لم يجوز أن يعصوا ، لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم لا يعصون ، ولا ينكر مع ذلك أن يكون منهم من يتغير حاله ويتبدل بها حالة أخرى ويعصى ، على ماورد من خبر الملوكين بيابل ، وخير إبليس ، وإنما يسلب عنهم المعصية ماداموا على حالهم التي هي عليها .

وقال شيخنا أصحاب أبي هاشم رحمه الله تعالى : إن المعصية تجوز عليهم ، كما تجوز علينا ، إلا أن الله تعالى علم أن لهم ألقافا يتمتعون معها من القبيح أفعالها ، فامتنعوا من فعل القبيح اختيارا ، فكانت حالهم كحال الأنبياء من البشرية قدرون على المعصية ولا يفعلونها ،

(١) سورة الأنبياء ٢٨ .



اختياراً من أنفسهم باعتبار الألفاظ المقبولة لهم ، ولو كان لإبليس أو فرعون أو عمرو  
اللطاف يعلم الله تعالى إذا فعلها فاعلموا الواجب ، وامتنعوا من فعل القبيح لفعلها بهم ، ولكانوا  
معصومين كالأنبياء والملائكة ، لكنه تعالى علم أنهم لا يؤمنون ولو فعل مهما فعل ، فلا  
لطف في المعلوم ، وهذا عندهم حكم عام لجميع المكلفين من الإنس والجن والملائكة .

\*\*\*

البحث الخامس في أن أى القبيلين أفضل : الملائكة أو الأنبياء ؟ قال أصحابنا : نوع  
الملائكة أفضل من نوع البشر ، والملائكة المقربون أفضل من نوع الأنبياء ، وليس كل  
ملك عند الإطلاق أفضل من محمد صلى الله عليه وآله ، بل بعض المقربين أفضل منه ،  
وهو عليه السلام أفضل من ملائكة أخرى غير الأولين ، والمراد بالأفضل الأكثر ثواباً ،  
وكذلك القول في موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء . والذي يحكيه قوم من أرباب  
المقالات أن المعتزلة ، قالوا : إن أدنى ملك في السماء أفضل من محمد صلى الله عليه وآله ليس  
بصحيح عنهم .

وقال أهل الحديث والأشعرية : إن الأنبياء أفضل من الملائكة .

وقال الشيعة : الأنبياء أفضل من الملائكة ، والأئمة أفضل من الملائكة .

وقال قوم منهم ومن الحشوية : إن المؤمنين أفضل من الملائكة .

\*\*\*

البحث السادس في قدم الملائكة وحدوثهم ، أما الفلاسفة القائلون بأنهم العقول  
المفارقة ، فإنهم يذهبون إلى قدم الملائكة .

وقال غيرهم من أهل الملل : إنهم محدثون .

وقال قوم من متأخري الحكماء : إن نفوس البشر إذا فارقت الأبدان بالموت بقيت  
قائمة بأنفسها غير مدبرة لشيء من الأبدان ، فإن كانت خيرة صالحة فهي الملائكة ،



وإن كانت شَريرة رديئة الجوهر فهي الشياطين؛ فالملائكة عندهم مَحْذُونٌ؛ وعندهم أن هذه النفوس تساعد نفوساً أخرى متعلقة بتدبير الأبدان، إما على الخير أو على الشر، فما ينسب في الكتب الإلهية إلى إغواء الشياطين للناس وإضلالهم، فالمراد به تلك النفوس الشريرة، وما ينسب فيها إلى إعانة الملائكة لهم على الخير والصلاح، فالمراد به تلك النفوس الخيرة.

\*\*\*

البحث السابع في إبليس، أهو من الملائكة أو ليس منها؟ قال شيخنا أبو عثمان وجماعة من أصحابنا: إنه من الملائكة، ولذلك استثناه الله تعالى، فقال: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَتَّجَمُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ <sup>(١)</sup> ﴾ وقال قوم: إنه كان من الملائكة بدلالة هذه الآية، لكن الله مَسَّخَهُ حيث خالف الأمر، فهو بعد المسخ خارج عن الملائكة، وقد كان قبل ذلك مَلَكًا، قالوا: ومعنى قوله: ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ أي من خزائن الجنة، وروى ذلك عن ابن عباس، قالوا: ويحمل على معناه أنه صار من الجن، فيكون «كان» بمعنى «صار» كقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ نُنَكِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ <sup>(٢)</sup> أي مَنْ صار، لأنها لو كانت «كان» على حقيقتها، لوجب ألا يكلم بعضهم بعضاً، لأنهم كانوا صبياناً في المهد.

قالوا: ومعنى صيرورته من الجن صيرورته ضالاً، كما أن الجن ضالون، لأن الكفار بعضهم من بعض، كما قال تعالى: ﴿ وَالْمَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ <sup>(٣)</sup>.

(١) سورة م ٧٣ ، ٧٤ .

(٢) سورة مريم ٢٩ .

(٣) سورة التوبة ٦٩ .



وقال معظم أصحابنا : إن إبليس ليس من الملائكة ، ولا كان منها ، وإنما استثناه الله تعالى منهم ، لأنه كان مأمورا بالسجود معهم ، فهو مستثنى من عموم المأمورين بالسجود ، لامن خصوص الملائكة .

• • •

البحث الثامن في هاروت وماروت ، هل هما من الملائكة أم لا ؟ قال جمهور أصحابنا : إنهما من الملائكة ، وإن القرآن العظيم قد صرح بذلك في قوله : ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وإن الذي أنزل عليهما هو علم السحر ، ابتلاء من الله تعالى للناس ، فمن تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ، ومن تجنبه أو تعلمه لا يعمل به ولكن ليتوقاه كان مؤمنا : قالوا : وما كان هذان اللذان يعلمان أحدا حتى ينباه وينباه وينصحاء ، ويقولان له : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ ، أي ابتلاء واختبار من الله ، ﴿ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ ، ولا تعلمه معتقدا أنه حق .  
وحكى عن الحسن البصري أن هاروت وماروت علجان أفلقان من أهل بابل ، كانا يعلمان الناس السحر ، وقرأ الحسن : ﴿ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ ﴾ ، بكسر اللام .

وقال قوم : كانا من الملائكة ، فعصيا الله تعالى بالحنيف في الحكومة ، وقد كان استقضاهما في الأرض ، وركب فيهما الشهوة والغضب ، على نحو ما ركب في البشر ، امتحانا لهما ، لأنهما قد كانا عبرا للبشر بالمعصية ، فلما عصيا حبسهما الله تعالى وعاقبهما بعذاب معجل ، وألهمهما كلاما إذا تسكلا به سكن بعض ما بهما من الألم ، وإن السحرة يستمعون ذلك الكلام فيحفظونه ، ويفرقون به بين المرء وزوجه ، فإنهما يتقدمان إلى من يحضرهما عندما يشكلمان بالزجر عن العمل بذلك الكلام ، ويقولان : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ



فِتْنَةً فَلَا تَسْكُرُ) ، وهما لم يكفرا ، ولا دُعُوا إِلَى السَّحَر ؛ وإن عذابهما سيقطع وقد جاء في الأخبار ما يوافق هذا .

وقال قوم من الحشوية : إنهما شربا الخمر وقتلا النفس ، وزنيا بامرأة اسمها «باهيد» فسخت ؛ وهى الزهرة التى فى السماء .

\*\*\*

### الأصل :

ومنها فى صفة الأرض ودحوها على الماء :

كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُتَمَجِّجَةٍ ، وَجَلَجَ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ ، تَلْتَلِمُ أَوَادِي أَمْوَاجِهَا ، وَتَصْطَلِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا ، وَتَرْغُو زَبْدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا ، فَخَضَعَ جَوَّاحُ الْمَاءِ التَّلَاطِيمَ لِثِقَلِ ثَمَلِهَا ، وَسَكَنَ هَيْجُ أَرْغَمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكُلْكِهَا ، وَذَلَّ مُسْتَحْذِبًا إِذْ تَمَكَّتْ عَلَيْهِ بِكُؤَاهِهَا ؛ فَاصْبَحَ بَعْدَ اضْطِحَابِ أَمْوَاجِهِ سَاحِيًا مَقْهُورًا ، وَفِي حَكْمَةِ الذَّلِّ مُنْقَادًا أُسِيرًا ، وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَذْحُورَةً فِي ثُلَّةِ نَبَارِهِ ، وَرَدَّتْ مِنْ تَحْوَةٍ بَأْوِهِ وَأَغْثَلَائِهِ ، وَثُمُوخِ أَنْفِهِ وَثُمُورِ غُلَوَائِهِ ، وَكَمَمَتُهُ عَلَى كِفْظَةِ جَرَبَتِهِ ، فَهَمَدَ بَعْدَ تَرْقَاتِهِ ، وَلَبَدَ بَعْدَ زَيْفَانٍ وَثْبَانِهِ .

فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْثَافِهَا ، وَحَلَّ شَوَاقِقُ الْجِبَالِ الشَّمْعَ الْبُذْخِ عَلَى أَكْثَافِهَا ، فَجَرَّ بِنَابِيحِ الْعُيُونِ مِنْ عَرَائِنِ أَنْوْفِهَا ، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبٍ بِيْدِهَا وَأَخَادِيدِهَا ، وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَّاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا ، وَذَوَاتِ الشَّفَاطِيخِ الشَّمْعِ مِنْ صَيَاحِيدِهَا ، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمِيدَانِ لِرُسُوبِ<sup>(١)</sup> الْجِبَالِ فِي قِطْعِ أَدِيمِهَا ، وَتَمَلَّنْطَلِمًا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوَابَاتِ خِيَاشِيمِهَا ، وَرُكُوبِهَا أَغْنَاكَ سُهُولِ الْأَرْضَيْنِ وَجَرَائِيمِهَا ، وَفَسَحَ

(١) غطوطة النهج : « برسوب » .



بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنَهَا ، وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُنْتَهَمًا لِسَاكِنِهَا ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا .

ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِهَا ، وَلَا تَجِدُ جَدَاوِلَ الْأَشَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا ، حَتَّى أَنْشَأَهَا نَاشِئَةً سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا ، وَتُسَخِّرُ نَبَاتَهَا ؛ أَلْفَ عَظَمَاءَ بَعْدَ أَفْتِرَاقِ لُحْمِهِ ، وَتَبَايُنِ قَزَعِهِ ، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمَزْنِ فِيهِ ، وَالتَّمَعَ بَرَقُهُ فِي كَفِّهِ ، وَلَمْ يَنْمِ وَمِضُّهُ فِي كَنْهَوْرِ رَبَابِهِ ، وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ ، أَرْسَلَهُ سَحَابًا مُتَدَارِكًا ، قَدْ أَسَفَ هَيْدَبُهُ ، يَمْرَى الْجَنُوبِ دِرَرَ أَهَاضِيهِ ، وَدَفَعَ شَايِيهِ .

فَلَمَّا أَلْقَتْ السَّحَابُ بَرَكَ يَوَاسِيَهَا ، وَبَعَاغَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعَبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا ، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ ، وَمِنْ زُغْرِ الْجِبَالِ الْأَغْشَابَ ، فَهِيَ تَنْهَجُ بِزِينَةِ رِياضِهَا ، وَتَزْدَهِي بِعَا أَلْبَسَتْهُ مِنْ رِبْطِ أَزَاهِيرِهَا ، وَحِلْيَةِ مَا سِطَّتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا ، وَجَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغًا لِلْأَنْعَامِ ، وَرِزْقًا لِلْأَنْعَامِ ، وَخَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا ، وَأَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا .

\*\*\*

## الْبَرْخُ :

كَبَسَ الْأَرْضَ ، أَيْ أَدْخَلَهَا فِي الْمَاءِ بِقُوَّةٍ وَاعْتِمَادٍ شَدِيدٍ ؛ وَيُقَالُ لَضَرْبِ مِنَ التَّمْرِ : الْكَبْسُ ؛ لِأَنَّهُ يَكْبَسُ حَتَّى يَنْرَاحَ . وَالْمُورُ : مَصْدَرُ « مَار » أَيْ ذَهَبَ وَجَاءَ . وَمُسْتَفْعِلَةٌ : هَانِجَةٌ هَيَّجَانُ الْفَعُولِ . وَاسْتَفْعَلَ الْأَمْرُ : تَفَاقَمَ وَاسْتَدَّ . وَزَاخَرَةُ ، زَخَرَ الْمَاءُ أَيْ امْتَدَّ جَدًّا وَارْتَفَعَ .

وَالْأَوَادِي : جَمْعُ آذَى ؛ وَهُوَ الْمَوْجُ وَتَصْطَفِقُ : يَضْرِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا . وَالْأَثْبَاجُ هَاهُنَا :



أعلى الأمواج ، وأصل الشَّيْح : ما بين السكاهل إلى الظاهر ؛ فنقل إلى هذا الموضع استمارة  
وترغو : نصوت صررت البعير ، والرغاء : صوت ذات الخلف ؛ وفي المثل : « كفى  
برغائها مناديا » ؛ أى أن رغاء بعير المضيف يقوم مقام نداءه للضيافة والقرى . وزبدا  
على هذا منصوب بفعل مقدر ؛ تقديره : وترغو فاذنة زبدا ، والزبد : ما يظهر فوق  
السَّيْل ؛ يقال : قد أزيد البحر والسَّيْل ، وبحر مُزِيد ؛ أى ما لم يقذف بالزبد . والفجول  
عند هياجها ؛ فجول الإبل إذا حاجت للضَّرَاب .

وجاح الماء : صعوده وعلَيَّانه ، وأصله من جاح الفرس ، وهو أن يمز فارسه ويقلبه .  
والجوح من الرجال : الذى يركبُ هواه فلا يمكن رده . وخضع : ذل . وهيج الماء :  
اضطرابه ، هاج هيجاً وهياجا وهيجانا ؛ واحتاج ، ونهيج ، كله بمعنى ، أى ثار ، وهاجه  
غيره ، يمدى ولا يمتدى . وهيج ارتعاشه ، بمعنى تقاذفه وتلاطمه ، يقال ارتعى القومُ  
بالسَّهام وبالحجارة ارتعاشاً . وكنكاهم : صدرها ؛ وجاء كلكل : كلكا : ورعاً جاء  
في ضرورة الشعر مشدداً ، قال :

كَانَ مَهْوَاهَا عَلَى الْكَكَلِ مَوْضِعُ كَفِّي رَاهِبٍ مُصَلٍّ<sup>(١)</sup>

والستخذي : الخاضع ؛ وقد يهمز . وقيل لأعرابي في مجلس أبي زيد : كيف تقول :  
استخذأت ؟ ليقترف منه الهمة . فقال : العرب لا تستخذي ، وهمز ؛ وأكثر ما يستعمل  
مليئاً ؛ وأصله من خذا الشيء يحذو وخذوا ، أى استرخى ؛ ويجوز خذي ، بكسر الهمزة ، وأذن  
خذوا ؛ بيانه الخذاء ، أى مسترخية .

وتتمسكت : تمرغت ؛ مستعار من تمسكت الدابة في الأرض ؛ وقالوا : تمسكتُ الأديم ،  
أى دلكته<sup>(٢)</sup> . وكواهلها : جمع كاهل ؛ وهو ما بين الكتفين ، ويسمى الحارِك .

(١) الرجز لثعلب بن مرثد الأسدي ، اللسان ١٤ : ١١٧ . (٢) ب : « ذلك » .



واصطخب أمواجه : افتعل من الصَّخَب ؛ وهو الصياح والجأبة ، يقال : صخب الرجلُ فهو صخبان ، واصطخب ، افتعل منه ؛ قال :

• إن الضفادع في القُدران نَصْطَخِبُ<sup>(١)</sup> •

والساجي : الساكن : والحكمة : ما أحاط من اللجام بحنك الدابة ؛ وكانت العرب تتخذها من القيد والأبق ؛ لأن الزينة لم تكن قصدهم ، قال زهير :

القائد الخيلَ منكوباً دوابِرها قد أحكت حَكَمَاتِ القِدِّ والأَبَقِ<sup>(٢)</sup>

واستعار الحكمة هاهنا ، فجعل للذات حكمة ينفذ لئلا بها ويذل إليها .

ومدحوة : مبدوحة ، قال تعالى : ﴿ وَأَلْأَرْضُ بَدْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾<sup>(٣)</sup> . ويجوز أن تكون

« مدحوة » هاهنا بمعنى مقذوفة مرمية ؛ يقال : دحوت الحصاة أي قذفتها ؛ ويقال لللاعب الجوز : ادح وأبعد المدى . والنيار : أعظم الموج . واجته : أعمره والبأو : السكبر والفخر ؛ تقول : بأرتُ على القوم أبأى بأوا ، قال حاتم :

فَمَا زَادَنَا بِأَرَأَى عَلَى ذِي قَرَابَةٍ غِنَانًا وَلَا أَزْرَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ<sup>(٤)</sup>

وهذا الكلام استعارة ؛ يقال : كسرت الأرض سورة الماء الجامع كما تكسر سورة بأو الرجل المنكبر المفتخر . والاعتلاء : التيه والتكبر . والشموخ : العلو ، مصدر شمخ بأنفه أي تكبر ، والجبال الشوامخ : الشاهقة والسمو : العلو ، وسمو غلوانه أي غلوه وتجاوزته الحد .

(١) اللسان ٢ : ١٠ من غير نسبة .

(٢) ديوانه ٤٩ ، والأبق : شبه الكنان .

(٣) سورة النازعات ٣٠ .

(٤) ديوانه ١١٩ .



وَكَمَّئِنَّهُ ، أى شَدَّتْ فيه لِمَا هَاجَ ، من الكِمَامِ وهو شئٌ يجعل في قَمِّ البعير ،  
وبعير مَكْعُوم .

والكِظَّة : الجهد والثقل الذى يعترى الإنسان عند الامتلاء من الطعام ، يقول :  
كَمِيتَ الأرض الماء حال كونه مكظوظا أشدَّ امتلائه وكثرتِه وازدحام أمواجه . فهمد  
أى سكن ، همدت النارُ تهْمُدُ ، بالضم هودا ، أى طمئت وذهبت البتة . والحمود دون  
الحمود . والنزقات : الخفة والطيش ، نَزَقَ الرجل بالكسر ، يَنْزِقُ نَزَقًا . والنزقات :  
الدهفات من ذلك .

وَابَدَ الشئُ بالأرض يَلْبُدُ ، بالضم لبودا ، أى لصق بها ساكنا . والزَّيْفَان :  
التيختري المشى ، زاف البعيرُ يزيف ، والزيفُ من الثوق المختالة ، وروى : « وَلَبَدَ  
بعد زَفْيَان وثباته » ، والزَفْيَان : شدة هبوب الريح ، يقال زَفَّتْهُ الرِّيحُ زَفْيَانًا ، أى  
طردته ، وناقية زَفْيَان : سريعة ، وقوس زَفْيَان : سريعة الإرسال للسهم . وأكنافها :  
جوانبها ، وكنا الطائر جناحاه ، ويقال صِلَا مُكَنَّفٌ <sup>(١)</sup> ، أى أحيط به من جوانبه ،  
وتكففه القوم واكتنفوه أحاطوا به .

والجبال الشواهي : العالية ، ومثله البُدُخ . والعِرْنَيْنِ أَوَّلُ الأنف تحت مجتمع  
الحاجبين . والينابيع : جمع يُنبوع ، وهو ما انفجر من الأرض عن الماء . والشُّهوب :  
جمع سَهْب ، وهو الفلاة . واليَبَد : جمع بَيْدَاء ، وهى الفلاة أيضا .

والأخاديد : جمع أخدود ، وهو الشق فى الأرض ، قال تعالى : ﴿ قَتَلَ أَصْحَابُ  
الْأَخْدُودِ ﴾ <sup>(٢)</sup> . والراسيات : الثقال . والشناخيب : رموس الجبال . والشَّم : العالية ،  
والجلاميد : الصخور ، واحدها جَلُود . والصياخيد : جمع صَيَخُود ، وهى الصخرة الصلبة .

(١) الصلا : الرقود ، أو النار . (٢) سورة البروج ٤ .



وَالْمَيْدَانِ : التَّحَرُّكُ وَالاضْطِرَابُ ، وَمَادَ الرَّجُلَ يَمِيدُ أَيُّ تَبَخُّرًا . وَرَسُوبُ الْجِبَالِ : نُزُولُهَا  
رَسَبَ الشَّيْءُ فِي الْمَاءِ ، أَيُّ سَقُلَ فِيهِ ، وَسَيْفُ رَسُوبٍ : يَنْزِلُ فِي الْعِظَامِ .

وقوله : « فِي قِطْعٍ أَدِيمٍ » جَمْعُ قِطْعَةٍ ، يَرِيدُ فِي أَجْزَائِهَا وَأَبْجَاضِهَا . وَيُرْوَى فِي  
« قِطْعٍ أَدِيمٍ » ، بِضَمِّ الْقَافِ وَفَتْحِ الطَّاءِ ، جَمْعُ قِطْعَةٍ وَهِيَ الْقِطْعَةُ مَفْرُوزَةٌ <sup>(١)</sup> مِنْ  
الْأَرْضِ ، وَحَكَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ وَرِثْتُ مِنْ أَبِي قِطْعَةً . وَيُرْوَى : « فِي قِطْعٍ أَدِيمٍ » ،  
بِسُكُونِ الطَّاءِ ، وَالْقِطْعُ : طَائِفَةُ الرِّجْلِ ، فَنَقَلَ ذَلِكَ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ اسْتِمَارَةً ، كَأَنَّهُ جَعَلَ  
الْأَرْضَ نَاقَةً ، وَجَعَلَ لَهَا قِطْعًا ، وَجَعَلَ الْجِبَالَ ثَابِتَةً فِي ذَلِكَ الْقِطْعِ .

وَأَدِيمُ الْأَرْضِ : وَجْهَهَا وَظَاهِرُهَا . وَتَفَاعُلُ الْمَاءِ فِي الشَّجَرِ : دُخُولُهُ وَتَحَلُّلُهُ فِي أَصُولِهِ .  
وَعَرُوقُهُ مَنَسْرَبَةٌ ، أَيُّ دَاخِلَةٌ ، تَسْرَبُ الثَّلَبُ أَيُّ دَخَلَ التَّسْرَبُ ، وَجَوَابَاتُ : جَمْعُ جَوَابَةٍ  
وَهِيَ الْفَرْجَةُ فِي جَبَلٍ أَوْ غَيْرِهِ . وَخَيَاشِيْهَا : جَمْعُ خَيْشُومٍ وَهُوَ أَقْصَى الْأَنْفِ ، وَتَقُولُ :  
خَشِمْتُ الرَّجُلَ خَشْمًا ، أَيُّ كَسَرْتُ خَيْشُومَهُ . وَجَرَائِيْهَا : جَمْعُ جَرَاوِمَةٍ ، وَهِيَ أَصْلُ  
الشَّجَرِ . وَفَسَحَ : أَوْسَعَ . وَمَتَنَسَّمًا ، بِمَعْنَى مَوْضِعِ النَّسِيمِ . وَالْأَرْضُ الْجُرُزُ الَّتِي لَا نَبَاتَ  
فِيهَا لَا تَقْطَاعُ الْمَطَرُ عَنْهَا ، وَهَذِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ <sup>(٢)</sup> . وَالرَّوَايُ : التَّلَاعُ وَمَا عَلَا مِنْ  
الْأَرْضِ . وَالْجُدَاوِلُ : الْأَنْهَارُ الصَّغِيرَاتُ ، جَمْعُ جَدُولٍ . وَالذَّرِيْعَةُ : الْوَصْلَةُ .

وَنَاشِئَةُ سَحَابٍ : مَا يَبْتَدِئُ ظُهُورَهُ . وَالْمَوَاتُ ، بِفَتْحِ الْمِيمِ : الْفَقْرُ مِنَ الْأَرْضِ ،  
وَاللَّمْعُ : جَمْعُ لَمْعَةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ السَّحَابِ أَوْ غَيْرِهِ . وَتَبَايَنَ قَرْعُهُ ، الْقَرْعُ : قِطْعٌ مِنْ  
السَّحَابِ رَقِيقَةٌ وَاحِدُهَا قَرْعَةٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « مَفْرُوزَةٌ » ، تَصْغِيفٌ ، وَانْظُرِ اللَّسَانَ ( قِطْعٌ ) .

(٢) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ ٢٧ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ

فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا ۝ .



## • كَانَ رِعَالَهُ قَزَعُ الْجَهَامِ (١) •

وفي الحديث «كانهم قزع الخريف» (٢). وتباينها: افتراقها. وتمخضت: تحركت بقوة، يقال: تمخض الابن إذا تحرك في الممخضة، وتمخض الولد: تحرك في بطن الحامل، والماء في «فيه» ترجع إلى المزن، أي تحركت لجة المزن في المزن نفسه، أي تحرك من السحاب وسطه وتبعه. والتمع البرق ولمع أي أضاء، وكفقه: جمع كفه. والكفة كالدارة تكون في السحاب. وكان الأصمى يقول: كل ما استطال فهو كفة بالضم؛ نحو كفة الثوب؛ وهي حاشيته وكفة الرمل، والجمع كفاف، وكل ما استدار فهو كفة بالكسر؛ نحو كفة الميزان، وكفة الصائد وهي حبالته، والجمع كفف. ويقال أيضا: كفة الميزان بالقفتح. والوميض: الضياء واللمعان.

وقوله: «لم يمْ» أي لم يفتر ولم يقطع، فاستعار له لفظة النوم. والكثور: العظيم من السحاب. والرباب: الغمام الأبيض، ويقال: إنه السحاب الذي تراه كأنه دون السحاب، وقد يكون أبيض، وقد يكون أسود، وهو جمع، والواحدة ربابة، وبه سميت المرأة الرباب. والمترام: الذي قد ركب بعضه بعضاً، واليم بدل من الباء. وسحاً: صهاً، وسحابة سحوح، وتسحسح الماء: سال، ومطر سحساح، أي يسح شديداً. ومتدارك: يلحق بعضه بعضاً من غير انقطاع. وأسف: دنا من الأرض. وهيدبه: ما هذب منه، أي تدلى كما يتدلى هذب العين على أشجارها. وتمرى الجنوب، وهو بمعنى يحلب ويستدر، ويروى «تمرى به الجنوب» على أن بعدى الفعل إلى المفعولين، كما تقول حلبت الناقة لبناً. ويروى: «تمرى الجنوب» وهو بمعنى تمرى، من مربت القرص وامتريته، إذا استخرجت بالسوط ما عنده من الجري. وإنما

(١) لدى الرمة، ديوانه ٩٧: يصف نلاة، وسدره:

• تَرَى عُصَبَ الْقَطَا هَمَلًا عَلَيْهِ •

(٢) في النهاية لابن الأثير ٣: ٢٥١: من حديث لعل.



خَصَّ الجنوب بذلك لأنها الريح التي يكون عليها المطر . والدَّرَر : جمع دَرَّة ، وهي كثرة اللبن وسيلانه وصبُّه . والأهاضيب : جمع هَضاب ، والهَضَاب : جمع هَضْب ، وهي حلبات القطر بعد القطر . والدُّقْع : جمع دُفْعَة ، بالضم وهي كالدفقة من المطر بالضم أيضاً والشَّايِب : جمع شَوْبوب وهي رَشَّة قوية من المطر ، تنزل دفعة بشدة ، والبرك : الصدر ويوانبها ، تنبيه بوان على « فِعال » بكسر الفاء وهو عمود الخيمة ، والجمع بُون بالضم ، قال الشاعر :

أَصْبَرَمِنْ ذِي ضَاغِطٍ عَرَكْكَ أَلْتَقَى بِوَأْنِي زَوْرَهُ لِلدِّبْرِكِ<sup>(١)</sup>

ومن روى : « بَوَانِيهَا » أرادوا صحتها ، من قولك : قوس بانية إذا التصقت بالوتر .

والرواية الأولى أصح . وبعاع السحاب : ثقله بالمطر ، قال امرؤ القيس :

وَأَلْتَقَى بِصَحْرَاءَ النَّبِيطِ بَعَاغُهُ نَزُولَ الْيَمَانِي بِالْعِيَابِ الْمَثْقَلِ<sup>(٢)</sup>

والمبء : الثقل ، واستقلت : ارتفعت ونهضت ، وهوامد الأرض ، هي الأرضون التي لانبات بها . وزُغَر الجبال : جمع أزعَر ، والمراد به قلة العشب والغلّي<sup>(٣)</sup> : وأصله من الزَّعَر ، وهو قلة الشعر في الرأس ، قال : *يرسله*

مَنْ يَكُ ذَا لَمَةٍ يَرْجُلُهَا فَإِنِّي غَيْرُ ضَائِرِي زَعَرِي

وقد زعر الرجل بزعر : قلَّ شعره . ونهيج : نُسِرَ وتفرح ، تقول : بهيجي أمر كذا بالفتح ، وأبهجني معاً ، أي سرّني . ومن رواه بضم الهاء أراد يحسُن ويملح ، من البهجة ، وهي الحسن ، يقال بهيج الرجل بالضم ، بهيجة ، فهو بهيج ، أي حسن ، قال الله تعالى : ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وتقول : قد أبهجت الأرض بالهمزة ، أي بهيج نباتها وحسن .

(١) المركك : الجمل الغليظ القوى ، والرجز في صحاح الجوهري ؛ وهو في اللسان أيضاً بضم الجيم إلى حاملة بن قيس بن أشيم .

(٢) ديوانه ٢٥ .

(٣) الحلى : الرطب من النبات ، وهو السكّاء .

(٤) سورة الحج ٥ .



وتزدهي ، أى تكبر ، وهى اللغة التى حكاه ابن دريد ، قال : تقول : زها الرجل يزهُو زهُواً ، أى تكبر<sup>(١)</sup> وعلى هذه اللغة تقول : ازدهى الرجل يزدهي ، كما تقول من «علا» اعتلى بعنلى ، ومن «رمى» ارتمى برتمى ، وأما من رواها «وتزدهي بما البسته» على ما لم بسم فاعله ، فهى اللغة المشهورة . تقول : زهى فلان علينا ، وللعرب أحرف تشكلم بها على سبيل المفعول به ، وإن كانت بمعنى الفاعل ، كقولهم : عني بالأمر ، ونتجت الناقة ، فتقول على هذه اللغة : فلان يزدهي بكذا .

والرَبْط جمع رِبْطة ، وهى الملاءمة غير ذات لفنيين . والأزاهير : النور ذو الألوان . وسمطت به : علق عليها السموط ، جمع سِمْط وهو العقد ، ومن رواه «سمطت» بالشين المعجمة ، أراد ماخالط سواد الرياض من النور الأبيض كالأفحوان ونحوه ، فصارت الرياض كالشعر الأشمط . والناصر : ذو الناصرة ، وهى الحسن والطراوة . وبلاغاً للأثر ، أى كفاية . والآفاق : النواحي ، والمغار : الأعلام .

## [ فصول متنوعة تتعلق بالخطبة ]

ويبنى أن تشكلم فى هذا الموضع فى فصول :

### الفصل الأول فى كيفية ابتداء خلق الأرض :

ظاهر كلام أمير المؤمنين عليه السلام أن الله خالق قبل الأرض ، وقد ذكرنا فيما تقدم أنه قول بعض الحكماء ، وأنه موافق لما فى التوراة إلا أن فى كلامه عليه السلام فى هذا الموضع إشكالا ، وذلك أن لقائل أن يقول : كلامه يشعر بأن هيجان الماء وغليانه ومواجه

(١) نقله صاحب اللسان فى زها .



سَكَن بوضع الأرض عليه ، وهذا خلاف ما يشاهد ، وخلاف ما يقتضيه العقل ، لأن الماء الساكن إذا جُمِل فيه جسم ثقيل اضطرب وتموج ، وصعد علواً ، فكيف الماء المتموج يسكن بطرح الجسم الثقيل فيه ؟

والجواب أن الماء إذا كان تموجه من قِبَل ربح هائجة ، جاز أن يسكن هيجانه بحسب يحول بينه وبين تلك الريح ، ولذلك إذا جعلنا في الإناء ماء وروحناه بمروحة تموجه ، فإنه يتحرك ، فإن جعلنا على سطح الماء جسماً يملأ حاويات الإناء وروحناه بالمروحة فإن الماء لا يتحرك ، لأن ذلك الجسم قد حال بين الهواء المحتلب بالمروحة وبين سطح الماء ، فمن الجائز أن يكون الماء الأول هائجاً لأجل ربح محرّ كته ، فإذا وضعت الأرض عليه حال بين سطح الماء وبين تلك الريح ، وقد مرّ في كلام أمير المؤمنين في الخطبة الأولى ذكر هذه الريح ، فقال : « ربح اعتقّم مهبتها ، وأدام مِرْبَهَا وأعصف مجراها ، وأبعد منشأها ، فأمرها بتصفيق الماء الزخار ، وإثارة موج البحار ، فبخضت نخض السقام ، وعصفت به عصفاً بالفضاء » .

• • •

الفصل الثاني في بيان قوله عليه السلام : « فلما سكن هيج الماء من تحت أكنافها ، وحل شواحق الجبال البُدْخ على أكنافها ، فجَرّ ينابيع العميون فيها ، وعدّل حركاتها بالراسيات من جلا ميدها » :

وذلك لأن العامل في « لَمَّا » يجب أن يكون أمراً مبايناً لما أضيفت إليه ، مثاله : لما قام زيد قام عمرو ، فقام الثانية هي العاملة في « لَمَّا » ، فيجوز أن تكون أمراً مبايناً لما أضيف « لَمَّا » إليه ، وهو قيام زيد ، وها هنا قد قال عليه السلام : لَمَّا حل الله تعالى شواحق الجبال على الأرض عدّل حركات الأرض بالجبال ، ومعلوم أن أحد الأمرين هو الآخر .

والجواب أنه ليس أحد الأمرين هو الآخر بعينه ، بل الثاني معلول الأول ، وموجب

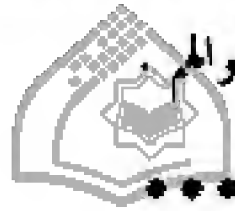


عنه لأن الأول هو تحل الجبال عليها ، والثاني تعديل حركاتها بالجبال المحمول عليها ، فكأنه قال : حل عليها الجبال ، فافتضى ذلك الحل تعديل حركاتها ؛ ومعلوم أن هذا الكلام منتظم .

\*\*\*

الفصل الثالث في قوله : « إن الجبال هي المسكنة للأرض » :

فنقول : إن هذا القول يخالف قول الحكماء ؛ لأن سكون الأرض عند الحكماء لم يكن لذلك ، بل لأنها تطاب المركز ، وهي حاصلة في حيزها الطبيعي ؛ لسكنها وإن كان مخالفاً لقول الحكماء ، فإننا نعتقد ديناً ومذهباً ، ونمدل عن قول الحكماء ، لأن اتباع قوله عليه السلام أولى من اتباع أقوالهم .



مركز تحقيقات كميتر علوم إسلامي

الفصل الرابع في ذكر نظائر لما وصف به المطر والسحاب :

فمن ذلك ما رواه عبد الرحمن ، ابن أخي الأصمعي ، عن عمه قال : سئل أعرابي عن مطر ، فقال :

استقلَّ سَدٌّ مع انتشار الطفل ، فشما وأخزال ، ثم اكفهرت أرجاؤه ، واحومت أرجاؤه ، وأزعرت فوارقه ، وتضاحكت بوارقه ، واستطار وادقه ، وأرسمت جوبه ، وارمن هيذبه ، وحسكت أخلافه ، واستقلت أردافه ، وانتشرت أكنافه ؛ فالرعد برنجس ، والبرق يختليس ، والماء ينبجس ، فأتزع العُدْر ، وأنبت الوُجْر ، وخطط الأوعال بالآجال ، وقرن الصيران بالرنال ، فلأودية هدير ، وللشراج خريز ، وللتلج زفير ، وحط الذبج والغنم من القلل الشم إلى الفيضان الضخم ، فلم يبق في القلل إلا مُعْصِم



مُجَرَّنِيمٌ ، أو داحض مُحَرِّجٌ ، وذلك من فضل رب العالمين ، على عباده المذنبين .  
 قلت : السَّدَّ : السحاب الذي يَسُدُّ الأفق . وأصل الجبل . والطفل : اختلاط الظلام  
 وانتشاره حال غروب الشمس . وشعنا : ارتفع وعلا . واحزَّال : انتصب . واكفَّهت  
 أرجاؤه : غلظت نواحيه وجوانبه وتراكت . واحمومت : اسودت مع مخالطة حمرة  
 وأرجاؤه : أوساطه . وانزعرت : تفرقت . والقوارق : قطع سن السحاب تتفرق عنه  
 مثل فرق الإبل ؛ وهي النوق إذا أرادت الولادة فارقت الإبل وبعدت عنها حيث  
 لا تُرَى . ونضاحت بوارقه : لمعت . واستطار : انتشر . والوادي : ذو الودق ، وهو  
 مطر كبار . وأرسمت جُوبه ، أى تلامت فرجُه والتجمت . وارنعت : استرخى .  
 وهيدَّبه : ما تدلى منه . وحسكت أخلافه : امتلأت ضروعه . وأردافه : مآخره .  
 وأكنافه : نواحيه ، وربجس : بصوت ، والرجس : الصوت . ويختلس : يستلب  
 البصر . وينبجس ينصب . فاترج الذر : ملأها ، جمع غدير . وأبنت الوجُر : حفرها ؛  
 جمع وجَّار ؛ وهو بيت الضبع . والآجال : جمع أجل ؛ وهو قطع البقر : والصَّيران مثله ،  
 جمع صُوار . والرتال : جمع رأل ؛ وهو فرخ النعام . والمدير : الصوت . والشَّراج : جمع  
 شُرَّج ؛ وهو مسيل الماء إلى الحرمة . وخزير النساء . صوته . وزفير النَّالاع : أن تزفر  
 بالماء لفرط امتلاشها . والتَّبَع : شجر ، والعَم : شجر آخر ؛ وكلاهما لا يثبت إلا في رؤوس  
 الجبال . والشَّم : العالية . والصَّخَم : السود التي تضرب إلى الصفرة ، والمُعَم : المعتصم  
 للمشي . والمجرثم : المتقبض ، والداحض : الزالق الواقع . والمحرجم : المصروع .

\*\*\*

ومن ذلك ما رواه أبو حاتم ، عن الأصمعي ، قال : سألت أعرابياً من بني عامر  
 ابن صعصعة ، عن مطر أصاب بلادهم ، فقال :  
 نشأ عارضا ، فطلع ناهضا ، ثم ابتسم وامضا ؛ فاعتن في الأقطار فأشجهاها ، وامتد في



الآفاق فَنَطَّأَهَا ، ثُمَّ ارْتَجَسَ فِيهِمْ ، ثُمَّ دَوَّى فَأَظْلَمَ ، فَأَرَكَ وَدَثَ ، وَبَقَشَ وَطَشَ ، ثُمَّ قَطَّقَطَ فَأَفْرَطَ ، ثُمَّ دِيمَ فَأَغْمَطَ ، ثُمَّ رَكَدَ فَأَنجَمَ ، ثُمَّ وَبَلَ فَسَجَمَ ، وَجَادَ فَأَنَمَ ، فَقَمَسَ الرُّبَا ، وَأَفْرَطَ الزُّبَى سَيْعاً<sup>(١)</sup> تَبَاعَا ، يَرِيدُ انْقِشَاعَا ؛ حَتَّى إِذَا ارْتَوَتْ الْحَزُونُ ، وَتَضَعَضَعَتِ الْمُتُونُ ، سَاقَهُ رَبُّكَ إِلَى حَيْثُ بِشَاءَ ، كَمَا جَلَبَهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ .

قلت : العارض : سحاب يعترض في الأفق . واعتن : اعترض . وأشجهاها : ملأها فكان كالشجى في ساقها . وارتجس : صوت . والمهممة : صوت الرعد . ودوى : أحدث دويّاً . فأظلم : أعدم الضوء من الأرض بتكاثفه . فأركَ ، أى مطر ركّاً ، والرك : المطر الضعيف ، وكذلك الدث والبقش والطش ، وفوق ذلك القَطَّقَطَ . ودِيمَ : صار ديمةً وهى المطر أياماً لا يقطع . وأغْمَطَ ، أى دام . وأنجَمَ : أقام . ووبَلَ : جاء بالوابِلَ ؛ وهى المطر العظيم : وسَجَمَ : صَبَ . وأنَمَ : بالغ . وقَمَسَ : غَوَّصَ فى الماء . وأفْرَطَ الزُّبَى : ملأها ، جمع زُبْيَةٌ ؛ وهى حفيرة تحفر الوحوش فى مكان مرتفع . والحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض . والمتون : جمع متن ؛ وهى الصلاب من الأرض . وتَضَعَضَعَتِ : صار فوقها ضحضاح من الماء ؛ وهى الرقيق .

\*\*\*

ومن ذلك ما رواه أبو حاتم أيضاً ، عن الأصمى ، قال : سألت أعرابياً عن مَطَرٍ أصابهم بعد جَدَبٍ ، فقال :

ارتاح لنا ربُّك بعد ما استولى اليأس على الظُّنُونِ ، وخامر القلوبَ القُنُوطُ ؛ فأنشأ بنو الجبهة قَزَعَةً كالْفَرُصِ من قِبَلِ المَينِ ، فاحزَّالَتْ عندَ ترَجَلِ النهارِ لأَدمِ السَّرَارِ ؛ حتى إذا نهضت فى الأفق طالعة ، أمرَ مسخَرُها الجنوبُ فتبَسَّمتَ لها ، فانتثرت<sup>(٢)</sup> أحضانها ، واهجومتْ أَرْكَانَهَا ، وبَسَقَ عَنَانُهَا ، واكفهرت رَحَاهَا ، وانبعجت كَلَاهَا<sup>(٣)</sup> ، وذمرت

(١) سماع الماء سيعاً : جرى واضطرب ، وفى الأصول : د سيعاً = تصحيف .

(٢) ب : د فانتثرت . (٣) كناية السحابة : أسفلها .



أخراها أولاهها؛ ثم استطارت عفاثتها، وارتفعت بوارقها، وتممقت صواعقها، ثم ارتفعت  
جوانبها، وتداعت سواكبها، ودزت حوالبها؛ فكانت للأرض طبقة شج فخصب،  
وعم فأحسب؛ فعمل القيمان، وضخض الغيطان، وصوَّح الأضواج، وأترع الشراج،  
فالحمد لله الذي جعل كفاء إساءتنا إحسانا، وجزاء ظلمنا غفرانا.

قلت : نوء الجنة محمود عندكم للمطر، والقزعة : القطعة الصغيرة من السحاب .  
والقُرم : الترس . والمّين ماعن يمين قبلة العراق . وترجل النهار : انبساط الشمس .  
والأدم : أحد ليالي السَّرار، والأحضان : النواحي . واحومت : اسودت . وبسقى :  
علا . والعنان : ما يعترض من السحاب في الأفق . وانبعجت : انفتحت . وذمرت : حضت  
والمقاتق : البروق . وارتفعت : اهتزت وارتعدت . وطبقا، أى غطت الأرض . وعَضَب :  
جاء بالطرْدفة فدفة . وأحسب : كفى . وعمل القيمان : سقاها مرة بعد أخرى، والغيطان :  
جمع غائط وهو ما سفل من الأرض . وصوَّح الأضواج : هدم الأجواف . وأترع  
الشراج : ملأ المسيلات .

مركز تجميع الكتب العربية

\*\*\*

ومن ذلك ما رواه ابن دريد، عن عبد الرحمن، عن عمه الأصمعي، قال :  
سمعت أغرابيا من بني عامر يصف طرأ، قال : نشأ عند القصر بنوء القفر حيتا طارضا حكا  
وامضا، فسكلا ولا ما كان حتى شجيت به أقطار الهواء، واحتجبت به السماء، ثم أطارق  
فاكفهر، وتراكم قادلهم، وبسقى قارلأم، ثم حدث به الريح نفرة، والبرق مرتعج، والرعد  
مُنبّج، والحدج مبتعج، فأنجم ثلاثا، متعيرا هتباثا، أخلافة حاشكة، ودفعه متواشكة،  
وسوامه متعاركة. ثم ودع ضججا، وأقلع مُتَهما، محمود البلاء، مترع النهاء<sup>(١)</sup>، مشكور النعماء،  
بطول ذي الكبرياء .

قلت : القصر : المشي . والقفر من نجوم الأسد . والحيا : الدآني من الأرض .  
وقوله : «كلا ولا» أى في زمان قصير جدا . وشجيت به الأقطار : صار كالشجى لها .

(١) نهاء : جمع نهى ؛ وهو القدير .



وازلأم : انتصب . والمرتعج : المتدارك . والهنوج : العالى الصوت . والحدج : السحاب أول ما ينشأ . ويتبعج : يشقق . وأنجم : دام متصيرا ، أى كأنه قد تمخّر لا وجه له يقصده . والهنهات : للداخل . وأخلافه حاشكة ؛ أى ضروعة ممككة . ودقعه متواشكة ، أى مسرعة . وسوامه متعاركة ، شبه قطع السحاب بسوام الإبل . ومنجما : مقلما . ومثنيها : يسير نحو تهامة :

\*\*\*

### الفصل الخامس فى بيان أنه عليه السلام إمام أرباب صناعة البديع

وذلك لأن هذا الفن لا يوجد منه فى كلام غيره . عن تقدمه إلا أفاض بسيرة غير مقصودة ؛ ولكنها واقعة بالاتفاق كما وقع التعجيب فى القرآن العزيز اتفاقا غير مقصود ، وذلك نحو قوله : ﴿ يَا سَفَا عَلَى يُوسُفَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وكما وقعت للمقابلة أيضا غير مقصودة فى قوله : ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ <sup>(٢)</sup> على أنها ليست مقابلة فى المعنى ، بل من اللفظ خاصة . ولما تأمل العلماء شعر امرئ القيس ووجدوا فيه من الاستعارة يتنا أو يتبين نحو قوله يصف الليل :

قُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَهْجَازًا وَنَاءَ بِكَ نَكَلٍ <sup>(٣)</sup>

وقوله :

وإن بك قد ساءتلك منى خالقة فسل ثيابي من ثيابك تنسل <sup>(٤)</sup>

ولم يُشَدُّوا مثل ذلك فى أشعار الجاهلية ، حكوا له بأنه إمام الشعراء ورئيسهم . وهذا الفصل من كلام أمير المؤمنين عليه السلام قد اشتمل من الاستعارة المعجبة وغيرها من أبواب البديع على ما لو كان موجودا فى ديوان شاعر مكثّر ، أو مترسل مكثّر

(٢) سورة الرحمن ٨ .

(٤) ديوانه ١٣ .

(١) سورة يوسف ٨٤ .

(٣) ديوانه ١٨ .



لكان مستحق التقديم بذلك؛ ألا تراه كيف وصف الأمواج بأنها مستفحلة، وأنها ترغور غاه  
 فحول الإبل . ثم جعل الماء جَاحًا ، ثم وصفه بالخضوع ، وجعل للأرض كَنَـكَلًا، وجعلها  
 واطئة للماء به ، ووصف الماء بالذل والاستخذاء لما جعل الأرض متمسكة عليه كما  
 يتمسك الحمار أو الفرس ، وجعل لها كواهل، وجعل للذل حَكْمَةً، وجعل الماء في حَكْمَةٍ  
 الذل مثقادا أسيرا ، وساجيا مقهورا . وجعل الماء قد كان ذا نحوه وبأو واعتلاء ، فردته  
 الأرض خاضعا مسكينا، وطاطأت من سُموخ أنفه ، وسُمُو غلوائه، وجعلها كاعمة له، وجعل  
 الماء ذا كِفْطَةٍ بامتلائه ، كما نعى الكِفْطَةَ المستكثر من الأكل . ثم جعله هامدا بعد أن  
 كانت له نزقات ، ولا بدأ بعد أن كانت له وثبات ، ثم جعل للأرض أكتافا وعرائين ،  
 وأنوقا وخياشيم؛ ثم نفى اللوم عن وميض البرق، وجعل الجنوب مارية دِرَرَ السحاب، ثم جعل  
 للسحاب صدرا وِيَوَانًا، ثم جعل الأرض مَبْتَهَجَةً مسرورة مزدهاة، وجعل لها رِيْطًا من لباس  
 الزهور ، وسُمُو طائحتي بها . فيالله والعجب من قوم زعموا أن الكلام إنما يفضل بمضه  
 بمضا لاشتماله على أمثال هذه الصنعة، فإذا وجدوا في مائة ورقة كلمتين أو ثلاثا منها، أقاموا  
 القيامة، ونفخوا في الصور، وملثوا الصحف بالاستحسان لذلك والاستظراف، ثم يرون على  
 هذا الكلام المشحون كله بهذه الصنعة على اللطف وجه ، وأرصع وجه ، وأرشق عبارة،  
 وأدق معنى ، وأحسن مقصد ، ثم يحملهم الهوى والعصبية على التسكوت عن تفضيله إذا  
 أجملوا وأحسنوا، ولم يتمصبوا لتفضيل غيره عليه أعلى أنه لا عجب، فإنه كلام على عليه السلام،  
 وحظ الكلام حظ التكلم ؛ وأشبهه امرأ بعض بَزْءٍ أ

\*\*\*

وهذا آخر الجزء السادس من الأجزاء العشرين من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد  
 المعتزلي على ما جزأه <sup>(١)</sup> .

(١) ج : « ثم الجزء السادس من أجزاء شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد على ما جزأه ، ويتلوه  
 الجزء السابع والحمد لله وحده » .



## فهرس الخطيب \*

الصفحة	
٥٠٤	٦٦ - من كلام له عليه السلام في معنى الأنصار
٥٣	٦٧ - من كلام له لما قلذ محمد بن أبي بكر مصر فلكت عليه وقتل
١٠٢	٦٨ - من كلام له في ذم أصحابه
١١٢	٦٩ - من كلام له في سحرة اليوم الذي ضرب فيه
١٢٧	٧٠ - من كلام له في ذم أهل العراق
١٣٨	٧١ - من خطبة علم الناس فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله
١٤٦	٧٢ - من كلام له قاله لمروان بن الحكم بالبصرة
١٦٦	٧٣ - من كلام له لما عزموا على بيعة عثمان
١٦٩	٧٤ - من كلام له لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان
١٧٢	٧٥ - من خطبة له في الزهد
١٧٤	٧٦ - من كلام له في شأن بني أمية
١٧٦	٧٧ - من كلمات له يدعو بها
	٧٨ - من كلام له قاله لبعض أصحابه لما عزم على السير إلى الخوارج
١٩٩	وقوله في النجوم
٢١٤	٧٩ - من كلام له بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء
٢٣٠	٨٠ - من كلام له في الزهد أيضا
٢٣٨	٨١ - من كلام له في صفقة الدنيا
٢٧٩ - ٢٤١	٨٢ - من خطبة له وهي المسماة بالغراء



الصفحة

- ٢٨٠ - ٨٣ - من كلام له في ذكر عمرو بن العاص
- ٣٤٨ - ٣٤٥ - ٨٤ - من خطبة له في تمجيد الله سبحانه وتعالى ، وفيها وصف الجنة
- ٣٥٤ - ٣٥٠ - ٨٥ - من خطبة له في الوعظ
- ٣٨٢ - ٣٦٣ - ٨٦ - من خطبة له ، ذكر فيها صفات من يحبه الله وحال أمير المؤمنين مع الناس
- ٣٨٤ - ٨٧ - من خطبة له ذكر فيها وصف ما عليه الناس من الخطأ
- ٣٨٧ - ٨٨ - من خطبة له ذكر فيها حال الناس قبل البعث وأن الناس اليوم لا يختلفون عن سلفهم
- ٣٩٥ - ٣٩٢ - ٨٩ - من خطبة له في تعداد بعض صفات الله عز وجل
- ٤٣٨ - ٣٩٨ - ٩٠ - من خطبة له ، وتعرف بخطبة الأشباح ، فيها وصف السماء والأرض والسحاب والملائكة وغير ذلك

مركز تحقيق التراث



## فهرست الموضوعات (\*)

صفحة	
٤٥ - ٥	أخبار يوم السقيفة <sup>(١)</sup>
١٧ - ١٤	قصيدة أبي القاسم المغربي ونصبه للأنصار على قرش
٤٥ - ١٨	أمر المهاجرين والأنصار بعد بيعة أبي بكر
٥٢ - ٤٦	ما روى من أمر فاطمة مع أبي بكر
٦٧ - ٥٥	محمد بن أبي بكر وذكر ولده
٥٦ - ٥٥	هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ونسبه
٦٥ - ٥٧	ولاية قيس بن سعد على مصر ثم عزله
٩٤ - ٦٥	ولاية محمد بن أبي بكر على مصر وأخبار مقتله
١٠٠ - ٩٤	خطبة عليّ بعد مقتل محمد بن أبي بكر
١٠١ - ١٠٠	مقتل محمد بن أبي حذيفة
١٠٧ - ١٠٤	الأشعار الواردة في ذم الجبن
١١١ - ١٠٧	أخبار الجبناء وذكر نواذرهم
١٢٦ - ١١٣	خير مقتل عليّ كرم الله وجهه
١٣٤ - ١٢٩	ذكر مطاعن النظام على الإمام والرد عليه
١٣٦ - ١٣٤	خطبة عليّ بعد يوم النهروان
١٣٧ - ١٣٦	من خطب عليّ أيضا
١٤٥ - ١٤٣	معنى الصلاة على النبي والخلاف في جواز الصلاة على غيره
١٦٥ - ١٤٨	مروان بن الحكم ونسبه وأخباره
١٦٨ - ١٦٧	من كلام له أيضا قبل المباشرة
١٧٨	من أدعية الرسول المأثورة

(\*) وهي الموضوعات التي وردت أثناء الفرج .

(١) انظر أخبار يوم السقيفة في الجزء الأول ٢١ - ٦١ .



صفحة	
١٨٧ - ١٨٨	أدعية الصحيفة
١٨٧	من الأدعية الماثورة عن عيسى عليه السلام
١٩٦ - ١٨٧	الأدعية الماثورة عن بعض الصالحين
١٩٧ - ١٩٦	آداب الدعاء
٢١٣ - ٢٠٠	القول في أحكام النجوم
٢٢٩ - ٢١٥	أخبار عائشة في خروجها من مكة إلى البصرة بعد مقتل عثمان
٢٣٧ - ٢٣١	الآثار والأخبار الواردة في الزهد
٢٧٤ - ٢٧٣	فصل في ذكر القبر وسؤال المالكين
٢٣٠ - ٢٨١	نسب عمرو بن العاص وطرف من أخباره
٢٩٤ - ٢٨٥	مفاخرة بين الحسن بن علي ورجالات من قریش
٢٩٥ - ٢٩٤	عمرو بن العاص ومعاوية
٢٩٧ - ٢٩٥	عبد الله بن جعفر بن العاص في مجلس معاوية
٣٠٣ - ٢٩٨	عبد الله بن العباس ورجالات قریش في مجلس معاوية
٣٠٧ - ٣٠٤	عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص في الحبشة
٣١٢ - ٣٠٧	أمر عمرو بن العاص مع جعفر بن أبي طالب في الحبشة
٣١٧ - ٣٠٢	أمر عمرو بن العاص في صفين
٣١٩ - ٣١٨	القول في إسلام عمرو بن العاص
٣٢٠ - ٣١٩	بعث رسول الله عمرا إلى ذات السلاسل
٣٢١ - ٣٢٠	ولایات عمرو بن العاص في عهد الرسول والخلفاء
٣٢٤ - ٣٣١	نبذ من كلام عمرو بن العاص
٣٣٧ - ٣٣٠	أقوال وحكايات في المزاح
٣٤٤ - ٣٣٧	فصل في حسن الخلق وسدحه
٣٦٢ - ٣٥٧	فصل في ذم الكذب وحقارة الكذابين
٣٧٢ - ٣٦٥	فصل في العباد والزهاد والعارفين وأحوالهم